

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة باتنة 1
لدراسات ما بعد التدرج
كلية العلوم الإسلامية
والبحث العلمي و العلاقات الخارجية
قسم أصول الدين
تخصص الكتاب والسنة

قواعد التدبر القرآني بين التنظير والتطبيق

عند عبد الرحمن حبنكة الميداني

أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التفسير
وعلوم القرآن

إعداد الطالب :

إشراف الأستاذ الدكتور :

رشيد بوعافية

منصور كافي

أمام لجنة المناقشة المشكلة من

السادة :


الاسم واللقب	الدرجة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
عيسى بوعكاز	أستاذ	جامعة باتنة 1	رئيسا
منصور كافي	أستاذ	جامعة باتنة 1	مقررا
نورة بن حسن	أستاذ	جامعة باتنة 1	عضوا


عضوا	جامعة الأمير - قسطنطينة	أستاذ	حدة سابق
عضوا	جامعة الأمير - قسطنطينة	أستاذ محاضر	عادل مقراني
عضوا	جامعة تبسة	أستاذ محاضر	قدور سلاط

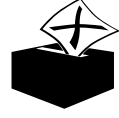
السنة الجامعية :
(1439هـ - 1440هـ / 2018 م - 2019 م)

**بسم الله الرحمن
الرحيم**

إهداء

 أهدي هذا المولودَ العلمي إلى والدتي
التي حملتني وهنأ ، ووضعتني مشقةً ، وأرضعتني
من لبنها وحنانها ، وسهرت على تربيّتي وحسن
تأديبي ، وتعبت في سبيل أن أتعلّم الحرفَ وأحمِلَ
القلم .. وقد فعلتُ و لله الحمدُ والمئة ..

 ثمّ إلى والدي الذي تعبَ في سبيلِ
راحتنا ، وطلقَ الرَّاحةَ في سبيلِ سعادتنا، أسألُ اللهَ
لهُ رفعَ الدَّرجاتِ ، وتكفيرَ السيئاتِ ، وقبولَ السَّعيِ ،
وهذا بعضُ سَعِيهِ . .



ثم إلى زوجتي وصاحبتي ورفيقتي
دربي ، على صدق وفائها ، وحسن خلقها ، أنا عنها
راضٍ ؛ فارض اللهم عنها . .



ثم أهدي هذا المولود إلى كل من
يعشق الغوص في العمق القرآني و دقائق التدبر و
يهوى الإقلاع في معارج التفكير . . أقول له :
وجدتُ هذا و أحسسته و تذوقته في دراستي لعبد
الرحمن حبنكة الميداني رحمه الله رحمة واسعة . .

شكر وتقدير

بعد شكر الله أولاً وآخراً ، ظاهراً وباطناً :

أتقدمُ بجزيل الشُّكر والامتنان إلى أستاذي الفاضل
الأستاذ الدكتور " منصور كافي " - حفظه الله ورعاه - على
قبوله الإشرافَ على هذا البحث .

له الشُّكرُ مَنِّي شكراً جزيلاً على سعة صبره و دقة
نصائحه و توجيهاته ، فجزاة الله عني و عن جيل كامل من
طلبة الكتاب والسنة خير الجزاء وأوفاه ، جزاء العلماء
العاملين . .

أشكُرُ كُلَّ مَنْ عَلَّمَنِي الْحَرْفَ ، وجعلني أحملُ القلمَ . .
أشكُرُ كُلَّ مَنْ جعلني أفهمُ الكلمات ، وألقي في سبيلِ
اللهِ الثَّمَرَاتِ . .

وأشكُرُ جامعةَ الحاج لخضر باتنة ، التي أتاحت لي
الفرصةَ لإكمالِ الدكتوراه في التفسير و علوم القرآن ،
والاندراجِ بذلك في طريقِ البحثِ العلمي ، لها منِّي الشُّكْرُ
الجزيلُ بجميعِ هيئاتها الإداريَّةِ والتدريسيَّةِ ، ورفعَ اللهُ مقامَها ،
وأدامها منارَةً للعلمِ والعلماءِ . .

**لهؤلاء جميعًا - ولمن لم أذكرهم من الأوفياءِ
الأخفاءِ - خالصُ الشُّكْرِ والتقديرِ والامتنانِ . .**
**وصلِّ اللهم وسلِّم وبارك على نبيِّك محمد ،
وعلى آله وصحبه أجمعين**

مقدمة

أفضل ما اشتغلَ به المشيغلون ، وتنافسَ فيه المتنافسون ، وبُذلت فيه الأعمار ، وأُعمِلت فيه القرائح ، الفحصُ عن أسرار كتاب الله تعالى ، والكشف عن حقائقه و معانيه ، فهو بلا ريب الشفاء للصدر، والحكم العدل عند مشتبهات الأمور .

ولقد لقي كتاب الله جلَّ وعلاً ولا يزالُ يلقي على مَرِّ الدهور من الاعتناء ما لم يعرفه كتاب على وجه البسيطة ؛ من حيث بيان معانيه وقراءاته ولغته وإعجازه وناسخه ومنسوخه وسائر علومه ، وكان من ذلك بيان ما يتعلقُ بتفسيره من قواعد وأصول تضبط الفهم من الزلل ، فقعدَ العلماء قواعد وأصلوا أصولاً الغرض منها التدبُّرُ و الفهم لكلام المولى عز

وجل واستنباط معانيه على الوجه الصحيح ، مما يمنع المفسر من الوقوع في الخطأ قدر الإمكان .

ولقد اعتنى أئمة المسلمين بهذه القواعد اعتناء كبيرا ، فضمنوها كتبهم تَصَّاً وإشَارَةً وتنظييراً و وتطبيقاً ، بدءاً بكتب التفسير ، ومروراً بكتب علوم القرآن وأصول الفقه و علوم اللغة ، وانتهاءً بإفراد هذه القواعد في مصنف جامع ، وهذا ما بدأ يظهر في الأونة الأخيرة ، حيث يعد من الأبواب الجديدة في العلم ، فظهر كتاب " **القواعد الحسان لتفسير القرآن** " للعلامة عبد الرحمن السعدي ، و " **قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل** " لعبد الرحمن حبنكة الميداني ، و " **قواعد التفسير** " للشيخ خالد بن عثمان السبت ، وغيرها من المصنّفات . .

ولما كان ذلك كذلك ، ولما كان عبد الرحمن حبنكة الميداني من أشهر من أَلَّفَ في هذا الموضوع، فقد أحببت أن أدرسَ قواعد التدبُّر القرآني عنده باعتبارِه أحد أشهر الأعلام المصنِّفين في هذا المجال، حيثُ أَلَّفَ رحمه الله عدَّة كتب متعلقة بهذا المجال الهام ، منها كتابه " **قواعد التدبُّر الأمثل لكتاب الله عز وجل** " . . **تأمُّلات** " ، وهو الكتاب الذي ضمَّنه زُبْدَة تأمُّلاته في القواعد الكلية التي يتحصَّل بها التدبُّر لقارئ كتاب الله والتي استنبطها من قراءاته الطويلة و ممارسته للتدبُّر القرآني. ومنها تفسيره الكبير " **معارج التفكير ودقائق التدبُّر تفسير تدبُّري للقرآن الكريم بحسب ترتيب النزول** " ، وهو التفسير الذي طبَّق فيه قواعده كما سنرى ، و الذي يهْمُنَا في هذه الدراسة هو هذان الكتابان المتعلقان بالتدبُّر، حيثُ إن الأول أَلَّفَه في الجانب النظري مع تقديم أمثلة تطبيقية، والثاني طبَّق فيه منهاجه التدبُّري في الكتاب الأول و راعَى فيه ترتيب النزول لا الترتيب المصحفي . وبحثي سوف يقتصر على هذين الكتابين دون غيرهما من كتب الشيخ . واخترت أن يكون عنوان البحث " **قواعد التدبُّر القرآني عند عبد الرحمن حبنكة الميداني تنظييراً وتطبيقاً** " **قواعد التدبر الأمثل** " و " **معارج التفكير** " **نموذجاً** " .

وأذكر فيما يلي عدَّة نقاط تعرِّف القارئ بالموضوع:

أولاً : إشكالية البحث :

الإشكالية الأساسية التي تستدعي البحث في هذا الموضوع هي :

باعتبار عبد الرحمن حسن حبكة الميداني علماً من أعلام التأليف في الدرس التدبري ؛ إلى أي مدى وفّق بين التنظير والتطبيق في قواعد التدبر القرآني ؟ .

وتحت هذه الإشكالية الأساسية يمكن أن نطرح التساؤلات الفرعية التالية :

ما هي المقدمات النظرية الأولية التي يحتاجها المتدبر لكتاب الله ؟

ما هي القواعد التي ساقها المؤلف و جعلها قوام التدبر لكتاب الله عز وجل ؟

هل جميع القواعد التي ذكرها عبد الرحمن حسن حبكة الميداني تصلح قواعد للتدبر ، أم فيها ما هو قواعد حقاً وما هو إرشادات وفوائد وتأمّلات فحسب ؟

إلى أي مدى التزم المصنّف بتطبيق هذه القواعد في تفسيره ؟

وما هي بصمات التفرد و التجديد التي تميّز بها عمل المصنّف، والماخذ التي تؤخذ عليه إن وُجدت ؟ .

هذا أهم ما تسعى الدراسة إلى الإجابة

عنه .

ثانياً : أهمية البحث :

تتجلى أهمية هذا البحث من عدّة زوايا ، أهمّها :

1- الحديث في الدرس التفسيري بمعزل عن قواعد التدبر القرآني عملٌ غيرٌ مستقيم ، ولا يستوي دون استحضارها والإحاطة بها عمَلُ المفسّر و بحثُهُ واستنتاجُهُ ، فهي من الأدوات الضرورية والعناصر اللازمة للمفسّر و لكلّ باحث في كتاب الله ، و لذلك حتّى أنّها أن تكون في مرتبة الصدارة تناوُلًا و عناية ، وقد لمسَ كلُّ خادِم لكتاب الله و تفسيره كيف وقع الاضطرابُ والخلطُ لدى كثيرين بسبب عدم تحكّمهم في قواعد التفسير و التدبر .

2- ومن ناحيةٍ أُخرى نلمسُ عناية القرآن الكريم بموضوع التدبُّر ودعوته إلى التفكير والنظر والعظة بالآيات البينات ، وهذا التدبُّر عملٌ يحتاج إلى قواعد وأسس ومنطلقات يبنى عليها التطبيق والممارسة لاستخراج المعاني وفهم المرامي والدلالات ، وإنَّ دراسة هذه القواعد تنظيرًا وتطبيقًا - عند علم من أعلام التفسير له جهدٌ متميزٌ في هذا المجال - وفق منهجٍ علميٍّ مضبوطٍ لهو أمرٌ جديرٌ بالاهتمام و البحث و البيان . .

3- ثم إنَّ البحث المستفيضَ في كيفية تطبيق المفسر لهذه القواعد في تفسيره يعطي الباحثَ مَلَكةً عمليَّةً و خبرةً تدريبيَّةً تضبطُ الفهم والتعامل مع الآيات والاستخراج منها استنادًا إلى تجربةٍ أحدِ المتمكِّنين في هذا المجال .

ثالثًا : أسباب اختيار الموضوع و دوافعه :

هناك عدة أسباب ودوافع جعلتني أختار هذا الموضوع وأكتبُ فيه، منها دوافع ذاتية، وأخرى موضوعية ، وأهمُّها :

1- الرغبة في الاهتمام بالتراث المعاصر و الشخصيات العلمية المعاصرة، وخاصةً شخصية الشيخ عبد الرحمن حنَّكة الميداني ، فدفعتني هذا إلى محاولة استكشاف علمي لجهوده التدبُّريَّة في كتاب الله تنظيرًا وتطبيقًا .

2 - ومنها السعي للمساهمة بجُهد المُقل في مسيرة الدراسات العلمية التي تهدف إلى " نُضج " علم التدبُّر القرآني وقواعدة والدراسات فيه .

3 - ومنها أيضًا بُدرة البحوث الأكاديمية الجزائرية المتعلقة بالشيخ عبد الرحمن حنَّكة الميداني وخاصةً في مجال التفسير ، رغم شهرته في الأقطار و علو منزلته في العلوم الشرعية واللغوية المختلفة، فأحببت المشاركة في التأسيس في هذا المجال في التدبُّر خاصَّة .

رابعًا : الدراسات السابقة :

لم أعر في فهرسة الرسائل المناقشة بالجامعات الجزائرية على رسالة تدرس قواعد التدبُّر القرآني عند عبد الرحمن حنَّكة الميداني ، ومن خلال التصفح والبحث واستعمال مراكز البيانات عثرت على دراسة خارج جامعاتنا بحثت في منهجه في التفسير بشكل عام وهي :

1- منهج عبد الرحمن حَبَّكَة الميداني في

التفسير : نادي حسن علي صبرا - (رسالة ماجستير غير مطبوعة) : إشراف الدكتور : محمد خازر المجالي ، في حدود 255 صفحة ، نوقشت بالجامعة الأردنية سنة (2006م) ، وقد نَشَرَ عُنوانها والمعلومات عنها موقع قاعدة بيانات أوعية المعلومات القرآنية quran-c.com/display/DispBib.aspx? BID=53647 ، وهي الدراسة الوحيدة التي عثرت عليها و لكنها بحثت في منهج التفسير عند عبد الرحمن حَبَّكَة الميداني وليس في قواعد التدبُّر تحديداً. وقد اتصلت بالشيخ نادي حسن علي صبرا عبر الفايبروك ، و تحصَّلت منه على رسالته وسيرته الذاتية لأستعملها في الترجمة له ، واستفدتُ منه ومن رسالته فوائد جمَّة في إدراك منهج المؤلف في تفسيره معارج التفكير ، وكثيراً من تطبيقاته للقواعد ، وقد سهَّلت عليّ كثيراً من الفوائد و الجهد و الوقت ، فجزاه الله عنِّي خير الجزاء و أوفاه.

ثمَّ تحصَّلت على دراسة أخرى قريبة من مجال البحث و

هي :

2 - تفاسير القرآن الكريم حسب ترتيب النزول

دراسة و تقويم : طه محمد فارس - (رسالة دكتوراه مطبوعة)، إشراف الأستاذ الدكتور : نور الدين عتر ، في حدود 1030 صفحة ، نوقشت بجامعة أم درمان الإسلامية سنة 2007م ، وقد طبعتها دار الفتح للدراسات و النشر - دط - دس . وهذه الدراسة استفدتُ منها كثيرا في تصوُّر موضوعها تنظيراً وتطبيقاً (التفاسير على ترتيب النزول) : " التفسير الحديث " لمحمد عزة دروزة ، " بيان المعاني " لملا علي حويش ، " تفسير القرآن المرتب " للدكتور أسعد علي ، " معارج التفكير ودقائق التدبُّر " للدكتور عبد الرحمن الميداني، وقد اكتسبت منها كثيرا من الفوائد ، وسهَّلت عليّ كثيرا من الجهد والوقت، خاصَّة في المبحث المتعلق بموضوع دراستي حول عبد الرحمن الميداني، و على الخصوص أن مؤلَّف هذه الرسالة التقى بالشيخ عبد الرحمن الميداني في دُبي، و سأله و استفاد منه، ثم علق على ذلك ، و قد أوردت

شيئا من تعليقاته تلك مع التعقيب ،فجزاه الله عني خير الجزاء وأوفاه .

وأما الدراسات التي بحثت في قواعد التفسير بين التنظير والتطبيق عند غيره فموجودة، منها :

3 - قواعد التفسير بين النظرية والتطبيق

قديمًا وحديثًا : سيد أحمد محمد نجم - (رسالة دكتوراه غير مطبوعة) - نوقشت بجامعة الأزهر سنة 2009م. ولم أتمكن من الاطلاع عليها، وقد نَشَرَ عُنوانها والمعلومات عنها قاعدة بيانات أوعية المعلومات القرآنية - quran- c.com/display/DispBib.aspx?BID=50347 .

4 - قواعد التفسير بين النظرية والتطبيق عند

الإمام الجصاص : عبد الإله الخوري - (رسالة دكتوراه غير مطبوعة)- إشراف الدكتور نور الدين عتر . وقد نوقشت بكلية الشريعة قسم علوم القرآن والسنة بجامعة دمشق يوم الثلاثاء 30 ماي 2007م ، ولم أتمكن من الاطلاع عليها، وقد نَشَرَ عُنوانها والمعلومات عنها موقع ملتقى أهل التفسير vb.tafsir.net/tafsir8583 .

5- قواعد التفسير بين التنظير والتطبيق عند

الشيخ عبد الرحمن السعدي القواعد الحسان وتيسير الكريم الرحمن نموذجًا : هشام شوقي- إشراف الأستاذ الدكتور منصور كافي - نوقشت بجامعة باتنة سنة (2009م) . وهي (رسالة ماجستير متاحة إلكترونيا بموقع جامعة الحاج لخضر باتنة - theses.univ-batna.dz/index.php?option=com_docman&task=doc_details&gid=2867&temid=4) . وقد استفتت منها في تصور شيء من منهجية تقسيم الموضوع ،وكيفية تطبيق الشيخ عبد الرحمن السعدي للقواعد التي نظر لها ،مما أتاح لي الفرصة لتعميق التعامل مع موضوع هذه الدراسة فيما يتعلق بعبد الرحمن الميداني، فجزى الله صاحبها عني خير الجزاء وأوفاه.

خامسًا : أهداف البحث :

يسعى الباحث إلى تحقيق جملة أهداف من أهمها :

1- تفعيل البحث في مجال التقييد والممارسة معا على مستوى تدبر كتاب الله عز وجل، فإن لموضوع التقييد أهمية كبرى في تأصيل كل العلوم وضبط تطبيقها ، ولذلك شغل حيزا مهما في المنظومة الفكرية والمنهجية للعلماء على اختلاف الزمان و التخصص ، وعلى رأس ذلك علم التفسير، ولا شك أن تفعيل الدراسات التي تعنى بقواعد التدبر الأمثل للقرآن و تكشف عن طرائق أصحابها في تطبيقها وممارستها من أجل الاهتمامات التي يجب أن تغطيها البحوث والدراسات العلمية .

2 - الكشف عن تجربة علم من أعلام التفسير المعاصرين في خدمة تدبر كتاب الله تأصيلاً وتطبيقاً، مع التعريف بكتابين من أجل ما كتبه في ذلك ، ورصد جهده فيهما ، ولمس جوانب التآلق والإبداع لديه ، مع الإشارة إلى المؤاخذات لتحقيق التوازن .

3 - ومن أجل أهداف هذه الدراسة محاولة تقديم عملٍ منهجيٍّ يجتمع فيه جهدُ الطالب مع توجيهات الأساتذة المتخصصين عسى أن يكونَ لبنةً جديدةً تخدمُ الدرسَ التدبري لكتاب الله تعالى، وتنضمُّ إلى جهود الباحثين لوضع مدونة التقييد التفسيري التدبري التي تُستخلص من مجموع المصنفات والمحركات التفسيرية على مرِّ العصور .

4 - وعلى مستوى الباحث تهدفُ الدراسةُ إلى اكتساب و تعميق مَلَكة التدبر القرآني ، مع تعميق التدرب على أسس وقواعد البحث العلمي في التعامل مع القرآن ، حتى يصير ذلك سمةً تصطبغُ بها مسيرةُ الباحث في المستقبل .

سادساً : خُطة البحث :

تحقيقاً لما سبق ؛ فقد تم تقسيم البحث إلى مقدمة و أربعة فصول و خاتمة :

المقدمة : تناولت فيها العناصر الأساسية للبحث ، من المشكلة الأساسية والتساؤلات الفرعية ، ثم تطرقت إلى بيان أهمية البحث ، وأسباب اختياره ، والدراسات السابقة له ، وكشفت بعدها عن أهدافه، وشرحتُ الخطة، ومنهج البحث، وأهم المصادر والمراجع المعتمدة، وأهم الصعوبات التي

تعرّضت طريق الباحث ، والطريقة المعتمدة في كتابة المذكرة .

الفصل الأول : تناولت فيه التعريف بمفاهيم ومصطلحات البحث ، وحياة المؤلف وكتابه " قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله عز وجل " ، حيثُ قسّمته إلى ثلاثة مباحث ، عرّفتُ في المبحث الأول منه القواعد لغةً و اصطلاحًا ، ثمّ اتّجهت إلى ضبط مفهوم التدبّر لغة و اصطلاحًا ، و بيّنت علاقة التدبّر بغيره من المصطلحات القريبة منه ، فبيّنت الفرق بينه و بين التفسير ، ثم الفرق بينه و بين الاستنباط ، ثم الفرق بينه و بين التفكير ، ثمّ عرّفت القرآن لغة و اصطلاحًا .

اتّجهت بعده في المبحث الثاني إلى التعريف بحياة المؤلف - رحمه الله - الشخصية والعلمية ، ثم جاء المبحث الثالث للتعريف بكتابه " قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله عز وجل " الذي طبّق قواعده في تفسيره " معارج التفكير " ، فتعرّضتُ فيه إلى تسمية الكتاب وطبعاته ، وموضوعه وأهميته، وسبب تأليفه، وكيف قسّم القواعد فيه، وما مكانة الكتاب بين كتب قواعد التفسير ، وطريقته في تفصيل تلك القواعد، وخطواته في ذلك ، وخصائص أسلوبه ومصادره ، ومدى استفادة المؤلف ممن سبقه في تأليفه .

الفصل الثاني : و قد خصّصته للدراسة التفصيلية لتفسيره " معارج التفكير و دقائق التدبّر " الذي طبّق فيه قواعده التدبّريّة، حيثُ قسّمته إلى ثلاثة مباحث أيضًا ، قدّمت في الأوّل منها الدراسة الوصفية المتعلقة بكتابه " معارج التفكير و دقائق التدبّر " ، فتعرّضت لتسمية الكتاب، وطبعاته ، وموضوعه وأهميته، وسبب تأليفه، وطريقته فيه ، ومصادره ومدى استفادته ممن سبقه في هذا المجال.

ثم قدّمت في المبحث الثاني منه منهج المؤلف في تفسير السور والآيات ، وخصّصت المبحث الثالث لبيان منهجه في تناول مسائل العقيدة وعلوم القرآن بشكل عام .

الفصل الثالث : خصّصته للدراسة النظرية لقواعد كتابه (قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله عز وجل) ، حيثُ قسّمته إلى ثلاثة مباحث أيضًا ، قسّمت عليها القواعد الأربعين الواردة فيه حسب موضوعها ودرستها دراسةً نظريّة .

الفصل الرابع : خصّصته للدراسة التطبيقية للقواعد التي ذكرها في كتابه " قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل " من خلال تطبيقه لها في تفسيره (معارج التفكير و دقائق التدبر)، قسّمته هو أيضًا إلى ثلاثة مباحث، حافظت فيها على نفس التقسيم والتصنيف للقواعد الأربعين ، مع تفصيل تطبيق المؤلف لها في تفسيره .

وهذه هي خطة البحث التي يرجو الباحث من خلالها تحقيق أهدافه .

أما الخاتمة : فقد ضمنيتها خلاصة ما انتهى إليه البحث من نتائج ، وما عسى أن يسُدَّ من فراغ، ويستشرف من آفاق، والتنبيه إلى أن هذا الموضوع لا يزال بحاجة إلى مزيد عناية وبحث، وأن هذه الدراسة لن تعدوَ أن تكون خطوة متواضعة في بداية الطريق .
وفي الختام وضعتُ **ملخص للبحث** باللغتين العربية و الإنجليزية ، مع **الفهارس العامة** .

سابعًا : منهج البحث :

كونُ هذا البحث ذا شقّين نظري وتطبيقي و يهدف إلى دراسة قواعد التدبر القرآني عند عبد الرحمن حبنكة الميداني تنظيرًا وتطبيقًا ؛ فهو يقتضي توظيف كيمياء مناهجية متكاملة، فعند التطرق إلى ترجمة عبد الرحمن حبنكة الميداني و سيرته فسوف يتم توظيف **المنهج التاريخي** ، وعند تناول المدخل العام للموضوع في الكلام عن الكتّابين و التعريف بهما سوف يتم توظيف **المنهج الوصفي**، وعند الكلام عن قواعد التدبر القرآني عند عبد الرحمن حبنكة الميداني سوف يتم توظيف **منهج الاستقراء**، وهو المنهج الغالب، وأما عند بيان تطبيقه لتلك القواعد والمناقشة في ذلك فسوف يتم تطبيق **أداة التحليل** .

هذا بالنسبة للمناهج العلمية العامّة التي اتبعتها في كتابة هذا البحث ، وأما بالنسبة للطريقة التفصيلية الخاصة بتحرير الأبواب والفصول والمباحث والهوامش والمراجع وغيرها ؛ فسوف يتبيّن كل ذلك في موضعه كل بحسه .

ثامناً : أهم المصادر و المراجع المعتمدة في

البحث :

طبيعة البحث تقتضي توظيف مصادر ومراجع في الفنون المختلفة ، سواء كانت للمؤلف نفسه أو لغيره من المؤلفين القُدماء والمعاصرين ، فجاءت المصادر والمراجع متنوّعة حسب حاجة البحث وتفصيله الموثوقة ، وهي مثبتة جميعا في نهاية البحث ، ومن أشهرها :

1 - كتاب الله تعالى - رواية حفص عن عاصم - :

كتابة وإثباتًا للنص القرآني الذي هو قوام هذا البحث .

2 - كتب التفسير وعلوم القرآن :

وهي أكثر مصادر ومراجع هذا البحث، مثبتة في آخره في فهرس المصادر والمراجع ، منها قديمة ومنها مراجع معاصرة ، وأكثر وأشهر المصادر التي ساعدتني كثيرا في إنجاز هذه الدراسة من كتب التفسير زيادة على تفسير المؤلف " معارج التفكير و دقائق التدبّر " :

" **أضواء البيان** " لمحمد الأمين الشنقيطي ، و "

التحرير و التنوير " لابن عاشور ، خاصّة في المباحث

والقواعد التي ترجع إلى البلاغة وقواعد اللغة والنحو .

بالإضافة إلى الاعتماد على مصادر التفسير الأخرى في

مواضع ولأغراض مختلفة، ولكن بشكل أقل لاقتناص فائدة ، أو

المقارنة بينها وبين كلام المؤلف ، من مثل " **تفسير البغوي** "

للإمام البغوي ، و " **الكشاف** " للزمخشري ، و " **نظم الدرر**

في تناسب الآيات والسور " للبقاعي ، و " روح المعاني

" للألوسي ، و " **فتح القدير** " للشوكاني ، و " **في ظلال**

القرآن " لسيد قطب، وغيرها من كتب التفسير .

ومن أشهر مراجع علوم القرآن تكرر في البحث كتاب "

البرهان في علوم القرآن " للزركشي،

وكتاب " **الإتقان في علوم القرآن** " للسيوطي . ومن

أشهر هذه الكتب في مجال التدبّر القرآني

والدراسات القرآنية التي رجعت إليها كثيرا واعتمدها في فهم

وتصوّر وخدمة البحث :

" **قواعد التفسير** " للدكتور خالد السبت ، فقد رجعت

إليه كثيرًا في تصور القواعد والدراسة النظرية المتعلقة بها ،

والأمثلة عنها ، والمقارنة بين ما أورده في كتابه وما ساقه

المؤلف منها .

وكذلك من أكثر المراجع التي استفتت منها وتكرّر الأخذ منها في البحث كتاب " **تفاسير القرآن الكريم حسب ترتيب النزول** " للدكتور طه محمد فارس ، فقد استفدت منه كثيرا في فهم طبيعة تفسير " معارج التفكير " ومنهج المؤلف فيه ، وكثيرا من المواضع التي طبّق فيها قواعده التدبّريّة التي ساقها في " قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله " .

و

وكذلك رسالة " **التعريف بكتاب معارج التفكير ودقائق التدبّر** " لمجد مكي ، فقد ساعدتني كثيرا جدًّا - على صغر حجمها - في معرفة تفاصيل تفسيره ومنهج المؤلف فيه والإشارة إلى بعض المواضع التي طبّق فيها القواعد .
ومن أكثرها أيضًا في تصور موضوع التدبّر كتاب " **التدبّر حقيقته وعلاقته بمصطلحات التأويل والاستنباط والفهم والتفسير دراسة بلاغية تحليلية على آيات من الذكر الحكيم** " للدكتور عبد الله عبد الغني سرحان . وكتاب " **فصول في أصول التفسير** " و " **مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبّر والمفسّر** " كلاهما لمساعد بن سليمان الطيّار ، فقد رجعت إلى هذه الدراسات كثيرا في تصور الموضوع وفهم الإطار النظري له .

3 - معاجم وقواميس وكتب في اللغة واصطلاحات الفنون

:

من أجل كشف أصول الألفاظ ودلالاتها ومعانيها واشتقاقاتها والبحث في غوامضها، وأكثر المعاجم والقواميس تكرّرا في البحث " **معجم مقاييس اللغة** " لابن فارس ، و " **المفردات** " للراغب الأصفاني، و " **لسان العرب** " لابن منظور . مع الاستعانة بمعاجم أخرى بشكل أقل، مثل " **أساس البلاغة** " للزمخشري ، و " **تاج العروس** " للزبيدي .
وبخصوص كتب اصطلاحات الفنون؛ فأكثر ما أرجع إليه منها كتاب " **كشف اصطلاحات الفنون** " للتهانوي ، وكتاب " **الكليات** " للكفوي ، و " **التعريفات** " للجرجاني .

4 - كتب في أصول الفقه :

إذ كثير من القواعد التدبيريّة لها ارتباط بمباحث من أصول الفقه فاحتجت إلى الرجوع إلى هذا النوع من المصادر العلمية ، والتي من أشهرها وأكثرها تكرّرا كتاب " **الموافقات** " للشاطبي ، وكتاب " **المستصفى** " للغزالي ، و " **الإحكام** " للآمدي ، و " **إرشاد الفحول** " للشوكاني .

5 - كتب في التراجم والسير : وهي متنوعة مثبتة في فهرس المصادر والمراجع ، وأكثر ما رجعت إليه منها كتاب " **الأعلام** " للزركلي ، و " **سير أعلام النبلاء** " للذهبي ، و " **تهذيب التهذيب** " لابن حجر العسقلاني .

6 - كتب للمؤلف نفسه : ومن أهم كتبه التي اعتمدت عليها في إنجاز هذا البحث : كتاباه اللذان تقوم عليهما الدراسة " **قواعد التدبّر الأمثل** لكتاب **الله عز وجل** " و " **معارج التفكير ودقائق التدبّر** " ، فقد جعلتهما الأساس الذي يقوم عليه العمل ، وكنت أتقلّ بينهما قراءة وتأملاً واستخراجاً ، ولا تكاد تخلو صفحة من صفحات البحث من الإحالة إلى أحدهما .

بالإضافة إلى كتابه " **الوالد الدّاعية المرّي الشيخ حسن حبّكة** " ، فقد ترجم فيه لوالده وذكر نسبه وكثيرا من المعلومات عن الأسرة والنشأة، وقد استفدت منه في المبحث المتعلق بحياة المؤلف الشخصية و تربية الوالد له . وكذلك كتابه " **العقيدة الإسلامية وأسسها** " ، و " **الحضارة الإسلامية وأسسها** " من خلال مقدّمتيهما وما ذكره فيهما عن نفسه و تربية والده له .

7 - مقالات عن المؤلف : هذا ولما كان المؤلف من المعاصرين ، وتلاميذه وأصحابه ومعارفه كثيرين؛ فقد اقتضى الأمر النقل من مواقعهم وصفحاتهم ومشاركاتهم عبر الانترنت كما سيظهر في الهوامش. حيثُ استفدتُ منها كثيرًا جدًّا ، لكونها لتلاميذ عاشوا معه ، أو علماء مؤلّفين في التراجم عاصروه و كتبوا عنه وعن علمه وشمائله، أذكر منها : " **رجال فقدناهم** " لمجد مكي تلميذ المؤلف رحمه الله، وهي سلسلة تراجم نُشرت في مجلة " **حضارة الإسلام** "، خصص فيها مقالا عن شيخه عبد

الرحمن الميداني، وقد استفدت من هذه المقالة كثيرًا باعتبار
مجد مكي من أشهر طلبة الشيخ عبد الرحمن ومن أكثرهم
اطلاعًا على حياته وعلمه.

وكذلك مقال " **العلامة المفكر عبد الرحمن حبنكة
الميداني** " لأيمن بن أحمد ذو الغنى ، وهو من تلاميذه أيضًا .
ومقال " **عبد الرحمن الميداني المجاهد المفكر الكاتب
الداعية الإسلامي الكبير** " لعمر محمد العيسو ، وهو ممن
درس على يد المؤلف رحمه الله . ومقال " **درسُ تعلمته
من والدي الشيخ عبد الرحمن حبنكة الميداني رحمه
الله** " لابن المؤلف الطيب الدكتور وائل عبد الرحمن حبنكة
الميداني. وكذلك مقال " **العلامة الشيخ عبد الرحمن
حبنكة الميداني قصة حياة ومسيرة علم و جهاد** "
لتلميذه محمد علي دولة . وغيرها من المقالات الأخرى التي
ساعدتني على فهم وتلمس جوانب كثيرة تخدم الموضوع
خدمة مباشرة أو غير مباشرة.

بالإضافة طبعا إلى كثير من المصادر والمراجع المتنوعة
والتي أثبتتها الباحث كلها في نهاية البحث في فهرس المصادر
والمراجع .

تاسعًا : صعوبات اعترضت البحث :

لما كان موضوع البحث خصبًا وواسعًا ؛ فقد اعترتني أثناء
إنجازه صعوبات جمّة، تمكّنت بفضل الله تعالى من تذليلها
وتجاوزها، أذكرُ منها :

1 - الحذر الشديد من خوض مسؤولية التقعيد العلمي
في موضوع قواعد التدبّر القرآني، باعتبار التدبّر عملاً مؤسّسًا
يحتاج إلى قواعد وأسس ومنطلقات يبنى عليها الفهم
والتطبيق والممارسة القرآنية واستخراج المعاني وفهم
المرامي والدلالات في كتاب الله ، وهذه مسؤولية عظيمة
تحتاج من الباحث إلى التركيز والتثبّت والموضوعيّة العالية .

2 - ندرة الدراسات المتعلقة بتحرير و تتبّع و نقد المنهاج
التدبّري للشيخ عبد الرحمن حبنكة الميداني رحمه الله ، فلم
أحصّل في الدراسات المباشرة في الموضوع سوى على ما
تمّ الإشارة إليه سابقًا، وبالتالي كان لزامًا على الباحث

الاستعانة بالله تعالى ثم الاجتهاد لفتح الطريق في هذا الموضوع الخصب.

3- سَعَةُ البحث جَدًّا، و كثرة مسائله المهمّة و قواعده المتشعبّة التي وصلت إلى أربعين قاعدة تدبّريّة متعدّدة الارتباط بالعلوم، والتي يحتاج كثيرٌ منها لحُسن خدمتها خدمةً علميّةً إما إلى جهد فريقٍ بحثي متكامل ، أو تقسيم الموضوع في شكل أبحاثٍ مستقلّة .

4- تشعب القواعد وارتباطها بكثير من العلوم المتعددة ، مثل: الفقه وأصوله، اللغة والبلاغة، والقراءات وغيرها، وهذا يحتاج إلى جهد كبير في التعرف على مختلف هذه العلوم قبل الكتابة .

والحمد لله أولاً وآخراً على ما منحني من الصبر والمعونة لتذليلها وتجاوزها.

والحمد لله ، يسّر الله إتمام هذا البحث الذي أرجو أن يكونَ مدخلاً لدراسة الجهد التدبّري للمؤلف عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني تنظيراً وتطبيقاً ، والذي أسأل الله العظيم ربّ العرش الكريم أن يجعله مفتاح خير للباحث وللقرّاء في الدخول وشقّ الطريق إلى علم التدبّر القرآني من خلال تجربة أحد رُوّاده المشهورين المتميّزين الشيخ عبد الرحمن حبنكة الميداني .

والشكر الكبير والثناء الجميل لأستاذي الفاضل - **الأستاذ الدكتور منصور كافي** - حفظه الله تعالى وأمدّه من إحسانه ولطائفه وفتوحاته ، الذي كان لي نعمَ المُشرفِ جزاءهُ اللهُ خيراً ، أسألُ الله له من كل الخيرات والبركات .

كما الشكر الكبير والثناء الجميل لإدارة كلية العلوم الإسلامية بباتنة ، وأساتذتي الأفاضل الأكارم لجنة المناقشة الذين تکرّموا وتفضّلوا وشرفوني بقراءة هذا البحث وتصويب ما فيه .

والله الموقِّق للصواب

سبحانه .

الفصل الأول

التعريف بمصطلحات البحث
و بحياة المؤلف و كتابه قواعد
التدبّر الأمثل

و قد قسّمت هذا الفصل إلى ثلاثة
مباحث هي:

المبحث الأول : ضبط مفاهيم
ومصطلحات البحث .

المبحث الثاني : حياة الشيخ عبد
الرحمن حسن حبّكة الميداني .

المبحث الثالث : دراسة تفصيلية
لكتاب " قواعد التدبّر الأمثل " .

تمهيد

أتناول في هذا الفصل الأرضية التي سيقوم عليها موضوع البحث ، من حيث ضبط مصطلحات الدراسة والتعريف الشامل بالمؤلف وكتابته (قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل) ، والذي طبقه فيما بعد في تفسير كبير نشره على مراحل سماه (معارج التفكير و دقائق التدبر) .
والتعرف على المؤلف ينشئ في نفس القارئ ارتباطاً وثيقاً بالكتاب ، و حسن إدراك لمدلولات كتاباته ، و خصائص كلماته وإيجازاتها التي لا تنفك عن بصماته وشخصيته .
وهو الأمر نفسه بالنسبة لقضية ضبط مصطلحات الدراسة ، فهي ضرورة جدّاً للتأسيس العلمي للموضوع ، و ضبط وتحديد نطاقات العلوم والفنون ، وما من دارس في الحقول العلمية إلا ويتوجب عليه الانطلاق أولاً من هذا الضبط ، لأنه لا يخلو علم من العلوم من مصطلح يؤطر قضاياها ويضبط مسائله .
وهذا ما توضّحه المباحث التالية :

المبحث الأول ضبط مفاهيم ومصطلحات البحث

وسأُتطرق في هذا المبحث إلى ضبط مدلول المفاهيم والمصطلحات التي يحتويها العنوان و التي يرتكز و يرجع إليها العمل في هذا البحث تنظيرًا وتطبيقًا ، و لما كانَ هذا اللقب " **قواعد التدبر القرآني** " بتركيبه الإضافي مكون من ثلاث كلمات : قواعد ، التدبر ، القرآني ، ولكي نقف على معنى المركب الإضافي لا بُدَّ من أن نعرِّج أولاً على تعريف كل جزءٍ من أجزائه على حدة ، من حيثُ المعنى اللغوي والاصطلاحي، فيُتضحُ بعد ذلك مدلولُ المركبِ جميعًا باعتباره لقبًا على فنه المختص به ، وفي ما يلي تفصيل كل هذا .

1- تعريف القواعد لغة واصطلاحًا :

أ- تعريف القواعد لغة :

القواعدُ جمعُ مفردُها قاعدةٌ ، وهي " أصلُ الأُسِّ " ¹، أي الذي يُبنى عليه غيره ويُعتمدُ عليه ، ويستوي في هذا الأمرُ الحِسِّيَّةُ والمعنويةُ ، فهي في كلِّ شيءٍ بحسبه :

1 - **لسان العرب** : ابن منظور - تحقيق : عبد الله الكبير ، محمد أحمد حسب الله ، هاشم محمد الشاذلي - القاهرة ، مصر - دار المعارف - د ط - د س - مادة ق ع د ، 3/128 .

" قواعدُ البيتِ أساسُهُ " ¹، ومنه قوله تعالى: [وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ] (البقرة : الآية 127) .

وكذا قوله تعالى : [قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ] (النحل : من الآية 26) .
وقواعدُ اليهودِج : " حَشَبَاتُ أَرْبَعٍ مَعْتَرِضَاتٌ فِي أَسْفَلِهِ " ² ، يقومُ حالُهُ عليها .

ب- تعريف القواعد اصطلاحًا:

ذكر علماء الاصطلاح للقاعدة تعريفات متقاربة ³، أذكر منها ما أراه أكثر دِقَّةً وأدَلُّ عَلَى المقصود :
قال التهانوي ⁴ : " هي في اصطلاح العلماء كلمة تُطلق على معانٍ تُرادِفُ الأَصْلَ والقانون " ⁵ .
ونلاحظُ في تعريفه أَنَّهُ يرجع إلى المعنى اللغوي ويستندُ إليه، فالأَصْلُ هو ما رجع إليه غَيْرُهُ و ابنى عليه ، والقانون هو المرجع أيضًا والمسطرة التي يُقاسُ بها الشيءُ و يحتكمُ إليه .
وقال التفتازاني ⁶ : " القاعدة حكم كلي ينطبق على جزئياته ليتعرف أحكامها منه " ⁷ .

-
- 1 - معجم مقاييس اللغة : ابن فارس - تحقيق عبد السلام هارون- دمشق ، سوريا - دار الفكر - د ط - 1979م - مادة ق ع د ، 109/ 5 .
 - 2 - نفسه : 109/ 5 .
 - 3 - انظر : الكليات : للكفوي - وضع فهارسه : عدنان درويش ، محمد المصري - بيروت ، لبنان - مؤسسة الرسالة - ط 2 - 1998م ، ص 728 .
 - 4 - هو محمد أعلى بن شيخ علي بن قاضي الفاروقي السني الحنفي التهانوي ، نسبة إلى بلدة "تهانه بهون" بضواحي دلهي بالهند، لم يحددوا له تاريخ ميلاد ووفاة ، ولكنهم ذكروا أنه كان حيا سنة 1158هـ ، باحث علمي ولغوي وفيلسوف متصوف ، خلف مصنفات منها : أحكام الأراضى ، سبق الغايات في نسق الآيات ، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم . انظر ترجمته في : الأعلام : خير الدين الزركلي - بيروت ، لبنان- دار العلم للملايين - ط 12- 1997م ، 295/ 6 .
 - 5 - كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم : التهانوي - تقديم وإشراف ومراجعة : رفيق العجم ، تحقيق : علي دحروج - بيروت، لبنان - مكتبة لبنان ناشرون - ط 1 - 1996م ، 1/123 .
 - 6 - مسعود بن عمر التفتازاني، المعروف بسعد الدين ، ولد بتفتازان في صفر سنة 722 هـ ، أخذ عن أكابر أهل العلم في عصره كالعضد وطبقته ، وفاق في النحو والصرف والمنطق والمعاني والبيان والأصول والتفسير ، من مؤلفاته : الزنجانية ، وشرح التلخيص الكبير ، و شرح التوضيح، و تهذيب الكلام ، ومفتاح الفقه . توفى سنة 792 هـ ، انظر : الأعلام : الزركلي ، 05/160 .

وعرفها الجرجاني¹ بقوله: " قضية كلية منطبقة على جميع جزئياتها"².

فالقاعدة هي أمر كلي ينطبق على جميع جزئياته، ولا يردُّ عليه أن كثيرًا من القواعد لها استثناءات وأحكام تنبذ عنها، لأنَّ العبرة بالأغلب.

قال الشاطبي³: ". . . والأمر الكلِّيُّ إذا ثبت ؛ فتخلفُ بعض الجزئيات عن مقتضى الكلِّيِّ لا يُخرِجُهُ عن كونه كليًّا . و أيضًا فإنَّ الغالبَ الأكثرِيَّ معتبرٌ في الشريعة اعتبارَ العام القطعي ، لأن المتخلفات الجزئية لا يُنتظمُ منها كليُّ يُعارضُ هذا الكلِّيَّ الثابت . هذا شأن الكليات الاستقرائية ، واعتبر ذلك بالكليات العربية فإنها أقربُ شيءٍ إلى ما نحن فيه ، لكون كل واحد من

7 - **التلويح على التوضيح لمتن التنقيح في أصول الفقه** : مسعود بن عمر التفتازاني - تحقيق زكريا عميرات - بيروت ، لبنان - دار الكتب العلمية - ط 1416 هـ ، 1/20 .

1 - شيخ العربية أبو بكر ، عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني . أخذ النحو بجرجان عن أبي الحسين محمد بن حسن بن أخت الأستاذ أبي علي الفارسي ، قال الذهبي : " صنف شرحا حافلا " للإيضاح " يكون ثلاثين مجلدا ، وله " إعجاز القرآن " ضخم ، و " مختصر شرح الإيضاح " ، ثلاثة أسفار ، وكتاب " العوامل المائة " وكتاب " المفتاح " ، وفسر الفاتحة في مجلد ، وله " العمدة في التصريف " ، و " الجمل " ، وغير ذلك . وكان شافعيًا ، عالمًا ، أشعريًا ، ذا نسك ودين . توفي سنة إحدى وسبعين وأربعمائة وقيل : سنة أربع وسبعين - رحمه الله " انظر ، **سير أعلام النبلاء** : الذهبي - بيروت ، لبنان - مؤسسة الرسالة - ط 1-1409 هـ ، 18/432 .

2 - **التعريفات** : الجرجاني - بيروت ، لبنان - مكتبة لبنان - ط 1985 م ، (1/219) .

3 - هو أبو اسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي ، من علماء الأندلس ، وكنيته التي عرف بها أبو إسحاق ، ولد بغرناطة " و نشأ وترعرع بها ولم يُعلم أنه غادرها ، لأن العلم حاضر بلده ، من أبرز شيوخه ابن الفخار البيري ، وأبو جعفر الشقوري ، وأبو سعيد بن لب ، وأبو عبد الله البليسي ، أما شيوخه من العلماء الوافدين فمنهم : أبو عبد الله الشريف التلمساني ، وأبو عبد الله المقري ، وأبو القاسم السبتي ابن مرزوق الخطيب " الجد " أبو علي الزاوي ، وتلمذ على يده الكثير من العلماء الأجلاء الذين شهد لهم بالفضل في العلم وقد تنوعت علومهم وإبداعاتهم في جوانب شتى من العلم وقد اشتهر منهم ، العلامة أبو يحيى بن عاصم ، والقاضي الفقيه أبو بكر بن عاصم ، والفقيه أبو عبد الله البياني ، وأبو جعفر القصار ، وأبو عبد الله المجاري . من مؤلفاته : الاعتصام ، الموافقات ، و كتاب المقاصد الشافية في شرح خلاصة الكافية ، توفي يوم الثلاثاء من شهر شعبان سنة 790 هـ ، انظر : **الإحاطة في أخبار غرناطة** : لسان الدين بن الخطيب - بيروت ، لبنان - دار الكتب العلمية - ط 1 - 1424 هـ ، 1/137 .

القبيلين أمراً وضعياً لا عقلياً ، و إنما يتصور أن يكونَ تخلف بعض الجزئيات قادحاً في الكليات العقلية ، كما نقول : " ما ثبت للشيء ثبت لمثله عقلاً " ، فهذا لا يمكنُ فيه التخلف البتة ، إذ لو تخلف لم يصحَّ الحكم بالقضية القائلة : " ما ثبت للشيء ثبت لمثله " . فإذا كان كذلك ؛ فالكليّة في الاستقرائيات صحيحةٌ و إن تخلف عن مقتضاها بعض الجزئيات . وأيضاً فالجزئيات المتخلفة قد يكونُ تخلفها لحكم خارجة عن مقتضى الكلي فلا تكون داخلة تحته أصلاً ، أو تكون داخلة عندنا لكن لم يظهر لنا دخولها ، أو داخلة عندنا لكن عارضها على الخصوص ما هي به أولى " ¹ .
وقال الكفوي ² : " و تخلف الأصل في موضع أو موضعين لا ينافي أصالته " ³ .

وعليه فالتعبير بـ " كلي " وصف صحيحٌ ، ولا حاجة لاستبداله بـ " أغلبي " ، لأن الأول يتضمن هذا المعنى وزيادة ، لأن القواعد التي تندرج تحتها جميع الجزئيات تسمى كلية ، و كذلك القواعد التي لها استثناءات تسمى كلية ، فالكليّة هنا نسبيّة ⁴ .
وهذا الأمر يشمل قواعد الفقه والأصول و النحو وسائر القواعد الاستقرائية .

وبعد هذا يمكننا أن نقول :
إن القواعد لا بُدَّ أن يتحقق فيها وصف الكليّة بحيث تكون مشتملةً على أحكام ما تحت موضوعها من جزئيات ، سواء تضمنت كل الجزئيات أو تخلف بعض تلك الجزئيات ، وإنما لا تكون قاعدةً لمجرد أنها مفيدةٌ فائدةً جديدةً فحسب ⁵ .

1 - **الموافقات في أصول الشريعة** : الشاطبي - تحقيق عبد الله دراز - القاهرة ، مصر - المكتبة التجارية الكبرى - ط-دس ، 54-2/53 .
2 - هو أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي ، أبو البقاء ، صاحب الكليات ، كان من قضاة الأحناف ، عاش وولي القضاء في (كفه) بتركيا ، وبالقدس وبغداد ، وعاد إلى اسطنبول ، توفي سنة 1094 هـ ، ودفن في تربة خالد . انظر : **الأعلام** : الزركلي ، 418 / 12 .
3 - **الكليات** : الكفوي ، ص 122 .

4 - انظر : **قواعد التفسير جمعا ودراسة** : خالد السبت ، 1/20 .

قولنا : " يُتَعَرَّفُ بِهِ " : هذا التعبير أدقُّ من قولنا " ينطبق " لأنَّ استخراجَ الحكم المندرج تحت القاعدة لا يكونُ أمراً بدَهِيًّا ، بل يحتاج إلى إعمال ذهن ، وشيء من التفكير و التأمل¹ .

قولنا " على أحكام جزئياته " : ولم نقل " على جميع جزئياته " لأن كثيراً من القواعد أغلبيةً، وذلك لوجود مستثنياتٍ خارجة عنها كما سبق بيانه .

2- تعريف التدبُّر لغة و اصطلاحاً :

أ- تعريف التدبُّر لغة و دلالة بنيته الصرفية (تفعل) :

يدور أصلُ مادة الكلمة لغة حول معنى (آخر الشيء) :

يقول الخليل بن أحمد الفراهيدي² : " دُبِّرَ كُلُّ شَيْءٍ خِلافَ قَبْلِهِ "³ .

5 - انظر : التيسير في قواعد علم التفسير : محمد بن سليمان الكافيحي - تحقيق ناصر بن محمد المطرودي - دمشق ، سوريا - دار القلم - ط 1 - 1410هـ، ص 220 .

1 - وقد ناسب هذا الوصف تعبير المؤلف عبد الرحمن الميداني في عنوان كتابه بكلمة [تأملات] (قواعد التدبُّر الأمثل لكتاب الله عزَّ وجل تأملات) ، وانظر : قواعد التفسير جمعاً ودراسة : خالد السيت ، 1/20 .

2 - هو أبو عبد الرحمن ، الخليل بن أحمد الفراهيدي ، البصري ، نسبةً إلى (فراهيد) بطن من قبيلة الأزد العُمانية ، صاحب العربية ، ومنشئ علم العروض وواضع أول معجم عربي ، أخذ النحو والقراءات والحديث على أئمة العربية وعلية الرواة كابي عمر بن العلاء وعيسى بن عمر . ثم أبدى فسمع الفصح وجمع الغريب حتى نبع في اللغة نبوغاً لا يعرفه التاريخ لغيره ، وكان رأساً في لسان العرب ، دينا ، ورعا ، قانعا ، متواضعا ، كبير الشأن ، وانكب على العلم يستنبط ويؤلف ويعلم . حدث عن : أيوب السختياني ، وعاصم الأحول ، والعوام بن حوشب ، وغالب القطان . من مؤلفاته : كتاب العين (توفي قبل إتمامه) ، كتاب النغم، كتاب العروض ، كتاب الشواهد ، توفي سنة 170 هـ . انظر : تهذيب التهذيب : ابن حجر العسقلاني - بيروت ، لبنان - دار الفكر - ط 1 = 1404هـ ، 3/144 ، الأعلام : للزركلي، 2/314 .

3 - العين : الخليل بن أحمد الفراهيدي - تحقيق د مهدي المخزومي ود ابراهيم السامرائي - بيروت ، لبنان - مكتبة الهلال - دط - دس ، 8/31 .

وقال ابن فارس¹ : " دبر: الدال والباء والراء أصل هذا الباب أن جُله في قياس واحد، وهو آخر الشئ² .
ثم ورد استعماله و توظيفه فيما يرجع إلى هذا المعنى الأصلي ، من ذلك :

أولا : النظر و التفكير في عاقبة الأمر :
قال ابن منظور³ : " دبّر الأمر و تدبّره : نظر في عاقبته ، و استدبّره رأى في عاقبته ما لم يرى في صدره . و عرف الأمر تدبّراً أي بآخرة⁴ .
وقال الفيومي⁵ : " دبّرت الأمر تدبيراً : فعلتُه عن فكر و روية . و تدبّرتُه تدبّراً : نظرتُ في دُبْرِهِ ، وهو عاقبته و آخره⁶ "

فهو النظر في عاقبة الأمر والتفكير فيه⁷ ، وتدبر القول والكلام : النظر في أوله وآخره ، ثم إعادة النظر مرة بعد مرة

1 - هو أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي ، أبو الحسين ، ولد سنة 329 هـ ، من أئمة اللغة والأدب ، أصله من قزوين ، أقام في حمدان ، ثم انتقل إلى الري ، وتوفي فيها عام 395 هـ ، من تصانيفه : معجم مقاييس اللغة ، الصاحبى ، انظر: **الأعلام** : الزركلي ، 1 / 193 .

2 - **معجم مقاييس اللغة** : ابن فارس ، 2/266 .
3 - هو جمال الدين محمد بن مكرم بن علي بن أحمد الأنصاري ، أبو الفضل المصري . كان مغرماً باختصار كتب الأدب والتاريخ ، وله كتاب لسان العرب في اللغة ، جمع فيه بين كتب لغوية كثيرة ، توفي سنة 711 هـ ، انظر ترجمته في : **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة** : ابن حجر العسقلاني - تحقيق محمد سيد جاد الحق - القاهرة ، مصر - مطبعة المدني - ط 2 = 1385 هـ ، 4/262 .

4 - **لسان العرب** : ابن منظور ، 4/273 ، مادة " دبر " .
5 - حمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي ، أبو العباس : لغوي ، اشتهر بكتابه المصباح المنير ، ولد ونشأ بالفيوم (بمصر) على الأغلب حوالي سنة 690 هـ ، تلقى علومه الأولى في بلده ، ثم بالقاهرة حيث اتصل بأبي حيان النحوي صاحب المؤلفات في التفسير والنحو واللغة ، ورحل إلى حماة بسوريا فمقطنها . ولما بنى الملك المؤيد إسماعيل جامع الدهشة قرره في خطابته ، له بالإضافة إلى المصباح المنير : نثر الجمان في تراجم الأعيان . توفي بحماة في حدود 760 هـ ، وفي كشف الظنون : فرغ من تأليف المصباح في شعبان سنة 734 وتوفي بحماة سنة 770 هـ ، و انظر في ترجمته : **الأعلام** : الزركلي ، 1/224 .

6 - **المصباح المنير** : الفيومي - بيروت ، لبنان - مكتبة لبنان - د ط - 1990 م ، ص 72 .

7 - **الفروق** : أبو هلال العسكري - تحقيق حسام الدين القدسي - بيروت ، لبنان - دار الكتب العلمية - د ط - 1401 هـ ، ص 121 .

، ولهذا جاء عليّ وزن التفعّل كالتجرّع والتفهم والتبّين¹ ، ليفيد المعاناة و التكلّف و بذل الجهد ، كما تقتضي من المتدبّر إنعام النظر ، و إعماق الفكر و إطالة التأمل ، حتى يتم سبر الأغوار و النهايات ، و يقف على الغايات و المقاصد والمرامي البعيدة ، لأنّ المطلوب قد لا يظهر للوهلة الأولى ، بل يظهر بإعادة النظر في الأواخر و الأدبار² . ومنه قوله تعالى : ﴿ أَقَلَّمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾ (المؤمنون:68) .

ثانيا : الذّهابُ و الانصراف :

يقول الخليل بن أحمد الفراهيدي : " و يُقالُ للقوم في الحربِ : وَلَوْهُمْ الدُّبْرُ و الإدبار ، و الإدبَارُ التّوليةُ نفسُها ، و إدبَارُ التّجوم عند الصّبح في آخر الليل ؛ إذا أدبَرَت موليّةٌ نحو المغرب " ³ .

وقال ابن سيده⁴ : " دبّر الليلُ و النهارُ يدبُرُ دُبورًا : أي ذهب وولى " ⁵ .

ووجه ارتباط هذا المعنى بالمعنى الأصلي هو أنّ القُدوم إقبالٌ بالصّدر و التولي و الذّهاب إعطاءٌ للدبّر و ذهابٌ للصدر .

ثالثا : التّقاطع و الهجران :

يقول الخليل بن أحمد الفراهيدي : " و التّدابُّرُ المُصارمة و الهجران ، وهو أن يولي الرجل صاحبه دُبْرَه ، و يُعرض عنه بوجهه " ⁶ . ووجه ارتباط هذا المعنى بالمعنى الأصلي هو أنّ

1 - مفتاح دار السعادة و منشور ولاية العلم و الإرادة : ابن قيم الجوزية - بيروت ، لبنان - دار الكتب العلمية - د ط - د س ، 1/183 .

2 - سوف أرجع إلى تأكيد هذا المعنى في البند الثاني عند الحديث عن البنية الصرفيّة و أثرها في تثبيت المفهوم .

3 - العين : الخليل الفراهيدي ، 8/31 - مادة دب ر .

4 - إمام اللغة أبو الحسن ، علي بن إسماعيل المرسي الضير ، صاحب كتاب " المحكم " في لسان العرب ، إمام في اللغة ، وأحد من يضرب بذكائه المثل ، كان أبوه أيضا لغويا ، فأخذ عن أبيه ، وعن صاعد بن الحسن . قال الذهبي : " أخ صاعد بن أحمد القاضي موته في سنة ثمان وخمسين وأربعمائة ، وهو حجة في نقل اللغة ، وله كتاب " العالم في اللغة " نحو مائة سفر ، بدأ بالفلك ، و ختم بالذرة . وله " شواذ اللغة " ، خمسة أسفار . وكان منقطعا إلى الأمير مجاهد العامري . انظر : سير أعلام النبلاء : ابن القيم ، 144 / 18 .

5 - المخصص : ابن سيده - تحقيق خليل إبراهيم جفال - بيروت ، لبنان - دار إحياء التراث العربي - ط 1 - 1417 هـ - باب فعلت و أفعلت ، 3/44 .

6 - العين : الخليل الفراهيدي ، 8/31 - مادة دب ر .

التواضُلَ إقبالٌ بالصِّدرِ و التَّوَلَّى و القطيعةَ إعطاءً للدُّبْرِ و ذهابٌ للصِّدرِ .

رابعاً : التَّجَاوُزُ :

جاء في " أساس البلاغة " للزمخشري : " دَبَرَ السَّهْمُ الْهَدَفَ جَارَهُ و سَقَطَ و رَاءَهُ " ¹ .
ووجه ارتباط هذا المعنى بالمعنى الأصلي هو أنَّ السهم إذا جاز ذهبَ جهة الخلف و الدُّبْرُ .

خامساً : التَّتَبُّعُ و التَّعَقُّبُ :

قال الخليل : " و الدَّابِرُ التَّابِعُ ، و دَبِرَ يَدْبُرُ دَبْرًا أَي تَبِعَ الْأَثَرَ ، و قوله تعالى : [وَاللَّيْلِ إِذَا يَدْبُرُ] (المذثر : 33) أَي ولى ليذهب ، و من قرأ دَبَرَ : أَي تَبِعَ النَّهَارَ " ² . ووجه ارتباط هذا المعنى بالمعنى الأصلي هو كَأَنَّ اللَّيْلَ لَهُ وَجْهٌ و ظَهْرٌ ، فإذا انقضى تَبِعَ النَّهَارَ بوجهه و أعطى ظهره .
وقال ابن منظور : " و يُقَالُ تَعَقَّبْتُ الْأَمْرَ إِذَا تَدَبَّرْتُهُ . و التَّعَقُّبُ : التَّدَبُّرُ و النظر ثانية " ³ .

وهو معانٍ أخرى ترجعُ إلى المعنى الأصلي (أخِر الشيء) يمكن استنباطها من توظيف العرب لأصل معنى الكلمة في أشياء و وقائع ⁴ .

وقد جاء عند كثير من المفسرين المشتهرين بالاشتغال باللغة التركيز على زُبْدَةِ المعنى الأصلي وما استعمل بناءً عليه واستمدادًا منه مما يُعطي للسَّامِعِ مَكْوَنًا لغويًّا سهلًا مُشْتَرَكًا لا يتعدُّ به كثيرًا عن المراد بالكلمة :

1 - أساس البلاغة : الزمخشري - تحقيق محمد باسل عيون السود - بيروت ، لبنان - دار الكتب العلمية - ط 1- 1419 هـ ، 2/278 - مادة دب ر .

2 - العين : الخليل الفراهيدي ، 8/32 - مادة دب ر .

3 - لسان العرب : ابن منظور ، 4/273 - مادة دب ر .

4 - انظر : مفهوم التدبُّر تحريزٌ و تأصيل - أوراق الملتقى العلمي الأول لتدبُّر القرآن الكريم - (الورقة الثانية مفهوم التدبُّر عند اللغويين د عويض العطوي) - الرياض ، السعودية - مركز التدبُّر للاستشارات التربوية و التعليمية - د ط - 1430 هـ ، ص 16-17 .

قال الشهابُ الخفاجي¹: "التدبُّرُ التأمُّلُ في أدبار الأمور و عواقبها ، ثم استُعمل في كلِّ تأمُّلٍ ، سواء كان نظراً في حقيقة الشيء و أجزائه ، أو سوابقه و أسبابه ، أو لواحقه و أعقابه ، و إن دلَّ الاشتقاقُ على أنه النظر في العواقب و الأدبار خاصّة"²

فظهر من كلامه هذا أنّ " التدبُّرَ عنده لم يقتصر على عواقب الأمور فحسب ، بل امتدَّ ليشمل حقائقها و أسبابها و لواحقها ، و غير ذلك على وجه الإطلاق"³ .
وقال ابن عطية⁴ رحمه الله : " التدبر النظر في أعقاب الأمور وتأويلات الأشياء"⁵ .
وقال البغوي رحمه الله : " التدبر النظر في آخر الأمر ، وُدبر كل شيء آخره"⁶ .

1 - قاضي القضاة الشيخ أحمد بن محمّد بن عمر الملقّب بشهاب الدين الخفاجي المصري الحنفي صاحب تصانيف في الأدب واللغة، ينسب إلى قبيلة خفاجة - إحدى القبائل الموجودة في مصر - ولد عام 977هـ ، ونشأ بمصر، ورحل إلى بلاد الروم، واتصل بالسلطان= مراد العثماني فولاه قضاء سلانيك ، ثم قضاء مصر. ثم عزل عنها فرحل إلى الشام وحبلى وعاد إلى بلاد الروم، فنفي إلى مصر وولي قضاءها، ثم استقر فيها إلى أن توفي سنة 1069هـ ، [من شيوخه](#) : شمس الدين الرملي ، [و نور الدين علي بن يحيى الزبيدي ، ومن أشهر تلاميذه](#) عبد القادر ابن عمر البغدادي صاحب [خزانة الأدب . من أشهر مؤلفاته : عناية القاضي وكفاية الراضي - حاشية على تفسير البيضاوي ، ربحانة الندماء وشمامة الأدياء ، شفاء العليل فيما في كلام العرب من الدخيل ، شرح معنى اللب عن كتب الأعراب .](#)
انظر : **الأعلام** : الزركلي ، 228-1/227 .

2 - **حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي** : شهاب الدين الخفاجي- بيروت، لبنان - دار صادر - د ط - دس، 3/315 .

3 - **التدبُّر حقيقته وعلاقته بمصطلحات التأويل و الاستنباط و الفهم و التفسير دراسة بلاغية تحليلية على آيات من الذكر الحكيم** : أد عبد الله عبد الغني سرحان - الرياض ، السعودية - مركز التدبر للاستشارات التربوية و التعليمية - د ط - 1431 هـ ، ص 16-17 .

4 - هو عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن عبد الرؤوف المحاربي الداخل الغرناطي ، أبو محمد ، ولد سنة 480هـ ، شيخ المفسرين ، و أحد أكابر العلماء في الأندلس ، كان إماماً في التفسير والحديث والفقهِ والعربية ، اشتهر من مؤلفاته : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، توفي سنة 546هـ ، انظر ترجمته في : **سير أعلام النبلاء** : الذهبي ، 19 / 587 .

5 - **المحرر الوجيز** : ابن عطية - تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد - بيروت ، لبنان - دار الكتب العلمية- ط 1- 2001م ، 2/161 .

6 - **معالم التنزيل** : البغوي - تحقيق : محمد عبد الله النمر ، عثمان جمعة ، سليمان الحرش- الرياض ، السعودية - دار طيبة - د ط - 1412هـ ، 2 / 254 .

وقال المرازى¹ رحمه الله : " التدبير والتدبير: عبارة عن النظر في عواقب الأمور وأدبارها"².

وقال الشوكاني³ رحمه الله : " يقال تدبرت الشيء : تفكرت في عاقبته وتأملته ، ثم استعمل في كل تأمل، والتدبير: أن يدبر الإنسان أمره كأنه ينظر إلى ما تصير إليه عاقبته"⁴.

وقال الألوسي رحمه الله : " وأصل التدبر التأمل في أدبار الأمور وعواقبها ثم استعمل في كل تأمل سواء كان نظراً في حقيقة الشيء وأجزائه أو سوابقه وأسبابه أو لواحقه وأعقابها"⁵.

وقال محمد الطاهر بن عاشور⁶:

1 - هو محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التميمي البكري الطبرستاني الرازي الشافعي، أبو عبد الله ، المشهور بفخر الدين، ولد بالرّي سنة 544 هـ ، كان فقيهاً أصولياً ومتكلماً ومفسراً وأديباً ، من مصنفاته: المحصول في علم الأصول ، مفاتيح الغيب ، المعالم في أصول الدين ، توفي سنة 604 هـ ، وقيل 606 هـ . انظر : **سير أعلام النبلاء** : الذهبي، 21 / 500 .

2 - **مفاتيح الغيب** : الرازي -بيروت ، لبنان - دار الفكر - ط 1 - 1981م ، 5/300 .

3 - هو محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، أبو عبد الله ، ولد بهجرة شوكان سنة 1173 هـ، فقيه مجتهدٌ ، من كبار علماء اليمن ، نشأ بصنعاء ، وولي قضاءها ، ومات حاكماً بها . خلف أكثر من مائة تصنيف منها : نيل الأوطار ، البدر الطالع، فتح القدير، إرشاد الفحول ، والدر النضيد ، وغيرها . توفي بصنعاء سنة 1250 هـ ، انظر في ترجمته : **الأعلام** : الزركلي، 6 / 298 .

4 - **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير** : الشوكاني - بيروت ، لبنان - دار الأرقم - د ط - دس ، 2/180 .

5 - **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني** : الألوسي - قرأه و صححه: محمد حسين العرب - بيروت ، لبنان - دار الفكر - د ط - 1997م ، 4/150 .

6 - هو محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن محمد الشاذلي بن عاشور ، الإمام التونسي الضليع في العلوم الشرعية واللغوية والأدبية والتاريخية ، سمي شيخ الإسلام المالكي سنة 1932م ، وشيخاً لجامع الزيتونة سنة 1944م ، وعميداً لجامعة الزيتونة سنة 1956م، من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة ، خلف مؤلفات تدل على غزارة علمه وقوة تدقيقه ، منها : التحرير والتنوير ، كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ ، مقاصد الشريعة الإسلامية . توفي سنة 1973م ، انظر ترجمته في : **الأعلام** : الزركلي، 6 / 174 .

" التدبر : إعمال النظر العقلي في دلالات الدلائل على ما نصبت له . وأصله أنه من النظر في دُبُر الأمر ، أي فيما لا يظهر منه للمتأمل بادئ ذي بدء "7 .

ب- دلالة البنية الصرفية للفعل تدبّر (تفعل) :
والتدبّر هو مصدر من الفعل (تدبّر) ، وهو فعلٌ مزيدٌ ، ومعاني الزيادة تظهر في الفعل ، ثم تُنقل للمصدر ، فالحديث عن المصدر يكونُ من خلال الحديث عن فعله الذي اشتقُّ منه .

وأنقلُ مُستفيدًا في هذا البُندِ بعضَ ما كتبه الدكتور عويض العطوي في ورقته التي شارك بها في الملتقى العلمي الأول لتدبّر القرآن الكريم ، والتي عنوانها باسم (مفهوم التدبّر عند اللغويين) :

قال - بتصرّف - : " وبعد النظر فيما ذكره الصرفيون من دلالات صيغة (تفعل) نستطيع القول إنّ كثيرا من المعاني الواردة مع هذه الصيغة مبنيٌّ على المطاوعة ، حيث إنّها تُلَمَحُ في المعاني المذكورة ، و عادة ما ينصُّ الصرفيون على ذلك ، وسأشير إلى ذلك عند ذكر معاني الصيغة التي هي **التكثير** (مطاوع) فَعَّلَ نحوَ : كَسَّرْتُ الرَّجَاجَ فَتَكَسَّرَ . **النسبة** (مطاوع) فَعَّلَ نحوَ : قَيَّسْتُهُ فَتَقَيَّسَ ، أي نسبتهُ إلى قيس . **الاتخاذ** (مطاوع) فَعَّلَ نحوَ : تَسَنَّمَ عَلِيٌّ الْمَجْدَ اتَّخَذَهُ سِنَامًا . **التكلف** (مطاوع) فَعَّلَ وهو رغبة الفاعل و اجتهاده في حصول الفعل له حقيقة . نحو : تحلّم ، و تشجّع ، تصبّب ، تجلّد . **التجنب** (مطاوع) فَعَّلَ ، وهو للدلالة على السلب و ترك الفعل و الابتعاد عنه . نحو : تحرّج محمدٌ أي ترك الحرج ، وتأتّم الرّجلُ : أي ترك الإثم . **التدرّج** (مطاوع) فَعَّلَ ، وهو العمل المتكرّر في مهلة . التّأصيلُ (مطاوع) فَعَّلَ أي جعل الشيءَ ذا أصل حقيقةً . . . ولعلهُ اتّضح من خلال هذا العرض لأهم معاني الصيغة كيف أنّ المطاوعة كانت السّمة الأظهر فيها ، و العامل المشترك بين أظهرها ، وحتى لو كانت المطاوعة واردةً في صيغ أخرى ؛ فإنّ المعاني المذكورة مع هذه الصيغة و البنية التي وردت عليها تُحدّدُ نوعَ الدلالة فيها ،

وتمنحها السّمة المميزة لها، عن (تفاعَلَ ، وانفَعَلَ) على سبيل المثال ¹ .

ويستمرُّ حَفِظَهُ اللهُ في بيان الفائدة من تفهّم البنية الصرفيّة و علاقتها بأصل معنى الكلمة فيقول: " وشيوع المطاوعة في هذه الصيغة عمومًا يجعلنا نستحضر معناها في حديثنا عن التدبّر ، وإن لم يكن ذلك ظاهرًا في الفعل (تدبّر) ، لأنّه ليسَ مطاوعًا ل (دبّر) ، ذلك أنّ المطاوعة لا تكون عادةً إلاّ بعد جُهدٍ و مشقّة ، حتى لكأنّ هذا المُطاوع كان مستعصيًا ثمّ لأنّ و طاوعَ ، و التدبّر يحتاجُ إلى تعقّب و نظر في العواقب إلى أن يحصلَ له مراده ، وهذه بعض دلالات المطاوعة ² .

فظهر من خلال صيغته الصرفيّة أنّهُ حتى تحصلَ المطاوعة فلا بُدّ من الصبر و المعاناة و التكلّف و بذل الجهد ، كما يقتضي الأمرُ من المتدبّر إنعامَ النظر ، و إعماق الفكر و إطالة التأمل، حتى يتم سبر الأغوار و النهايات ، و يقف على الغايات و المقاصد والمرامي البعيدة ، لأنّ المطلوبَ قد لا يظهرُ للوهلة الأولى ، بل يظهر بإعادة النظر في الأواخر و الأدبار ، وسوف يظهر لنا كلّ هذا حينما نبدأ في دراسة (قواعد التدبّر) و (معارج التفكير) عند عبد الرحمن الميداني رحمه الله .

ت - تعريف التدبّر اصطلاحًا :

قال الجرجاني يعرّف التدبير : " التدبير: استعمال الرأي بفعل شاق، وقيل: النظر في العواقب بمعرفة الخير، وقيل: التدبير إجراء الأمور على علم العواقب، وهي لله تعالى حقيقة وللعبد مجازاً ³ . وهذا تعريفٌ اصطلاحيٌّ للتدبير منفصلاً عن القرآن .

ولاستخراج المعنى الاصطلاحي للتدبّر ارتباطًا بموضوع القرآن ؛ ينبغي النظر في كلام المفسّرين لأنّ المصطلح ينتمي إلى هذا الحقل العلمي ، وقد جاء عند المفسّرين استخدام

1 - مفهوم التدبّر تحريزٌ و تأصيل - أوراق الملتقى العلمي الأوّل لتدبّر القرآن الكريم - (الورقة الثانية مفهوم التدبّر عند اللغويين د عويض العطوي) ، ص 29-31 .

2 - نفسه ، ص 32 .

3 - التعريفات : الجرجاني ، ص 54 .

المعنى اللغوي واستثماره في بيان و ضبط معنى المصطلح،
من ذلك :

قول الزمخشري¹ رحمه الله : " تدبُّر الأمر تأمُّله و النظر
في إداره وما يؤول إليه في عاقبته ومنتهاه ، ثم استعمل في
كل تأمل؛ **فمعنى تدبر القرآن : تأمل معانيه وتبصر ما
فيه** ."

وقال الزمخشري أيضاً : " وتدبر الآيات : **التفكر فيها ،
والتأمل الذي يؤدي إلى معرفة ما يدبر ظاهرها من
التأويلات الصحيحة والمعاني الحسنة ، لأن من اقتنع
بظاهر المتلو ، لم يحل منه بكثير طائل ، وكان مثله كمثل من
له لقحة درور لا يخلبها ، ومهرة ثور لا يستولدها . وعن
الحسن: قد قرأ هذا القرآن عبید وصبيان لا علم لهم بتأويله :
حفظوا حروفه وضيعوا حدوده ، حتى إن أحدهم ليقول : والله
لقد قرأت القرآن فما أسقطت منه حرفاً ، وقد والله أسقطه
كله ، ما يرى للقرآن عليه أثر في خلق ولا عمل ، والله ما هو
بحفظ حروفه وإضاعة حدوده ، والله ما هؤلاء بالحكماء ولا
الوزعة ، لا كثر الله في الناس مثل هؤلاء . اللهم اجعلنا من
العلماء المتدبرين ، وأعدنا من القراء المتكبرين**"² .

1 - هو أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري ، نسبةً إلى زمخشر التي
ولد فيها سنة 467 هـ ، لقب بجار الله لمجاورته مكة ، كان من أعلام المعتزلة ،
قويًا في مذهبه ، مجاهرًا به ، واسع العلم ، كثير الفضل ، غاية في الذكاء ، كان
نحويًا فاضلاً ، وسمع الحديث وتفقه وصار إمام عصره . من مؤلفات : الأجناس
في اللغة ، أساس البلاغة ، الفائق في غريب الحديث ، وتفسيره الكشاف . توفي
بخوارزم بعد رجوعه من مكة سنة 538 هـ ، انظر: **وفيات الأعيان : ابن
خلكان - تحقيق إحسان عباس- بيروت ، لبنان - دار صادر - د ط - 1972م ، 4 /
255 .**

2 - **الكشاف : الزمخشري - تحقيق عادل أحمد عبد الموجود ، علي محمد
معوض- الرياض، السعودية - مكتبة العبيكان- ط 1 -1998م ، 6/17 .**

وقال برهان الدين البقاعي¹ : " (أَقْلًا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ) أي يتأملون ، يقال : تدبرت الشيء - إذا تفكرت في عاقبته وآخر أمره "².

و قال محمد رشيد رضا³ : " هو النَّظَرُ وَ التَّفَكُّرُ فِي غَايَاتِهِ وَ مَقَاصِدِهِ ، الَّتِي يَرْمِي إِلَيْهَا ، وَ عَاقِبَةُ الْعَامِلِ بِهِ ، وَ الْمَخَالَفُ لَهُ "⁴.

وقال ابن عاشور رحمه الله : " والتدبر مشتق من الدبر ، أي الظهر ، اشتقوا من الدبر فعلاً ، فقالوا: تدبر إذا نظر في دبر الأمر ، أي في غائبه أو في عاقبته ، فهو من الأفعال التي اشتقت من الأسماء الجامدة. والتدبر يتعدى إلى المتأمل فيه بنفسه ، يقال : تدبر الأمر . فمعنى (يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ) يتأملون دلالاته ، وذلك يحتمل معنيين : أحدهما أن يتأملوا دلالة تفاصيل آياته على مقاصده التي أرشد إليها المسلمين ، أي تدبر تفاصيله؛ وثانيهما : أن يتأملوا دلالة جملة القرآن ، ببلاغته على أنه من عند الله ، وأن الذي جاء به صادق "⁵.

1 - هو أبو الحسن برهان الدين إبراهيم بن عمر بن حسن الرُّبَاط - بضم الراء وتخفيف الباء - بن علي بن أبي بكر البقاعي الشافعي الحافظ المؤرخ الفقيه الأديب ، المولد سنة 809 من الهجرة في سهل البقاع في لبنان اليوم ، وكانت البقاع من سورية يوم ولد بها. وقد سكن دمشق ، ورحل إلى بيت المقدس والقاهرة، ثم عاد إلى دمشق وتوفي بها عام 885 هـ ، له مصنفات كثيرة متعددة منها : (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) ، وله كتاب (مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور) . انظر : **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** : عبد الحي بن العماد - بيروت ، لبنان - دار الآفاق الجديدة - د ط - د س ، 7/339.

2 - **نظم الدرر في تناسب الآيات و السور** : برهان الدين البقاعي - القاهرة ، مصر - دار الكتاب الإسلامي - ط 2 - 1992م ، 2/238 .

3 - هو محمد رشيد بن علي رضا القلموني ، صاحب مجلة المنار ، ولد سنة 1865 م بقلمون - لبنان ، له عدة مؤلفات بالإضافة إلى تفسيره الذي لم يكتمل ، منها : الوحي المحمدي ، فتاوى محمد رشيد رضا ، حقوق المرأة في الإسلام . توفي سنة 1935 م ، انظر ترجمته في : **الأعلام** : الزركلي ، 6 / 361 - 362 .

4 - **تفسير المنار** : محمد رشيد رضا - القاهرة ، مصر - دار المنار - ط 2 - 1947 م ، 5 / 233 .

5 - **التحرير والتنوير** : ابن عاشور، 3/483.

قال البيضاوي¹ : " (أَقْلًا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ) يتأملون في معانيه ويتبصرون ما فيه ، وأصل التدبر النظر في أدبار الشيء² .

وقال أيضاً : " (لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ) ليتفكروا فيها فيعرفوا ما يدبر ظاهرها من التأويلات الصحيحة والمعاني المستنبطة³ .

وقال محمد الأمين الشنقيطي⁴ في قوله تعالى : [كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ] (ص: الآية 29) : "وقد ذكر جل وعلا ، في هذه الآية الكريمة ، أنه أنزل هذا

1 - القاضي ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي ، كان إماماً علامة عارفاً بالفقه والتفسير والأصول والعربية والمنطق ، نظاراً صالحاً متعبداً ، من قرية يقال لها البيضا من عمل شيراز ، ولد في بلدة البيضاء التابعة لمدينة شيراز . ونشأ في بيت علم وبركة ، حيث كان والده من إماما عالما جمع بين العلم والتقوى ، وتلقى عنه العلم ، من شيوخه والده أبو القاسم عمر بن محمد بن علي البيضاوي ، محمد بن محمد الكحتائي ، شرف الدين عمر الزكي البوشكاني ، من مؤلفاته : المنهاج في الأصول ، وشرحه أيضاً ، شرح مختصر ابن الحاجب في الأصول ، شرح المنتخب في الأصول للإمام فخر الدين ، شرح المطالع في المنطق ، الإيضاح في أصول الدين ، الغاية القصوى في الفقه ، الطوالع في الكلام ، شرح الكافية لابن الحاجب ، وتفسيره المشهور "أنوار التنزيل وأسرار التأويل" ، توفي سنة 691هـ ، انظر ترجمته في : **شذرات الذهب** : لابن العماد ، 7/686 .

2 - **أنوار التنزيل و أسرار التأويل** : البيضاوي - تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي - بيروت ، لبنان - دار إحياء التراث العربي - ط 1 - 1418هـ ، 1/478 .

3 - **نفسه** : 5/93 .

4 - هو محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر بن محمد بن أحمد نوح بن محمد ابن سيدي أحمد بن المختار الشنقيطي واسمه الصحيح أب ، وهو من قبيلة حمير العربية ولد رحمه الله - عام 1325هـ ونشأ يتيماً ، أخذ القرآن و بدايات المتون على زوجة خاله ، ثم درس بقية العلوم على جمع من العلماء منهم الشيخ محمد بن صالح المشهور والشيخ محمد الأفرم والشيخ أحمد عمر والشيخ محمد زيدان والشيخ محمد النعمه والشيخ أحمد بن مود وغيرهم فقد أخذ عنهم النحو الصرف والأصول والبلاغة والتفسير والحديث ، سافر و درّس في المعهد العلمي بالرياض ، وكان له دور في تأسيس الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة ، ثم عين كأحد أعضاء هيئة كبار العلماء في السعودية عند بداية تشكيلها وكان عضواً في المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي . من تلاميذه ابن باز و العثيمين و بكر أبو زيد و كثيرون ، من مؤلفاته : دفع إيهام الاضطراب عن أي الكتاب ، ومذكرة الأصول على روضة الناظر ، توفي سنة 1393هـ ، وانظر : **علماء ومفكرون عرفتهم** : محمد المجذوب - القاهرة ، مصر - دار الشواف - ط 1 - 1992م ، 1/171 .

الكتاب ، معظماً نفسه جل وعلا ، بصيغة الجمع ، وأنه كتاب مبارك وأن من حكم إنزاله ، أن يتدبر الناس آياته ، **أي يتفهموها ويتعقلوها ويمعنوا النظر فيها ، حتى يفهموا ما فيها من أنواع الهدى** ، وأن يتذكر أولوا الألباب ، أي يتعظ أصحاب العقول السليمة ، من شوائب الاختلال"¹.

وقال في آية سورة محمد : " ومعلوم أن كل من لم يشتغل بتدبر آيات هذا القرآن العظيم **أي: تصفحها وتفهمها ، وإدراك معانيها والعمل بها ، فإنه معرض عنها ، غير متدبر لها** ، فيستحق الإنكار والتوبيخ المذكور في الآيات إن كان الله أعطاه فهماً يقدر به على التدبر ، وقد شكنا النبي صلى الله عليه وسلم إلى ربه من هجر قومه هذا القرآن ، كما قال تعالى: [وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا] (الفرقان:30) "².

فبالنظر في هذه الأقوال نلمس اشتراك المفسرين في استعمالهم وصف [**التأمل البعيد و التدرج**] في ضبط معنى التدبر ، باعتباره وسيلة في عمل المتدبر ، وكذلك وصف [**الاعتبار و الانتفاع**] باعتباره أثراً من آثاره في شخص المتدبر³.

ومما يدل على كون هذا الأمر هو المراد بالتدبر ؛ توجيه الخطاب في الآيات الأمرة به للكفار والمنافقين ، بضرورة تأملهم في الخطاب و الأمر و دلالاته ، والمقصود من ذلك اتعاظهم و اعتبارهم و انتفاعهم باستخدام الوسائل المختلفة ليصلوا إلى ذلك الأثر المقصود و يُسَلِّمُوا .

وهكذا يكون المقصود عند تعميم الأمر ليشمل المسلمين أيضاً . فالتدبر متوجه إلى اتعاظ القلب واعتباره و انتفاعه مما يُثمر بعد ذلك أثراً دالة على العبرة : كالتخشوع و وِجَل

1 - **أضواء البيان** : الشنقيطي - بيروت ، للبنان - دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع- د ط - 1415 هـ ، 7/9 .

2 - **نفسه** : 7/358 .

3 - وهذا مما أشار إليه الأستاذ باسل الرشود في تعقيبات الملتقى العلمي الأول لتدبر القرآن الكريم في مداخلته و تعليقه على الأوراق المقدمة في الملتقى ، فاعتبر قصد الانتفاع شرطاً في التدبر ، انظر : **مفهوم التدبر تحرير و تأصيل** - أوراق الملتقى العلمي الأول لتدبر القرآن الكريم ، ص 64 .

القلب، والبكاء، والخشية، وزيادة الإيمان و زيادة الفهم ، وغير ذلك مما ذكره الله تعالى في كتابه نتيجة تدبر القرآن كما في قوله تعالى : [وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ] (المائدة:83). وقوله تعالى : [اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَابًا يَفُشِّرُهُ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ] (الزمر: 23) . وقوله تعالى: [إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ] (الأنفال: الآية 2) .

ولذلك عرّفه الدكتور مساعد بن سليمان الطيار مرڪزًا على أصل معنى الكلمة فقال : " هو إعمالُ الذّهن بالنظر في آيات القرآن ، للوصول إلى معانيها ، ثم النظر إلى ما فيها من الإحكام و المعارف و العلوم و العمل " ¹ .

وعرّفه المؤلفُ عبد الرحمن الميداني رحمه الله مرڪزًا أيضًا على أصل معنى الكلمة بقوله : " التدبّر هو التفكيرُ الشاملُ الواصلُ إلى أواخرِ دلالاتِ الكَلِمِ ومراميه البعيدة " ² . ويرى الباحثُ أنّ التعريفَ المختارَ المعتمَدَ للتدبّر هو تعريفُ الشيخ عبد الرحمن الميداني مع إضافة الكلمات التالية فحسب (القرآني ، في النفس و المجتمع و الحياة) ، فيتحصلُ لدينا التعريفُ الإجرائي التالي :
التدبّر هو " التفكير- الشاملُ الواصلُ إلى أواخرِ دلالاتِ الكَلِمِ القرآني ومراميه البعيدة ، في النفسِ و المجتمع و الحياة " . و يكون الشرحُ الموجزُ لهذا التعريفُ :

التفكير : اقتصارًا على هذا اللفظ المُقارب باعتباره رئيسيًا في التدبّر، فهو المفتاح و المبدأ ³ .
الشامل : وصفٌ ضابطٌ للتفكير يرتقي به إلى الدقّة العليا و الإحاطة الكاملة في الاستحضار و النظر و التأمل .

1 - مفهوم التدبّر تحريّر و تأصيل - أوراق الملتقى العلمي الأوّل لتدبّر القرآن الكريم - (الجلسة الثانية ، الورقة الأولى: مفهوم تدبّر القرآن - د مساعد بن سليمان الطيار) ، ص 77-78 .

2 - قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله عز وجل : عبد الرحمن حبنكة الميداني - بيروت ، لبنان - دار القلم - ط 3 - 2004م، ص 10 .

3 - في الفرع القادم بيان الفرق الدقيق بينهما .

الواصلُ : إشارة إلى الهدفية في هذه العملية .
إلى أواخر دلالات الكلم القرآني ومراميه
البعيدة : إشارة إلى التدرج و التواصل و البنائية في هذه العملية إلى غاية ملامسة العمق القرآني و العبرة من كلماته .
في النفس : إشارة إلى المقتضى الفكري التعليمي أو العملي التربوي أو الإصلاحي الحضاري الذي يرتقي بالفرد .
والمجتمع : إشارة إلى المقتضى الفكري التعليمي أو العملي التربوي أو الإصلاحي الحضاري الذي يرتقي بالمجتمع .
والحياة : إشارة إلى المقتضى الفكري التعليمي أو العملي التربوي أو الإصلاحي الحضاري الذي يرتقي بالحياة .

ث- علاقة التدبر بغيره من المصطلحات :

هناك كلماتٌ متقاربة المعنى مع التدبر يستعملها كثيرون للدلالة على الترادف .

قال ابن القيم¹ في شرح معنى التفكير : " الفكر هو إحضار معرفتين في القلب ليستثمر منها معرفة ثالثة ، وهذا يُسَمَّى تفكيرًا و تذكُّرًا ونظرًا و تأمُّلاً و اعتبارًا و تدبُّرًا و استبصارًا ، وهذه معانٍ متقاربة تجتمع في شيء و تتفرَّق في آخر . و يُسَمَّى تفكيرًا لأنه استعمالُ الفكرة في ذلك و إحضارُهُ عنده . و يُسَمَّى تذكُّرًا لأنه إحضارُ لعلم الذي يجبُ مراعاته بعد ذهوله و غيبته عنه ، و منه قوله تعالى : [إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ] (الأعراف : الآية 202) . و يُسَمَّى نظرًا لأنه التفاتٌ بالقلب إلى المنظور فيه . و يُسَمَّى تأمُّلاً لأنه مراجعة للنظر كرَّةً بعد كرَّة ، حتى يتجلى له و ينكشف لقلبه . و يُسَمَّى اعتبارًا ، وهو افتعالٌ من العبور ، لأنه يعبُرُ منه إلى غيره ، فيعبُرُ من ذلك الذي قد فكر فيه إلى معرفة ثالثة ، وهي المقصود من الاعتبار ، ولهذا يُسَمَّى عِبْرَةً ، وهي على بناءِ الحالات كالجلسة و الركبة و القِتلة إِيذَانًا بَانَ

1 - هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي ، ولد سنة 658 هـ ، كان من كبار علماء ، في التفسير والحديث والفقه والأصول والسير والتربية ، واشتهر بالتلمذ على يد شيخ الإسلام ابن تيمية ، خلف عدة مؤلفات تدل رسوخه في العلم ، منها : زاد المعاد في هدي خير العباد ، مفتاح دار السعادة ، مدارج السالكين ، الداء والدواء ، بدائع الفوائد ، إغاثة اللفان من مصائد الشيطان ، وغيرها . توفي سنة 751 هـ ، انظر ترجمته في : **الأعلام** : الزركلي ، 6/ 56 .

هذا العلم و المعرفة قد صارَ حالاً لصاحبه يعْبُرُ منه إلى المقصودِ به ، وقال الله تعالى : [إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى] (النازعات: الآية 26) ، وقال : [إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ] (آل عمران :من الآية 13) ، و يُسَمَّى تدبُّراً لأنه نظرَ في أدبارِ الأمور ، وهي أواخرُها و عواقِبُها . . و يسمى استبصاراً : وهو استفعال من التبصر، وهو تبين الأمر وانكشافه وتجليه للبصر"¹

والحقيقة كما نبّه على هذا كلام ابن القيم أنّ هذه المصطلحات : التفسير ، و الاستنباط ، و الفقه ، و الاستبصار ، و التفكير ، و التذكر ، و الاعتبار ؛ تجتمع مع التدبّر و تلتقي معه، و لكنها تفرق عنه في شيءٍ آخر . وسوف أقتصر في التفريق بين ثلاثة منها و التدبّر :

أولاً : الفرق بين التدبّر و التفسير :

سبق تعريفُ التدبّر فيما مضى و بيان حقيقته ، و أمّا عن التفسير ، فقد وردت فيه عدّة تعريفات² ، ولكنّ كثيراً منها أدخل في التفسير ما ليس منه من علوم القرآن الأخرى أو من خصال المفسّر ، و أقتصر على تعريفين ظهرَ فيهما معنى التفسير مجرّداً عن غيره :

1 - مفتاح دار السعادة و منشور ولاية العلم و الإرادة : ابن قيم الجوزية - بيروت ، لبنان - دار الكتب العلمية - د ط - د س ، 1/182 .
2 - ينظر في تعريف التفسير : **مناهل العرفان** : محمد عبد العظيم الزرقاني - تحقيق : فواز أحمد زمرلي- بيروت ، لبنان - دار الكتاب العربي- ط 1 - 1995م ، 2/3 . **والإتقان في علوم القرآن** : جلال الدين السيوطي- بيروت ، لبنان - دار ابن حزم - ط 1- 2008م ، 4/ 167-169 .

تعريفُ ابنِ جُزِّي¹ قال: " معنى التفسير: شرحُ القرآن، وبيانُ معناه، والإفصاحُ بما يقتضيه بنصّه أو إشارته أو نجواه²"

وتعريفُ الزُّركشي قال: " علمٌ يُعرفُ به فَهْمُ كتابِ الله المَنزَّلِ علي نبيه محمدٍ صلى الله عليه وسلم، وبيانُ معانيه، واستخراجُ أحكامه وحِكَمه³ .

فظهر من خلال هذين التعريفين أنّ التفسيرَ كشفٌ و بيانٌ لمعنى النص القرآني ولا ينبغي الزيادة على هذا المفهوم ، وهذا ما حَقَّقَهُ الدكتور مساعد بن سليمان الطيار في كتابه " مفهوم التفسير و التأويل و الاستنباط و التدبّر و المفسّر " فقال : " هذا وقد اختلفت عبارات العلماء في البيان عن معنى التفسير في الاصطلاح، وجاءوا بعبارات شتى، وقد اجتهدت في معرفة الصحيح منها في بيان مصطلح التفسير، ورأيت أن المراد بالتفسير بيان المعنى الذي أراده الله بكلامه، فانطلقت من المعنى اللغوي للفظة، وهو البيان أو الكشف أو الشرح أو الإيضاح، وجعلته أصلاً أعتمده في تحديد المراد بالتفسير. وظهر لي بعد ذلك أن تكون أي معلومة فيها بيان للمعنى، فإنها من التفسير، وإن كان ليس لها أثر في بيان المعنى فإنها خارجة عن مفهوم التفسير، وإنما ذكرت في كتبه، إما لقربها من علم التفسير بكونها من علوم القرآن، وإما لتفنن المفسر بذكر العلم الذي برز فيه، فجعل تفسيره للقرآن ميداناً لتطبيقات علمه، وإما لوجود علاقة أخرى بينها وبين ما يذكره

1 - هو محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن يحيى بن يوسف بن عبد الرحمن بن جزي الكلبي الغرناطي ، ولد يوم الخميس تاسع ربيع الثاني عام 693 هـ في غرناطة عاصمة الأندلس آنذاك، وتوفي في 741 هـ في فاس . كان رحمه الله تعالى نابغاً في فنون شتى وعلوم مُتعدِّدة، فكان فقيهاً مالكيًا، مُحدِّثًا، أصوليًا، مُقرِّنًا، مُتكلِّمًا، أدبيًا، نحويًا لغويًا، حَافِظًا مُتَقَنًا، مُفسِّرًا. وكان مثاليًا في العكوف على العلم، والاقتصاد في الاقتيات، والاشتغال والتقييد، والتدوين، من أشهر كتبه (القوانين الفقهية) و الذي وضع فيه ملخصاً للفقه الإسلامي على كافة المذاهب، و اتبع في تصنيفه أسلوباً عبقرياً غير مسبوق جعله رغم صغر حجمه؛ كتاباً قيماً و فريداً من نوعه . انظر : **الأعلام** : الزركلي ، 6/221 .

2 - **التسهيل لعلوم التنزيل** : ابن جُزِّي الكلبي - تحقيق محمد سالم هاشم - بيروت ، لبنان - دار الكتب العلمية - د ط - 1415 هـ ، 1/6 .

3 - **البرهان في علوم القرآن** : بدر الدين الزركشي - تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم - القاهرة ، مصر - دار التراث - ط 3 - 1984م ، 1/13 .

المفسر، وإما أن لا يكون لها علاقة البتة، وإنما ذكرها المفسر بسبب المنهج الذي نهجه في تفسيره. وهذا البيان قد يكون بآية، وقد يكون بتفسير نبوي، وقد يكون بسنة عامة، وقد يكون بسبب نزول، وقد يكون باللغة، وقد يكون بذكر قصة الآية، وقد يكون بغيرها من المصادر التي هي من أنواع البيان عن معنى أي القرآن . وهذا يعني أن المعلومات التي يذكرها المفسرون، وهي خارجة عن حد البيان للآيات ليس من صلب التفسير، وذكرهم لها في تفاسيرهم ليس حجة في إدخالها¹. وبالتالي يمكن تلخيص الفرق بين التفسير و التدبر فيما يلي :

- أن التفسير هو كشف المعنى المراد في الآيات² ، والتدبر هو ما وراء ذلك من إدراك مغزى الآيات ومقاصدها ، واستخراج دلالاتها وهداياتها ، والتفاعل معها ، واعتقاد مادلت عليه وامثاله .

- أن المفسر غرضه العلم بالمعنى ، والمتدبر غرضه الانتفاع والامتنال علماً وإيماناً ، وعملاً وسلوكاً ؛ ولذا فإن التفسير يغذي القوة العلمية ، والتدبر يغذي القوة العلمية والإيمانية والعملية.

- أن التدبر مأمور به عامة الناس للانتفاع بالقرآن والاهتداء به ، ولذلك خوطب به ابتداءً الكفار في آيات التدبر، والناس فيه درجات بحسب رسوخ العلم والإيمان وقوة التفاعل والتأثر . وأما التفسير فمأمور به بحسب الحاجة إليه لفهم كتاب الله تعالى بحسب الطاقة البشرية ، ولذا فإن الناس فيه درجات كما قال ابن عباس : "التفسير علي أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يُعذر أحد بجهالته، وتفسير تعرفه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله ."

1 - مفهوم التفسير و التأويل و الاستنباط و التدبر و المفسر : مساعِد بن سليمان الطيار - الرياض، السعودية - دار ابن الجوزي- ط 2 - 1427هـ، ص 54-55 .

2 - كثير مما هو في كتب التفسير قد يكون خارجاً عن الحد المضبوط للتفسير الذي هو البيان و الكشف للمعنى ، ككثير من اللطائف والمُلح العلمية، والتكآت البلاغية، والاستنباطات العلمية من فقه وأداب وتربويات وهدايات قرآنية وغيرها .

- أن التدبر واجب على كل حال ، وأما التفسير فليس بواجب على كل حال بل هو واجب بحسب الحاجة إليه ، ولذا جاء الأمر بالتدبر في كتاب الله دون التفسير .
- أن التدبر هو الغاية من نزول القرآن لأنه باعث على الامتثال والعمل ، وأما التفسير فهو وسيلة للتدبر ، ولذا فيقال بأن التدبر أصل والتفسير فرع منه¹ .

ثانياً : الفرق بين التدبر والاستنباط :

تدورُ مادَّةُ " تَبَطَّ " على أصلٍ واحدٍ وهو استخراجُ شيءٍ²، والألف والسين والتاء في استنبطٍ تدلُّ على تطلبِ الشيءِ لأجل حصوله، وكانَ فيها معنى التَّكَلُّفِ في إعمالِ العقلِ الذي يحتاجُه المستنبطُ حال الاستنباط .

وأما الاستنباط في الاصطلاح : فقد عرفه غير واحد من العلماء ومن تلك التعريفات :

قال الطبريُّ : " وكلُّ مستخرجٍ شيئاً كان مستتراً عن العيون أو عن معارف القلوبِ، فهو له مستنبطٌ، يقال: استنبطتُ الرَّكِيَّةَ: إذا استخراجت ماءها"³.

وقال الصَّغاني⁴ : " وكلُّ شيءٍ أظهرته بعد خفائه: فقد انبطته واستنبطته. وقوله تعالى: [لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ] (

1 - انظر : مفهوم التفسير و التأويل و الاستنباط و التدبر و المفسر : مساعد بن سليمان الطيار ، ص 55 وما بعدها .

2 - معجم مقاييس اللغة : ابن فارس ، 5/381 .

3 - جامع البيان عن تأويل القرآن : ابن جرير الطبري - تحقيق : عبد الله بن عبد المحسن التركي ، عبد السند حسن يمامة - الجيزة ، مصر - هجر للطباعة والنشر - ط 1-2001م ، 8/571 .

4 - هو الشيخ رضا الدين أبو الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن بن حيدر بن علي بن إسماعيل الصغاني ، ولد يوم الخميس، العاشر من شهر صفر سنة (577هـ) بـلاهـور في أيام الملك خسرو شاه الغزنوي ، نشأ في أسرة الصغاني ذات أدب و ثقافة ، كما كان أبوه عالماً كبيراً . تلقى كالمعتاد سائر ما تلقى من العلوم في صباه على يد أبيه، فغرس فيه حب اللغة العربية و آدابها، وكذلك قرأ عليه علوم الحديث والفقه ، ثم رحل إلى مكة و عدن و الهند و بغداد واليمن وطلب العلم على شيوخها ، قال عنه الإمام الذهبي : كان إليه المنتهى في اللسان العربي ، وقال عنه ابن العماد الحنبلي : كان إليه المنتهى في معرفة اللغة، وله مصنفات كبار في ذلك، وله بصر في الفقه مع الدين والأمانة ، من مؤلفاته : مشارق الأنوار النبوية في صحاح الأخبار المصطفوية ، و در السحابة في بيان مواضع وفيات الصحابة ، توفي سنة 650هـ ، انظر : سير أعلام النبلاء : الذهبي، 23/282 .

النساء: من الآية 83)، أي: يستخرجونه. ويقال: استنبط الفقيه: إذا استخرج الفقه الباطنَ بقَهْمِهِ واجتهادِهِ¹ .
وقال الجصاص² : " اسم لكل ما استخرج حتى تقع عليه رؤية العيون، أو معرفة القلوب، والاستنباط في الشرع: نظير الاستدلال، والاستعلام"³ .
وقال الماوردي: " و الاستنباطُ مختصُّ باستخراج المعاني من النصوص"⁴ .
وزاد الزمخشري فقال: " ما يستخرجه الرجلُ، بفضلِ ذهنه، من المعاني والتدابير، فيما يَعْضُلُ ويُهَمُّ"⁵ .
وقال النووي: " قال العلماء: الاستنباطُ استخراج ما خفي المرادُ به، من اللفظ"⁶ .
وقال ابن القيم: " استخراج الأمر، الذي من شأنه أن يخفى على غير المُسْتَنْبِط"⁷ .
فالاستنباطُ من خلال ما سبق هو استخراج ما خفي من النصِّ بطريق صحيح ، و يتحصَّلُ ذلكُ من خلال ربط كلام له معنى بمدلول الآية، بأي نوع من أنواع الربط، كأن يكون بدلالة إشارة أو دلالة مفهوم، أو غيرها. وكلُّ كلامٍ رُبطَ بمعنى الآية فإنه من هذا الباب، لأنَّ الذي يقول به يرى أنَّ الآيةَ دلَّت عليه بأي نوع من أنواع الدلالة.

-
- 1 - **العباب الزاخر واللباب الفاخر**: الصغاني- تحقيق محمد حسين آل ياسين - بغداد ، العراق - دار الحرية للطباعة - ط 1 - 1987م ، ص 207 .
 - 2 - هو أحمد بن علي الرازي ، أبو بكر ، الجصاص ، ولد سنة 305هـ بالري ، و هاجر إلى بغداد وسكن بها ، وقد انتهت إليه رئاسة المذهب الحنفي في زمانه ، وكان مع ذلك إمامًا في التفسير والفقه والحديث ، أشهر مؤلفاته : أحكام القرآن . توفي سنة 370 هـ ببغداد . انظر ترجمته في : **سير أعلام النبلاء** : الذهبي، 16 / 340 ، **الأعلام** : الزركلي ، 1 / 171 .
 - 3 - **أحكام القرآن** : أبو بكر الجصاص - تحقيق : محمد الصادق قمحاوي - بيروت ، لبنان - دار إحياء التراث العربي - ط 1 - 1992م ، 2/215 .
 - 4 - **الحاوي الكبير** : الماوردي - تحقيق محمد علي معوض و عادل أحمد عبد الموجود - بيروت ، لبنان - دار الكتب العلمية - ط 1 - 1994م ، 16/130 .
 - 5 - **الكشاف** : الزمخشري ، 2/117 .
 - 6 - **تهذيب الأسماء و اللغات** : النووي - القاهرة ، مصر - المطبعة المنيرية - ط 1 - د س ، 1/158 .
 - 7 - **إعلام الموقعين عن رب العالمين** : ابن قيم الجوزية -- تحقيق : مشهور بن حسن سلمان ، شارك في التخریج : أبو عمر أحمد - الدمام ، السعودية - دار ابن الجوزي - ط 1 - 1423هـ ، 1/178 .

وقد يكون استنباط حكم فقهي، أو يكون استنباط أدب تشريعي عام، أو يكون استنباط أدب أخلاقي في معاملة الناس، أو يكون استنباط فوائد تربوية تتعلق بتزكية النفوس، أو يكون استنباط فائدة علمية .

وعند تأمل عملية الاستنباط يظهر أن فيها أعمال فكر ونظر، وقد يكون التدبر الذي ينتج عنه استنباط من آية ظاهرة المعنى لا تحتاج إلى تفسير، وقد يكون من آية ظهر معناها الصحيح، فيكون التدبر في هذه الحال بعد معرفة التفسير، فيتدبر المتدبر ما يحتويه معنى الآية من وجوه الاستنباط والفوائد، وهو تدبر لاستخراج الحكم والأحكام والآداب وغيرها مما يستنبطه المستنبط، وهذا يعني أن الاستنباطات نتيجة للتدبر.

ويمكن أن يقال في الفرق بين التدبر والاستنباط و التفسير أن التفسير في الفهم ، والاستنباط في الدلالات ، وكلاهما من لوازم التدبر.

ويضاف في الفرق بين التدبر والاستنباط أمور :

- بالنظر في أصلهما في اللغة يتبين الفرق بينهما ، فالتدبر هو النظر إلى أدبار الشيء ونهاياته، وهذا يدخل فيه الدلالات والنهايات من الانتفاع والاهتداء ، وأما الاستنباط فهو استخراج ما خفي ، وهذا مقصور في الدلالات .

- أنهما يجتمعان في أعمال الفكر والنظر والتأمل ويختلفان في الغرض ، فغرض المستنبط العلم بدقائق المعاني والدلالات والهدايات ، وغرض المتدبر يتجاوزه إلى قصد الانتفاع والامثال والعمل .

- أنه يشترط في التدبر قصد الانتفاع والامثال بخلاف الاستنباط ، وإنما يشترط فيه وجود ما يدل عليه في النص .

- أن الاستنباط نتيجة للتدبر فهو فرع منه ، وذلك أن التدبر هو الوقوف مع الآيات والتأمل فيها فينتج من ذلك الاستنباط .

ثالثا : الفرق بين التدبر و التفكير :

بينهما تقارب ولذا فقد يجتمعان في شيء واحد فيقال تفكر في الكلام وتفكر في الخلق ، والفرق بينهما من من وجهين :

- أن التفكير أظهر في النظر في الآيات الكونية الواقعة والمشاهدة كما قال تعالى: [فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ] (يونس: الآية 24) ، وهذا غالب استعمال القرآن . وقد يأتي بمعنى التفكير في الآيات القرآنية كما قال تعالى: [وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ] (النحل: الآية 44) . أما التدبر فهو أظهر في النظر في الآيات القرآنية كما قال تعالى: [أَقَلَّمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ] (المؤمنون: الآية 68) .

- و الثاني أن التدبر تصرف القلب بالنظر في العواقب والتفكير تصرف القلب بالنظر في الدلائل.

وإذا ظهر الفرق بين التدبر و التفكير ، فيحسن الإشارة إلى الفرق بين التفكير والتذكر ليوضح وجه الارتباط بين التذكر والتدبر ، وأحيل على كلام جميل لابن القيم رحمه الله يضبط هذا الفرق يقول فيه : " قال ابن القيم رحمه الله مبيِّنا الفرق بين التفكير والتذكر في معرض تفسيره لقول الله تعالى: [إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ] (الرعد : من الآية 4) : " وأما تخصيصه إيَّاهَا بأهْلِ التذْكَرِ ، فطريقة القرآن في ذلك أن يجعل آياته للتبصُّر والتذكر ، كما قال تعالى في سورة ق : [وَالْأَرْضَ مَدَدْتَاهَا وَالْقَيْتَا فِيهَا رَوَاسِي وَأَنْشَأْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (7) تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عِبْدٍ مُنِيبٍ] (ق: الآية 7-8) ، فالتبصرة: التَّعْقُلُ ، والتذكرة: التذْكَرُ ، والفكر باب ذلك ومدخله ، فإذا فكر تبصَّرَ ، وإذا تبصَّرَ تذكَّرَ ، فجاء التذكير في الآية لترتيبه على العقل المرتب على الفكر ، فقدَّم الفكر إذ هو الباب والمدخل ، ووسَّط العقل إذ هو ثمرة الفكر ونتيجته ، وأخَّر التذْكَرَ إذ هو المطلوب من الفكر والعقل ، فتأمَّل ذلك حقَّ التأمل¹ .

ثم قال رحمه الله : " فإن قلت: فما الفرق بين التذكير والتفكير؟ فإذا تبين الفرق ظهرت الفائدة. قلت: التفكير والتذكر أصل الهدى والفلاح، وهما قطبا السعادة، ولهذا وسَّعنا الكلام في التفكير في هذا الوجه لعظم المنفعة وشدة الحاجة إليه . . فاعلم أن التفكير: طلب القلب ما ليس بحاصل من العلوم من أمر هو حاصل منها، هذا حقيقته فإنه لو لم يكن ثمَّ مَوَادَّ تكون

موردًا للفكر استحجال الفكر، لأنَّ الفكر بغير متعلِّق متفكِّر فيه مُحالٌ، وتلك الموائدُ هي الأمور الحاصلة، ولو كان المُطلوبُ بها حاصلًا عنده لم يتفكَّر فيه . فإذا عُرِفَ هذا فالتفكَّر ينتقل من المقدِّمات والمبادئ التي عنده إلى المطلوب الذي يريده، فإذا ظفر به وتحصَّل له تذكر به وأبصر مواقعَ الفعل والترك وما ينبغي إثارُه وما ينبغي اجتنابُه، فالتذكُّر هو مقصود التفكَّر وثمرتُه، فإذا تذكر عاد بتذكره على تفكُّره فاستخرج ما لم يكن حاصلًا عنده، فهو لا يزال يكرِّر بتفكُّره على تذكره وبتذكره على تفكُّره ما دام عاقلًا، لأنَّ العلم والإرادة لا يقفان على حدٍّ بل هو دائما سائرٌ بين العلم والإرادة. وإذا عرفت معنى كون آيات الربِّ تبارك وتعالى تبصرةً وذكرى يُتبصَّرُ بها من عمى القلب ويُتذكر بها من غفلته؛ فإنَّ المضادَّ للعلم إمَّا عمى القلب وزواله بالتبصُّر، وإمَّا غفلته وزواله بالتذكُّر. والمقصود تنبيه القلب من رقدته بالإشارة إلى شيءٍ من بعض آيات الله، ولو ذهبنا نتبَّع ذلك لتفدَّ الزمان ولم نُحط بتفصيل واحدةٍ من آياته على التمام، ولكن ما لا يُدرك جملةً لا يُترك جملةً. وأحسن ما أنفقت فيه الأنفاس للتفكُّر في آيات الله وعجائب صنعه والانتقال منها إلى تعلق القلب والهمَّة به دون شيءٍ من مخلوقاته " 1 .

وهكذا بقيَّة المصطلحات الأخرى كالتأويل و التأثر ، فانظر الفرقَ بينهما و بين التدبُّر فيما كتبه مساعد بن سليمان الطيار فقد أجاد في ذلك² .

3- تعريف القرآن لغة و اصطلاحًا :

أ- تعريف القرآن لغة :

القرآن مصدرٌ اُخْتُلِفَ في أصله على عدَّة أقوال وتوجيهات ، حَاصِلُهَا أَنَّهُ : إمَّا مشتقٌّ أو مرتجل، ومن جهةٍ أخرى : إمَّا مهموزٌ أو غيرُ مهموز :

فروي عن الشافعي و غيره : أنه اسم عَلَمٍ خاصٍ بكلام الله عز وجل، غير مشتق وغير مهموز (قُرَّان) ، وُضِعَ من

1 - نفسه .

2 - مفهوم التفسير و التأويل و الاستنباط و التدبُّر و المفسَّر :

مساعد بن سليمان الطيار ، ص 204-202 .

أول الأمر علماً على الكلام المنزل على محمد صلى الله عليه
و سلم ، كالتوراة والإنجيل ¹ .
وقال آخرون : هو اسمٌ مشتقٌّ على وزن (فُعْلان) ،
ولكنهم اختلفوا ² ، في وجه اشتقاقه :
ف قيل مشتق من القرائن ، وهي الأشباه والنظائر ، وسُمي
قرآناً لأنَّ آيَاتِهِ يُصَدِّقُ بعضها بعضاً ، ويشبه بعضها بعضاً .
وقيل : مشتق من " قرنت الشيء بالشيء " إذا ضممت
أحدهما إلى الآخر ، وسُمي قرآناً لأنه صُمِّت فيه السور والآيات
والحروف ³ .
في حين ذهب الرَّجَّاج ⁴ إلى أنه مشتقٌّ من (القراء)
بمعنى الجمع ، ومنه قولنا : قرأْتُ الماء في الحوض : بمعنى
جمعه فيه ، " وسُمي به القرآنُ لكونه جمع ثمرات الكتب
السابقة وعلومها " ⁵ ، فهو أجمع كتاب وخير كتاب .
ولعلَّ أقوى الآراء وأرجحها في نظر الباحث :
أنَّه مهموزٌ مشتقٌّ من قرأ بمعنى المقروء ، من باب
تسمية المفعول بالمصدر ، ثم صار علماً للكتاب المنزل على
محمد صلى الله عليه و سلم .

1 - وبه قرأ ابن كثير ، وهو مروى بالإضافة للشافعي عن عبد الله بن
قسطنطين . ينظر : **لسان العرب** : ابن منظور ، 5 / 3563 - مادة ق ر أ .

2 - ينظر : **الإنقان في علوم القرآن** : السيوطي ، ص 98 .

3 - **نفسه** .

4 - هو أبو إسحاق إبراهيم بن الشَّرِّي بن سهل الزجاج ، نحوي و مفسر ، لزم
المبرد ، فكان يعطيه من عمل الزجاج كل يوم درهما ، فنصحه وعلمه . ثم أدب
القاسم بن عبيد الله الوزير ، فكان سبب غناه ، ثم كان من ندماء المعتضد . له
مؤلفات عديدة منها كتاب : " الإنسان وأعضائه " ، وكتاب : " الفرس " ، وكتاب :
" العروض " ، وكتاب : " الاشتقاق " ، وكتاب : " النوادر " ، وكتاب : " فعلت
وأفعلت " ، و في التفسير منها : معاني القرآن ، وإعراب القرآن . من أشهر
تلاميذه أبو علي الفارسي . و توفي سنة 311هـ ، انظر ترجمته في : **شذرات
الذهب** : ابن العماد ، 2 / 259 .

5 - **معجم مفردات ألفاظ القرآن** : الراغب الأصفهاني - تحقيق : يوسف
الشيخ محمد البقاعي - بيروت ، لبنان - دار الفكر - دط - 2009م ، ص 301 -
مادة ق ر أ .

قال الزرقاني¹ : " هو في اللغة مصدرٌ مرادفٌ للقراءة . . ثمَّ ثُقِلَ من هذا المعنى المصدرى ، وجُعِلَ اسماً للكلام المعجز المنزَّل على النبي صلى الله عليه و سلم ، من بابِ إطلاقِ المصدرِ على مفعوله ، ذلك ما نختارُهُ استنادًا إلى مواردِ اللغةِ وقوانينِ الاشتقاق " ² .

ب- تعريف القرآن اصطلاحًا :

بالرغم من شهرة القرآن ؛ فقد عرّفه العلماء لتمييزه عن غيره ، فمنهم من أطال في التعريف وأطنب في ذكر الخصائص لزيادة الإيضاح و البيان ، ومنهم من اختصر وأوجز لوضوح المقصود ، ومنهم من اقتصد في التعريف وتوسط :

ف قيل : " هو الوحي المنزل على محمد صلى الله عليه و سلم للبيان والإعجاز " ³ .

وقيل كذلك : " هو كلام الله ، المنزل على نبيه ، المكتوب بين دفتي المصحف ، وهو متواتر بين الأمة " ⁴ .

وقيل في تعريفه : " هو المنزل على الرسول ، المكتوب في المصاحف ، المنقول عنه نقلًا متواترًا ، بلا شُبْهة " ⁵ .

وقيل : " هو اللفظ المنزل على النبي صلى الله عليه و سلم ، من أول الفاتحة ، إلى آخر سورة الناس " ⁶ .

1 - هو محمد عبد العظيم الزرقاني ، نسبةً إلى زُرْقان ، بلدة تابعة لمحافظة المنوفية بمصر ، من أشهر علماء الأزهر ، تخرج بكلية أصول الدين ، وعمل بها مدرسًا لعلوم القرآن والحديث ، من أشهر مؤلفاته : مناهل العرفان في علوم القرآن ، والمنهل الحديث في علوم الحديث ، توفي سنة 1948م ، انظر في ترجمته : **مناهل العرفان للزرقاني دراسة وتقويم** - خالد السبت - الرياض ، السعودية - دار ابن عفان للنشر و التوزيع - ط 3- 2014م ، 1 / 43 - 48 .

2- **مناهل العرفان في علوم القرآن** : محمد عبد العظيم الزرقاني ، 1 / 15 - 16 . و **النبا العظيم نظرات جديدة في القرآن** : محمد عبد الله دراز الكويت - دار القلم - د ط - د س ، ص 12 .

3 - **البرهان في علوم القرآن** : بدر الدين الزركشي ، 1 / 318 .

4 - **المقدمة** : عبد الرحمن بن خلدون - ضبط وشرح وتقديم : محمد الاسكندراني - بيروت ، لبنان - دار الكتاب العربي- د ط - 2005م ، ص 405 .

5 - **التعريفات** : الجرجاني ، ص 181 .

6 - **مناهل العرفان** : الزرقاني ، 1/20 ، ونسبه إلى المتكلمين .

وقيل : " هو كلام الله المنزل على محمد صلى الله عليه و سلم ، المتعبد بتلاوته " ⁷ .
وانطلاقاً من هذه التعريفات ، يمكن أن أقول في تعريف القرآن :

هو كلامُ الله المعجز، المنزل على النبي صلى الله عليه و سلم ، المكتوب في المصحف، المنقول بالتواتر، المتعبد بتلاوته. وهذا التعريف يُنسبُ إلى الأصوليين والفقهاء وعلماء العربية ² .
ومن خلال التعريفات السابقة يمكننا أن نستخلص المعنى الكلي للتركيب الإضافي " قواعد التدبر القرآني " ، وهي :
تلك القواعد الكلية التي يتم عبرها حُسْنُ إمعانِ النظر و التفكّر الشامل الذي يوصل إلى ملامسة العمق القرآني وإدراك مقاصد الآيات ومراميتها البعيدة ، في النفس و المجتمع و الحياة .

7 - **مباحث في علوم القرآن** : مناع القطان - القاهرة ، مصر- مكتبة وهبة - ط 7 - د س ، ص 16 .

2 - ينظر : **مناهل العرفان** : الزرقاني ، 1/20 ، و **المدخل إلى علوم القرآن الكريم** : منصور كافي - البليدة ، الجزائر - دار مدني - د ط - د س ، ص 33 .

المبحث الثاني

حياة الشيخ عبد الرحمن حسن حبيكة الميداني

وأتناول في هذا المبحث ما يتعلق بالحياة الشخصية للمؤلف والحياة العلمية، لنقف فيه على مختلف الخصائص والمراحل والصفات التي تميّزت بها، وكان لها الأثر الكبير في أفكاره وتصانيفه ، ومسيرته العلمية والدعوية، والتي منها بصماته في كتابي " قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله " ، و " معارج التفكير " .
و في ما يلي تفصيل ذلك :

أولا : الحياة الشخصية للشيخ عبد الرحمن حسن حنّكة الميداني

1- نسب الشيخ عبد الرحمن الميداني و أسرته و
ظروف نشأته :

أ - اسمه ومولده :

هو عبد الرحمن حسن حنّكة الميداني ، ولد في عام 1345 هـ الموافق لعام 1927 م بحي الميدان بدمشق ، وهو حيٌّ معروفٌ بأصالته و جهاده ، و يتميز بالمحافظة على التقاليد العربية الأصيلة ، ويعرف الكثير من رجاله بالشجاعة ، والنخوة والسخاء والكرم . وترجع أصول أسرة الشيخ إلى عرب بني خالد الذين تمتد منازلهم إلى بادية حماة من أرض الشام¹ .

ب- والديه :

أبوه العلامةُ المرَبِّيُّ المجاهد حاملُ لواء الدَّعوة في الشام الشيخ حسن بن مرزوق حنّكة المعروف بالميداني (ت 1398هـ) ، أحد أبرز علماء الشام ، وُلد في حي الميدان في دمشق سنة 1326هـ/1908م، وهو حي الشجعان وأهل المروءة والفتوة وأولي القوة، وأبوه (جدُّ المؤلف) هو مرزوق بن عرابي بن غنيم من عرب بني خالد من بادية حماة، أما حنّكة والميداني فهما لقبان له عرفت عائلته باللقب الأول واشتهر هو باللقب الآخر، وكان أبوه مرزوق من أهل الصلاح والاستقامة، صاحب محل لبيع المواد الغذائية، وأمه خديجة من أصول مصرية أتت لأبيه بأربعة أبناء وبنيتين، أكبرهم هو الشيخ حسن يرحمه الله، وقد توفيت - يرحمها الله تعالى - أثناء عودتها من الحج مع ابنها الشيخ حسن² .

1 - رجال فقدناهم : مجد مكي - بيروت ، لبنان - دار ابن حزم - ط 1- 2012م، 2 / 1005 .

2 - انظر : الوالد الداعية المرَبِّيُّ الشيخ حسن حنّكة الميداني : عبد الرحمن الميداني - دمشق، سوريا- دار القلم - ط 1 - 2012م ، ص 35 .

أسسَ الشيخُ حسنُ حبّكة الميداني جمعية خاصة به سماها " **جمعية التوجيه الإسلامي** " سنة 1365هـ/1946م (وهي التي تكوّنَ و تخرّج منها عبد الرحمن كما سنرى) ، وكانت الجمعية تستقبل الطلاب من كل مكان، وتُعنى بهم وتدرّسهم مجانًا، بل إنها كانت تهَيئ السكن لمن لا سكن له، وبفضل الله استطاعت أن تنشئ مساجد كثيرة في دمشق وتُعنى بالقديم منها وأنشأت مدارس ومعاهد للبنين والبنات، ودارًا للقرآن في جامع منجك - الذي كان المقر الرئيس للشيخ حسن طوال حياته - وظلّت الجمعية معطاءة مدرّارة إلى سنة 1387هـ/1967م حيث أُلغيت بمراسيم جمهورية وضمت مبانيها إلى وزارة الأوقاف ¹.

وقد تتلمذ على يديه مئات من طلاب العلم، وصار بعضهم من العلماء الكبار والمشهورين مثل (الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي رحمه الله) ، و (الدكتور مصطفى الخن) ، و (الدكتور مصطفى ديب البغا) ، وشيخ قراء الشام (العلامة حسين خطاب) ، وشيخ قراء الشام من بعده (العلامة محمد كريمة راجح) ، وابنه (الشيخ عبد الرحمن الميداني) الذي هو موضوع الرسالة.

و قد كان رحمه الله مثلاً للهمة العالية و الحكمة والتفرغ للعطاء و العلم ، و ترك هذا عظيم الأثر في نفس ولده عبد الرحمن لأنه تتلمذَ أولَ ما تتلمذَ على يديه :

وقد ظهرت همة الوالدِ العالية في تصدره للتدريس وإفادة الجمهور؛ فقد كان له درس عام للعامّة بعد الفجر إلى الضحى، ثم يفطر مع الطلاب، ثم يدرس كبار الطلاب إلى قبيل صلاة الظهر، ثم إنه يفرغ لنفسه من الظهر إلى العصر، وبعد العصر بقليل كان له درس إلى أذان المغرب مع كبار طلابه، ثم بعد المغرب يحين وقت الدرس العام للعامّة، وبعد العشاء درس للطلاب الذين لا تسعفهم أحوالهم للدراسة

1 - (حسن حبّكة الميداني) : د محمد موسى الشريف - 17/06/2013م :
<http://islamstory.com/ar/%D8%AD%D8%B3%D9%86-%D8%AD%D8%A8%D9%86%D9%83%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%8A%D8%AF%D8%A7%D9%86%D9%8A>

النهارية فيأتون إليه ليلاً، ثم بعد فراغ المدرس يعود إلى بيته، لكنه كان كثيراً ما يحب البقاء في الجامع والبيات فيه ليوظ طلابه لصلاة الفجر جماعة، ويقوم سحرًا للصلاة والدعاء والتسبيح، وربما طالع بعض كتب العلم في ذلك الوقت، هذا عدا قضايا المسلمين العامة التي كانت تؤرقه وتأتي على الوقت الذي بقي له من يومه وليلته . وكان له طريقة حسنة في التعليم؛ وهي إيقاف الطلاب على مبادئ العلم ومفاتيحه، ويدربهم على استخراج المسائل من مظانها، ومن ثمّ يعقد حلقات للمناقشة وهذه طريقة فريدة. وكان يدفع بطلابه إلى التدريس والخطابة وإلقاء المواعظ في المساجد، خاصة في رمضان للتدرب على مواجهة الجمهور وإفادتهم. وكان يدرّب طلابه على السباحة والفروسية وركوب الخيل، ويسير بهم في القرى والبساتين لتدريبهم على القوة واحتمال المشاق، وربما بات معهم في المساجد أو البيوت التي يستأجرها لهذا الغرض، وربما باتوا في أرض أو سفح جبل، وفي تلك الرحلات يفيدون أهل القرى بالدروس والمواعظ¹.

وتوفي والده رحمه الله في : سنة 1398هـ/1978م، عقب مرض نزل به، وجَلَطَات قلبية انتابته قبل وفاته بثلاث سنوات إلي أن حانت منيته، ووافاه أجله، وصُلي عليه في جامع بني أمية، وشيع جنازته قرابة ستمائة ألف، وهذا لم يكن في دمشق لأحد من العلماء منذ عقود طويلة، رحمه الله تعالى وأعلى درجاته في عليين.

ووالدة المؤلف رحمه الله هي السيدة نظمية بنت إبراهيم السودان من عائلة السودان الميدانية المعروفة ، من أسرة متدينة أصيلة ، والدته السيدة نظمية أنجبت اثني عشرَ بطناً سبعة ذكور أكبرهم عبد الرحمن وخمس بنات ، لُقبت من قبل البعض بـ " سِتّ الشام و أم طلبة العلم " لأنها كانت في الإسنادِ لزوجها مُحبّةً للعلم و أهله خادمةً للطلاب معيّنةً لزوجها على مسؤولياته ، وهذا من أعظم الخدمة التي تقدّمها الزوجة لزوجها العالم ، قال الشيخ رحمه الله في حصّة حديث الذكريات : " والدتي رحمها الله كانت خادمة لطلاب أبي تخطيط

1 - الوالد الداعية المرّبي الشيخ حسن حبّكة الميداني : عبد الرحمن الميداني ، ص 35 وما بعدها .

لهم الجَبَب ، وتطهو لهم الطعام في كثير من الأحيان هي
السند الأعظم لأبي في الجانب الحَرَمي كانت تقوم مع أبي
على كل هذا "1 .

وقد كانت أمّية و تعلّمت من زوجها حَسَن مبادئ القراءة
والكتابة حتى صارت تدرّس ذلك للفتيات الصغيرات من
حولها ، وكانت لا تمل من تقديم الخدمات على كل من تتلمذ
على يدي الشيخ حسن² .

ت- زوجته و أولاده :

الشيخ متزوج من السيدة عائدة راغب الجراح³، توفّيت
قبله بسنتين تقريباً رحمها الله، وكانت
قد ألّفت عن زوجها كتاباً نُشر في سلسلة (علماء
ومفكرون معاصرون: لمحات من حياتهم،
وتعريف بمؤلفاتهم) .

ولقد ترك الشيخ أبناءً بَرَّةً ذوي اختصاص ونشاط وهم :
الدكتور الطيب حسن عبد الرحمن حبنكة الميداني ، الدكتور
الطيب وائل عبد الرحمن حبنكة الميداني، الدكتور محمد عبد
الرحمن حبنكة الميداني (وقد نال شهادته العلمية في موضوع
العقيدة الإسلامية من جامعة أم القرى) ، و الدكتورة صفاء عبد
الرحمن حبنكة الميداني (وقد حصلت على الدكتوراه في الفقه
الإسلامي)⁴ .

ث- ظروف نشأته :

1 - (حديث الذكريات مع الشيخ عبد الرحمن حبنكة) : حلقة خاصة
حاوره فيها الدكتور جاسم المطوع المشرف العام على شبكة العلماء الإلكترونية
- أضيفت في 30 جوان 2011م: <https://www.youtube.com/watch?v=aX1KORDfdcu>

2 - عبد الرحمن حبنكة الميداني العالم المفكر المفسّر زوجي كما
عرفته : عائدة راغب الجراح - دمشق ، سوريا - دار القلم - ط 1 - 2001م ، ص
13.

3 - عائدة راغب الجراح الحلاق ، أستاذة بجامعة أم القرى بمكة المكرمة لمادة
الثقافة الإسلامية والغزو الفكري بقسم الطالبات ، وعضو في جمعية البر التي
تشرف على صندوق البر الخيري ، توفيت يوم 14/05/1423هـ الموافق ل
24/07/2002م على إثر مرض عضال أصابها . انظر : معارج التفكير : عبد
الرحمن الميداني- دمشق ، سوريا - دار القلم - ط 1 - 2006 م، 9 / 766 ، 12 /
799.

4 - عبد الرحمن حبنكة الميداني العالم المفكر المفسّر زوجي كما
عرفته : عائدة الجراح، ص 17 .

نشأ الشيخ في بيت دين وعلم ودعوة وتربية ، وقد كان
بيتهم دارة علم وتوجيه، ومجمع فقه وقوى، وترعرع في
أكناف والده، يحوطه بعنايته ورعايته¹، ويُعدّه ليكون خليفة له
في العلم والدعوة.

تلقي الشيخ العلم في المدرسة الشرعية النموذجية التي
أسسها أبوه الإمام وسمّاها: معهد التوجيه الإسلامي، وهي
مدرسة داخلية مجانية²، كان نظام التعليم فيها فريداً متميزاً،
على طريقة علماء المسلمين المتقدمين، والدراسة فيها
دراسة موسوعية أصيلة، يتدرّج فيها الطلاب من مبادئ العلوم
إلى أعلى المستويات .

وكان الشيخ حسن يدرب طلابه - ومنهم ابنته عبد الرحمن
- على إعداد خطب ودروس ومحاضرات، وإلقائها، وهم لا
يزالون حديثي الأسنان، مما كان له أعظم الأثر في تمكنهم من
الخطابة والوعظ والتعليم، وفي تكوين شخصياتهم العلمية
والدعوية.

تخرّج في معهد أبيه سنة (1367هـ 1947م)، وكان أبوه
عهد إليه بالتدريس في معهده وهو ابن 15 سنة، ثم أسيد إليه
بعد تخرجه تدريس عدد من العلوم، منها: الفقه، والأصول،
والتوحيد، والمنطق، والبلاغة.

يقول عبد الرحمن الميداني : " ولوالدي يعود فضل تربيتي
وتأديبي وتعليمي علوم الإسلام وانتظامي في سلك طلاب
علوم الشريعة الإسلامية في مدرسته الشرعية التي أسسها،
وربى طلابها، وعلمهم بنفسه حتى أتت أكلها طيبة مباركة، وقد
كنت أحد من تعلم في حلقاتها، وتربى في كنفها واسم هذه
المدرسة، مدرسة التوجيه الإسلامي، وهي قائمة في حي
الميدان من مدينة دمشق الشام، وقد تخرجت منها في سنة
1367هجرية " ³ .

1 - (العلامة المفكر عبد الرحمن حنكة الميداني) : أيمن بن أحمد ذو
الغنى - 28/03/2007م -

<http://www.alukah.net/culture/0/487/#ixzz3Wc51mzhh>

2 - علماء و مفكرون عرفتهم : محمد المجذوب ، 3/ 59 .

3 - (عبد الرحمن الميداني المجاهد المفكر الكاتب الداعية الإسلامي
الكبير) : عم محمد العبدو - 01/11/2014م -

<http://www.odabasham.net/show.php?sid=79066>

2 - صفات الشيخ عبد الرحمن الميداني و المناصب التي شغلها :

الوقوفُ على صفات الشيخ عبد الرحمن الميداني ومحاولة فهم منابِعها في نفسه لا يتحصّلُ على وجه الكمال إلا بإدراك صفاتِ والدِهِ الشيخ حسن رحمه الله . و أدعُ الشيخ عبد الرحمن يُحدِّثنا عن أبرز صفاتِ والده التي تركت أكبر الأثر في حياته و اتجاهاته على أكثر من صعيد .

و الواقعُ الذي يُنبئُ عنه حياةُ الابنِ أنه وارثُ تلك الصفاتِ من أبيه ، بيئته الأولى التي تربى فيها و على يديها ترعرع ، حتى صارت صفاتُ والدِهِ صفاتٍ له ، حتى وهو يحكي صفات والده كأنه يحكي صفاته هو رحمهما الله جميعا :

قال الشيخ مجد مكي : " و شيخنا عبد الرحمن ورتَ الكثيرَ من علم أبيه ، وانطبعَ بجميل أخلاقه ، وسمو نفسه ، وهو إلى جانب علمه أديبٌ شاعرٌ ، مرهف الحس " ¹ .

بل قد صرّح الشيخ عبد الرحمن بهذا الأمر و شهدَ به وهو يُهدي كُتبه إلى والده حسن رحمهما الله تعالى . قال في إهدائه كتاب " **العقيدة الإسلامية و أسسها** " : " إلى روحِ والدي العلامة المجاهد الشيخ حسن حبّكة الميداني ، الذي أسسَ في فكري أصول الاعتقاد ، و غرسَ في قلبي شجرة الإيمان ، وحبَّ تطبيق شرائع الإسلام و أحكامه ، ودرّبني منذ نعومة أظفاري على ممارسة المعرفة السليمة ، والقيام بواجبات الدّين ، تغمّدهُ اللهُ برحمته " ² .

ويقول في تقديم كتاب " **الحضارة الإسلامية أسسها و وسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها ولمحات من تأثيرها في سائر الأمم** " : " إلى العالم الرّصين ، و المُربّي الحكيم ، المجاهد البطل ، الشجاع في الحق ، المقدم الذي لا يخشى في الله ملامًا ، ولا يرصى دون منازل الشهداء مقامًا ، والدي و مُربّي جسدي و عقلي و روحي سماحة الشيخ حسن حبّكة الشهير بالميداني ، حفظه الله ، و أقرّ عينيه بنصر الإسلام و مجد المسلمين . فهو الذي تزوّدتُ

1 - رجال فقدناهم : مجد مكي ، 784 / 2 .

2 - العقيدة الإسلامية و أسسها : عبد الرحمن الميداني - دمشق ، سوريا - دار القلم - ط 12 - 1425 هـ ، ص 5 .

من العلم على مائدة حلقاته ، و نهلت من المعرفة في مدرسته الفدّة التي أسّسها في دمشق الشام باسم " معهد التوجيه الإسلامي " ، وتأدّب بما كان يُلزمنا به من آداب نبويّة في ليله ونهاره ، وغدّواته ورؤجاته ، وما هذا الكتاب الذي أقدمه اليوم للمكتبة الإسلامية إلا ثمرة من ثمرات ما غرس في أبنائه ، وتلامذته وبلده من علم صحيح ، و محاكمة مشرقة ، ومنطق سديد ، وتوجيه نحو الفضائل ، و عشق للإسلام ، وغيره على المسلمين¹ .

فانظر أخي إلى مجموع هذه الصفات و تذكرها فقد غرسها الوالدُ حسن رحمه الله في نفس ولده عبد الرحمن : العلمُ الرصين ، و التربية الحكيمة ، و البطولة والجهاد ، الإقدام و عدم الخشية إلا من الله ، الطموح و عدم الرضا بما دون منازل الشهداء مقامًا ، مع العلم الصحيح ، والمحاكمة المُشرقة ، و المنطق السديد ، والتوجه نحو الفضائل ، و عشق الإسلام ، والغيرة على المسلمين . . كلها صفاتٌ تميّز بها الوالدُ العلامة حسن رحمه الله و غرسها في نفوس تلاميذه وطلّابه و الذين منهم ولده عبد الرحمن .

يحكي الشيخ عبد الرحمن الميداني عن والده يقول : " وكان من منهجه في دروسه وخطاباته أن يتعرّض للمشكلات المعاصرة الاجتماعية و الدّينية و السياسية ، فيأمُر بالمعروف و ينهى عن المنكر ، وينصَح للجميع دون استثناء ، لا يخاف في الله لومة لائم ، ولا يُحايي ولا يُداجي في الحقّ أحدًا " ² .

وقال المؤلّف رحمه الله تحت عنوان : " **مناصحته للحكّام ومكافحته لأعداء الإسلام** " بين فعاليته و جراته في الحق و نضاله في سبيل خدمة الدّين و المجتمع : " وفي خصمّ مناصحته للحكّام ومكافحته لأعداء الإسلام و جراته في الحقّ ونضاله الحكيم أذكر النبذ التالية : حرّك الجماهير

1 - الحضارة الإسلامية أسسها و وسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها ولمحات من تأثيرها في سائر الأمم : عبد الرحمن الميداني - دمشق ، سوريا - دار القلم - ط 2 - 1435هـ ، ص 5 .

2 - العلامة المجاهد الشيخ حسن حبّكة رحمه الله هكذا عرفت أبي : عبد الرحمن الميداني - حضارة الإسلام - العددان (8 - 9) - 1398هـ - 1978م ، نقلًا عن رجال فقدهم : مجد مكي ، 787 / 2 .

المسلمة لإلغاء قانون الطوائف الذي وضعته الدولة الاستعمارية الفرنسية ليُطبَّق على المسلمين في سورية ولبنان . ويتضمن هذا القانون أحكامًا تخالف الشريعة الإسلامية فيما يسمى بالأحوال الشخصية ، وكان من توفيق الله له أن تراجعت الدولة عن قرارها فأوقفته .. " ¹ .

وذلك أنَّ الاستعمار الفرنسي سنَّ قانونًا في سورية باسم " **قانون الطوائف** " ، وفيه تجويز زواج المسلمات باليهود والنصارى وغيرهم من طوائف بلاد الشام؛ فقام الشيخ في وجه الاحتلال الفرنسي وبقوة، ونظم مظاهرة كبيرة خرجت من حي الميدان تريد مبنى رئاسة الوزراء، وضجت الحكومة بها وخافت من عواقبها وطلبت من الشيخ حسن إرجاع المتظاهرين ليتسنى للمندوب السامي الفرنسي الاتصال بحكومة بلاده واستشارتها في إلغاء القانون فوافق الشيخ، ثم ألغى القانون بعد ذلك بفضل الله تعالى ثم بفضل قوة الشيخ وإقدامه، ولقد كان شعار المظاهرة: " **ديننا لا نبغي به بديلا، وليسقط قانون الطوائف** " ² .

وقال محمد سعيد رمضان البوطي يحكي عن أخلاق شيخه حسن رحمه الله : " أما في نطاق الأخلاق الشخصية، فإنني أرى أن أهم ميزة أوتيها فقيد العالم الإسلامي، أنه كان يتمتع بكل من صفتي الشموخ والتواضع معاً، بالغاً في كل منها الذروة التي تتصورها، وكان الأهم من هذا أنه كان يضع كلاً من هاتين الصفتين من حياته في الموضوع المناسب. فإن اقتضى الموقف اعتزازاً وشموخاً، لم يستطع أن يغلب شموخه من الجبابة أحد، وإن اقتضى الموقف تواضعاً وليناً، لم يتدان إلى لينه وتواضعه أحد " ³ .

1 - **رجال فقدناهم** : مجد مكي ، 2 / 787 .

2 - (**ترجمة الشيخ حسن حبنكة الميداني**) : محمد موسى الشريف -
22 / 08/2015م : http://www.rocham.org/index.php/23-2013-12-03-12-37-24/2013-12-03-12-37-48/27-2013-12-09-14-40-57

3 - (**الشيخ حسن حبنكة الميداني**) : محمد سعيد رمضان البوطي -
25/08/2010م : http://forum.islamstory.com/14660-
%C7%E1%D4%ED%CE-%CD%D3%E4-%CD%C8%E4%DF%C9-
%C7%E1%E3%ED%CF%C7%E4%ED-%C8%DE%E1%E3-%CA
%E1%E3%ED%D0%E5-%C3-%CF-%E3%CD%E3%CF-%D3%DA

وقال محمد سعيد رمضان البوطي أيضًا عن شيخه حسن - رحمهما الله - تحت عنوان : " **فراسته وبراعته في معالجة الأمور** " . . ثم إن الشيخ - رحمه الله - كان قد أوتي - إلى جانب انكبابه على العلم وشغفه بالدعوة إلى الله - دراسة ثاقبة وحكمة دقيقة، وبراعة نادرة في معالجة الأمور والمشكلات، وتقديرًا قلَّ أن يخطئ لعواقب الأمور ونتائج الأحداث؛ كل ذلك مع جرأة في الحق تستعلي على جميع المخاوف والأخطار . ولقد شهد من مناورات أولي الأمر الذين تعاقبوا على سدة الحكم خلال جيل من الزمن، ألوانًا وأصنافًا، فما خدع منها بلون ولا غرَّه منها ظاهر " ¹ .

هذا طرفٌ من حديث تلميذٍ والمدِّه الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي ، مع ما سبق من حديث الشيخ عبد الرحمن عن والده يبيِّن أنه ما كان لهذا العرقِ وهذه الأسرة إلا أن يُنتج الرجال ويهب النوايغ الأبطال .

ولذلك فإنَّ الشيخ عبد الرحمن رحمه الله كان كآبِه طاقةً معطاءةً ، عالمًا زاهدًا ورعًا ، خطيبًا مفوهًا ، و كاتبًا لامعًا ، وشاعرًا بليغًا ، تتدفق الكلمات على لسانه كالحمم ، فإذا لان وهدأ سالت عذوبة ورقة ، دمت الأخلاق ، يآلف ويؤلف ، شجاعًا لا تأخذه في الحق لومة لائم ، صاحب علم رصين ، و تربية حكيمة ، و بطولة وجهاد ، و إقدام و عدم الخشية إلا من الله ، صاحب طموح و عدم الرضا بما دون منازل الشهداء مقامًا ، مع العلم الصحيح ، والمحكمة المُشرقة ، والمنطق السديد ، والتوجه نحو الفضائل ، وعشق الإسلام ، والغيرة على المسلمين ، وقد عاش رحمه الله غريبًا ، ومات غريبًا بسبب جرأته في قول الحق ، ويكفيه فخراً أنه سليل سلطان العلماء حسن حبّكة .

وأضيفُ فيما يلي ما تميز به الشيخ أيضًا من صفات أخرى ذكرها عنه زوجته و تلامذته ومحبوه :
أ- الشيخُ طاقةٌ معطاءة :

<http://www.25/08/2010>

1 - (الشيخ حسن حبّكة الميداني) : محمد سعيد رمضان البوطي - 25/08/2010 م .

الشيخ رحمه الله تعالى يُعَدُّ بحق مدرسة علمية متميزة قائمة بذاتها ، في عطائها وإنتاجها، وابتكارها واستنباطها، وتحليلها وربطها . وقد وفقه الله سبحانه إلى ذلك الإنتاج العلمي الغزير ، بما حياه الله من ذكاء وبصيرة نفاذة ، وأفق واسع ، وأساس علميٍّ متين ، وتمكن من علوم كثيرة ، كعلم المنطق ، والأصول ، واللغة ، والفقهاء .. مع إخلاص عميق ، وصلة قوية بالله عز وجل ، واعتماد عليه سبحانه ، واستشعار لفقره وحاجته الدائمة إلى عطائه عز وجل وعونه .
ومع ذلك كم كان يُردد ويقول ويؤكد : " أنه ليس عنده شيء ، و أن كل ما يكتبه هو من فيض عطاء الله عليه ومَدَدَه وتوفيقه ، وكان يؤكد في لقاءاته مع إخوانه وأبنائه من طلبة العلم على ضرورة التزام منهج الوسطية ، والبعد عن الغلو والشطط في كل صورته وأشكاله ، ويحذر من التبعية العمياء، والتعصب والانغلاق ، ويدعو إلى دوام التفكير والتأمل والتبصر ومراجعة الأمور والنظر في عواقبها " ¹ .

ب- زُهْدُهُ فِي الدُّنْيَا وَالمَنَاصِبِ :

كان يرسخ في نفوس طلابه معاني الإخلاص والصدق ، وابتغاء رضا الله سبحانه ، وإيثار المدار الآخرة ، ويحذر من حظوظ النفس وشهواتها وتزييناتها . وكان من أشد الناس زُهْدًا في المناصب ، وقد عرض عليه أن يكون مفتياً للجمهورية السورية ، وأغري بهذا المنصب ، ففَرَّ منه ، واضطر أن يقيم بعيداً عن موطنه خمسة وعشرين عاماً ، لم يزره خلال هذه المدة الطويلة إلا في الأشهر القليلة التي عاد فيها إلى دمشق قبيل وفاته .

قال مجد مكي : " وسمعتَه يقول : لقد حاول بعضهم إلزامي باستلام منصب المفتي العام، لكنني فررت منه ، وأكرمني الله بالإقامة بمكة المكرمة ، والتفرغ لكتابة التفسير ، وهذا من فضلِ الله عليَّ ، ولو قبلت ذلك المنصب لكنت مطية ذلولاً ، وعبدًا مطواعاً ولركبت سيارة فخمة سوداء تنتهي بي إلى غضب الله تعالى ، فأثرت الباقي على الفاني ، والعلم النافع على الزغل والزيغ " ² .

1 - رجال فقدناهم : مجد مكي ، 2 / 2009 .

2 - نفسه .

و من أجمل المواقف في بيان زهده في الحياة الدنيا و زينتها ما حكاه ولده الدكتور وائل عبد الرحمن الميداني في مقال له عن والده بعنوان (**درس تعلمته من والدي الشيخ عبد الرحمن حنكة الميداني**) أنقله بطوله لفائدته ، قال يحكي عن الأيام التي سبقت وفاة الوالد رحمه الله : " دون سابق تحضير قال لي الوالد : دعنا ننتقلُ إلى بيتك الجديد يا بني ... فقلتُ له : بقي بعض التشطيبات وتتمهُ الفرش والأثاث يا أبي وستنتهي خلال أسبوعين تقريباً بإذن الله ... فقال لي : دعك من التفاصيل يا بني وهيئ غرفةً ننتقل إليها ودعني أتابع عندك تفسير سورة البقرة وهي السورة الأولى من السُور المدنيّة ليتبارك بيتك بكتاب الله !!! قبل أن تخطفنا يدُ المنيّة ! " .

ويضيف ولدُهُ وائل عبد الرحمن الميداني قائلاً : " سارعْتُ خلال يومين و جهزتُ غرفةَ الجلوس ووضعتُ فيها سريراً للوالد وكانت غرفةً كبيرةً وجميلةً تُطلُّ على حديقة المنزل ... وأحضرتُ عُرفَ النوم فقط بانتظار الصالونات وغرفة السفر ، وانتقلنا مع الوالد رحمه الله إلى البيت ، حسب رغبة الوالد ، وأكرمنا الله بأن شهد المنزلُ تفسير آخر سورةٍ مكية في القرآن ، وتفسير بداية أول سورةٍ مدنيّة وهي سورة البقره " .

يستمر يحكي يقول : " بعدَ عدّة أيّام من انتقالنا إلى البيت الجديد وفّقني الله بشراء لوحاتٍ جداريّةٍ قرآنيّةٍ ولوحاتٍ زيتيّةٍ لمناظرٍ طبيعيّةٍ تضمُّ صوراً لجبالٍ وبحارٍ وسهولٍ وهضاب ... اشتريتها من بائعٍ جملةٍ بسعرٍ يعدل ربع سعرها الحقيقي في محلات بيع اللوحات الموجودة في أسواق دمشق ... وكانت لوحاتٍ جميلةً فخمةً تتفق مع ما كان عليه حال البيت !!! . جاءت كلّها دفعةً واحدةً بعد صلاة الظهر مع الفنيّ المسؤؤل عن تركيبها في البيت وقد حدّث له الأماكن التي أرغب بها على جدران المنزل وذهبت في قضاء بعض حوائجي خارج المنزل ريثما ينتهي الفنيّ من تركيبها ، والوالدُ في سريره مُنشغلٌ في تدبّر القرآن ... وعندما رجعت بعد ثلاث ساعات تقريباً وجدتُ اللوحات قد أخذت مكانها حسب التوجيهات ، ولكنّي رأيت وجه والدي أصفرَ وعليه علاماتٌ عدم الرضا !!!

فسألته : خير يا أبي ؟! أراك غير مرتاح ووجهك يدل على عدم
الرضا !!! هل أخطأ بحقك أحد من الأولاد أو الأسرة أو الرجال
الذين أشرفوا على تركيب اللوحات ؟!؟!
فقال عاتباً : " ليش هيك عم تساوي يا إبنى ؟! ليش
هاللوحات هي ؟! " .
فقلت له : لوحات قرآنيّة ، ومناظر طبيعيّة ولا يوجد فيها
مخالفة شرعيّة ...

فقال لي : " بعرف .. ولكن ليش عم تحقّق كل يّلي في
نفسك يا بُنى ؟! ، ألا تعلم أن بالدنيا إذا اكتملت في عين
صاحبها فإنّما أنّ يُأخذ منها أو أنّها تُأخذ منه ! " .
وقفتُ مشدوهاً أمام كلامه وأمام وجهه الذي يقطرُ شفقةً
علي ... ولم أنبس بنتِ شقّه .!

وتابع الوالد يقول : " يا بني لا تنشد الكمال في زخرف
الدنيا وزينتها ودع في أحلامك ما تسعى لتحقيقه .. وانشد
الكمال في أمور الآخرة ففيها السعادة الحقيقيّة وفيها
المكاسب والمغنم " .

ثم قال الدكتور وائل عبد الرحمن : " قبّلتُ أسفل قدّمه
وأنا امسح دموعي وفي أذاني يتهدّج صوت دعواته وهو يقول :
" حماك الله يا بني وحفظك من كل سوء وجعلك ممن يدركون
الحقيقة قبل فوات الأوان " ¹ .

ت- بُعْدُهُ عَنِ الشَّهْرَةِ وَحُبِّ الْعَاجِلَةِ ² :

كما كان يبتعد عن الشهرة والأضواء ، وبكره النفاق
والتملق ، وهو خبير بدخائل المنافقين ، ومسالك أعداء الإسلام
. ومن مظاهر نفرتة عن الشهرة وحُبِّ العاجلة، أنه لم يتطلع
إلى جائزة تقديرية من أي جهة علمية، وهو جدير بها، وأهل
لها، بما قدم من دراسات قرآنية مبتكرة، وكتب فكرية عميقة .
ولا يرضى أن ترشحه بعض الجهات لهذه الجوائز ، ويعد ذلك

1 - (درسٌ تعلّمته من والدي الشيخ عبد الرحمن حبّكه الميداني رحمه الله) -
الدكتور وائل عبد الرحمن حبّكه الميداني -
الخميس 10 جمادى الثانيّة 1438 هـ -
<http://www.islamsyria.com/portal/cvs/show/832>

منقصةً للأمر الذي ادخره الله سبحانه لعباده الصادقين المخلصين .

وقد رغب إليه بعض الوجهاء أن يكرمه في حفل كبير ، يدعى إليه كبار العلماء والأدباء والمفكرين ، يتناولون فيه عطاءه الفكري والدعوي والتربوي ، ويشيدون بجهوده ، فأبى وامتنع رغم الإلحاح الشديد، خوفاً من شوائب الرياء، وفراراً من حب الثناء والتفاخر .

ث- حبه للحوار العلمي و سعة الصدر

للمناقشة :

ومن أخلاق الشيخ حب المناقشة والحوار العلمي ، وسعة الصدر والتحمل لأسئلة السائلين ، قال الشيخ مجد مكي : " وكُم من مرة اتصلتُ به بالهاتف في بيته بمكة المكرمة ، أسأله عن قضية علمية أستشككها ، أو استغلق علي فهمها ، أو عن رأي قد أخالفه فيه في بعض كتبه ، فكان يُسرُّ جداً بتلك المناقشات، ويتسع صدره لها، ويبيدي وجهة نظره التي ذهب إليها ورجحها . . كما كان يفرح بكل فائدة علمية جديدة أو تصويب.. وقد قمت بقراءة تفسيره الأخير، واستعرضت جميع كتبه النافعة ، وبيّنت له بعض الأخطاء المطبعية النادرة ، وكتبت له بعض الآراء والأقوال التي ذهب إليها في كتبه السابقة، مما يخالف ما ذهب إليه ورجّحه في تفسيره التدبري الأخير.. فذهب إلى ترجيح ما ذهب إليه في تفسيره، الذي وصل فيه إلى ترجيحاته بعد دراسة متأنية لكل سورة، وسبر لكل كلمة قرآنية.. ووعد بأن ينبه إلى ذكر ما خلف اجتهاده وترجيّحه في كتبه السابقة لتفسيره، وشكرني على ما قمت به، ودعا لي بكل خير " ¹ .

ج- حرصه الشديد على الوقت :

كان الشيخ رحمه الله - كما حكى عنه تلامذته - شديد الحرص على وقته ، فلا يكاد يُرى إلا قارئاً أو كاتباً ، أو محاضراً أو مناقشاً ، وكان ذا دأب وجَلَد على العلم المتواصل ، وكان موسوعي الثقافة ، واسع الاطلاع . وقد تميز نتاجه العلمي بالغزارة مع العمق والشمول، وقد جمع في كتاباته بين القديم

والحديث، وبين التخصص الشرعي الدقيق والعلوم الدينويّة العصرية .

ح- أعماله والمناصب التي اشتغلها :

عين مدرساً لمادة التربية الدينية في ملاك وزارة التربية والتعليم من سنة 1954م ، وحتى أواخر سنة 1960م .
ثم انتقل إلى ملاك وزارة الأوقاف وتسلم فيها مديرية التعليم الشرعي المحدثه بموجب القانون 226 - لعام 1959م ، فتسنى له أن يقوم بخدمة المدارس الشرعية في سورية ، وأن يعمل على تنظيم شؤونها ، وقد كان في إدارته حكيمًا رَشِيدًا، يعملُ بهمةٍ وصمتٍ، ومن أهمِّ ما أنجزه في إبان إدارته: تأسيسُ عددٍ من المدارس الشرعية في بعض المحافظات السوريّة، منها ثانوية شرعية للإناث بدمشق، وأخرى بحلب .
ودرس مادة العقيدة الإسلامية وأسسها في الثانوية الشرعية بدمشق بين عامي 1381- 1385، وجمع تلك الدروس في كتاب سماه : (العقيدة الإسلامية وأسسها) .
شارك بشعره وخطبه في المطالبة بوضع مادة (دين الدولة الإسلام) في صلب الدستور .

في عام 1966م ألقى قصيدة تهجم فيها على الحكم القائم ، فاستدعاه وزير التربية د. مصطفى حداد إلى جلسة تحقيق في الوزارة، ثم سرح في يوم سجن والده وعمه وأخوه .

عرض عليه وزير التربية سليمان الخش أن يكتب مناهج التربية الإسلامية وأن يدخل فيها المفاهيم الاشتراكية فرفض الطلب فسرح من عمله ولوحق .
هاجر بعد الأحداث إلى مكة المكرمة ، وعمل أستاذاً في جامعة أم القرى هناك¹ .

وشارك في احتفالات عمادة شؤون الطلاب بجامعة أم القرى بمكة عام 1403 وألقى فيها بعض قصائده مثل : شموع ودموع ، كما شارك في احتفالات رابطة العالم الإسلامي بمنى ...وحضر المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة الذي

دعت إليه الجامعة الإسلامية 1404 هجرية، ونشر في المجلات السعودية (الندوة) و (أخبار العالم الإسلامي) .

سافر إلى الحج للمرة الأولى عام 1371 هجرية ، وسافر إلى بومباي بالهند لتعليم كريمات الشيخ محمد علي زينل علي رضا ، علوم الدين واللغة العربية عام 1371 هجرية ، وسافر إلى تركيا عام 1404 هجرية .

ولما بلغ عمره سبعينَ عاماً قضى نظام السن بإعفائه من العمل الرسمي الأكاديمي في جامعة أم القرى .

واختيرَ الشيخُ عبد الرحمن عضواً في المجلس التأسيسيِّ لرابطة العالم الإسلاميِّ في مكة المكرمة، وعضواً في مجلس هيئة الإغاثة الإسلاميَّة العالمية.

وكان له الكثير من المشاركات في المؤتمرات والندوات ، منها : مؤتمر التعليم الإسلامي ، ومؤتمر الاقتصاد الإسلامي ، اللذان عُقدا في مكة المكرمة ، ومؤتمر الأدب الإسلامي الذي عقد في " لكهنو " الهند ، ومؤتمر المدعوة والدعاة الذي عقد في المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والتسليم ¹ .

وله مشاركات كثيرة في إلقاء المحاضرات العامة ، والأمسيات ، والندوات العلمية، ضمن الأنشطة الثقافية داخل جامعة أم القرى وخارجها .

وله إسهامات إعلامية تلفازيه وإذاعية في المملكة العربية السعودية يومية وأسبوعية ما يزيد على ثلاثين عاماً ، وهي ² :

- برنامج يومي استمرَّ ثلاث سنوات ، وهو بعنوان " أعداء الإسلام " ، كشفَ فيه عن دسائس الغزو الفكري .

- برنامج يومي حوارِي استمرَّ خمس سنوات ، بعنوان " الإسلام هو الطريق " ، وقد مثَّل فيه طائفة من العلماء يتبادلون الرأي حول مواضيع إسلامية .

1 - نفسه : 3 / 62 .

2 - تفاسير القرآن الكريم حسب ترتيب النزول دراسة وتقويم : طه محمد فارس - عمان ، الأردن - دار الفتح للدراسات و النشر - ط 1 - 2011م ، ص 823 .

- برنامج يومي بعنوان " آمنت بالله " استمرّ دورتين
إذاعتين ، تخلّته قصائد شعرية إيمانية نظّمها لهذا الغرض .
- برنامج أسبوعي حول تدبّر كتاب الله عز وجل وفق
ترتيب النزول ، استمر أكثر من خمسة عشر عامًا .

وفاته :

مات الشيخ عبد الرحمن صباح الأربعاء 25 من جمادى
الآخرة عام 1425هـ ، الموافق الحادي عشر من أغسطس
عام 2004م . بعد أن عانى في سنواته الأخيرة من الأمراض
الباطنية، وبعد أن صبر الصبر الجميل على آلامه، مات وهو في
أمراضه، ونرجو أن يكون موته على شُعبة من شُعب الشهادة
التي بشر بها الرسول صلى الله عليه وسلم .

وشيعت جنازة الشيخ عصر يوم الأربعاء ، وكانت جنازة
حافلة مشهودة ، خرج فيها آلاف المشيعين من العلماء
والكبراء والعامّة ، تملؤهم الحسرة وتمصّهم الأحزان ، وصلى
عليه في جامع الأمير منجك ، في حي الميدان وأبنته عقب
الصلاة شيخ قرآء الشام فضيلة الشيخ محمد كريم راجح ،
وألقى ولده الدكتور وائل قصيدة في رثائه ، ثم ووري في
مثواه الأخير من دار الدنيا بمقبرة الجورة في حي الميدان .

ثانيا : الحياة العلمية للشيخ عبد الرحمن حسن حبّكة الميداني

1- مسيرته و تحصيله العلمي : أ- بداية تحصيله العلمي :

تلقى الشيخ دراسته في معهد التوجيه الإسلامي على المنهج العلمي لإصيل مع التربية العملية، حيث كان والده الشيخ حسن يكلف طلابه بإعداد الدروس وإلقاء الخطب في المساجد مما كان له أعظم الأثر في تمكّنهم من الخطابة والوعظ والتعليم ، وفي تكوين شخصياتهم العلمية والدعوية . وبدأ الشيخ عبد الرحمن يُعلم منذ كان عمره خمس عشرة سنة في معهد والده.

ولما تخرّج من المعهد سنة 1367هـ - (1947م) أسند إليه تدريس مواد مختلفة فيه ، منها علوم الفقه ، والأصول ، والتوحيد ، والمنطق ، والبلاغة حتى سنة 1370هـ .

ب- انتقاله إلى الأزهر الشريف طالباً للعلم :

انتسب إلى كلية الشريعة في الأزهر الشريف في سنة 1371هـ ، حتى حاز على الشهادة العالية (ليسانس في الشريعة) في سنة 1373 هـ ، من الكلية المذكورة ، ثم حاز على شهادة العالمية مع إجازة في التدريس ، (ماجستير في التربية وعلم النفس) في 1374هـ .

وكان مقرّباً من العالم الفاضل الكبير الشيخ الحَضر حسين، شيخ الأزهر، فكان يزوره في بيته، ويُملي عليه الشيخ أموراً من مسيرة حياته ¹ .

وبعد تخرّجه من الأزهر الشريف صار أستاذاً في ثانويات دمشق الشرعية والعامّة ، إضافة إلى التدريس في معهد أبيه . وتسلم مديرية التعليم الشرعي التابعة لوزارة الأوقاف، وكان في إدارته حكيماً رشيداً، يعمل بهمة وصمت، ومن أهم ما أنجزه في إبان إدارته : تأسيس عدد من المدارس الشرعية

1 - العلامة الشيخ عبد الرحمن حبّكة قصّة حياة ومسيرة علم وجهاد :
محمد علي دولة - 07/09/2013م - <http://www.itihad.org/biography>

في بعض المحافظات السورية، منها: ثانوية شرعية للإناث بدمشق وأخرى بحلب .

ت - انتقاله إلى المملكة العربية السعودية مدرّساً في الجامعة :

في سنة (1387 هـ - 1967 م) انتقل إلى العمل في المملكة العربية السعودية وعمل أستاذاً في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض لمدة سنتين ، ثم انتقل عمله إلى مكة المكرمة ، فعمل أستاذاً في جامعة أم القرى زهاء ثلاثين عاماً .

وقد أسند إليه في هذه الجامعة تعليم مواد مختلفة ، دينية ودعوية ، ولما بلغ من عمره المبارك سبعين عاماً أعفي من عمله الرسمي في الجامعة ، واختير عضواً في المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة ، وعضواً في مجلس هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية .

ث - علماء و أدباء تأثر بهم في تكوينه :

في حصة حديث الذكريات سأله الأستاذ جاسم المطوع : دكتور لو انتقلنا إلى بعض مؤلفاتك وكتبك ، ولكن قبل أن ندخل في المؤلفات ؛ هل فيه ثم علماء أو مفكرون تأثرت بهم غير الوالد ؟ . فأجاب رحمه الله : " ربّما من قرأ لهم من كبار المفكرين التاريخيين للأمة الإسلامية كان يُعجبني الإمام الغزالي في تحريره للمسائل دع كتابه إحياء علوم الدين لأنّ هذا كتبه للوعظ و الإرشاد والتوجيه، لكن خذ كتابه المستصفى وكتابه في الفقه فكر نادر في التاريخ الإسلامي محرّر يعني يقيس الحرف والكلمة بمقياس الفكر ، ويناظر الآخرين بمنظار فكري درس الفكر والمنطق وردّ على الفلاسفة و الملاجدة . . . ولو خرج من المسلمين من ناظر الغزالي ؛ لكن الغزالي فكرٌ نظيف ومحرّر " ¹ .

فكان أبو حامد الغزالي رحمه الله من أكثر العلماء تأثيراً في تكوين الشيخ و بناء مَلَكته و تأسيسها على تلك الأصول المنهجية الراقية القائمة على دقة النظر وعمق التبصّر والتفهم والمنطق والاستدلال .

1 - (حديث الذكريات مع الشيخ عبد الرحمن حبنكة) : جاسم المطوع ، من 12:36 دقيقة إلى 14:18 دقيقة .

وقال رحمه الله تعالى : " و تأثرت أيضًا في الجوانب الأدبية بكتب الأدب ، لعلّي استقرت معظم كتب الأدب قراءةً وكنا نتابعها ، فأعطتني هذه ملكة بيانية مع الأدب المعاصر الذي نشأ في أوائل هذا القرن من مصر و من الشام وكذا . ولي ميلٌ لنظم الشعر ، و لو تركتُ هذه الكتب¹ ونظمتُ الشُّعرَ لفتحَ اللُّهُ عليَّ بعشرات الدواوين ، لكن أكرمني الله سبحانه وتعالى بأن أفرَّغَ للفكر الإسلامي وخدمة كتاب الله " ² .

2- تلاميذه ومؤلفاته :

أ- تلاميذه :

درس على يديه الكثير من أهل العلم وطلبتيه منهم : محمد عوامه ، والشيخ عبد الله التليدي ، والدكتور أنس الزرقا ، والشيخ محمد نبيه سالم ، والأستاذ محمد علي دولة ، والأخ الشيخ حسن قاطرجي ، والدكتور قاسم سعد ، والأستاذ محمد الحسنائي ، ورمزي دمشقية ، ومحمد بن ناصر العجمي ، ونظام يعقوبي ، ومحمد بن عبد الله الرشيد... وغيرهم كثير . قال تلميذه مجد مكي : " لقد حظيت بالتعرف على فضيلة الشيخ مند قدومي إلى مكة المكرمة سنة 1400، وحضرت بعض دروسه ومحاضراته في الجامعة، وقرأت أكثر كتبه، وانتفعت بها انتفاعاً كبيراً، ثم كثرت زياراتي له، واتصالي به، بعد تفرغه من عمله الجامعي، وتوجهه لتفسيره التدبري.. فكنت أزوره في كل أسبوع بمنزله بمكة المكرمة.. وقد زرتُه بصحبة الكثير من العلماء وطلبة العلم ، ومنهم علي سبيل المثال : الشيخ : محمد عوامه ، والشيخ عبد الله التليدي ، والدكتور أنس الزرقا ، والشيخ محمد نبيه سالم ، والأستاذ محمد علي دولة ، والأخ الشيخ حسن قاطرجي ، والدكتور قاسم سعد ، والأستاذ محمد الحسنائي ، ورمزي دمشقية ، ومحمد بن ناصر العجمي ، ونظام يعقوبي ، ومحمد بن عبد الله الرشيد . . وغيرهم كثير . وكنا نلقى منه كل حفاوة وتكريم، ونستفيد من توجيهاته التربوية، وفوائده العلمية . وبعد عودته إلى دمشق استمرت صلتني به .. وكتبت دراسة تعريفية

1 - يقصد مؤلفاته .

2 - (حديث الذكريات مع الشيخ عبد الرحمن حبنكة) : جاسم المطوع، من 14:18 دقيقة . 15:17 دقيقة .

موجزة عن تفسيره التدبري ، وقد أرسلت له تلك الدراسة لاطلاعه عليها قبل طباعتها، فاستحسنها، واتصل بي من دمشق يشكرني عليها . وكنت أتصل به إلى دمشق أطمئن عن صحته وعطائه .. فأجده مستبشراً متفائلاً فرحاً .

وقد ذكر لي في آخر مكالمة هاتفية عن انتهائه من تفسير السور المكية ، حيث أتم بعد عودته إلى دمشق ، تفسير السور المكية التالية : المعارج (79) والنبأ (80) والنازعات (81) والانفطار (82) والانشقاق (83) والروم (84) والعنكبوت (85) والمطففين (86) ، وحدثني عن اللمحات التدبرية التي استنبطها من سورة العنكبوت التي كانت تعدُّ المسلمين للهجرة إلى مكة المكرمة ، وأفاض في حديثه عما يفتح الله عز وجل عليه من حسن تدبر لكتابه العظيم ، وما وهبه من همة وعزم ونشاط على متابعة الكتابة فيه وكنت أدعو الله سبحانه له بتمام العافية والتوفيق لإتمام تدبره لكتاب الله سبحانه .

ولكن حال الأجل دون تحقيق الأمل ... ولئن لم يتم الشيخ تفسيره ، فقد قدم بما كتب ثروة علمية ضخمة ، وزاداً تدبرياً وفيراً ، ورسم منهجاً فريداً لتذوق كلام الله وحسن تدبره . وإن فيما كتب من كتب أخرى كثيرة تدور حول كتاب الله ، لا سيما " ظاهرة النفاق " في مجلديه ، حيث فسر قسماً مهماً من السور المدنية ، وكذلك كتبه الأخرى : " فقه الدعوة إلى الله " ، " والأخلاق الإسلامية " ، و " ابتلاء الإرادة " ، و " أمثال القرآن " وفيها من المباحث القرآنية والفوائد التفسيرية الكثير الطيب المبارك " .

وقال تلميذه محمد علي دولة : " ولا يسعنا إلا أن نحمد الله على كل حال ونسلم بقضائه ونرضى به كل الرضا . كان رحمه الله كلما سأله: أين وصلت في التفسير؟ يجيبني بأن ما يكتبه ليس من عنده، وإنما هو من توفيق الله عز وجل وعطاء من عطائه . تخلق الشيخ الميداني بأخلاق الإسلام ونال نصيباً كبيراً من مكارم الأخلاق، كان متواضعاً، لطيف المعشر، ودوداً بشوشاً، مخلصاً في علمه - إن شاء الله - إذ كان يعزو كل

فضل وتوفيق إلى الله، وكان يريد بعمله وجه الله عز وجل، ولا يريد أن يُمدح وأن يُطرى بما ألف وكتب¹ .

وقال محمد علي دولة يحكي عن أخلاق الشيخ : " دُعي لحفل تكريم في دارق عامرة اشتهرت بتكريم العلماء والفُصلاء في جُدّة، وكنت المكلف بتبليغه هذه الدعوة، فقال لي: لا أحب أن يمدحني الناس، وإنما أريد أن يتقبّل الله عملي، فقلت: إن هذا الحفل يستفيد منه كثير من الناس من علمك ورأيك، وسوف تُسأل أسئلة عديدة وتجب عنها، فقال لي: هل تضمن لي أن لا أمدح؟ قلت: لا، فقال: إذن لا أريد حفل التكريم هذا!²"

وقال أيضا : " كان رحمه الله بعيد النظر، لا يُخدع من قريب، ولا يضع نفسه في مواضع يأسف عليها فيما بعد، فلقد دعت قناة الجزيرة في قطر للمشاركة في برنامج (الاتجاه المعاكس)، فسأل مقدّم البرنامج: هل من أرضية مشتركة ولو قليلة بيني وبين المحاور؟ فأجابه: لا، فقال: اعفني إذن. ونعم ما فعل الشيخ، فلقد كان مُحاوره، كما نشاهده في التلفاز، كاتباً غوغائياً لا يلتزم المنطق، ولا يصدر عن أسس فكرية محترمة، وكان ولا يزال يجتهد في محاربة الإسلام ومخاصمة الدين!³ "

ب- مؤلفاته :

لا يتسع المجال للتعريف بالكتب والرسائل التي خلفها الشيخ عبد الرحمن الميداني رحمه الله أو ناقشها ، لأنّ هذا يحتاج إلى صفحات مطولة لا يتسع لها الفصل التمهيدي الذي لا يعدو أن يكون تاريخاً لمراحل حياته وإطلاقة علي رحاب شخصيته من جهة ، ولأنّ كثيراً من مؤلفاته حقها أن تكون موضوع دراساتٍ جامعّة معمّقة لما فيها من التركيز والعمق⁴ .

1 - (العلامة الشيخ عبد الرحمن حبنكة قصّة حياة ومسيرة علم وجهاد) : محمد علي دولة - <http://www.itihad.org/biography>

2 - (العلامة الشيخ عبد الرحمن حبنكة قصّة حياة ومسيرة علم وجهاد) : محمد علي دولة - <http://www.itihad.org/biography>

3 - نفسه .

4 - أحصى أحد الباحثين جملة ما كتبه المؤلف رحمه الله فبلغ 230640 صفحة مطبوعة ، ذكر هذا الإحصاء الدكتور طه محمد فارس في رسالته للدكتوراه :

وهذا سردٌ لمؤلفاته المطبوعة أقرب إلى العدِّ والإحصاء ،
وهي ذات محاور متعددة وأغلبها على شكل سلاسل :
أولاً : سلسلة " في طريق الإسلام " :

- 1- العقيدة الإسلامية وأُسُسُها (مجلد واحد) .
- 2- الأخلاق الإسلامية و أسسها (مجلد واحد) .
- 3- الحضارة الإسلامية وأسسها ووسائلها و صور من تطبيقات المسلمين لها ، ولمحات من تأثيرها في سائر الأمم (وهو مجلد واحد أيضًا) .
- 4- براهين و أدلة إيمانية (مع ديوان آمنث بالله - وهو في مجلد واحد متوسط) .
- 5- الصيام و رمضان في السنة و القرآن (وهو في مجلد متوسط) .
- 6- روائع من أقوال الرسول صلى الله عليه و سلم (وهو في مجلد واحد) .
- 7- الأمة الربانية الواحدة (كتاب صغير) .
- 8- ابتلاء الإرادة بالإيمان و الإسلام و العبادة (كتاب واحد) .
- 9- تيسير فقه الزكاة - الركن الثالث من أركان الإسلام تبين و تقنين و ترجيح (كتيب صغير) .
- 10- فقه الدعوة إلى الله و فقه النصح و الإرشاد و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر (مجلدان اثنان) .
- 11- الوجيزة في العقيدة الإسلامية (كتاب متوسط) .
- 12- الأخلاق الإسلامية - ملخص كتاب الأخلاق (رسالة صغيرة) .
- 13- توحيد الربوبية و توحيد الألوهية (كتاب متوسط) .
- 14- الثقافة الإسلامية .
- 15- الالتزام الديني منهج وسط .
- 16- الشريعة الإسلامية بين التدرّج في التشريع و التدرّج في التطبيق .
- 17- الموظف المسلم ومسؤولياته .

- 18- تصحيح مفاهيم حول التوكل و الجهاد ووجوه النصر .
 19- لا يصح أن يقال الإنسان خليفة الله في أرضه فهي مقولة باطلة .

ثانيًا : سلسلة " دراسات قرآنية " :

- 1- قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل .
 2- تدبر سورة الفرقان في وحدة الموضوع (مجلد متوسط) .
 3- تفسير سورة الرعد في وحدة الموضوع (مجلد واحد)
 4- أمثال القرآن و صورة من أدبه الرفيع - دراسة تحليلية و تصنيف و رسم لأصول الأمثال القرآنية و قواعدها (في مجلد واحد) .
 5- صفات عباد الرحمن في القرآن .
 6- نوح عليه السلام و قومه في القرآن المجيد دراسة في طريق التفسير الموضوعي (مجلد واحد متوسط) .
 7- معارج التفكير و دقائق التدبر (في خمسة عشر مجلد وهو موضوع دراستنا) .

ثالثًا : سلسلة " أعداء الإسلام " :

- 1- مكائد يهودية عبر التاريخ (مجلد واحد) .
 2- صراع مع الملاحدة حتى العظم (مجلد واحد) .
 3- أجنحة المكر الثلاثة و خوافيها - التبشير الاستشراق الاستعمار دراسة و تحليل و توجيه ودراسة منهجية شاملة للغزو الفكري (مجلد كبير) .
 4- الكيد الأحمر - دراسة واعية للشيعوية و جذورها و أفكارها و خرافة حتمياتها و أحلام وعودها الكاذبة (مجلد واحد) .
 5- غزو في الصميم - دراسة واعية للغزو الفكري و النفسي و الخلقي و السلوكي في مجالات التعليم المنهجي و الثقيف العام (مجلد واحد) .

- 6- كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة -
دراسة علمية نقدية تحليلية بمنظار إسلامي لزيوف
كبريات الآراء و المذاهب الفكرية المعاصرة و أئمتها
(مجلد واحد) .
- 7- ظاهرة النفاق و خبائث المنافقين في التاريخ -
دراسة شاملة للنصوص القرآنية في النفاق و
المنافقين (مجلدان اثنان) .
- 8- أجوبة الأسئلة التشكيكية الموجهة من قبل إحدى
المؤسسات التبشيرية العاملة تحت تنظيم الآباء
البيض (كتيب صغير) .
- 9- التحريف المعاصر في الدين - تسلسل في الأنفاق
بعد السقوط في الأعماق¹ (كتاب حجم متوسط) .
- 10- التعليم الموجه بقوة السلطة في الاتحاد السوفيتي
لم يحم الماركسية من السقوط .

ثالثًا : سلسلة " من أدب الدعوة الإسلامية " :

- 1- البلاغة العربية أسسها و علومها وصور تطبيقاتها
بهيكل جديد من طريف و تليد (مجلدان كبيران) .
- 2- مبادئ في الأدب و الدعوة (كتيب متوسط) .
- 3- ديوان أقباس في منهاج الدعوة و توجيه الدعاة .
- 4- ديوان ترنيمات إسلامية - شعر للنشيد (كتيب
متوسط) .
- 5- ديوان آمنت بالله (كتيب صغير) .

رابعًا : كتب متنوعة :

- 1- ضوابط المعرفة و أصول الاستدلال و المناظرة
(مجلد واحد) .
- 2- بصائر للمسلم المعاصر (مجلد واحد) .

1 - وهو رد على المهندس محمد شحرور في كتابه (الكتاب و القرآن) .

3- الوالد الداعية المرابي الشيخ حسن حبنكة الميداني -
قصة عالم مجاهد حكيم شجاع (مجلد واحد
متوسط) .

هذا ولزوجته الداعية المرابية عائدة راغب الجراح رحمها
الله تعالى - كتاب : عبد الرحمن حبنكة الميداني العالم المفكر
المفسر (زوجي كما عرفته) ، صدر عن دار القلم بدمشق ،
ضمن سلسلة : علماء ومفكرون معاصرون ، لمحات من
حياتهم ، وتعريف بمؤلفاتهم .

ومن أهم آثاره العلمية النافعة : تفسيره التدبُّري النافع
الذي طبع منه خمسة عشر مجلداً ، إذ انه اتَّجه في آخر
عمره ، بعد ممارسة طويلة ، وتجربه ثرَّة ، وخبرة عميقة ،
وصلة مستمرة بكتاب الله عز وجل إلى كتابه تفسير تدبُّري
وفق المنهج الذي رسمه في كتابه : " قواعد التدبُّر الأمثل
لكتاب الله عز وجل " ، وقد انتهى - بفضل الله - من تفسير
السُّور المكية بكاملها ، والتي تمثل ثلثي التفسير ، وشرع في
تفسير سورة البقرة ، وهي أول ما نزل في المدينة ، ولم
يتوان - رحمه الله وأثابه رضاه - عن تدبره لكتاب الله تعالى ،
حتى وافاه الأجل المحتوم .

المبحث الثالث

دراسة تفصيلية لكتاب "قواعد التدبّر الأمثل".

وسأُتطرق في هذا المبحث إلى دراسة تفصيلية لكتاب المؤلف (قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله عز وجل)، بما يستوفي التعريف التفصيلي بالكتاب، من حيث تسميته ، وطبعاته وموضوعه وأهميته ، وسبب تأليفه ، وتقسيم القواعد و موضوعها ، ومكانة الكتاب بين كتب قواعد التفسير ، وطريقة الميداني في عرض القواعد ، وخطوات تفصيلها ، وخصائص أسلوب الميداني في كتابه ، ومصادره في تأليفه ، ومدى استفادته ممّن سبقه في ذلك . وفي مايلي تفصيل كل هذا .

اسم الكتاب (قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله عزّ وجل) :

قال رحمه الله في مقدّمة الطبعة الثانية : " وبعد : فقد نال بفضل الله وميِّته هذا الكتابُ (قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله عزّ وجل) في طبعته الأولى المختصرة الموجزة ، استحسان أهل الرأي و الفكر ، وإعجاب المتخصّصين بالدراسات الشرعيّة ، لا سيما تفسير القرآن " ¹ .
هذه التسمية هي التي نصّ عليها صاحب الكتاب في المقدّمة ، وهي مشهورةٌ متداولةٌ مطبوعةٌ بهذا السياق .
والمؤلف رحمه الله أطلق على كتابه هذا اسمًا يعبّر به عن محتواه بكلّ دقّة و موضوعيّة :

قال رحمه الله : " ففي هذه الرسالة كتبت هذه القواعد و شرحتها بالأمثلة " ² .

فهي من جهةٍ قواعدٌ كليّةٌ تدرجُ تحتها عدّة جزئيات و أمثلة ، تدورُ حول تدبّر كلام الله عزّ وجل ، وقد سبق شرحُ معنى القواعد والتدبّر فيما مضى .

و تحت هذا العنوان كتب المؤلف رحمه الله كلمة (تأملات) ، وهي كلمةٌ لها دلالةٌ ينبغي التوقّف عندها بالنظر : فهي من جهةٍ تُشعِرُ بِمَعْنَى رغبةٍ في الفهم و إمعان النظر ، وتدقيق الفحص و السّبر ، ورؤية ما في الأعماق ، وهذا يكشف عن لونٍ خاصٍّ من الجهد و العناية قام به المؤلف رحمه الله في هذا الكتاب :

قال رحمه الله حول هذه القواعد : " . . وقد يكون بعض المفسرين قد وضع في تصوّره مُراعاةً بعضها ، إلا أنني لم أجد من راعاها كلها مراعاةً تامةً في كلّ ما تدبّر من كلام الله ، كما أنّ بعض هذه القواعد لم يحظَ بعناية أحدٍ من المفسّرين " ³ .

1 - قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله عزّ وجل : عبد الرحمن الميداني، ص 5

2 - نفسه : ص 12 .

3 - قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله عزّ وجل : عبد الرحمن الميداني، ص

ومن جهةٍ أخرى فإنَّ التأمل يناسبه السكون و الهدوء ،
والبعد عن الضوضاء و الشَّغَبِ الخارجيِّ الذي يشغَلُ الحواسِ ،
وبالتالي يشغل الفكرَ و العقلَ و يُبَعِّدُهُ عن إتقان العمل و
الغوص في العمق، فأحسبُ أنَّ كلَّ هذه المعاني مُختزلةٌ في
العنوان .

ومن جهةٍ ثالثة ؛ فإنَّ قوله (**تأملات**) يشرحُ طريقة
المؤلف في الكتابة ، ويفتحُ للباحثِ وجةَ اختيار المؤلف
لطريقة السَّرِدِ دونَ التقيّدِ بالمصادر و المراجع و التخرِجِ
للمنقولات كما هو معهود في الكتابات الأكاديميَّة ، وخاصةً أنَّ
المؤلف رحمه الله من كبار الأساتذة الجامعيِّين و من أعلام
الأكاديميِّين و من المناقشين للرسائل الجامعيَّة طيلة سنوات ،
فإنَّ طبيعة الكتابة التأملية و اختلافها عن الكتابة الأكاديميَّة
تجعلُ الباحثَ يعتدلُ في الحكم على المؤلف و يلتمسُ له
العُذرَ في هذا التصرّف و الاختيار .

وما يرجّحُ هذا الأمر هو قول المؤلف رحمه الله في خاتمة
الطبعة الأولى¹ : " أخي القارئ كتبتُ هذه القواعد بعد أن كنتُ
دوّنتُها **ملاحظات** خلال ممارستي الطويلة لكتاب الله ،
ومطالعة كتب التفسير، وقراءة مفاهيم كثير من متدبّري هذا
الكتاب العظيم المجيد الذي لا تفتنى أعاجيبه ، ولا يخلقُ على
كثرة الرد ، فأرجو أن أكونَ قد وُفِّقْتُ فيها إلى قواعدٍ تهدي
المتدبّرين ، وأن تكون هذه القواعد فاتحةً لبناء علم التدبّر
على ما يُرضي الله تعالى ، عسى أن تكون وسيلة تسديد
وهداية ، للباحثين الحريصين على فهم كتاب الله ، وما تضمّنه
من علمٍ جليل و هداية عظيمة "² .

فالمؤلف كما هو واضحٌ من هذا الثقل يكشفُ بما لا يدعُ
مجالاً للشكِّ أنَّه استلَّ هذا الفهم من مصادر موثوقة من خلال
مطالعات كتب التفسير و مفاهيم متدبّري كلام الله ، غير أنَّه
أثر الكتابة التأملية كما يفعلُ العمالقة الكبار.

2- طبقات الكتاب :

1 - نفسه : ص 801 .
2 - قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله عز وجل : عبد الرحمن الميداني ، ص
801 .

الكتابُ - حسبَ النُّسخةِ التي بين يدي - وهي الطبعة الثالثة ، ومن خلال المقدمات ؛ طُبِعَ ثلاثُ طبعات ، جميعها في دار القلم دمشق ، الدار التي تطبع للمؤلف رحمه الله كُتُبُهُ ودراساته :

الطبعة الأولى كتبتَ مقدمتها في مكة المكرمة في (2 رمضان 1399هـ الموافق ل 26 تموز 1979م) ، وكانت الطبعة سنة 1400هـ ، وهي تحوي يومها سبع و عشرين قاعدة تدبرية¹ .

وقد ضُمَّتْ مقدمة هذه الطبعة الأولى في النسخة التي بين يدي (الطبعة الثالثة) ، ولَمَّا كانت المقدمة من أهمِّ ما يعرفُ بالطبعة يحسُنُ أن نُنقلَ للقارئ شيئاً منها يستدلُّ به على ما في الكتاب حسب الطبعة التي أخرجها المؤلف :

قال فيها المؤلفُ رحمه الله في الاستفتاح : " الحمد لله مُلهم الصواب ، و الصلاة و السلام على رسوله محمد الذي أنزلَ عليه الكتاب ، و آتاهُ من لدنه الحكمة و فصلَ الخطاب ، و كلفهُ أن يُبينَ للناس ما نُزلَ إليهم . و يعد : فإنَّ تدبّر آيات الله في كتابه أشرف الأعمال العلميَّة و أجملها ، و أوضحها سبيلاً لمعرفة أصول دين الله ومرضيه و أدلها . وقد أنزل الله علينا هذا الكتابَ لتدبّر آياته ، لا لنهجره ، أو نتخذهُ مجردَ ترانيم ، أو نتخذَ منه تماًم تتعلَّقُها " ² .

ثم أشار فيها رحمه الله إلى شروط الاقتباس من فيوض معاني القرآن ليبيِّنَ عليها قارئ القرآن استعماله لهذه القواعد التي ستأتي فقال : " فهذا الكتابُ قد أنزله الله إلى رسوله محمد صلى الله عليه و سلم ، وهو مبارك لا تنصَّبُ فيوضُ معانيه ، و لكنَّ هذه المعاني المباركة الثرة لا يقتبسُ منها إلا الذين يتدبِّرون آياته . فالغاية من إنزاله أن يتدبَّر الناسُ آياته ، و لكن ليس الغرض من التدبُّر مجرد الترف العلمي ، و الافتخار بتحصيل المعرفة ، و التوصل إلى كشف المعاني للتعالي بمعرفتها و اكتشافها ، إنَّما وراء الفهم غرضُ التذكُّر و

1 - التعريف بكتاب معارج التفكير و دقائق التدبُّر : مجد مكِّي - دار القلم - دمشق، سوريا - ط 1- 2006 م ، ص 11 .

2 - قواعد التدبُّر الأمثل لكتاب الله عز وجل : عبد الرحمن الميداني ، ص 9 .

العظة ، و العمل بموجب العلم ، وهذا التذکر المقصود لا يحظى به إلا أولو الألباب ، وهم أهل العقول الحصيفة ، والأذهان النّظيفة ، والقلوب الشريفة " ¹ .
ثم تكلم فيها عن تعريف التدبّر ، و أهميته ، واختلاف مناهج المؤلفين فيه ، ثم ما فتح الله به عليه في هذه الرسالة :

قال رحمه الله : " ويغترِفُ من بحر كتاب الله مغترفون كثيرون ، وكلُّ منهم يغترِفُ على مقدار وعائِهِ ، وقد يصيبُ مصيبون في فهم دلالات القرآن ، وقد يخطئُ مخطئون ، وقد يتجنّى مُغرِضُونَ . وكان للمفسّرين مناهج في التفسير ، وقد توصل كلُّ واحدٍ منهم إلى قواعد وُصّحت له في فكره ، فكانت هاديةً له في تفسيره ، سواء أذكر هذه القواعدِ و أبانها له منهجًا له ، أو لم يذكرها ، لكنّها كانت ماثلةً له في تصوّره . . " ² .

ثم ختم رحمه الله مقدّمة هذه الطبعة الأولى بقوله : " و اللّهُ أسأل أن ينفعَ بهذه الرسالة ، و أن يجعلها هاديةً للمتدبّرين ، إنّه سميعٌ مجيبٌ . مكة المكرمة في 2 رمضان 1399هجرية و 26 تموز 1979 ميلادية عبد الرحمن حسن حبّكة الميداني " .

ثم جاءت الطبعة الثانية للكتاب كتب مقدّمته في مكة المكرمة في (21 / 4 / 1408هـ الموافق ل 12/12/1987 م) ، وكانت الطبعة سنة 1409هـ ، وسّع فيها البحث و زاد في عدد القواعد حتى وصلت إلى أربعين قاعدة ³ .

وقد صمّمت مقدّمة هذه الطبعة الثانية في النسخة التي بين يدي (الطبعة الثالثة) ، ومما قاله فيها المؤلفُ رحمه الله في الاستفتاح : " الحمد لله ربّ العالمين ، الرحمن الرحيم ، أحمده بكلِّ محامده ، على ما هوله من أسماء و صفات وكمالات لا تتناهى ، وعلى تنزّهه عن كلّ ما لا يليقُ بربوبيّته و ألوهيّته و أزليّته و وحدانيّته و صمدانيّته ، و الحمد له على

1 - قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله عز وجل : عبد الرحمن الميداني ، ص 10-9 .

2 - نفسه : ص 11-12 .

3 - التعريف بكتاب معارج التفكير و دقائق التدبّر : مجد مكّي ، ص 11 .

رحمته التي رَحِمَ بها كلُّ خلقه ، و الحمد له بكلِّ محامده على فضله و إكرامه ، وجوده و إنعامه و فتحه و إلهامه . رَبُّ أَوْزَعَنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ ، وَعَلَى وَالِدِي وَ أَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ ، وَ أَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ . . " 1 .

وَأَنَا أَحْسَنُ مِنْ مَقْدَمَتِهِ هَذِهِ بِأَمْرَيْنِ اثْنَيْنِ : الْأَوَّلُ أَنَّهُ شَاكِرٌ لِلَّهِ مُنْطَرِحٌ بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَى مَا فَتَحَ بِهِ عَلَيْهِ مِنَ الْإِضَافَاتِ وَ الْإِلْهَامَاتِ التَّدْبِيرِيَّةِ . وَ الثَّانِي : عَلَى مَا فَتَحَ بِهِ عَلَيْهِ مِنَ الْقَبُولِ الْوَاسِعِ لِهَذَا الْكِتَابِ .

وقد أشار المؤلفُ إلى هذه النعمة بقوله : " وبعْدُ : فقد نالَ بفضلِ الله ومِيتِهِ هذا الكتابُ (قواعد التدبُّر الأمثل لكتابِ الله عزَّ وجل) في طبعته الأولى المختصرة الموجزة ، استحسان أهل الرأي و الفكر ، و إعجاب المتخصِّصين بالدراسات الشرعيَّة ، لاسيما تفسير القرآن الكريم " 2 .

وفي هذه المقدِّمة للطبعة الثانية أشار المؤلف رحمه الله إلى زيادته و توسُّعه في الأمثلة و القواعد وكيف كان يجمع ذلك ليتحصَّل له قاعدة في الموضوع :

قال رحمه الله : " و كان قد رأى بعض أهل العلم أنّ الأمثلة التطبيقية من القرآن لقواعده قليلة، أو تحتاج إلى مزيد ، باعتبار أنّها قواعد جديدة الاستخراج ، وقد هدت إليها ممارسة تدبُّر كتابِ الله بعمق و أناة، قرابة ثلث قرن أو أكثر . كما طلبَ منِّي بعضُ الفضلاء أن أستخرج قاعدة حول القراءات العشر، فشكرتُهُ و سألتُ الله أن يُعينني على استخراجها و إضافتها إلى قواعد هذا الكتاب، وسألتُ الله أن يجزيه خيرًا على نُصحهِ ، وصحَّ عندي العزمُ على متابعة تدوين ما يلهمني الله عزَّ وجل من ملاحظات ، خلال تدبُّري لهذا الكتاب العظيم ، الذي لا تفنى أعاجيبه ، ولا يخلقُ على كثرة الردِّ ، و تجميع ما أراه منها صالحًا لأن يُضمَّ بعضُهُ إلى بعض ليكوّن قاعدة ، فأضيفها إلى القواعد التي قدّمتها في الطبعة الأولى من هذا الكتاب ، و على متابعة تجميع الأمثلة التي تؤيِّدُ

1 - قواعد التدبُّر الأمثل لكتابِ الله عزَّ وجل : عبد الرحمن الميداني ، ص 5

القاعدة المستخرجة ، حتى تجمّع لديّ هذا الكم الذي أقدمه لطلّاب العلم في هذه الطبعة الثانية ، الحاوية على مزيدٍ من القواعد ، ووفرة الأمثلة التطبيقية لها " 1 .

هذا وقد أشار إلى بعض مصادره في قواعد الكتاب ، وهو كتاب (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم) للأستاذ فؤاد عبد الباقي رحمه الله ، فأثنى عليه و أشادَ بجهوده ، ودعا طلبة العلم و المتخصّصين إلى استكمالها :

قال رحمه الله : " وقد اعتمدتُ في بعضها على السّبر الشامل لآيات القرآن الكريم ، إذ تسرّ لي ذلك بمعونة المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، لخدام القرآن و السنّة بصدق و إخلاص و صبر ، الأستاذ (فؤاد عبد الباقي) رحمه الله رحمة واسعة . . و عسى أن يُلهم الله ذا همّةٍ و صبرٍ فيتمّ للباحثين هذا العمل ، لو بمعجم منفصل ، يكون تيمّةً لما وضعه الأستاذ (فؤاد عبد الباقي) الذي أكمل بعمله أعمال الذين سبقوه ، فينال من الله أجرَ خدمته لكتابه ، وينال من الباحثين الشكر و التقدير و الدّعاء بأن يجزيه الله خير الجزاء " 2 .

و ختم هذه الطبعة بالدّعاء و طلب التسديد من الله و التّصحّ و التّقّد من أهل العلم .

ثم جاءت الطبعة الثالثة للكتاب ، وهي التي بين يديّ الآن ، سنة 1425 هـ ، بدون مقدّمة خاصّة ، و إنّما تحوي مقدّمة الطبعة الأولى ، و مقدّمة الطبعة الثانية . وبلغني أنّ الكتاب طبع طبعةً رابعة سنة 1430 هـ - 2009 م ولم أقف عليها .

3- موضوع الكتاب و أهمّيته :

الكتابُ يتناول بعضَ القواعد التي لا غنى للمفسّر والمتدبّر لكلام الله عنها :

يقول في مقدمة الطبعة الأولى لكتابه: " وخلال ممارستي الطويلة للتدبّر في القرآن العظيم ، ومطالعتي

1 - قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله عز وجل : عبد الرحمن الميداني ، ص 5

2 - نفسه : ص 7 .

لتفاسير المفسرين على اختلاف مناهجهم ، تكشفت لي جملة قواعد هادية لمن أراد أن يتدبر كلام الله بصورة فضلى ، فأنا أكتبها لمن شاء أن ينتفع لها ، فقد وجدت بالممارسة أنها ذات نفع عظيم للمتدبر ، وتصلح منهجاً يحتذى المتدبرون للقرآن . وما أظنني أنني استقصيت كل القواعد التي يمكن التوصل إليها ، إلا أن ما توصلت إليه - بفضل الله وإلهامه - يُعتبر مهماً جداً ، وينبغي للمتدبر ملاحظته "

والمؤلف رحمه الله لا يدعي المبادرة إلى هذا العلم أو التأسيس له ، وإنما حسبه أنه راعاها مجتمعة في مؤلف مستقل تنظيراً ، و في تدبر شامل لكلام الله تطبيقاً كما سيأتي معنا :

قال رحمه الله : " وفي هذه الرسالة كتبت هذه القواعد وشرحتها بالأمثلة وقد أكون في بعضها مسبقاً إلى كتابته أو الإشارة إليه ، وقد يكون بعض المفسرين قد وضع في تصوّره مُراعاةً بعضها ، إلا أنني لم أجد من راعاها كلها مراعاة تامة في كل ما تدبر من كلام الله ، كما أن بعض هذه القواعد لم يحظَ بعناية أحدٍ من المفسرين " ¹ .

وهذه القواعد أربعون قاعدة ، وقد بين المؤلف الهدف من هذا التأليف فقال : " أخي القارئ كتبت هذه القواعد بعد أن كنت دؤنتها **ملاحظات** خلال ممارستي الطويلة لكتاب الله ، ومطالعة كتب التفسير ، وقراءة مفاهيم كثير من متدبري هذا الكتاب العظيم المجيد الذي لا تفتى أعاجيبه ، ولا يخلق على كثرة الرد ، فأرجو أن أكون قد وفقت فيها إلى قواعد تهدي المتدبرين ، وأن تكون هذه القواعد فاتحة لبناء علم التدبر على ما يرضي الله تعالى ، عسى أن تكون وسيلة تسديد وهداية ، للباحثين الحريصين على فهم كتاب الله ، وما تضمّنه من علم جليل وهداية عظيمة " ² .

1 - قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل : عبد الرحمن الميداني ، ص

فهذا يعني أنه طمَّحُ بالتأسيس لعلم من علوم القرآن الكريم مُستقلِّ بذاته له قواعده و أصوله هو علم التدبُّر القرآني ، وغالبًا ما يبدأ التأسيسُ بالتأمُّلات المنضبطة ثمَّ ينضج مع الوقت بالتراكم شيئًا فشيئًا .

وقد شهدَ تلميذُهُ مجد مكي بقيمة هذه القواعد و أهميتها و بعِظَم جُهدِ المؤلف فيها ، فقال حفظه الله : " وهذه القواعد في تدبُّر كتاب الله لم يسبقه إلى استخراج معظمها باحثٌ قبله، وهي نتيجة لدراسة دائبة، وبحوث متواصلة، وتأمُّلات واسعة، وصحبة مستمرة لكتاب الله عز وجل. ويُعدُّ الشيخ بحق رائد علم التدبُّر لكتاب الله سبحانه في هذا العصر، وهو - رحمه الله تعالى- لا يرى استخدام كلمة التفسير، التي لا تتعدَّى بيان المعنى وإيضاحه دون الغوص في دلالات الألفاظ وسبُّر المعاني، وبيان ارتباط الجملة القرآنية بموضوع السورة، وارتباطها الموضوعي بما تفرَّق في القرآن المجيد . وقد استغرقت مقدِّمة التفسير، أكثر من (800) صفحة بعد أن ظهرت نواته في طبعتها الأولى في (174) صفحة من القطع الصغير . . . وهي مقدمة مهمة هادية لمن أراد أن يتدبَّر كلام الله بصورة مثلى، وهي ذات نفع عظيم للمتدبِّر، وتصلح أن تكون منهجاً يسير عليه المِتدبِّرون لكتاب الله تعالى "1.

ثمَّ بيَّن الأسبابَ التي مكنته من الإبداع في هذا الكتاب فقال : " وقد مهَّدت الدراسات السابقة الواسعة، والنشأة العلمية الصالحة، والذكاء الفطري، والنبوغ المبكر، والعمل المتواصل الدؤوب، والمؤهلات العلمية المتنوّعة من إمام واسع باللغة العربية، نحوها و صرفها وبلاغتها. ومن نظر في كتاب الشيخ (البلاغة العربية) في مجلديه الكبيرين شهد على إمامته في هذا العلم الذي لا بد منه لمتدبِّر كتاب الله، وساعده على ذلك تمكنه من العلوم العقلية، ويشهد له مناقشاته العلمية الرائعة، ومناظراته الفكرية المدحضة لشبهات المغرضين والمشككين، كما تجد ذلك في (سلسلة أعداء الإسلام) ابتداءً بصراعه مع الملاحدة حتى العظم، وانتهاءً بكشف تحريفات شحرور، وتضليله المتعمَّد في نصوص القرآن

والسنة في كتابه : (التحريف المعاصر في الدين)، وقبله :
(أجوبة الأسئلة التشكيكية الموجهة من قبل إحدى
المؤسسات التبشيرية) وقد وفقه الله تعالى بما حياه من فكرٍ
نيرٍ، وعقلية ناضجة إلى صياغة علم المنطق، وأصول البحث
صياغة متمشية مع الفكر الإسلامي في كتابه (ضوابط
المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة) هذه العوامل
المتعددة هيأت الشيخ - بفضل الله وتوفيقه - للسموِّ صعوداً
في (معارج التفكير) ، وعمقاً في (دقائق التدبُّر) " 1 .
وقد سبق فيما مضى شرحُ معنى القواعد و التدبُّر ، فلا
حاجة للإعادة و التكرار .

4- سَبَبُ تَأْلِيفِ الْكِتَابِ :

يظهرُ من مطالعة مقدِّمَتَي الكتاب ، ومقدِّمة تفسيره (**معارج التفكير و دقائق التدبُّر**) أنَّ المؤلفَ رحمه الله
بادَرَ إلى تأليف هذا الكتاب عن رغبة صادقة و تأمل ذاتي
طويل ، دون إشارة أحد، أو طلبٍ منه ، وهذا هو الأصل ، إنَّما
هي رغبة عميقة صادقة لاكتشاف كنوز القرآن الكريم، وبثها
في العالمين ليستفيدَ منها كلُّ متعاملٍ مع كتاب الله تعالى .
وقد اختصر رحمه الله سبب التَّأليف في جملة واحدة
فقال : "تكشَّفت لي جملة قواعد هادية لمن أراد أن يتدبَّر
كلام الله بصورة فضلى فأنا أكتبها لمن شاء أن ينتفع بها ، فقد
وجدت بالممارسة أنها ذاتُ نفعٍ عظيم " 2 .
وهذا الكتاب يتحدَّث عن الوسائل العلميَّة التي تُمكنُ
المتعاملَ مع كتاب الله من الانتفاع بالقرآن الكريم و استخراج
دقائقه بالتفكر، وهذه القواعد التي جمعها المؤلفُ هي التي
كانت يسلكها العلماء من قبل وإن لم يُنظروا لها بطريقة
المُحدِّثين كما هي العادة مع باقي علوم الشَّرع، ومن أخذ
بهذه القواعد مع تحصيل الأسباب الأخرى من نظافة المَدَّهِن و
شرفِ القلبِ فإنَّه سيجد بإذن الله تعالى، أنَّ معاني القرآن
الكريم تُندفقُ عليه و تنفتحُ بين يديه ، حتَّى رُبَّما يمضي عليه

1 - نفسه : ص 21- 22 .

2 - قواعد التدبُّر الأمثل لكتاب الله عز وجل : عبد الرحمن الميداني ، ص

وقتٌ طويلٌ لا يستطيع تجاوز آية واحدة من كثرة المعاني التي تُفتحُ عليه.

وهكذا سارَ المؤلفُ رحمه الله في هذا التأليف و اعتاضَ بكلمة "التدبُّر" عن كلمة "التفسير"، لأنَّ الثاني كما سبق و بيَّنَّا يوصل صاحبهُ إلى مرامي الكلام و عواقبه بأصحَّ الطرق والأسس السَّليمة :

قال رحمه الله : " لكن هذه المعاني المباركة الثَّرة لا يقتبس منها إلا الذين يتدبَّرون آياته فالغاية من إنزاله أن يتدبَّر الناس آياته، لكن ليس الغرض من التدبُّر مجرد التَّرف العلميِّ ، والافتخار بتحصيل المعرفة، و التوصل إلى كشف المعاني للتعالي بمعرفتها و اكتشافها ، إنما وراء الفهم غرضُ التَّذكر والعظة والعمل بموجب العلم ، وهذا التذکر المقصودُ لا يحظى به إلا أولوا الألباب ، وهم أهل العقول الحصيفة ، و الأذهان النظيفة ، و القلوب الشريفة " ¹ .
ومع ذلك ورد ما يشير إلى استجابته لرغبات المستفيدين للبحث في بعض القواعد :

قال رحمه الله : " . . كما طلبَ مِنِّي بعضُ الفضلاء أن أستخرج قاعدة حول القراءات العشر، فشكرتُه و سألتُ الله أن يُعينني على استخراجها و إضافتها إلى قواعد هذا الكتاب ، وسألتُ الله أن يجزيه خيرًا على نُصحهِ ، وصحَّ عندي العزمُ على متابعة تدوين ما يلهمني الله عزُّ و جل من ملاحظات ، خلال تدبُّري لهذا الكتاب العظيم ، الذي لا تفتنى أعاجيبه ، ولا يخلقُ على كثرة الردِّ ، و تجميع ما أراه منها صالحًا لأن يُضمَّ بعضُهُ إلى بعض ليكوِّن قاعدة ، فأضيفها إلى القواعد المتي قدِّمتها في الطبعة الأولى من هذا الكتاب ، و على متابعة تجميع الأمثلة التي تؤبِّدُ القاعدة المستخرجة ، حتى تجمَّع لديَّ هذا الكم الذي أقدمه لطلاب العلم في هذه الطبعة الثانية ، الحاوية على مزيدٍ من القواعد ، ووفرة الأمثلة التطبيقية لها " ²

1 - نفسه : ص 9-10 .

2 - قواعد التدبُّر الأمثل لكتاب الله عز وجل : عبد الرحمن الميداني ، ص 5

وهذا يكفي لاجتماع السببين معا في تأليف الكتاب ، غير أن الرغبة الشخصية هي الدافع الأساسي للانطلاق في التأليف

5- تقسيم القواعد و موضوعها إجمالاً :

المؤلف رحمه سرّد القواعد الأربعين خلف بعضها ثم استفاض في شرحها ، وهي قد ذكرها من غير مراعاة ترتيب معين أشار إليه . ويظهر أنه لم يراع الترتيب في التصنيف لأنه كان يكتُب ما فتح الله به عليه و يجمع :

قال رحمه الله : " . . كما طلبَ مِنِّي بعضُ الفضلاء أن أستخرج قاعدة حول القراءات العشر، فشكرتُهُ و سألتُ الله أن يُعيني على استخراجها و إضافتها إلى قواعد هذا الكتاب ، وسألتُ الله أن يجزيه خيراً على نُصحِهِ ، وصحَّ عندي العزمُ على متابعة تدوين ما يلهمني الله عزّ و جل من ملاحظات ، خلال تدبّري لهذا الكتاب العظيم ، الذي لا تفتى أعاجيبه ، ولا يخلقُ على كثرة الردِّ ، و تجميع ما أراه منها صالحاً لأن يُضمَّ بعضُهُ إلى بعض لِيُكوّن قاعدة ، فأضيفها إلى القواعد المتي قدّمتها في الطبعة الأولى من هذا الكتاب ، و على متابعة تجميع الأمثلة التي تؤيّد القاعدة المستخرجة ، حتى تجمّع لديّ هذا الكم الذي أقدمه لطلّاب العلم في هذه الطبعة الثانية ، الحاوية على مزيدٍ من القواعد ، ووفرة الأمثلة التطبيقية لها " ¹

و بالتأمّل في قواعد الأربعين أمكنني تصنيفها حسب الفروع التالية :

أ : قواعد متعلقة بالتناسب و الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم :

و يدخل تحت هذا التصنيف :

القاعدة الأولى " حول ارتباط الجملة القرآنية بموضوع السورة، وارتباطها الموضوعي بما تفرّق في القرآن المجيد " ² . وفي هذه القاعدة يؤصّل الشيخ لقضية تناسّب أجزاء القرآن و ارتباطها الموضوعي بعضها

1 - نفسه .

2 - قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله عز وجل : عبد الرحمن الميداني ، ص

بعض ، ابتداءً من الجملة القرآنية إلى الآية إلى السورة إلى القرآن المجيد كله ؛ كلما زاد التدبر و التعمق و الغوص و السبر تلمس الباحث هذا التناسب . وقدّم فيها مثالين اثنين ، الثاني منهما يحوي ستة نصوص قرآنية .

القاعدة الثانية " حول وحدة موضوع السورة القرآنية " ¹ .

وفي هذه القاعدة يؤسّس المؤلف لقضية " الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية " ، وهي " رائعة من روائع إعجاز القرآن " ، وجزء أصيل في مجال التفسير الموضوعي . وقدّم فيها ثلاثة أمثلة .

القاعدة الخامسة " حول التفسيرات الجزئية والمعنى الكلي " ² .

ومراده فيها باختصار أن التفسيرات الجزئية الصحيحة الواردة عند المفسرين إنّما هي من قبيل تفسير النص القرآني ببعض ما يدل عليه من جزئيات أو أفراد ، لا هي المعنى الواحد للنص ، فمهما أمكن جمع التفسيرات الجزئية في معنى كلي فهو الأولى بأن يكون منهج المتدبر لكتاب الله . وقدّم فيها خمسة أمثلة .

القاعدة السادسة " حول تكامل النصوص القرآنية في الموضوعات التي اشتمل عليها القرآن ، واستبعاد احتمال التكرير لمجرد التأكيد ما أمكن " ³ .

وموضوع هذه القاعدة، أن النصوص التي ظاهرها التكرار إنّما تتكامل في إنشاء معاني جديدة غير سابقة ، أو إضافة جوانب مقصودة ينبغي التنبه إليها ، وهذا متفرّع عن مبدأ تكامل النصوص القرآنية الذي ينبغي أن يكون أساساً من أسس التدبر القرآني . وقدّم فيها إحدى عشر مثلاً .

القاعدة الثامنة " حول تكافؤ النصوص القرآنية ووجوب الجمع بينها في نسق فكري متكامل وعدم

1 - نفسه : ص 27 .

2 - نفسه : ص 59 .

3 - نفسه : ص 67 .

اللجوء إلى الحكم بالنسخ إلا فيما ثبت نسخه بدليل صحيح صريح¹ .

وموضوع هذه القاعدة في نفس السياق التدبري للقاعدة الماضية من حيثُ اعتقادُ تكامل النصوص القرآنية و استبعاد ما يدفعُ ذلك ما أمكن ، القاعدة الماضية كانت حول استبعاد التكرار ، وفي هذه القاعدة يتم استبعاد القول بالنسخ إلا فيما ثبت بيقين ، لأنَّ اعتقاد النسخ يحجبُ عن المتدبر حقيقة هذا التكامل و التناشُق الموضوعي ، و الذي ينبغي أن يكون أساسًا من أسس التدبر القرآني . وقدّم فيها أربعة أمثلة .

القاعدة السابعة عشرة " حول الربط بين الآيات وخواتيمها² .

وهذه القاعدة أيضًا من قواعد علم المناسبة في القرآن الكريم ، و المقصود بها اتّجاه المتدبر لإدراك التناشُب و استنباط الترابط الموجود بين معاني كلمات الآية و ما يليها من معاني خواتيمها فهي قد تلقي الضوء على المراد مما جاء فيها و تدلنا على معانٍ لم نكن لنفهمها لولا إدراك الهدف من تلك الخواتيم . وقدّم فيها أربعة أمثلة .

ب : قواعد متعلقة بالآثار :

ويدخل تحت هذا التصنيف :

القاعدة السابعة " حول تتبع التفسير بالمأثور

لمعنى النص³ .

وهي تدورُ حول فائدة النظر في التفسير بالمأثور ، فهو حريٌّ أن يكون في كثير من الأحيان فهما صحيحا ، وإن لم يكن كاملاً شاملاً لكلِّ ما يهدف إليه النص القرآني . وقدّم فيها مثالين .

القاعدة التاسعة " حول تتبع مراحل التنزيل⁴ .

1 - قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل : عبد الرحمن الميداني ، ص 139 .

2 - نفسه : ص 429 .

3 - نفسه : ص 133 .

4 - نفسه : ص 151 .

وهذه القاعدة تتعلّق بضرورة امتلاك المتدبّر لكتاب الله للعلم بتاريخ نزول النصوص القرآنية و مراحل هذا النزول ، فهذا يفتح له باب فقه التدرّج التشريعي و التربوي و الحركي الإصلاحية الذي تنزّلت في ضوءه النصوص على مراحل ، كما تعصم المتدبّر من اعتقاد وجود التناقض و المعارضة بين النصوص . وقدّم فيها خمسة أمثلة .

القاعدة العاشرة " حول الحكمة من وضع آيات مدنية التنزيل في سورة مكية، ووضع آيات مكية في سور مدنية " ¹ .

وهذه القاعدة تفتّح للمتدبّر في كتاب الله تعالى باب إدراك الاقتضاء الذي جعل الآيات المدنية توضع في سور مكيّة . وقدّم فيها سبعة أمثلة .

القاعدة الحادية عشرة " حول النظر فيما ورد من أسباب النزول " ² .

وهي تدور حول قيمة معرفة سبب نزول الآية في تحقيق فهم النص ، إذ ربما جاءت صياغته وطريقة التعبير فيه على وفق ما يقتضيه ذلك السبب، فما لم يعرف ويحدد ؛ لا تُستجلى أسرار صياغته و لا تدرك مراميه و معانيه. ولم يقدّم فيها أي مثال .

القاعدة الرابعة " حول بيئة نزول النص البشرية و الزمانية والمكانية " ³ .

وهي تدور استحضار المفسّر لكلام الله تعالى لواقع التنزيل ، و لظروف البيئة النفسية و الفكرية و الاجتماعية و المعهود فيها أيام تنزّل الآيات ، وهذا عنصر مهم في إدراك مدلولات القرآن و إحياءاته الفكرية و التربوية و الحركية . القاعدة الأربعون " حول القراءات العشر " ⁴ .

1 - قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله عز وجل : عبد الرحمن الميداني ، ص 185 .

2 - نفسه : ص 203 .

3 - نفسه : ص 53 .

4 - نفسه : ص 709 .

وهي تدور حول ضرورة بحث المتدبر لكتاب الله عن المعاني وعن الصور البيانية الموصولة بإعجاز القرآن ، التي تدلّ عليها وجوه القراءات المختلفة .

ت : قواعد متعلقة بعلوم البلاغة :

ويدخل تحت هذا التصنيف :

القاعدة الثالثة " حول أوجه النص التي يهدف إليها

1"

وهي قاعدة تدور حول ضرورة كشف المتدبر لدلالة الخطاب القرآني ، و الذي منه تحقيق الغرض البياني للمخاطبين ، بالإضافة إلى تحقيق الغرض التعليمي و التربوي .
القاعدة الثانية عشرة " **حول لزوم فهم الآية وفق ترتيب نظمها**" 2 .

وفي هذه القاعدة جعل المؤلف رحمه الله من النظم و رعاية ترتيب الكلمات في الآية بصيغتها المنزلة " آية أساسية " من آيات الفهم الصحيح لكلام الله تعالى و تدبر معانيه و دلالاته .

القاعدة الرابعة عشرة " **حول اقتضات النص ولوازمه وروابطه الفكرية، ومحاذيفه التي حذفت للإيجاز والتضمنات التي يضمنها**" 3 .

وفي هذه القاعدة ضرورة إدراك المتدبر لكلام الله لمقتضيات النص دون أن يكون فيه ألفاظ خاصة تدل عليها، و الإيجاز وحقائقه البلاغية ودلالاته الدقيقة .

القاعدة الخامسة عشرة " **حول التكرير وأغراضه**"

4

وفي هذه القاعدة يؤكد المؤلف أنّ على المتدبر لكتاب الله أن يعلم أنّ للتكرير أغراضًا تحتاج إلى استجلاء و بحث ، و أنّ عليه أن ينشط لإدراك فوارق المعاني و المدلالات ولو كان الفرق بين الموضوعين حرفًا من الحروف .

1 - قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل : عبد الرحمن الميداني ، ص 45 .

2 - نفسه : ص 207 .

3 - نفسه : ص 239 .

4 - نفسه : ص 307 .

القاعدة الحادية و العشرون " حول النظر في ملاءمة الأسلوب البياني للهدف منه " ¹ .

وفيها يظهر للمتدبر ملاءمة الأسلوب البياني في القرآن الكريم للهدف منه ، فلكل هدف من أهداف النص القرآني أساليب تلائمه و تناسبه ، بينما لا تلائمه أساليب أخرى قد تكون صالحةً لتحقيق هدف غيره . هذا مما يجب أن يعتني به المتدبر و يستخرجه .

القاعدة الثانية و العشرون " حول البحث عن الوجوه البلاغية والغرض الفكري من الصور البلاغية في القرآن المجيد " ² .

وهذه القاعدة في البحث عن الوجوه البلاغية في النص كصورة من صور الإبداع ، لكن لاستجلاء الغرض الفكري من تلك الصورة البلاغية و الإعجاز البياني ، لا لمجرد النظر في الصورة البلاغية البديعة فقط .

القاعدة الثالثة و العشرون " حول الاستغناء في الأداء البياني بتعبيرات مختلفات موزعات على الأشباه والنظائر للدلالة على التكامل البياني فيما بينها وطرده استعمالها في سائرها " ³ .

وهذه القاعدة متعلقة بتخلص النصوص القرآنية من التكرير في طريقة الكلام عن الوجوه و الأشباه و النظائر بتوزيع التعبيرات المختلفة في الأشباه و النظائر القرآنية ، فتتكامل تلك التعبيرات المختلفة فيما بينهما تكاملاً يستفيد منه المتدبر فوائده تدبرية جمّة على المستوى البياني كما على المستوى الفكري و التربوي الإصلاحي .

القاعدة الرابعة و العشرون " حول التنويع في أساليب الأداء البياني " ⁴ .

وفي هذه القاعدة ضرورة رعاية المتدبر لكلام الله تعالى التنويع الوارد في الأساليب البيانية في النص القرآني ، بما

1 - نفسه : ص 499 .

2 - نفسه : ص 503 .

3 - قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل : عبد الرحمن الميداني ، ص 515 .

4 - نفسه : ص 529 .

ينفي عن ذهن المتدبر كون النص وحدات مجزآت غير مترابطات ، و يثبت أنّ لذلك التنوع أهدافاً تدبرية سامية .
القاعدة الخامسة و العشرون " حول البحث عن أغراض الاختلاف في التعبير في مختلف النصوص "¹

وهذه القاعدة في فائدة التنوع في الأساليب البيانية في النصوص القرآنية و أثرها في التدبر ، وكيف أنّ النصوص القرآنية التي تعالج موضوعات متماثلة أو متشابهة أو متقاربة ، تحوي دلالات مقصودة زائدة على مجرد التنوع في أسلوب التعبير .

القاعدة السابعة و العشرون " حول رعاية فواصل الآيات اهتماماً بالنسق اللفظي "² .
وفي هذه القاعدة يشير المؤلف رحمه الله إلى أثر الاعتناء بالفاصلة القرآنية في إدراك المعنى المقصود في الآية .
ث : قواعد متعلقة باللغة و دلالات الألفاظ و التراكيب :

ويدخل تحت هذا التصنيف :
القاعدة السادسة عشرة³ " حول ضرورة البحث في معاني الكلمات القرآنية بحثاً علمياً لغوياً " . وهي متعلقة بأثر المعنى اللغوي للمفردة في إدراك مدلول النص .
القاعدة الثامنة عشرة " حول النظر في الألفاظ المتقاربة المعنى أو المترادفة "⁴ .

وهذه القاعدة في النسب المعنوية المتفاوتة التي ترد عليها الكلمات القرآنية التي يتبادر إلى الذهن أنها مترادفة ، و أثرها في إدراك دلالة النص .
القاعدة التاسعة عشرة " حول تردد النص القرآني بين دالتين أو أكثر "⁵

1 - نفسه : ص 535 .
2 - نفسه : ص 557 .
3 - قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل : عبد الرحمن الميداني ، ص 317 .
4 - نفسه : ص 435 .
5 - نفسه : ص 453 .

اللغوية و العرفية ، و العرفية في استعمال القرآن، و بيانات الرسول صلى الله عليه و سلم ، و التوسّع في المفهوم ، و غيرها من الدلالات، و ما هي الدلالة التي ينبغي المصير إليها .

القاعدة الثامنة و العشرون " **حول استعمال الكلام في أكثر من معنى** " ¹ . و حمل النص على معانيه ما أمكن . القاعدة الثانية و الثلاثون ، عنون لها بقوله : " **حول كلمة (لعل) الواردة في القرآن في مثل (لعلكم تتقون)** " ² .

وكيف أنّ التدبّر الأمثل في معاني هذه الكلمة يقتضي : جمعها و توظيفها جميعا بنوعٍ من التوجيه و التأمل العميق يراعي السياق و الموضوع .

القاعدة الثالثة و الثلاثون " **حول كلمة (بلى) في القرآن** " ³ . و ما تدلّ عليه . القاعدة الرابعة و الثلاثون " **حول عبارة (وما أدراك ما...؟!) في القرآن** " ⁴ .

القاعدة السادسة و الثلاثون " **حول تعبيرات [من بين يديه و من خلفه ، ونحوهما - الأمام - الورااء]** " ⁵ . و ما تدلّ عليه .

القاعدة التاسعة و الثلاثون " **حول لفظ (كذلك) في القرآن** " ⁶ . و ما تدلّ عليه .

ج : قواعد متعلقة بالنحو :

و يدخل تحت هذا التصنيف ما يلي :

القاعدة السادسة و العشرون " **حول ضرورة ملاحظة قواعد اللغة العربية ومفاهيم الصيغ الصرفية. ولزوم**

1 - نفسه : ص 567 .

2 - نفسه : ص 627 .

3 - نفسه : ص 633 .

4 - قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله عز وجل : عبد الرحمن الميداني ، ص 637 .

5 - نفسه : ص 657 .

6 - نفسه : ص 695 .

البحث عن سر مخالفة الإعراب لمقتضى الظاهر " 7 .
وهي واضحة .

القاعدة التاسعة و العشرون " حول التعليل بأن
المصدرية وما بعدها في الآيات القرآنية، وفي لزوم
تقدير المحذوفات قبلها " 1 . كيف وردت في القرآن
الكريم ؟

القاعدة الثلاثون " حول استعمال الفعل الماضي :
1 - فيما له الكينونة الدائمة . 2- وفيما حصل فعلاً .
3- وفيما هو مقضيٌّ مقدرٌ ، فهو متحقق الوقوع
في المستقبل و ينتظر الزمن الذي يكون فيه واقعاً
منجزاً . 4 - وفيما هو معلوم لله وقوعه في
المستقبل ولو لم يكن له إرادة جبرية في وقوعه ،
إنما له به علمٌ و تمكين و تسخير " 2 .

وهذه القاعدة تتعلق بأوجه الخطاب بالفعل الماضي في
القرآن الكريم ، و قد ذكر المؤلف أن استعمال الفعل
الماضي في القرآن تأتي للدلالة على هذه الأمور و غيرها .
القاعدة الخامسة و الثلاثون " حول تعدية فعل (أراد -
يريد) في القرآن " 3 . ما أحوالها ؟

القاعدة السابعة و الثلاثون " حول إسناد الفعل أو ما
في معناه إلى فاعله أو من قام به أو مسببه أو
الأمْر به والداعي له، أو المُتَّهم أو الحاكم أو القاضي
به، أو واجده والعاثر عليه والواصل إلى العلم به، أو
غير ذلك " 4 . وعلى المتدبر إدراك العلاقات الفكرية التي
يصح معها الإسناد .

القاعدة الثامنة و الثلاثون " حول ما يسمى بالاستثناء
المنقطع " 5 . ما الغرض منه ؟
ح : قواعد متفرقات :

7 - نفسه : ص 551 .

1 - نفسه : ص 581 .

2 - نفسه : ص 601 .

3 - نفسه : ص 641 .

4 - قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل : عبد الرحمن الميداني ، ص
665 .

5 - نفسه : ص 683 .

ويدخل تحت هذا التصنيف :

القاعدة الثالثة عشرة " **حول أن القرآن لا اختلاف فيه ولا تناقض، وأنه لا تناقض بينه وبين الحقائق العلمية الثابتة بالوسائل الإنسانية** " ¹. و ضرورة نظر المتدبر في سياق النص و لواحقه، بما يرفع توهم الاختلاف .
القاعدة العشرون " **حول القسم في القرآن** " ² . و ضرورة البحث بأناة و تفكر و سبرِ قرآني عن المناسبة بين المُقسَم به و المُقسَم عليه .
القاعدة الحادية و الثلاثون " **حول النظر في توجيه الخطاب الرباني** " ³ .

وفي هذه القاعدة يدربُ المتدبر على كيفية تعلّم توجيه الصحيح السليم للخطاب الرباني حسب طبيعة الخطاب و الجهة المُخاطَب بها ، وكيفية الاستنباط من ذلك .
6- مكانة الكتاب بين كتب قواعد التفسير :

علم قواعد التفسير من أجل العلوم وأفضلها ، لأنَّ الله أمرَ بتدبر كتابه والتفكير في معانيه والاهتداء بآياته على القائمين بذلك ، وجعلهم في أعلى المراتب ووعدهم أمنى المواهب، فلو أنفق العبد جوهرَ عمره في هذا الفنِّ لم يكن ذلك كثيرًا في جانب ما هو أفضل المطالب وأعظم المقاصد، وأصل الأصول كلها.

ولمَّا تنوّعت و تفرّعت العلوم وانقسمت تفاصيلها وجزئياتها وصارَ من الصُّعوبة بمكان الإطاحة بجزئيات فنِّ واحد من فنون العلم فضلًا عن الإحاطة بجزئيات الفنون المختلفة ؛ عمد العلماء إلى استقرار وإبراز الأصول الجامعة والقضايا الكلية التي ترجع إليها تلك الجزئيات، تيسيرًا للعلم وإعانةً على حفظ ما تناثر من جزئياته، مع اختصار لكثير من الجهد والوقت ، إضافةً إلى تربية ملكة الفهم، وضبطه بضوابط تحجّره عن الخطأ.

كما قال الزركشي رحمه الله : " أمّا بعد فإن ضبط الأمور المنتشرة المتعدّدة في القوانين المتّحدة، هو أوعى لحفظها،

1 - نفسه : ص 225 .

2 - نفسه : ص 463 .

3 - نفسه : ص 611 .

وأدعى لضبطها، وهي إحدى الحكم التي وُضع لأجلها، والحكيم إذا أراد التَّعليم لا بدَّ أن يجمع بين بيانين: إجماليّ تتشَوَّف إليه النَّفس وتفصيليّ تسكن إليه " ¹ .

وقال ابن تيمية رحمه الله : " لا بُدَّ أن يكون مع الإنسان أصولٌ كُليَّة تُرَدُّ إليها الجزئيات ليتكلم بعلم وعدل ، ثم يعرف الجزئيات كيف وقعت، وإلا يبقى في كذب وجهل في الجزئيات، وجهل وظلم في الكليات فيتولد فسادٌ عظيم " ² . وعلى أساس ما تقدّم تبرز مكانة الكتاب : " قواعد التَّدبُّر الأمثل لكتاب الله عزَّ وجلَّ " ، وقد سبق بيان أهمِّ المصادر والمراجع في قواعد و أصول التفسير .

غير أنَّ هذا الكتاب الذي أيدنا امتارَ بصفتين أساسيتين : الأولى : الرِّيادةُ في إطلاق اسم (قواعد التَّدبُّر) بدل اسم (قواعد التفسير) ، ولذلك استحقَّ لقب " رائد علم التَّدبُّر لكتاب الله سبحانه في هذا العصر ، وهو رحمه الله تعالى لا يرى استخدام كلمة التفسير ، التي لا تتعدَّى بيان المعنى و إيضاحه ، دون الغوص في دلالات الألفاظ و سبر المعاني ، وبيان ارتباط الجملة القرآنية بموضوع السورة ، و ارتباطها الموضوعي بما تفرَّق في القرآن المجيد " ³ . بل إنَّ المؤلِّف رحمه الله يطمحُ بهذا العمل التأسيسي لعلم مستقلٍّ يحمل اسم (علم التَّدبُّر القرآني) وهو يقول : " أخي القارئ كتبتُ هذه القواعد بعد أن كنتُ دوَّنتُها ملاحظات خلال ممارستي الطويلة لكتاب الله ، ومطالعة كتب التفسير، وقراءة مفاهيم كثير من متدبِّري هذا الكتاب العظيم المجيد الذي لا تفنى أعاجيبه ، ولا يخلقُ على كثرة الرد ، فأرجو أن أكون قد وُفِّقتُ فيها إلى قواعدٍ تهدي المتدبِّرين ، وأن تكون هذه القواعد فاتحةً لبناء علم التَّدبُّر على ما يُرضي الله تعالى، عسى أن تكون وسيلة تسديد وهداية ، للباحثين

1 - المنشور في القواعد : بدر الدين الزركشي - تحقيق : محمد حسن إسماعيل - بيروت ، لبنان - دار الكتب العلمية - ط 1 - 1421هـ ، 1/65-66 .

2 - مجموع الفتاوى : ابن تيمية - عناية وتخریج : عامر الجزار ، أنور الباز - المنصورة ، مصر - دار الوفاء - ط 3 - 2005م ، 19/203 .

3 - التعريف بكتاب معارج التفكير و دقائق التَّدبُّر : مجد مكِّي ، ص 11 .

الحريصين على فهم كتاب الله ، وما تضمّنه من علم جليل و هداية عظيمة " ¹ .

والثانية : التجديد في طريقة الكتابة و التصنيف في القواعد ، وإزالة اللثام عن تطبيقاتها في كتاب الله عبر الأمثلة الكثيرة التي قدّمها . حيث إنّ المتطلّع في كتب أصول التفسير يتّضح له بوضوح مدى تميّز المؤلف في كتابه هذا ، فلم يجعل أصل تأليفه جمع القواعد وترتيبها، بل مال رحمه الله إلى الاجتهاد والنظر في طريقة العرض و في قواعد جديدة يرى أنه لم يسبق إليها، أو أنّ هذه القواعد لم تحطّ بالبيان المفصل أو التحقيق الكافي، ويكون قد اشتمل على جملة من مقاصد التّأليف في توضيح المشكل، والجدة والابتكار في العرض ، وهذا شيءٌ يتشرفُ به ، كما قيل : " لا ينبغي لخصيف أن يتصدّى إلى تصنيف أن يعدل عن غرضين: إمّا أن يخترع معنى، أو يبتدع وضعا ومبنى، وما سوى هذين الوجهين فهو تسويدُ الورق، والتحليّ بجلية السرّ " ² .

ويبقى هذا الفنّ، مع كل هذه المؤلفات و الطرق المتنوّعة ؛ لم يأخذ حقّه كاملا من التّأليف مقارنةً بباقي العلوم، فعدد ما فيه من المصنفات لا يتعدّى الأربعين ، بينما وصل مثلا في قواعد الفقه إلى أكثر من خمسمائة مُصنّف بين عمل قديم وعمل جديد ، ولذلك قال خالد السّبت حفظه الله : "والعجبُ كلّ العجب أنّ أهل الفنّ والصّناعة علي كثرتهم واختلاف عصورهم لم يُولوا هذا الأمر، أعني قواعد التفسير عناية تجدر به، وهو لها أهلٌ وبصّرفها حقيق، مع شدّة الحاجة إليها وخطر الخلط في فهمها" ³ .

ومع هذا فطريقة عرض المؤلف للقواعد ، و التي خرج بها في كثير من الأحيان عن الطريقة المعتادة في ضبط القاعدة التفسيرية و اختصارها ؛ هي التي جعلت البعض يستدركون عليه في الصياغة و يعتبرون كثيرا من قواعده فوائد و تنبيهات

1 - قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل : عبد الرحمن الميداني ، ص 801 .

2 - المنشور في القواعد : الرّركشي، 1/72 .

3 - قواعد التفسير جمعا و دراسة : خالد السّبت، 1/6 .

و ليست قواعد بالمعنى العلمي للقاعدة . وفي المطلوب
التالي طريقة المؤلف في كتابه .

7- طريقة الميداني في عرض القواعد :

أقصد باصطلاح الطريقة الشكل الظاهر الذي اتبعه
المؤلف في عرض القواعد التي جمعها أو اجتهد فيها . ولما
كان التأليف في قواعد التفسير ضئيلا جدا بالمقارنة مع
التأليف في غيره؛ أصبح من المتعذر الحديث عن منهج خاص
أو موحد كالترتيب الهجائي أو الترتيب الموضوعي، ومن خلال
استقرائي لكتب قواعد التفسير لم أجد ترتيبا معيناً معلوماً
انتجه مؤلف ما، أو اشترطه على نفسه وعلى هذا المذنب
دونوا فيها، يذكرونها منتشرة كلهم، إلا خالد السبتي فقد رتب
كتابه (قواعد التفسير)، وهو في الأساس عمل مقدّم لنيل
درجة علمية (الدكتوراه) على طريقة التبويب للموضوعات
كالأبواب الفقهية، وبعد هذا الكلام، سنحاول تحت هذه
المطالب الآتية الوصول إلى طريقة الميداني في عرض
القواعد فأقول مستعينا بالله:

أ- كيفية عرض القاعدة :

التأظر في كتب قواعد التفسير يلاحظ في ما يتعلق
بالصياغة أمرين:

الأول : أن بعض المؤلفين يذكر القاعدة بعبارة مُسهبة
مطوّلة لا يُراعي في الصياغة وزن الألفاظ وتقليلها قدر
الإمكان وهذا يمكنُ اعتباره تقسيماً على شكل عناوين أو
فصول أغلبها مضامين علوم القرآن .

فمن الأول مثل صنيع ابن تيمية رحمه الله في مقدّمة
التفسير، فإنه غالباً ما يشرع في بيان جملة من القواعد،
ويبدأها بكلمة (فصل) التي تعني: إحتواؤها على جملة محدّدة
من المطالب وتكاد تكون هذه الطريقة مُطرّدة عند الأقدمين،
وما يُلاحظ على هذه الطريقة كثرة الاستطرادات وعدم ضبط
التقسيمات والتفريعات بعناوين، وكذلك يُلاحظ عليها تداخل
الفنون ومزج المضامين العلمية وهذا وحده كافٍ لإجراء
دراسة علمية عليه وتبسيطه وإخراجه في حلة يسهل

الاستفادة منها . وجرى الأمر كذلك مع الإمام الكافيجي¹ في كتاب، "التيسير في قواعد علم التفسير"، حيث قسم كتابه قسمين، الأول: في الاصطلاحات، والثاني: في القواعد والمسائل².

والثاني: في التّقييد على طريقة القواعد الفقهيّة أو قواعد أصول الفقه، حيث ألف أصحابها كتباً في قواعد التفسير، وهي مصوغة يصيغ كليّة وتحت كل قاعدة قواعد تابعة لها أو ضوابط، مع التمثيل والشرح. والمؤلف رحمه الله في كتابه جرى عرصة عمومًا على هذا النسق فجمع أربعين قاعدة يبدأها دائما برقم القاعدة، ثم بكلمة (**حول**) مثل: القاعدة الثانية (**حول وحدة موضوع السورة القرآنية**)، ثم يشرح القاعدة ويحللها تحليلاً بيّناً بإسهاب وافي في كثير من الأحيان، يُسلم به القارئ لكتابه بمضمون القاعدة، ثم يمثل لها بأكثر من مثال يصل أحيانا إلى عشرين مثالا على حسب المقتضى.

ب- صياغة القاعدة :

تتميّز القاعدة بالأساس من حيث الصياغة بالإيجاز في التعبير مع شموليّة المعنى وغالبًا تكون كلماتها معدودة، لأن من أغراض القاعدة سرعة استحضارها وثبوتها في الذهن. والملاحظ أنّ الذين صاغوا وألفوا في قواعد التفسير والتدبر، ومنهم الميداني؛ لم تأت عبارات قواعدهم بالقوة البلاغيّة والإيجاز الكلّي كما هو الشأن في القواعد الأصوليّة، أو القواعد الفقهيّة إلا نادرًا، فجاءت الصياغة عندهم على شكل جمل خبريّة بسيطة.

كما تمتاز القواعد أحيانًا عند الميداني بانعدام المعنى في نص القاعدة، مع الطول والشرح الوافي لها بعد ذلك، كما

1 - هو محمد بن سليمان، وُلد ببلاد "صروخان" سنة (788 هـ)، أخذ عن كثيرين منهم: حافظ الدين البزازي، ومن أجل تلاميذه السيوطي، له من المؤلفات: الإحكام في معرفة الأيمان والأحكام. توفي سنة (879 هـ)، وانظر ترجمته في كتابه "التيسير في علم التفسير": الكافيجي- تحقيق حسين الذهبي، ص 5.

2 - التيسير في علم التفسير: الكافيجي، ص 49.

في القاعدة الثانية يقول: (حول وحدة موضوع السُّورة القرآنيَّة)¹ ، فهذا في الحقيقة عنوان وليس قاعدة . وفي بعض الأحيان يصوغُ قاعدته بجمل تحت هذا العنوان أو ذاك مُسهبَةً وفقراتٍ متتالية يذكر فيها ليس قاعدة واحدة فحسب بل قواعد أو قل ضوابط عدة، فمثلا تحت القاعدة الأولى أو بالأحرى العنوان الأول: (حول ارتباط الجملة القرآنيَّة بموضوع السورة وارتباطها الموضوعي بما تفرق في القرآن)² هذه القاعدة التي أهَمَّت المؤلف حتى استغرق فيها وفي فروعها وأطال، وأنشأ تحتها قواعد ذات صلة بها ودليل ذلك أنه صدَّر بها قواعد.

قلت : أورد عقب هذه القاعدة عدة قواعد بدأها بقوله : " كل معنى جزئيُّ مستفاد من جملة قرآنيَّة له ارتباط بما تفرَّق في القرآن من معاني تلتقي معه في موضوع واحد"³ ، وبين ثانيا شرحه يخرج بقاعدة تتفرَّع عن الأولى يمكن أن نعتبرها ضابطا يقول: " فمن قواعد التدبُّر الأمثل تدبُّر هذه الارتباطات المختلفة، سواء أظهر فيها الرِّابط لفظا أو لم يظهر"⁴ .

وعلى هذا المنوال خرجت سائر القواعد. وهذه العناوين يمكن اعتبار صياغتها على شكل قاعدة من حيث المعنى ، أمَّا من حيث شروط القاعدة كالإيجاز والدقَّة والكلِّيَّة ؛ فلا يمكن اعتبارها كذلك، وإن كان ما تضمنته يمكن أن نعتبره قاعدة، ولعلَّ كلمة (تأمَّلات) التي تبتَّها في العنوان تشفُّع له في هذه العمل الذي هو بداية التأسيس لعلم التدبُّر القرآني كما قال ، والبدايات دائما تحتاجُ إلى التوضيح و التحقيق بالتراكم شيئا فشيئا .

8- خطوات تفصيل القواعد عند الميداني :

1 -قواعد التدبُّر الأمثل لكتاب الله عز وجل: عبد الرحمن الميداني، ص 27 .

2 - نفسه : ص 13 .

3 - نفسه .

4 - نفسه : ص 15 .

المؤلف رحمه الله يوردُ في كتابه القاعدة بالتفصيل والتحليل ويتبع في ذلك ثلاث خطوات: التفرُّع والشَّرح والتمثيل .

أ- التفرُّع :

لا يكتفي المؤلف رحمه الله بإيراد القاعدة جامعةً وجامدةً بل يُفَرِّع عنها تفرُّعات تزيدها وضوحًا وتحيط بجوانبها المتشعبةً فمثلا في القاعدة الرَّابِعة: (حول بيئة نزول النَّصِّ البشريَّة والزمانية والمكانية والفكرية والفردية والاجتماعية)، فإنه لم يكتف بهذا النَّصِّ جامدًا، وراح يضع ثلاثة اعتبارات ينبغي مراعاتها لتطبيق وفهم هذه القاعدة هي: تصوُّر العصر الإسلاميِّ الأوَّل وحال الذين كانت تنزل عليهم الآيات القرآنية ، تصوُّر الحالة النفسية والفكرية والاجتماعية حال نزول الآيات، تصوُّر الظرفين الزمانيِّ والمكانيِّ اللذين أنزلت فيهما الآيات الموضوعة للتدبُّر والدراسة.

وهكذا يسير رحمه الله في تحليل هذه العناصر الثلاثة وغيرها ومحاولة إيجاد الرِّابط الحقيقيِّ بينها وبين القاعدة الأمِّ، وبمعنى أدقِّ، يضعنا المؤلف أمام الصُّورة التي تُقسَّمُ فيها أجزاء الحقيقة أو القاعدة ومن ثمَّ الوصول إلى تطبيقاتها الجزئية والسلوك بها نحو جادة التفسير الصحيح والفهم العميق.

وتارة يُعبر عن التفرُّع بكلمة (مقولة) مثل القاعدة الحادية والثلاثين: (حول النَّظر في توجيه الخطاب الرباني) ¹ يقول: " وفيها ثلاث مقولات : المقولة الأولى: حول خطاب النَّاس بصفة عامة، وخطاب المذنبين آمنوا على وجه الخصوص . . المقولة الثانية: الأصل في الخطاب الرباني ولو بعد نزول القرآن أنه فوق الزَّمن فهو خارج عن حدوده، وهو قائم بلا تجدد . . المقولة الثالثة: خطاب الله للرَّسول صلى الله عليه وسلم شامل للمؤمنين ما لم تثبت الخصوصية ، وخطاب المفرد في القرآن هو خطاب لكل فرد يصلح للخطاب ، وهو أسلوب من أساليب التعميم .. " .

1 - قواعد التدبُّر الأمثل لكتاب الله عز وجل : عبد الرحمن الميداني ، ص

وتارة يُعبّر عن التّفريع بلفظ (الأمر) كذكره في القاعدة الثلاثين (حول استعمال الفعل الماضي : 1 - فيما له الكينونة الدائمة. 2- وفيما حصل فعلاً. 3- وفيما هو مَقْضِيٌّ مَقْدَّرٌ ، فهو متحقّق الوقوع في المستقبل و ينتظر الزّمن الذي يكون فيه واقعاً منجزاً. 4 - وفيما هو معلوم لله وقوعه في المستقبل ولو لم يكن له إرادة جبرية في وقوعه ، إنما له به علمٌ و تمكينٌ وتسخيرٌ) أربعة أمور بدأها بقوله: " الأمر الأوّل: أنّ المتحدّث عنه له الكينونة من الأزل إلى الأبد " ¹ . وتارة يقسّم (بالعدّ) فيقول: "أولا - ثانيا - ثالثاً . . " ² ، وتارة يكون المثال نفسه تفريع بعنوان، وجملة على القاعدة . . وهكذا .

ب- الشّرح :

بعد أن يذكر المؤلّف رحمه الله القاعدة أو ما يلحق بها يشرع في إيراد الشّروحات الوافية التي تزيدها جلاء، ويحسن بعد ذلك توظيفها واعتمادها في التّفسير . ولعلّ السّمة الغالبة على الكتاب كثرة الشّرح والاستطراد الناتج عن التّصور العلمي للقاعدة وإنشاء الأطر الصّحيحة للفهم عند تناول المياداة التّفسيرية وهذه السّمة كذلك نجدها عند ابن عقيلة المكي فقد حوى كتابه الزّيادة والإحسان في الجزء الثامن التّوع الخامس والأربعون: (علم في قواعد مهمة يحتاج المفسّر إلى معرفتها) ، عرض فيه بعض القواعد ذات الصّلة بالنحو، وكانت طريقة الشّرح فيه بادية تظهر في كثرة الشّواهد والتّفصيل كما في قاعدة (مرجع الضّمير) حيث أوغَرَ رجوع الضّمير إلى ستة عشر سببا ذكرها كلها وعلق عليها، وفرّع عن هذا قاعدتين: الأولى: الأصل عودة الضّمير على أقرب مذكور . الثانية: الأصل توافق الضّمائر في المرجع ³ .

1 - قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله عز وجل : عبد الرحمن الميداني ، ص 601 .

2 - نفسه : ص 379 .

3 - الزّيادة والإحسان في علوم القرآن : ابن عقيلة المكي - الشارقة ، الإمارات العربية المتحدة - مركز البحوث و الدراسات- ط 1 -2006م ، 8/182-

والمؤلف رحمه الله لا يترك شيئاً في كتابه يستحق الشرح إلا واعتنى ببيانه فتجده يشرح القاعدة وما يتعلق بها من قواعد ويشرح تفرعاتها ويشرح أمثلتها من القرآن على كثرتها في كتابه حتى تخال نفسك تقرأ كتاب تفسير من كثرة المادة التفسيرية البيانية، وهذا يظهر مدى اعتناؤه بالجانب العملي، وربما هذه خصلة محمودة تُحسب له، فكلما كان الشرح وافياً كلما زال التعقيد عن الأذهان وأحوج ما يكون إليه طلبه العلم.

ت - التمثيل :

يمثل المؤلف للقاعدة إلا أنه لا يقتصر على محل المثال مجرداً من وجه الاستدلال تاركاً للقارئ البحث عنه، فلذلك يشرحه ويبحث عمّا يربطه بالقاعدة ويفيض في الأمثلة، حتى زادت الأمثلة على أكثر من أربعمئة مثال من القرآن : والقارئ لكتابه يتمتع بالأمثلة التفسيرية فيستفيد بذلك أمرين: تفسير الآية أو الآيات من المثال تفسيراً علمياً، مرتبطاً بعلاقة القاعدة. و التدرب على ربط القاعدة بتطبيقاتها القرآنية . ويبرر رحمه الله كثرة التمثيل للقواعد في كتابه إلى قلته في طبعته الأولى من كتابه: قواعد التدبر الأمثل وكانت طبعة مختصرة موجزة، قال فيها: "وكان قد رأى بعض أهل العلم أن الأمثلة التطبيقية من القرآن لقواعده قليلة، أو تحتاج إلى المزيد" ¹، ثم وسّع في الطبعة الثانية القواعد حتى وصلت الأربعين وهي في الصورة التي نحن بصدد دراستها.

وقد أعانه على جمع الأمثلة السبر الشامل، واعتماده على المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم كما صرح بذلك في قوله : " وقد اعتمدتُ في بعضها على السبر الشامل لآيات القرآن الكريم ، إذ تيسر لي ذلك بمعونة المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لخدم القرآن والسنة بصدق وإخلاص وصبر الأستاذ: فؤاد عبد الباقي رحمه الله رحمة واسعة " ² .

وتفاوت مقدار التَّمثيل فوصل في القاعدة الرابعة عشرة:
**(حول اقتضاءات النص ولوازمه وروابطه الفكرية،
ومحاذيفه التي حذفت للإيجاز والتضمينات التي
يضمونها)**¹ إلى أكثر من ستين مثالاً لكل نوع من أنواع هذه
القاعدة .

وليس بالضرورة أن يكون المثال آيةً واحدة بل قد يتكوَّن
من عدة آياتٍ تصلُّ إلى عشرة أحياناً ينتقيها ويربطها بروابط
علمية تتأسَّس على القاعدة الممثل لها. وهذه من حسنات
الشيخ في التأليف.

9- خصائص أسلوب الميداني في كتابه :

لكل عالم سمات وخصائص تميِّز أسلوبه في عرض
القواعد ، ويتميِّز أسلوب المؤلف بالخصائص التالية، التي
سأذكرها في شكل فروع للمطلب.

أ- الاستطراد :

هذه الميزة عُرف بها المؤلف واشتهرت في أعماله
عموماً، وفي كتابه قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عزَّ وجلَّ
خصوصاً، فكان إذا بحث مسألة أو استغرق في قاعدة
استرسل في الكلام واستطرد فيها حتى يخرج عن موضوعه
الأصليِّ إلى موضوع آخر قد يكون أنفع للناس من القاعدة
المبحوث فيها أصلاً، وهذا مما يدل على غزارة فكره وعلى
جوده علمه، ولكن في هذا المقام يمكن أن يُعتبر عيباً.

ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره في القاعدة الثامنة و

العشرين " **حول استعمال الكلام في أكثر من معنى** "

² ، فقد استطرد حتى وصل إلى الكلام حول اللغات
والتعبيرات الكلامية وكونها رموزاً اصطلاحية وتكلم عن الكتابة
عند علماء البلاغة ، وأشياء أخرى .

ب- التكرار :

ميزة التكرار بارزة في كتاب "قواعد التدبر الأمثل" ، فقد
كان المؤلف رحمه الله يبحث عن بعض المسائل في أكثر من
موضع، ولكن التكرار لا يخلو من فائدة، وفي الإعادة إفادة

1 - نفسه : ص 239 .

2 - قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل : عبد الرحمن الميداني ، ص

ولعلَّ المؤلف رحمه الله يريدُ أن نتصوّر نوع الارتباط بين القواعد ، أو كان حريصًا على تأكيد الفكرة وتقرير القاعدة ، كما أن ذلك التكرار لا يخلو من إضافات مهمة لم تُذكر من قبل.

ومن الأمثلة على ذلك :

أنه بحث في القاعدة التاسعة عشرة (**حول تردّد النصّ القرآني بين دالّتين أو أكثر**) مسائل أعادَ بيانها وشرحها في القاعدة الثّانية عشرة (**حول النّظر في الألفاظ المتقاربة المعنى أو المترادفة**)¹ حتى لكأنها تكادُ تكون واحدةً ، و بحث في القاعدة الثامنة والعشرين (**حول استعمال**

الكلام في أكثر من معنى معًا)² أموراً ذكرها في سابقتيها.

فالقاعدة الأولى والثّانية والثالثة بينهما تداخل وتشابه شديد، فبينما كان يتحدّث في الأولى عن تردد النصّ بين دالّتين أو أكثر، لغويّة كانت أو دلالة عربيّة شائعة، أو دلالة عرفيّة شائعة في الاستعمالات القرآنيّة والنبويّة أو الحسيّة أو المعنويّة أو من المعاني الحادثة إلى المعاني الأزليّة قال : " إذا تردّد النصّ بين دالّتين أو أكثر . . . فالدلّالة التي ينبغي المصير إليها واعتمادها في فهم معاني النصّ، هي التي تطابق الواقع، أو تؤيّدُها البراهين العقليّة، أو التي لا إشكال فيها فلا تحتاج إلى تأويل بخلاف غيرها أو التي تنسجم مع سوابق النصّ ولواحقه أو التي تتفق مع المفاهيم القرآنيّة والأصول الإسلاميّة الثّابتة بيقين"³.

فهو يتحدّث هنا على ثلاث حقائق: لغويّة وشرعيّة وعقليّة، فأوجب تحكيم العقليّة والشرعيّة على اللغويّة المجرّدة عند التردّد بين أكثر من معنى، هذا عند عدم التّكافؤ ، أما عند تكافؤ الدّلالة؛ يقول: "أما إذا تكافأت الدلالات فالدلّالة الأصليّة

1 - نفسه : ص 435 .

2 - نفسه : ص 567.

3 - قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله عز وجل : عبد الرحمن الميداني ، ص

اللغوية هي المرجحة ، وتبقى الدلالات الأخرى احتمالات مرجوحة "1 .

وفي قاعدة (**حول استعمال الكلام في أكثر من معنى معا**) يقول: "فانتهيت إلى أن من الأمثل والأفضل في تدبير كلام الله عز وجل حمل النص على كل المعاني التي يؤيدها الواقع أو العقل، تمثيلاً مع عطاء القرآن التّر ، الذي لا تنضب معانيه ولا تفنى عجائبه "2 . وبغض النظر عن تشابه النتائج فإن القاعدة الأولى هي نفسها القاعدة الثانية أو قريبة منها جداً ، فليته أدرجها في صياغة واحدة .

ت- رعاية الأسلوب الأدبي والجمالي :

مع أن الكتاب يتحدث عن قواعد التفسير، والواجب حينها أن يستخدم الأسلوب العلمي، إلا أن المؤلف لم يخرج عن عادته في إتقان إخراج الجانب البلاغي و الاهتمام بصناعة الشكل كما بالمضمون، فتميز أسلوبه بالجمال الأدبي الرائع مع السهولة وخلوه من التعقيد ، كما تميز بوضوح العبارة وعذوبة اللفظ، والميل إلى الصور البيانية والمحسنات البديعية من غير تكلف ولا ضمير، فقد كان رجل بلاغة يأمرها فتطيعه، ويدعوها فتجيبه، ولا ننسى أنه عالم لغة و أديب كبير، وشاعر فحل .

ومن ذلك أنه في المثال الرابع من قاعدة (**حول لزوم فهم الآية وفق ترتيب نظمها**) قال رحمه الله وهو يستعمل الأسلوب الجمالي الأدبي و التصوير الفني البديع : " قد يهدف ترتيب الجمل القرآنية إلى عرض لوحة فنية مما خلق الله في كونه ، حتى كأنها رسمٌ قد روعيت فيه كل الشروط الفنية التي تُراعى في الرسوم و الصور الرفيعة ، فكأن الصورة مثال مطابق للواقع تماما . كنتُ مرّةً جالساً في بادية ، وأمامي سهلٌ ممتد ، وبعده سلسلة جبال متتابعة ، فمرّت قافلة جمال ، فنظرت إلى القافلة ، فتتابعت الصورة في ملاحظتي الحسية على الوجه التالي : 1- صورة قافلة الجمال السائرة ، وكان هذا أول لافت لنظري ، بسبب الحركة ، و غرابة المشهد ، و رغبة النفس بمتابعة مشاهدته قبل أن يغيب عن النظر . 2- فصورة السماء من جهة الأفق البعيد

1 - نفسه .

2 - نفسه : ص 570 .

وراء القافلة . 3 - ثم تدلّى بصري فظهرت لي صورة الجبال .
4 - ثم رأيتني أرخي بصري أخيرا إلى جهة الأرض المنبسطة
الممتدة أمامي كأنها السطح . عندئذ علمتُ الحكمة التي
دعت إلى ترتيب الجمل القرآنيّ التالية من سورة (الغاشية /
88 مصحف / 68 نزول) [أَقْلًا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (17)
وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (18) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (19) وَإِلَى الْأَرْضِ
كَيْفَ سُطِحَتْ] ، وقلت في نفسي : إنها بهذا الترتيب تقدّم لوحةً
فنيّة تطابق ما يحدثُ لمُشاهدٍ واقعٍ في مثل هذا المشهد الذي
حدث لي " 1 .

فالمثال دقيقُ المطابقة للقاعدة التي يندرجُ تحتها ، و لكنّ
شرح المؤلف راعى فيه الإبداع الأدبي و التصوير الجمالي
الأسلوبي بامتياز .

10- مصادر الكتاب :

الكتاب رغم قيمته العلميّة الواضحة لكنّه غيرُ غنيٍّ
بالمصادر و المراجع في شتى العلوم والفنون، وهنا لا أقصد
الانتقاص من قيمة المادة العلميّة فيه أو التشكيك فيها ، حاشا
و أبعد ، إنّما يتلمّسُ المطالعُ فيه الشحّ والقلّة الشديدة بالنسبة
إلى العزو والتقل والإحالة والتنبية إلى النقولات وذكر ما تقدّم
من المؤلفات بالمقارنة مع حجم الكتاب .

والدليل على ما تقدّم أنّهُ من خلال استقراي المتأثري
لكلّ صفحات الكتاب الثمانمائة؛ لم أجد إحالات على الهامش
إلا في اثنين وعشرين موضعا فقط²، في اثنين منها أحال إلى
مؤلفاته³ .

ومعلوم أن التهميش يكتسي قيمة كبرى في البحوث
الأكاديميّة والأعمال الجادة، وتركه مخالفة ظاهرة لطريقة

1 - قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله عز وجل : عبد الرحمن الميداني ، ص
216-217 .

2 - انظر هامش الصفحات : (25 ، 137 ، 153 ، 204 ، 211 ، 252 ، 271 ،
352 ، 354 ، 458 ، 570 ، 622 ، 673 ، 678 ، 709 ، 712 ، 714 ، 717 ،
718 ، 739 ، 759 ، 778) .

3 - انظر هامش الصفحات : (271 ، 354) ، الموضوع الأول أحال فيه على كتابه (**الأمة الربّانية الواحدة** من ص 16 إلى ص 21) ، و الثاني أحال فيه على نفس
الكتاب (من ص 27 إلى 34) . وقد أحال أيضًا على كتابه (**بصائر للمسلم
المعاصر**) ولكن ليس في الهامش (ص 162) .

المُحدَثين في الكتابة. وللوهلة الأولى يبدو هذا معدوماً بالمقارنة بمجلد من ثمانمائة صفحة . هذا فيما يخصُّ الإحالة في الهامش وقد تقدّم الكلام عنها.

أما داخل متن الكتاب وهذه أكثر عدداً من الأولى ولكن مع ذلك فهو محدودٌ جدّاً وهذه الإحالة متذبذبة وتأتي تارة وتذهب أخرى، سواء تعلق الأمر بتقرير القاعدة أم تعلق بشرحها وتفريعاتها.

وإن كان هناك له من عذر نقول : إن المؤلف لا يُجحفُ في حقٍّ من قبله أو يكتُم جهودهم وإنما تكتمل الفكرة في ذهنه بتكامل المعارف الشرعيّة التي يستحضرها فينسب الكلام من قلمه كما يناسب الماء في الإناء .

وعلى ذلك درج غيره ومن كان قبله ومنهم الشيخ عبد الرَّحمن السَّعدي في كتابه، " **القواعد الحسان في تفسير القرآن** "، فلا تجد تماماً إحالة على الهامش، وفي المتن يكاد يكون معدوماً. و كان رحمه الله كثيراً ما ينقل عن الأئمة دون التّصريح باسم الكتاب، وعلى كلِّ فائده أخذ من المصادر والمراجع و إنما اكتفى بالإشارة إلى بعضها ، وفي المطلب اللاحق يظهر ذلك.

11- مدى استفادة المؤلف ممّن سبقه في تأليف هذا الكتاب :

المؤلفُ رحمه الله يُقرّ صراحةً في خاتمة الطبعة الأولى¹ أنّه استفادَ في إعداد مادّة الكتاب من مطالعات جمّة ، لكتب التفسير و لجهود تدبيريّة لكثير من أهل العلم ، و لكنّه لم يوثّق طبيعة هذه الاستفادة على وجه التحديد بالاسم و الصفحة إلا نادراً بالمقارنة مع حجم الكتاب :

قال رحمه الله : " أخي القارئ كتبتُ هذه القواعد بعد أن كنتُ دوّنتُها ملاحظات خلال ممارستي الطويلة لكتاب الله ، **ومطالعة كتب التفسير، وقراءة مفاهيم كثير من متدبيري هذا الكتاب العظيم المجيد الذي لا تفنى أعاجيبه ، ولا يخلق على كثرة الرد ، فأرجو أن أكون قد وُفِّقتُ فيها إلى**

1 - قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله عز وجل : عبد الرحمن الميداني ، ص

قواعدَ تهدي المتدبّرين ، وأن تكون هذه القواعد فاتحة لبناء علم التدبّر على ما يُرضي الله تعالى ، عسى أن تكون وسيلة تسديد وهداية ، للباحثين الحريصين على فهم كتاب الله ، وما تضمّنه من علم جليل وهداية عظيمة ¹ .

فهذا تصريحٌ بأنّه استقى من جهودٍ وقرائاتٍ سابقة ، ولكن قلّما نجدها موضّحةً في ثنايا الكتاب، إلاّ في مواضع محدودة، فمن ذلك مثلاً :

أنّه - بالإضافة إلى كونه رحمه الله من علماء اللغة و البلاغة العربية - فقد أخذ من المصادر اللغويّة وارتبط بها و بأقوال أصحابها في البحث ، مثله مثل أيّ باحث أكاديمي ، فقد أخذ عن :

معجم مقاييس اللغة لابن فارس ² ، و مفردات الراغب الأصفهاني ³ ، و المحكم لابن سيده ⁴ ، و لسان العرب لابن منظور ⁵ ، و القاموس المحيط للفيروزآبادي ⁶ ، المدر المصون لابن السمين ⁷ ، و تهذيب اللغة للأزهري ⁸ ، و مغني اللبيب لابن هشام ⁹ ، و الصحاح للجوهري ¹⁰ .

ويقول أحياناً في استشهاده : " قال علماء العربية " ¹¹ ، أو : " قال أهل اللغة " ¹² . وكما يستشهد بالشعر من ذاكرته دون تحديد المصدر ¹³ . أو يقول بإطلاق جزئي : " جمعاً لموادّها في لسان العرب ، و غيره من المعاجم " ¹⁴ .

1 - نفسه : ص 801 .

2 - نفسه : ص 404 .

3 - نفسه : ص 400 .

4 - نفسه : ص 403 .

5 - نفسه : ص 322,352,402 .

6 - نفسه : ص 385,404 .

7 - نفسه : ص 739 .

8 - نفسه : ص 403 .

9 - نفسه : ص 252 .

10 - نفسه : ص 385 .

11 - قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله عز وجل : عبد الرحمن الميداني ، ص 633 ، 759 .

12 - نفسه : ص 759 .

13 - نفسه : ص 121 ، 165 ، 419 ، 569 ، 599 .

14 - نفسه : ص 673,678 .

وبخصوص استفادته و نقله عن أهل التفسير و علوم القرآن و القراءات فقد نقل رحمه الله عن جمهرة منهم ، وهم :

الطبري¹ ، التيسير للداني² ، والزرکشي³ ، والفخر الرازي⁴ ، الجرجاني⁵ ، و ابن كثير من تفسيره⁶ ، و قصص القرآن له أيضًا⁷ ، و الإتقان للسيوطي⁸ ، سيد قطب⁹ .

وفي بعض الأحيان ينقلُ و لا يصرح باسم المفسر ولا المصدر:

من ذلك قوله رحمه الله : " قال بعض المفسرين " ¹⁰ .
أو : " عن بعض أهل التأويل " ¹¹ .

وقد يوجّه النقد لأقوال المفسرين دون تعيينهم ولا يذكر مصادره¹² .

و ربّما نقلَ من أسفار الإنجيل دون تخريج¹³ .
وقد استفادَ المؤلف رحمه الله في إعداد هذه المادّة من بعض كتب الحديث و بعض المصادر الحديثيّة، من ذلك :
صحيح البخاري و صحيح مسلم¹⁴ ، المسند للإمام أحمد¹⁵ ،
المستدرک للحاكم¹⁶ ، صحيح ابن حبان¹⁷ ، سنن أبي داود¹⁸ ،

1 - نفسه : ص 135 ، 594 .

2 - نفسه : ص 718 .

3 - نفسه : ص 153 .

4 - نفسه : ص 430 .

5 - نفسه : ص 210 .

6 - نفسه : ص 61 .

7 - نفسه : ص 469 ، ويقصد قصص الأنبياء فهو مشهور بهذا الاسم .

8 - نفسه : ص 570 .

9 - نفسه : ص 154 .

10 - نفسه : ص 210 .

11 - نفسه : ص 116،164 .

12 - نفسه : ص 444 .

13 - قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل : عبد الرحمن الميداني ، ص 470 ، في النقل عن سفر الخروج .

14 - نفسه : ص 118 ، 607 ، 712 ، 713 ، 714 ، 715 .

15 - نفسه : ص 715 .

16 - نفسه : ص 715 .

17 - نفسه : ص 715 .

18 - نفسه : ص 607 .

سنن الترمذي¹ ، المعجم الكبير للطبراني² ، المسند الكبير للحافظ أبي يعلى³ ، الجامع الصغير للسيوطي⁴ ، مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي⁵ ، فتح الباري لابن حجر⁶ ، ابن دقيق العيد نقلًا عن نيل الأوطار للشوكاني⁷ .

كما رجع المؤلف رحمه الله إلى علماء الفقه و الأصول و استفاد منهم في استلهاهم بعض موادّها التي لها ارتباط أصيل بهذا العلم ، وإنما ظهرَ تصرُّحُهُ بذلك - حسب تصفّحي - في موضعين هما :

الموضع الأوّل قوله رحمه الله تحت القاعدة الثامنة و العشرين (حول استعمال الكلام في أكثر من معنى معاً) : " رأي طائفة من الفقهاء و الأصوليين أنّ الكلام الذي يمكن أن يدلّ على معنيين فأكثر معًا في وقت واحد ، مع عدم التضادّ بينهما ، ولا دليل يدلّ على صرف الكلام عن أحدهما ويبين أنه غير مراد؛ فإنّ المعاني تكون مرادةً معاً ، ويحمّل الكلام عليها معاً ، ولو كان بعضها حقيقة و بعضها مجازًا . وممن قال بأنّ اللفظ يُستعمل في معنيتين فأكثر معاً الإمام الشافعي ونصّ عليه في الأم ، و الإمام مالك بن أنس ، والقاضي أبو بكر الباقلاني ، و الإمام الغزالي من الشافعيّة ، والقاضي عبد الجبار من المعتزلة ، وهي مسألة معروفة في كتب أصول الفقه " ⁸ .

والموضع الثاني قوله رحمه الله : " وهذه القراءات العشر متواترات كما أثبت ذلك كثيرٌ من المحقّقين المختصّين بهذا العلم ، وكثير من علماء الفقه و أصوله ، وقد صرّح الإمام ابن السبكي بتواترها جميعاً في كتابه منع الموانع وقال : إنّ القولَ بعدم تواترها في غاية السقوط " ⁹ .

1 - نفسه : ص 714 .

2 - نفسه : ص 716 .

3 - نفسه : ص 716 .

4 - نفسه : ص 607 .

5 - نفسه : ص 607 .

6 - نفسه : ص 137 ، 717 .

7 - نفسه : ص 204 .

8 - قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله عز وجل : عبد الرحمن الميداني ، ص 567 .

9 - نفسه : ص 709-710 .

قلتُ : ولو أُنُّه بَيْنَ رحمة الله المصادِرِ و الإِحالاتِ لأضافَ للبحثِ جمالاً و دِقَّةً تزيدُهُ إبداعاً .

ومع جميع هذه المصادر التي استقى منها المؤلفُ رحمة الله موادَّ بحثه زيادَةً و ارتكازاً على ما يفتح اللهُ به عليه من تأمُّلٍ ؛ فقد كان مُنصِفاً و موضُوعياً في نسبة الفضل إلى أهله .

فقد شهد رحمة الله أنه استفادَ من كتاب (**المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**) للأستاذ فؤاد عبد الباقي رحمة الله ، وأثنى عليه :

قال رحمة الله : " وقد اعتمدتُ في بعضها على السِّبر الشامل لآيات القرآن الكريم ، إذ تسرَّ لي ذلك بمعونة المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، لخدام القرآن و السنَّة بصدق و إخلاص و صبر ، الأستاذ (فؤاد عبد الباقي) رحمة الله رحمة واسعة " ¹ .

وكان يستفيدُ من توجيهات أهل العلم حينَ يعرضُ عليهم جُهدهُ و أفكاره أو يطلبُ منهم إبداء الرأي في الموضوع و يذكرُ ذلك لا ينساه . من ذلك قوله رحمة الله في هامش القاعدة الأربعين (حول القراءات العشر) : " عرضتُ هذه القاعدة على الأستاذ الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي المشتغل بعلم القراءات ، والمهتمّ بنشر كتب التراث من كتب الأئمَّة المُقرئين ، وقد أهدتُ من ملاحظاته القيمة جزاه اللهُ خيراً " ² .

أو ينسبُ ما وجدَهُ مخدوماً في بحوث العلماء إلى أصحابه، وهذا بدون شك من تمام الأمانة و الموضوعية :

كما في ملحق (**جدول حول القراءات العشر في الفرشيات وشيء يسير من غيرها**) قال قبل تقديم الجدول : " أخذتها من كتاب البدور الزاهرة للمقرئ الشيخ عبد الفتاح القاضي ، و كتاب المهذب في القراءات العشر و توجيهها من طريق طيبة النشر تأليف د محمد سالم محيسن " ³ . فرحمه الله رحمة واسعة ، وأعاننا على الاستفادة من علمه و أخلاقه .

1 - نفسه : ص 7 .

2 - نفسه : ص 709 .

الفصل الثاني

دراسة تفصيلية لكتاب " معارج التفكير
ودقائق التدبر" و منهج المؤلف فيه

و قد قسّمت هذا الفصل إلى ثلاثة
مباحث هي :

المبحث الأول : دراسة وصفية لكتاب معارج
التفكير و دقائق التدبر
المبحث الثاني : منهج المؤلف في تفسير
السور والآيات
المبحث الثالث : منهج المؤلف في تناول
مباحث اللغة والعقيدة و علوم القرآن

تمهيد

أتناول في هذا الفصل الدراسة التفصيلية للأرضية و الميدان الذي حصل فيه تطبيق (قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل)، أعني بذلك تفسير المؤلف الذي سماه (معارج التفكير ودقائق التدبر) .

هذا ويحتاج القارئ لكي تكتمل لديه الصورة التفصيلية عن تفسير عبد الرحمن حبنكة الميداني إلى إدراك البطاقة التعريفية للكتاب بجميع تفاصيلها ، من حيث تسميته ، وموضوعه، وأهميته، وسبب تأليفه، وطريقة عبد الرحمن حبنكة الميداني في تفسير الآيات والسور .

بالإضافة إلى الوقوف على منهج المؤلف في تفسير السور والآيات وتناول العلوم والمباحث المختلفة، وعرض القضايا والمسائل التفسيرية واللغوية والعقدية وغيرها ، ليكتمل لدى القارئ في النهاية و بمجموع ما ذكرناه تصوّر عام عن الكتاب .

وهذا ما توضّحه المباحث التالية :

المبحث الأول دراسة وصفية لكتاب " معارج التفكير و دقائق التدبّر "

أتطرق في هذا المبحث إلى دراسة تفصيلية لكتاب (معارج التفكير و دقائق التدبّر)، بما أراه يعطي بطاقة تعريفية للكتاب، من حيثُ تسميته ، و طبعاته ، وموضوعه و أهميته ، و سبب تأليفه ، وطريقة عبد الرحمن الميداني في تفسيره ، ومصادره التي اعتمد عليها من خلال استقراء استشهاداته والمادة العلمية الواردة فيه ، مع الإشارة إلى مدى استفادة المؤلف ممن سبقه من المفسرين والعلماء.

1- تسمية الكتاب :

اسمُ الكتاب (معارج التفكير ودقائق التدبّر تفسير تدبّري للقرآن الكريم بحسب ترتيب النزول وفق منهج كتاب " قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله عزّ وجلّ ") :

هذه التسمية هي التي نصّ عليها صاحبُ الكتاب، وهي مشهورةٌ متداولةٌ مطبوعةٌ بهذا السّياق ، فهو تفسير تدبّريّ تطبيقيّ للقواعد التي ذكرها المؤلّف في كتابه (قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله عزّ وجلّ) ، وهي تسميةٌ يعبّرُ بها المؤلّف عن محتواه بكلِّ دقّة و موضوعيّة :

قال رحمه الله في المقدّمة العامة لتفسيره : " وبعد : فقد فتح الله عزّ وجلّ عليّ خلال تدبّري الطويل لكتابه المجيد ، باستخراج أربعين قاعدة من قواعد التدبّر الأمثل لكتابه ، قابلة للزيادة عليها، وهذه القواعد تقدّم للمتدبّرين أصول التفسير الأقوم للقرآن الكريم . وقد دوّنتُ هذه القواعد مقرونةً بأمثلتها ، في كتابي " قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله عزّ وجلّ " الذي زادت صفحاته على (800) صفحة، ولم أجد من المفسّرين من اهتمّ بالتزام مضمونها ، ولا المتزام كثيرٍ منها . وقد رأيتُ من الواجب عليّ أن أقدم ما أستطيع تقديمه من تدبّر لسور هذا الكتاب العزيز المُعجز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ملتزمًا على مقدار استطاعتي بمضمون القواعد التي فتح الله بها عليّ " ¹ .

فهي من جهةٍ (معارجُ) ارتقاءٍ و سُموٍّ و عُلوٍّ ، و فتوحاتٌ يسمو بها في الحياة الدّنيا و في الآخرة بموجب الإقلاع نحو أفق التفكير و بذل الجُهد في ذلك :

جاء في "لسان العرب" لابن منظور : " وَعَرَجَ فِي الدَّرَجَةِ وَالسَّلْمِ يَعْرُجُ عُرُوجاً أَي ارتقى. وَعَرَجَ فِي الشَّيْءِ وَعَلِيهِ يَعْرَجُ وَيَعْرُجُ عُرُوجاً أَيضاً رَقِي . وَعَرَجَ الشَّيْءُ فَهُوَ عَرِجٌ ارْتَفَعَ وَعَلَا " ¹ .

ومن جهة أخرى هي غوصٌ نحو دقائق التدبّر و العمق القرآني ، وهذا مناسبٌ لإيراد كلمة (**دقائق**) التي تدلّ على التعمّق و الغوص بعد كلمة (**معارج**) التي تدلّ على الصعود و الإقلاع ، فهما عملان متكاملان في البحث التدبّري سُمُو و غوص .

ومن جهة ثالثة هي مصاعد و سلالمٌ يُنتَقَلُ بها إلى المعارج التفكيرية ، و يحصلُ بها الغوصُ نحو الدقائق التدبّرية شيئاً فشيئاً على التدرّج و المهلّ و التأمل ، كما يُنتَقَلُ حِسْباً عبر السلم إلى العلوّ و يُرْتَقَى به إليه شيئاً فشيئاً :

قال المؤلف رحمه الله في تفسير قوله تعالى : [وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُوتِيَهُمْ سُقُوطاً مِنْ فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ] (الزخرف : الآية 33) : " المعارجُ : أي المصاعدُ ، و السلالمُ ، و نحوها " ² .

وهو تفسيرٌ تدبّريٌّ و فقّ قواعدٌ كليّةٌ تُستثمرُ في تدبّر كلام الله عزّ وجل ، وقد سبق شرحٌ معنى القواعد و التدبّر فيما مضى ، وتفصيلها نظرياً .

وفي هذا العنوان كتب المؤلف رحمه الله جملة (**وفق ترتيب النزول**) ، وهي جملةٌ تكشفُ عن منهج المؤلف رحمه الله في تفسيره هذا ، فتفسيره للسور مرتّبٌ على تاريخ نزولها لا على الترتيب المصحفي لسور القرآن الكريم ، وسوف نرجع إلى هذا المنهج بالتفصيل في المبحث الثاني بإذن الله لأهميته .

قال رحمه الله : " . . الذي ترجّح ليديّ فيه أن أتابع تدبّر السور على ما ذكر العلماءُ بعلوم القرآن الكريم ، من ترتيب نزولها ، لا على وفق ترتيبها الاجتهاديّ في المصاحف " ³ .

1 - **لسان العرب** : ابن منظور ، 2/320 - مادة ع ر ج . و انظر : **معجم مقاييس اللغة** لابن فارس ، 4/302 - مادة : ع ر ج .

2 - **معارج التفكير و دقائق التدبّر** : عبد الرحمن الميداني ، 12/731 .

3 - **نفسه** : 1/6 .

وقد اعتذر المؤلف رحمه الله - كأنته أحسن بسبب مرضه و
ضعفه وطول التفسير - إن عجز ولم يتم تفسيره هذا ،
وحسبه أن يبذل جهده فيه إلى الموضع الذي قدره الله وكتبه
له . قال : " و إذا لم تُسعِفِ القدرات ، أو لم يُسعِفِ العمر
بإستكمال هذا التدبّر لكل القرآن المجيد ؛ فإنّ من المفيد جدّاً
أن أقدم ما يفتح الله الوهّابُ لي فيه ، عسى أن يتمّ العمل
متدبّرون لاجفون ، مُحْتَدِينَ أو مُضِيفِينَ أو معدّلين " ¹ .
وقد وقّع القضاء بموت الشيخ قبل إتمام هذا العمل ، فله
الأمر من قبل و من بعد .

2- طبعات الكتاب :

الكتابُ - حسب النسخة التي بين يدي - وهي الطبعة
الأولى ، وبصورته المكتملة خمسة عشر مجلداً ؛ طبع طبعاً
واحدة ، في دار القلم دمشق ، الدار التي تطبع للمؤلف
رحمه الله كتبه ودراساته :

ولكنه صدر في مجموعات متتالية :

أ - المجموعة الأولى " ثلاثة مجلّات 1- 3 " عام (1420هـ - 2000م) ² :

واشتملت على تدبّر (28) سورة من السور المكيّة
للقرآن الكريم ، ابتداءً بسورة العلق ، وانتهاءً بسورة (ص) ،
وكان فراغه من كتابة هذه المجلّات في 13 من شهر
رمضان 1419هـ .

المجلد الأول منها : بلغت صفحاته (728) صفحة ، تناول
فيه تفسير ثمان عشرة سورة وهي : العلق ، المدّثر ، لقلم ،
الفتاحة ، المسد ، التكوير ، الأعلى ، الليل ، الفجر ، الضحى ،
الشرح ، العصر ، العاديات ، الكوثر ، التكاثر ، الماعون ،
الكافرون .

والمجلد الثاني : بلغت صفحاته (680) صفحة ، و تناول
فيه تفسير خمس عشرة سورة وهي : الفيل ، الفلق ، الناس ،
الإخلاص ، النجم ، عبس ، القدر ، الشمس ، البروج ، التين ،
قريش ، القارعة ، القيامة ، الهزرة ، المرسلات .

1 - نفسه .

2 - التعريف بكتاب معارج التفكير و دقائق التدبّر : مجد مكّي ، ص 52 .

والمجلد الثالث : بلغت صفحاته (744) صفحة ، تناول فيه تفسير خمس سور هي : ق ، البلد، الطارق ، القمر ، ص .
ب- المجموعة الثانية " ثلاثة مجلدات 4-6 " عام (1421هـ - 2000م)¹ :

المجلد الرابع : بلغت صفحاته (735) صفحة ، و تناول فيه أكثر سورة الأعراف (الآية 1-الآية 171) ، وصرح في آخره أنه فرغ من تأليفه ليلة الثلاثاء 11/6/1420هـ الموافق 21/9/1999م.

المجلد الخامس : بلغت صفحاته (718) صفحة ، تناول فيه تتمة تفسير سورة الأعراف ، وسورة الجن، مع ملاحق ، وقد فرغ منه يوم الجمعة 27/7/1420هـ الموافق 5/11/1999م .

المجلد السادس : بلغت صفحاته (743) صفحة ، تناول فيه تفسير سورة يس و سورة الفرقان التي سبق له إفرادها بالتدبر ، وهي ذات الرقم (42) من السور المكيّة حسب النزول ، مع الملاحق ، وقد فرغ منه يوم الخميس 4/11/1420هـ الموافق 10/2/2000م .

ت - المجموعة الثالثة " ثلاثة مجلدات 7-9 " عام (1423 هـ - 2002م)² :

المجلد السابع : بلغت صفحاته (691) صفحة ، تناول فيه سورتي فاطر ومريم مع الملاحق ، وقد فرغ منه يوم الثلاثاء 1/5/1421هـ الموافق 1/8/2000م ، وقد ذكر في خاتمته أنه كتبه وهو في سرير المرض يعاني من آثار عملية جراحية كبيرة أزالَ بها بدايةً تورُّم كان يعاني منه :

قال رحمه الله³ : " بمعونةٍ من ربِّي الجليل الوهَّاب ، وبحوله و توفيق منه جلَّ جلاله ، وعظم سلطانه، ووسعت رحمته كلَّ شيءٍ ، أتمَّ ربِّي لي بأسبابه و الطافه الخفيّة هذا المجلد السابع ، و أنا على سرير المرض أعاني من آثار عملية جراحية كبيرة و خطيرة و موجعة مع شيخوختي ، وكِبَرِ سِنِّي ، و ضعف جسمي ، لقد كنتُ ألتقط الساعات التي

1 - نفسه .

2 - التعريف بكتاب معارج التفكير و دقائق التدبر : مجد مكّي، ص 52 .

3 - معارج التفكير و دقائق التدبر : عبد الرحمن الميداني ، 7/691 .

أستطيعُ أن أعمل فيها التقاطًا من الزّمن الذي أكونُ فيه
طريقًا على فراشي أو على البساط ، في توجّع أو سُبات .
وكنْتُ ألجأ إلى الله بالدّعاء أن يُعَيِّنِي و يُمَدِّنِي بِمَدَدِهِ، فأجدُ
في نفسي مُعَانًا إعانة عجيبة ، أعملُ في الساعة ما يعملُ
الصحيحُ السليمُ في الساعات ذواتِ العدد " .

المجلد الثامن : بلغت صفحاته (776) صفحة ، تدبّر فيه
سورة طه و الواقعة و الشعراء ، وكان فراغه منه 22 مضان
1421هـ الموافق 18/12/2000م ، وقد ذكر في خاتمته ما
كان يعانيه من المرض .

المجلد التاسع : بلغت صفحاته (792) صفحة ، تدبّر فيه
سورة النمل ، و القصص ، والإسراء، وفرغ منه يوم الأحد 25
ربيع الأول 1422هـ الموافق 17/6/2001م ، وقد ذكر في
خاتمته سفر زوجته عائدة مع ولدها الدكتور محمد إلى باريس
للعلاج من مرض خبيث أصابها .

**ث- المجموعة الرابعة " ثلاثة مجلّدات 10- 12
"عام (1425هـ - 2004م) ¹ :**

المجلد العاشر : بلغت صفحاته (799) صفحة ، تدبّر فيه
سورة يونس و هود و يوسف ، وقد فرغ منه آخر يوم من
رمضان لسنة 1422هـ الموافق 15/12/2001م .

المجلد الحادي عشر : بلغت صفحاته (824) صفحة ،
تدبّر فيه سورة الحجر و الأنعام و الصافات ولقمان ، وقد فرغ
منه يوم الخميس 2 ربيع الآخر 1423هـ الموافق 13/6/2002
م .

المجلد الثاني عشر : بلغت صفحاته (839) صفحة ، تدبّر
فيه سورة سبأ و الزمر و غافر و فصلت و الشورى و الزخرف
، وقد فرغ منه يوم السبت 11 رمضان 1423هـ الموافق
16/11/2002م .

**ج- المجموعة الخامسة " ثلاثة مجلّدات 13- 15
"عام (1425هـ - 2004م) ² :**

وهذه هي المجموعة الأخيرة من تفسيره رحمه الله :

1 - التعريف بكتاب معارج التفكير و دقائق التدبّر : مجد مكّي، ص 54 .

2 - التعريف بكتاب معارج التفكير و دقائق التدبّر : مجد مكّي، ص 54 .

المجلد الثالث عشر : بلغت صفحاته (776) صفحة ، تناول فيه سورة الدخان ، و الجاثية و الأحقاف و الذاريات و الغاشية و الكهف و النحل و نوح . وقد فرغ منه يوم الثلاثاء 19 ربيع الأول 1424هـ الموافق 20/5/2003م ، وقال في خاتمته : " كتبتُ هذا المجلد بفضل الله الوهَّاب ومعونته و فيض عطائه ، انتزاعًا من براثن المرض ، و العلاج اليومي بوخزات الإبر في العضل صباحًا ومساءً ، إذ يجعلني طريحًا على السرير و على البساط ، لا أقوى على عملٍ ما معظم الوقت .. وهذا العلاجُ هو من ظهورِ خلفٍ لسرطانِ القولون " ¹

المجلد الرابع عشر : بلغت صفحاته (704) صفحة ، تناول فيه تدبُّر سورة ابراهيم و الأنبياء و المؤمنون و السجدة و الطور و الملك و الحاقة و المعارج ، وقد فرغ منه يوم الاثنين 30 رمضان 1424هـ الموافق 24/11/2003م . وقال في خاتمته : " مع وخزات الإبر بُكرةً و عشياً ، وكثرة انطراحي على الأرض أو على السرير ، قضى الله عز وجل أن يُنهيَ لي كتابة هذا المجلد الرابع عشر ، المشتمل على تدبُّر السور التالية .. " ² .

وقد ذكر تلميذه مجد مكّي أنّه بعد انتهائه رحمه الله من تفسير سورة المعارج (المجلد الرابع عشر) رجع إلى مدينة دمشق في شهر شوال من سنة 1424هـ بعد غياب خمسة و عشرين عاماً ، واستُقبلَ بحفاوة و تكريم ، وتوافد عليه العلماء و طلبة العلم ، مهتئين له بعودته الحميدة ، ومستفيدين من علمه الدقيق و فكره العميق . وقام بفترة إقامته القليلة بدمشق بإتمام تدبُّره لبقية السور المكيّة و مدخل سورة البقرة (المجلد الخامس عشر) ³ .

المجلد الخامس عشر : بلغت صفحاته (422) صفحة ، تناول فيه تدبُّر سورة النبا و النازعات و الانفطار و الانشقاق و الروم و العنكبوت و المطففين ومقدّمات سورة البقرة . وكان آخر ما كتبه رحمه الله تعالى ، وقد استمر في الكتابة رغم

1 - معارج التفكير و دقائق التدبُّر : عبد الرحمن الميداني ، 13/735 .

2 - نفسه : 14/704 .

3 - التعريف بكتاب معارج التفكير و دقائق التدبُّر : مجد مكّي، ص 56 .

مرضه ومعاناته و آلامه الشديدة ، و في يوم الأربعاء صباحًا
25 جمادى الآخرة 1425 هـ الموافق 11/8/2004م انتقل إلى
رحمة الله و عفوهِ ، نسألُ الله أن يتغمَّدهُ بواسع لطفه و
عظيم رحمته .

3- موضوع الكتاب و أهميته :

الكتابُ كما رأينا تطبيقًا للقواعد الأربعين في التدبُّر
الأمثل للقرآن العظيم ووفق ترتيب النزول، على ما سبق
الإشارة إليه في كلِّ مجلد . و يمكن اعتبار كتاب (قواعد
التدبُّر الأمثل لكتاب الله عز وجل) مقدِّمةً لتفسير معارج
التفكير و دقائق التدبُّر ، لأنَّهُ انطلقَ منها المؤلِّفُ رحمه الله و
حرصَ على تطبيقها في تفسيره و احترام ما فيها :

قال رحمه الله : " وخلال ممارستي الطويلة للتدبُّر في
القرآن العظيم ، ومطالعتي لتفاسير المفسِّرين علي اختلاف
مناهجهم ، تكشَّفت لي جملة قواعد هادية لمن أرادَ أن يتدبَّر
كلام الله بصورة فضلى، فأنا أكتبُها لمن شاء أن ينتفع لها ،
فقد وجدتُ بالممارسة أنها ذاتُ نفع عظيم للمتدبِّر ، وتصلحُ
منهجًا يحتذيه المتدبِّرون للقرآن " ¹ .

وتفسيرُهُ هذا يصلحُ صورةً من صور الأعمال التفسيرية
النموذجية التي راعي فيها المفسِّرُ قواعد التدبُّر التي نظَّر لها
هو شخصيًا رعايةً كليَّةً مُجمَّعةً في مؤلِّفٍ مستقلٍ تطبيقًا
مثلما جعل القواعدَ في مؤلِّفٍ مستقلٍ تنظيرًا :

قال رحمه الله : " ولم أجد من المفسِّرين من اهتمَّ
بالتزام مضمونها ، ولا التزام كثيرٍ منها . وقد رأيتُ من الواجب
عليَّ أن أقدم ما أستطيع تقديمه من تدبُّر لسور هذا الكتاب
العزيز المُعجز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من
خلفه ، ملتزمًا على مقدار استطاعتي بمضمون القواعد التي
فتح الله بها علي، مع الاعتراف بأنَّ التزامها التزامًا دقيقًا و
شاملًا عسيرٌ جدًّا ، بل قد يكون بالنسبة إلى متدبِّر واحدٍ
متعدِّدًا " ² .

1 - قواعد التدبُّر الأمثل لكتاب الله عز وجل : عبد الرحمن الميداني، ص

12 .

2 - معارج التفكير و دقائق التدبُّر : عبد الرحمن الميداني ، 1 / 5 .

وقال رحمه الله : " وقد يكون بعض المفسرين قد وضع في تصوُّره مُراعاةً بعضها ، إلا أنني لم أجد من راعاها كلها مراعاةً تامةً في كلِّ ما تدبَّر من كلام الله ، كما أنَّ بعض هذه القواعد لم يحظَ بعناية أحدٍ من المفسِّرين " ¹ .

وهو بعمله هذا ، و عنوان تفسيره هذا ؛ من رُؤاد علم التدبُّر في هذا العصر ، وقد رأينا أنه " رحمه الله تعالى لا يرى استخدام كلمة التفسير ، التي لا تتعدَّى بيان المعنى و إيضاحه ، دون الغوص في دلالات الألفاظ و سبر المعاني ، و بيان ارتباط الجملة القرآنية بموضوع السورة ، و ارتباطها الموضوعي بما تفرَّق في القرآن المجيد " ² .

والمؤلفُ رحمه الله أبدع إبداعًا كبيرًا في تطبيق هذه القواعد بعد أن نصَّحت في ذهنه و استوت له معانيها جيِّدًا ، فإذا أضفنا إلى هذا " الدراسات السابقة الواسعة ، والنشأة العلمية الصالحة ، والذكاء الفطري ، والنبوغ المبكر ، والعمل المتواصل المدوَّب ، والمؤهلات العلمية المتنوعة من إمام واسع باللغة العربية ، نحوها و صرفها و بلاغتها . . أدركنا كيف ساهمت هذه العوامل المتعدِّدة و هيَّأت الشيخ - بفضله الله و توفيقه - للسموِّ صعوداً في (معارج التفكير) ، وعمقاً في (دقائق التدبُّر) " ³ .

والكتابُ كله في تفسير السور المكيَّة كاملة ، مع مدخلٍ يسير في المجلد الخامس عشر في قضايا سورة البقرة : قال مجد مكِّي : " و قد أتمَّ الشيخُ بتدبُّره للسور المكيَّة بأكملها ثلثي تفسيره التدبُّري ، لما في هذه المرحلة من التنزيل من حجاج و جدالٍ للمُشركين ، و إقامة للحُجج و البراهين ، و إيراد الكثير من قصص السابقين ، و غير ذلك مما اتَّسمَ به التنزيل المكي ، الذي قام الشيخُ بتدبُّره التدبُّر الأمثل ، وبيَّن ما فيه من تسلسل البناء المعرفي التكاملي لقضايا العقيدة و العبادة و الأخلاق كما كشفَ فيه عن التكامل التربوي و العلاجي للأحداث التي جرت في سيرة

1 - قواعد التدبُّر الأمثل لكتاب الله عز وجل : عبد الرحمن الميداني ، ص 12 .

2 - التعريف بكتاب معارج التفكير و دقائق التدبُّر : مجد مكِّي ، ص 11 .

3 - نفسه : ص 21- 22 .

الرسول صلى الله عليه و سلم الدَّعْوِيَّة في مَكَّة المَكْرَمَة¹

وقد يظنُّ البعض أنَّ عدم تكملة الشيخ لهذا التفسير يَحُطُّ من قيمته العلميَّة² ، أو يجعل عمله فيه منقطعاً غير ذي دلالة ولا فائدة ، وهذا خطأ ، فإنَّ الشيخ رحمه الله أتمَّ فيه مرحلة كاملة من مراحل تنزُّل الكريم المرحلة المكيَّة - وفق منهجه في ترتيب السور على النزول - و استوقاها وخدمها خدمة علميَّة جليلة كاشفة ، وهذا نافعٌ أشدُّ النفع للمكتبة الإسلاميَّة و للمتدبِّرين :

قال مجد مكي : " و لئن لم يُكتب للشيخ رحمه الله تعالى أن يتمَّ عمله العظيم في تدبُّ كتاب الله ، الذي كان يُسابقُ الزمن في إنجازهِ ، و يُغالبُ شدَّة المرض ووطأته في إتمامه ، فإنَّ فيما خلفه من هذه المجلدات الضخمة من علم عميق و تدبُّر دقيق ما تزهو به المكتبة القرآنيَّة ، وما ينفَعُ المتدبِّرين لكتاب الله ، وهو في الحقيقة من خير ما يقدِّم للمسلمين في هذا العصر ، و يُعَدُّ من الكنوز المدَّخَّرة ، و يتبوَّأ الشيخُ بحق في طليعة أئمَّة التفسير في هذا القرن ، بل وخلال قرون³ .

4- سببُ تأليف الكتاب :

يظهرُ من مطالعة مقدِّمة تفسيره (معارج التفكير و دقائق التدبُّر) أنَّ المؤلِّفَ رحمه الله بادَرَ إلى تأليف هذا الكتاب تطبيقاً لمشروع شخصيٍّ طويل المدى نابع عن رغبة صادقة و تأمل ذاتي طویل لاكتشاف كنوز القرآن الكريم ، و بثِّها في العالمين ، ليستفيدَ منها كلُّ متعامل مع كتاب الله تعالى .

1 - **التعريف بكتاب معارج التفكير و دقائق التدبُّر** : مجد مكي، ص 58 .
2 - سبقه ثلاثة من أعلام المفسِّرين في القرن الرابع عشر لم يُتمِّوا تفاسيرهم : العلامة محمد رشيد رضا (ت 1354 هـ) في تفسير المنار الذي وصل فيه إلى الآية (101) من سورة يوسف ، و العلامة محمد الأمين الشنقيطي (ت 1393 هـ) في تفسيره أضواء البيان الذي انتهى فيه إلى سورة الحشر ، و العلامة محمد أبو زهرة (ت 1394 هـ) في تفسيره زهرة التفاسير ، وانتهى فيه إلى الآية (74) من سورة النمل .

3 - **التعريف بكتاب معارج التفكير و دقائق التدبُّر** : مجد مكي، ص 58 .

وقد نصَّ رحمه الله على هذا السبب بقوله : " وبعد : فقد فتح الله عز وجل عليّ خلال تدبّري الطويل لكتابه المجيد ، باستخراج أربعين قاعدة من قواعد التدبّر الأمثل لكتابه ، قابلة للزيادة عليها ، وهذه القواعد تقدّم للمتدبّرين أصول التفسير الأقوم للقرآن الكريم . وقد دوّنتُ هذه القواعد مقرونةً بأمثلتها ، في كتابي " **قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله عز وجل** " الذي زادت صفحاته على (800) صفحة، ولم أجد من المفسّرين من اهتمّ بالتزام مضمونها ، ولا المتزام كثير منها . وقد رأيتُ من الواجب عليّ أن أقدم ما أستطيع تقديمه من تدبّر لسور هذا الكتاب العزيز المُعجز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ملتزمًا على مقدار استطاعتي بمضمون القواعد التي فتح الله بها علي ، مع الاعتراف بأنّ التزامها التزامًا دقيقًا و شاملاً عسيرٌ جدًّا ، بل قد يكون بالنسبة إلى متدبّر واحدٍ متعذرًا " ¹ .

وأما النشر فقد حصلُ بالحاح من الآخرين لتعظّم الفائدة و يُعمّ النفعُ ، وهذا ما حصل فقد ذكر المؤلف فقال : " و قد ألح عليّ ناشرٌ كثيبي حفظه الله بأن أبدأ بنشر ما يُنجزه الله لي من مجلدات في هذا التدبّر .. " ² .

5 - طريقة الميداني في تفسيره (سورة غافر نموذجًا) :

وأقصدُ باصطلاح الطريقة الشّكل الترتيبي الظاهر الذي اتّبعه المؤلف في تفسيره للسور القرآنية، وفي عرض مادّته التدبّريّة فيها ، ولستُ أقصد المنهج الخاص ، فهذا الأخير سوف أخصّص له المبحثين القادمين بحول الله .

وسأحاول تحت هذه الفروع الآتية تقريبَ تصوير طريقة الميداني في عرض درسه التدبّري فأقول مستعينا بالله مع التطبيق على سورة غافر نموذجًا ³ :

أ- إيرادُ السورة كاملةً مع قرشيّات الألفاظ التي تختلف في الأداء في القراءات العشر المتواترة ، مع الإشارة في الهامش أيضًا إلى الفائدة من اختلاف القراءة :

1 - معارج التفكير و دقائق التدبّر : عبد الرحمن الميداني ، 5 / 1 .

2 - نفسه : 1/6 .

3 - نفسه : 12/295 .

كما في سورة غافر ، قال في صفحة العنوان : " سورة غافر و تسمى سورة (المؤمن) وسورة (الطول) 40 مصحف ، 60 نزول ، وهي مكّية كلها ، و قيل إلا الآيتين (56-57) منها فهما مدنيّتان ، وهي أولى (الحواميم السبع) " ¹ .
و في الصفحة التي بعدها كتب تحت عنوان : " نصّ السورة وما فيها من قرشِ القراءات " ² .

ب- ذكر ما تعلق بفضل السورة في السنّة النبويّة إن وُجد ، و يعزو إلى كتب الحديث دون تحديد الجزء و الصفحة على وجه الدقّة ، بل أحياناً دون تخريج عليّ كتاب .
وفي سورة غافر قال : " مما وردَ بشأن سورة (غافر) : روي عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " من قرأ حم المؤمن (غافر) إلى [إِلَيْهِ الْمَصِير] و آية الكرسيّ حين يُصبح ؛ حُفِظَ بهما حتى يُمسي ، و من قرأهما حين يُمسي حُفِظَ بهما حتى يُصبح " ³ .
ت- إن كان للسورة سبب نزول ذكره ، مع ذكر المكيّ في السور و المدنيّ إن وُجد .

ث- يبدأ بالحديث عن موضوع السورة بشكل عام ، مع التعرّض لما يخدم الوحدة الموضوعيّة فيها ، من حيث ترابط دروسها و انسجامها في خدمة الموضوع العام أو المحاور العامّة لها .

وفي سورة غافر قال تحت عنوان (موضوع سورة غافر = المؤمن) : " ظهر لي أنّ موضوع هذه السور (يقصد الحواميم) يدور حول معالجة الذين يجادلون بالباطل و بالجبل الكلاميّة و المكابرات العناديّة في آيات الله البيّنات المنزّلات بالحقّ من العزيز الحكيم . . و في السورة توكيد قضايا من أصول العقيدة الإيمانيّة . . و في السورة ضربٌ مثل تاريخي فيه عرّضٌ مُوجزٌ من قصّة موسى . . إلى غير ذلك من قضايا منبّهة بحكمةٍ في السورة " ⁴ .

1 - معارج التفكير و دقائق التدبر : عبد الرحمن الميداني ، 12/295 .

2 - نفسه : 12/296 .

3 - نفسه : 12/309 .

4 - نفسه : 310-12/309 .

ج- في الغالب الأعمّ يقسّم السورة إلى عدد من الدروس ، ثم يتناول كلّ درس بالتفسير الإجمالي أولاً ، ثمّ يأخذ في تحليله بعد ذلك و تناوّل ما فيه من الفوائد و الدقائق وفق قواعد التدبّر الأمثل التي بنى عليها تفسيره .

ففي سورة غافر قال تحت عنوان (دروس سورة غافر = المؤمن) : " ظهر لي بالتأمّل أن أقسّم هذه السورة إلى (15) درسًا ، و هي المفصّلات فيما يأتي : الدرسُ الأوّل : الآيات من (1-6) . وفي هذا الدرس..الدرس الثاني : الآيات من (7-9) وفي آيات هذا الدرس.."¹ . وهكذا حتى يتمّ كل درس بإجمال ، ثم يدخُل بعد ذلك في التفصيل درسًا درسًا تحت عنوان (التدبّر التحليلي للدرس كذا من دروس سورة كذا وهو الآيات من كذا إلى كذا) .

ح- يتعرّض أثناء تحليله للدرس إلى القراءات من جديد إن وُجدت ، ثم يقدّم بتمهيد ، ثمّ تحت عنوان (التدبّر التحليلي) فيشرح الكلمات الصعبة أو التي تحتاج إلى تبيان ، ويرجع أحيانًا إلى معاجم اللغة ، و في كثير من الأحيان دون الرجوع ، وإنما اعتمادًا على ذاكرته و تكوينه اللغويّ باعتباره أحد علماء اللغة . و في الإعراب يجتهد في توضيف الناحية الإعرابية في إبراز المعنى .

ففي سورة غافر نقرأ مثلاً قوله في الدرس الأول : [القراءات : . . . تمهيد : . . . التدبّر التحليلي : . . .] سَدِيدِ الْعِقَابِ [العقابُ الجزاءُ على الذنبِ ، يُقالُ لغةً : " عاقبَ فلانًا بذنبه معاقبةً و عِقَابًا أي : جزاءهُ سوءًا بما فعل من ذنب ، و المرادُ بشِدَّةِ العقابِ جعلُ الجزاءِ على الذنبِ مكافئًا لمقدار الذنبِ دون ارتخاءٍ أو تهاوُنٍ أو صَعْفٍ "² .

خ- عندما يستشهد في الدّرس بآية من سورة أخرى يرمز لها بالطريقة التالية مثلاً (قولُ الله عزّ وجلّ في سورة طه / 20 مصحف / 45 نزول) ثمّ يأتي بالآية و في آخرها رقمها³ .

1 - معارج التفكير و دقائق التدبّر : عبد الرحمن الميداني ، 311-12/310 .

2 - نفسه : 319-12/316 .

3 - نفسه : 12/338 .

د- عند حديثه عن القصص القرآني يشير إلى أطراف القصة في بقية السور القرآنية . وكذلك يجمع الآيات التي تخدم موضوعًا واحدًا أو تتكامل فيه ، وهذا لتوظيف ما فيها جميعا وفق قاعدة تدبرية تتعلق بالتكامل الفكري و التربوي و الفني و البياني سوف نتعرض لها في الجزء التطبيقي .

كما في سورة غافر قال بعد ذكر قوله تعالى [اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لَتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَدُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (61)] : " سبق أن أنزل الله عز وجل بشأن نعمتي الليل والنهار على الناس نصين : الأول قول الله تعالى في سورة (النمل / 49 نزول) [أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (86)] ، و الثاني قول الله تعالى في سورة (القصص / 49 نزول) [وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (73)] و بين هذه النصوص الثلاثة تكامل . . " ¹ .

ذ- يسوق أقوال أئمة المذاهب في الموضوع الفقهي و يناقشها أحيانًا ² .

ر- بعد انتهائه من التفسير يلحق (ملحقا بلاغيا) أو عددًا من الملاحق .

كما في سورة غافر : قال رحمه الله بعد الانتهاء من تفسير الدرس الخامس عشر : " ملحق مُستخرجات بلاغية من سورة غافر : في هذه السورة اختيارات بلاغية كثيرة ، استخرجت منها بمعونة الله وجوده ما يلي . . . و أكتفي بهذه المستخرجات البلاغية من السورة ، و الحمد لله على معونته و مدده و توفيقه " ³ .

1 - معارج التفكير و دقائق التدبر : عبد الرحمن الميداني ، 12/404 .

2 - نفسه : 16-1/12 .

3 - نفسه : 12/433 - 442 .

ز- وهو ما أشار إليه نادي علي صبرا¹ في رسالته للماجستير (منهج عبد الرحمن حبنكة الميداني في التفسير)² و عنوانَ عليه بقوله : **طريقته في بث القيم :**

ذلك أنه لما كان العلمُ الصحيحُ و القيم التربوية السامية قريبين لا ينفصلان ، اهتم الشيخ عبد الرحمن حبنكة بالقيم التربوية السامية النبيلة ، وحرص على بثها وتوجيه القارئ إليها ، اهتمامه بالعلم و التدبر سواء بسواء ، وقد تمثل هذا الجانب في معارج التفكير ودقائق التدبر فيما يلي:

- الحرص على إرجاع كل ما يتوصل إليه من معان وما يسطره من مذاهب وآراء إلى الله تعالى، ومما يدل على ذلك قوله رحمه الله في نهاية تدبره لكل درس في السورة : " وبهذا تم تدبر الدرس الثامن من دروس سورة غافر، والحمد لله على معونته ومدده وتوفيقه وفتحه " ³ . وهذا اعتراف بقدر علمه، وتواضعه وخضوعه لربه تبارك وتعالى .

- عدم الجزم ببعض القضايا التي يكون علمه فيها محدودًا، غير مقطوع به، فعلى سبيل المثال عند تفسيره لقوله تعالى: [فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ] (الواقعة : الآية 8) قال :

1 - هونادي حسن علي صبرا ، من مواليد 12/04/1972م بعمان الأردن ، متحصل على بكالوريوس أصول الدين (القرآن والسنة) من جامعة اليرموك بالأردن سنة 1994م بتقدير جيد جداً ، ثم على ماجستير في التفسير و علوم القرآن من الجامعة الأردنية سنة 2006م بتقدير جيد جداً عنونها (منهج عبد الرحمن حبنكة الميداني في التفسير) تحت إشراف الدكتور خازر المجالي ، ثم على دكتوراه في نفس التخصص من الجامعة الوطنية الماليزية سنة 2012م تحت عنوان (استدراكات ابن عاشور في "التحرير والتنوير" على ابن العربي في "أحكام القرآن" وابن عطية في "المحرر الوجيز" جمعاً ودراسةً) ، هو يشغل الآن وظيفة مدرس لمادة الثقافة الإسلامية بمختلف مدارس الثانوي لوزارة التربية و التعليم بالمملكة الأردنية الهاشمية منذ سنة 1996م إلى غاية تاريخ استلام الباحث لسيرته الذاتية منه . **السيرة الذاتية نادي حسن علي صبرا** (رسالة شخصية) ، 2017م ، أذن بالاعتماد عليها .

2 - **منهج عبد الرحمن حبنكة الميداني في التفسير** (رسالة ماجستير غير مطبوعة) : نادي حسن علي صبرا - إشراف الدكتور محمد خازر المجالي - كلية الدراسات العليا - الجامعة الأردنية - 2006م ، ص 66-68 .

3 - **معارج التفكير و دقائق التدبر** : عبد الرحمن الميداني ، 12/389 ، وهذا الموضوع على سبيل المثال فقط ، و إلا فإن هذا قوله رحمه الله في كثير من المواضع في ختام كل سورة .

وهذا أسلوب تعجيبى من أساليب القرآن التي جاءت في نصوص عديدة منه، مثل: "القارعة ما القارعة، الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة، وما أدراك ما سقر، وما أدراك ما يوم الفصل، وما أدراك ما هيه" ونحوها، وهو من الأساليب التعجيبية التي لم تكن معروفة عند البلغاء فيما أعلم¹ .

وفي ملحق سورة البلد أورد قوله تعالى: [**أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَةِ (18)**] **وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ**] (البلد : 18-19) ثم قال: " وقد سبق تدبر هذا النص مع تدبر السورة على مقدار أوعيتنا الفكرية " ² . وهكذا يحرص الشيخ على زرع هذه القيمة في نفس القارئ فلا يغتر بعلمه، ولا يعد ما وصل إليه الغاية في الفهم .

- تسجيل ما يستنتجه من الآيات من القيم والاتجاهات التي ينبغي على المسلم تمثيلها، فعند تفسير قوله تعالى: [**أَنْ أَعْمَلُ سَابِغَاتٍ**] (سبأ : من الآية 11) قال: " ففي هذه العبارة توجيه للذين يعملون معه أن يتعاونوا فيما بينهم تعاوفاً تكاملياً، وتوجيه لإتقان العمل، فالعمل الصالح في الصناعات هو العمل المتقن، وفي هذا التوجيه إشارة إلى أنه ينبغي لمن يبتكر أو يلهم أو يعلم صنعة من الصناعات النافعة أن يجعل تحت يديه من يتعلمها، لتكون ميراً حضارياً تتقدم به وترتقي الحضارة الإنسانية ووسائلها، وأما من يحتكر سر صناعته لنفسه فلا يجعل تحت إشرافه من يتعلمها؛ فإن صناعته الراقية ومهارته تموت بموته، ثم يحتاج المجتمع البشري أن تمر أزمان طويلة حتى يظهر في الناس نظيره فيتعلم الناس منه إذا أذن لهم أن يقتبسوا منه ما وهبه الله " ³ .

وغير هذا من الأمثلة كثير وكان القصد الإشارة لا الحصر، والله أعلم .

6- مصادر الكتاب ومدى استفادة المؤلف ممن سبقه :

تعد المصادر التي يعتمد عليها المفسر من الأسس المطلوبة التي يقوم عليها التفسير و تظهر بها

1 - نفسه : 8/441 .

2 - نفسه : 220 /3 .

3 - معارج التفكير و دقائق التدبر : عبد الرحمن الميداني ، 12/45 .

قيمةُ الجُهدِ العلمي التراكُمي و يُعرفُ بها اتجاهُ المفسر و يُقاس ، كما أنّ المصادرَ تعطي للتفسير قوّة و متانة و زخماً أكثر مما لو كان مجردَ كلامٍ شخصي دون استئناس بأقوال

من سبق ¹ والمؤلفُ رحمه الله اعتمد على كثيرٍ من المصادر و رجع إليها في تفسيره معارج التفكير ، و ربّما أورد أسماء بعضها خلال التفسير ، و في أحيانٍ كثيرةٍ يترك ذكرها اختصاراً مع النقل منها حرفياً ، أو بسبب استيعابه لما فيها فيصوغه بلغته و حسب رؤيته فلم يحتج مع ذلك التوظيف الشخصي إلى ذكرها

هذا وقد تنوعت مصادره و شملت كتب التفسير و الحديث و اللغة و السيرة و التاريخ و النحو و البلاغة و الاقتصاد و التربية و الفكر و غيرها من العلوم .

أ- طريقته في التعامل و الأخذ من المصادر :

من تأمل صنيع الشيخ رحمه الله أدرك أنّهُ نَوَّعَ في طريقة التعامل مع المصادر التي يستقي منها و يوظفُ ما فيها في تفسيره ، ولكن الملاحظة العامة أنّها قليلةٌ بالمقارنة مع حجم الكتاب و جُهد المؤلف فيه، و ربّما فتح ذلك باب النقد على المؤلف ، لأنّ كثيرين يعتقدون أنّ قيمة الكتاب العلميّة إنّما تظهر بكثرة مصادره و مراجعه و اتّساع هوامشه و كثرة نقل المؤلف عن غيره .

وقد حاول الأستاذ مجد مكي تلميذ المؤلف أن يعتذر للمؤلف و يردّ على هذا الظنّ فقال : " يتساءل الكثيرون عن مصادر الشيخ في تفسيره ، ويظن بعضهم أنّ قيمة الكتاب العلميّة هي بكثرة مصادره و مراجعه . ومنهم من يمرّ ببصره على حواشي الكتاب ، و كلما رآها مُثقلَةً بالإحالات و التخريجات الطويلة ، و المصادر المتعدّدة ظنّ أنّ العمل مُتقن ، و جدير بالتقدير و الاهتمام ، ومنهم من ينظر في فهراس الكتاب لينظر في أسماء المصادر و المراجع ، و كلما رأى القائمة أكثر عدداً حسب أنّ الكتاب متميّز و متفرد " ¹ .

1 - التعريف بكتاب معارج التفكير و دقائق التدبّر : مجد مكي ، ص 29-

ثم أخذ يرُدُّ على هذا الظنِّ السطحي فقال : " و الشيخ رحمه الله تعالى على صلةٍ وثيقة بكتب التفسير القديمة والمعاصرة على اختلاف مناهجها ، و تنوّع اهتماماتها ، وقد هضم هذه الكتب بحثًا و دراسة . . . و لكنَّهُ لا يحبُّ التقليد و المحاكاة ، وهو يرى أنّ حشدَ الأقوال الكثيرة تضيع المتدبّر لكتاب الله للوصول إلى مبتغاه . و يُشَبِّهُ من يُكثر النقول دون بصيرة و دراسة متأنّية و اختيار مناسب كمتسوِّق دخل إلى محل تجاري كبير ، جمع فيه من أنواع المشتريات المختلفة ، و ركم بعضها فوق بعض " ¹ .

فهذا هو السبب الرئيسي الذي دفع الشيخ إلى سلوك هذه الطريقة في التعامل مع المصادر و المراجع : يهضم ما فيها جيّدًا ، و يقتصر في فهمه و استلهامه على التبصّر و التفصيل و التمييز ، ثم يوظف بعد ذلك ، وقد ينبّه إليها و يذكّرها نقلًا ، و قد لا ينبّه إليها إلا على سبيل الإجمال ، و ربّما تكلم بأسلوبه مراعيًا لما مرّ معه فيها من بيان و إشارة . و لكنَّهُ مرتبط بها حتى ولو عبّر بأسلوبه .

وهذه الطريقة طريقة الكبار المميّزين كما أشار مجد مكّي ناقلًا عن الطنطاوي تقسيمه للمؤلفين ، و منرلاً أعلى مراتب ذلك التقسيم على الشيخ عبد الرحمن رحمه الله : قال مجد مكّي : " و يُعَدُّ الأستاذ الميداني رحمه الله تعالى من أعلى طبقات المؤلفين ، إذ هم كما يقول أستاذنا الطنطاوي رحمه الله تعالى : " طبقات : فمن المؤلفين من يعرضُ سبلاً مصفوفة ، ولا يميّز جيّدًا من رديئها ، كمستودع فيه البضائع مركومة ركماً من كلّ نوع و صنف . و من المؤلفين طبقة أعلى من هذه الطبقة ، جمع أصحابها قدرًا أقلّ من المعلومات ، فرّبوها و صنّفوها ، و ميزوا الأصيل منها من المقلد ، و فرّقوا بين المؤتلف و المختلف . و درجة أعلى من المصنّفين ، وهم الذين يأخذون هذه المعلومات و هذه المرويّات ، فيُدخلها أحدهم ذهنه كما تدخُلُ أبالاُ القطن إلى مصنع النسيج ، فتخرج منه قماشًا عليه شارة المصنع " ² و

1 - نفسه : ص 29 .

2 - نقله مجد مكّي عن : مقدّمات الشيخ علي الطنطاوي : جمع و ترتيب مجد مكّي - جدّة ، السعودية - دار المنارة - ط 1 - 1997م ، ص 132 .

الشيخ عبد الرحمن من هذه الطبقة العالية من المؤلفين ،
وتفسيره التدبيري من أجود كتب التفسير ، لأن مؤلفه أعمل
فيه فكره هو ، لم يفكر بعقل غيره ، وكتبه بأسلوبه ، ولم
يستعير أسلوب غيره ، ولم يملأه بالنصوص المنقولة عن
المفسرين جمعًا أو اختصارًا أو حشدًا للأقوال ، فتجيء كُتُبهم
كما يقول أستاذنا الطنطاوي كمرقعات أدعياء الزهد : رقعة
كُتَان ، ورقعة صوف ، ورقعة بَز ، بل أخذ نصوص الكتاب و
السنة الثابتة ، ففهمهما ، ثم كتب ما فهمه ، و أتى بالمفيد
الجديد المُبتكر¹ .

ولذلك تراه في كثير من الأحيان يعزو دون ذكر المصدر
الذي أخذ منه ، و إنما على سبيل الإطلاق مع تحديد الفن
فحسب ، فتجده يقول :

قال المفسرون² ، أو أهل التاريخ³ ، أو النسائون⁴ ، أو
القصاصون من العرب قبل الإسلام⁵ ، أو المؤرخون⁶ ، أو
النحويون⁷ ، أو علماء الصحة و علماء الاقتصاد الغذائي⁸ ، أو
الجبريون⁹ . .

ومع هذه الطريقة المتنوعة ؛ فقد أثبت رحمه الله كثيرا من
المصادر و في فنون كثيرة ، أقسمها في فروع حسب الفنون
المختلفة للعلم :

ب- مصادره من كتب التفسير¹⁰:

-
- 1 - التعريف بكتاب معارج التفكير و دقائق التدبر : مجد مكّي ، ص 30 .
 - 2 - معارج التفكير و دقائق التدبر : عبد الرحمن الميداني ، 4 / 422 ، 646 .
 - 3 - نفسه : 4/336 .
 - 4 - نفسه : 4/356 .
 - 5 - نفسه : 4/361 .
 - 6 - نفسه : 4/388 ، 389 ، 399 .
 - 7 - نفسه : 4 / 421 .
 - 8 - نفسه : 4/182 .
 - 9 - نفسه : 4/422 .
 - 10 - من أمانة و بركة العلم نسيته إلى أهله : فقد كنت تعبت في استقراء و تتبع
المجلدات كلها لاستخراج مصادره التي رجع إليها و أخذ عنها ، وبينما أنا في نصف
العمل تحضلت على رسالة دكتوراه بعنوان (**تفاسير القرآن الكريم حسب
ترتيب النزول**) للدكتور طه محمد فارس - وقد أشرت إليها في الدراسات
السابقة - فاستفدت كثيرا جدًا من استقراؤه لمصادر المؤلف عبر تفسيره ، مع
التجديد بطبيعة الحال و الزيادة عليها . فجزاه الله كل خير .

وأوضح أهم كتب التفسير¹ التي رجَع إليها و اعتمد عليها في البنود التالية:

تفسير الإمام الطبري " جامع البيان في تأويل آي القرآن :

وقد ورد ذكره كثيرًا في التفسير الأمر الذي يدل على مقدار اعتماده عليه واهتمامه به، وقد نقل عنه في جوانب متعددة منها ما يتعلق بفضائل السور، أو أسباب النزول، أو بيان معاني الآيات أو غير ذلك، ومن أمثلة ما نقل عنه في تخرجاته بسنده :

قوله رحمه الله : " فمن روايات عروض المداهنة ما يلي : روى الطبري بسنده عن ابن عباس أن قريشًا بعد أن يئسوا من استجابة الرسول لعروض الإعراء التي عرضوها عليه ، قالوا له : فإننا نعرض عليك خصلة واحدة ، فهي لك ولنا فيها صلاح . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما هي ؟ . قالوا : تعبدُ إلهتنا سنةً ، اللات و العزى ، و نعبدُ إلهك سنة . قال : حتى أنظر ما يأتي من عند ربِّي " ² .

ومن أمثلة ما نقل عنه في تخرجاته قوله : " . . وربما يكونُ المرادُ أنهم يسألون ربهم أن يُعطيهم كلَّ حظوظهم في الدنيا ، على اعتبار أنهم يكذبون بأنباء يوم الحساب ، و بهذا قال جماعة من أهل التأويل، و رجَّحه ابنُ جرير الطبري . و الله أعلم " ³ . كما نقل عنه رحمه الله في مواضع أخرى كثيرة ، أكتفي بالإشارة إلى بعضها في الهامش ⁴ .

ومن أمثلة ما نقل عنه من اختياراته و نصرها المؤلفُ بقوة : قوله رحمه الله في شرح (بسم الله الرحمن الرحيم) : " أوردَ بعضُ المتأولين أن لفظة (اسم) مُقَحَّمَةٌ في جملة (بسم الله الرحمن الرحيم) و أنّ الأصلَ : (بالله ربِّ العالمين)

1 - مصادر التفسير مرتبة ترتيبًا زمنيًا ، وليس باعتبار توظيف المؤلف لها في تفسيره .

2 - معارج التفكير و دقائق التدبر : عبد الرحمن الميداني ، 1/224 .

3 - معارج التفكير و دقائق التدبر : عبد الرحمن الميداني ، 3/514 .

4 - نفسه : 1/89 ، 97 ، 98 ، 225 ، 279 ، 2 / 33 ، 127 ، 148 ، 209 ، 210 ، 211 ، 253 ، 3 / 333 ، 534 ، 657 ، 675 . 4 / 336 ، 513 ، 625 . 5 / 234 .

(مستدلاً بأن الاستعانة إنما تكون بالله لا بالاسم ، و أورد له نظيراً قول لبيد بن ربيعة العامري :

**إلى الحولِ ثمَّ اسمُ السَّلامِ عليكما ومن
يبك حولاَ كاملاً فقد اعتذر**

قال : و مرادُ لبيد، ثمَّ السَّلام عليكما . وردَّ الطبريُّ¹ هذا الكلامَ حتى في بيت لبيد ، وخرَّجهُ في بيت لبيد على أحد وجهين : ... هذا ما ذكره الطبريُّ ، و الحقُّ ما ذكر . .² .

تفسير ابن أبي حاتم (ت 327 هـ) المسمّى "
تفسير القرآن العظيم " :

وأغلب ما ينقل عنه تخرجاته بسنده : من ذلك قوله رحمه الله : " روى ابن أبي حاتم بسنده عن ميمون بن مهران ، قال : كنتُ جالساً عند عمر بن عبد العزيز فقراً : [**أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (1) حَتَّى رُزِئْتُمُ الْمَقَابِرَ (2)**] فلبتْ هنيهةً ثم قال : يا ميمون : ما أرى المقابرَ إلا زيارةً و ما للزائرِ بُدٌّ من أن يرجع إلى منزله "³ . كما نقل عنه في مواضع أخرى⁴ .

**المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن
عطية (ت 518 هـ) :**

من ذلك قوله رحمه الله : " قال ابن عطية : سبب نزولها أنّ المشركين قالوا : إنّ محمداً يتقول القرآن و يختلق أقواله ، فنزلت السورة في ذلك "⁵ .

تفسير الزمخشري (ت 538 هـ) المسمّى "
الكشاف عن حقائق التنزيل " :

وقد استفاد منه و نقل عنه في مثل بيان المعاني اللغوية و القضايا البلاغية و في توجيه القراءات و غير ذلك . من ذلك قوله رحمه الله : " يقالُ لغيةً : خالفك فلانٌ إلى كذا أي : قصدهُ و أنتَ مُنصرفٌ و متولٌّ عنه . و يُقالُ : خالفَ الرَّجُلُ صاحبهُ إلى مكان كذا ، إذا قصد هذا المكان بعد أن انصرف

-
- 1 - جامع البيان : الطبري ، 1/80 .
 - 2 - معارج التفكير و دقائق التدبر : عبد الرحمن الميداني ، 23-1/22 .
 - 3 - نفسه : 1/668 .
 - 4 - نفسه : 1/89 ، 4/513 .
 - 5 - معارج التفكير و دقائق التدبر : عبد الرحمن الميداني ، 2/95 .

صاحبه عنه . قال الزمخشري¹ : يَلْقَاكَ الرَّجُلُ صَادِرًا عَنِ الْمَاءِ فَتَسْأَلُهُ عَنْ صَاحِبِهِ فَيَقُولُ : خَالَفَنِي إِلَى الْمَاءِ ، يَرِيدُ أَنَّهُ قَدْ ذَهَبَ إِلَيْهِ وَارِدًا ، وَ أَنَا ذَاهِبٌ عَنْهُ صَادِرًا " ² . كما نقل عنه في مواضع أخرى³ .

أحكام القرآن لابن العربي (ت 543 هـ) :

من ذلك قوله رحمه الله : " روى أبو بكر بن العربي في أحكام القرآن بسنده إلى خريم بن أوس بن حارثة أنه قال : هاجرْتُ إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم بالمدينة ، مُنْصَرَفَهُ مِنْ تَبُوكَ ، فَسَمِعْتُ الْعَبَّاسَ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَمْتَدِحَكَ . فَقَالَ : قُلْ لَا يَفْضُضُ اللَّهُ فَالَكَّ " ⁴ .

تفسير الرازي (ت 606 هـ) المسمّى " مفاتيح

الغيب " :

من ذلك النقلُ عنه و استحسانُ ما قاله ، قال المؤلف رحمه الله : " . و ذكرَ الرَّازِي وَجْهًا آخَرَ وَهُوَ أَنْ يَكُونَ لَفْظُ (سَبْعِينَ) عَطْفَ بَيَانٍ ، عَلَى اعْتِبَارِ أَنَّ الْقَوْمَ الَّذِينَ رَأَى مُوسَى أَنَّهُمْ قَوْمُهُ الْمُتَابِعُونَ لَهُ حَقِيقَةً هُمُ السَّبْعُونَ الَّذِينَ اخْتَارَهُمْ ، أَي : أُمَّا بَقِيَّةُ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَهَمُ أَعْدَادُ صُورِيَّةٍ مَالِئَةٌ فِرَاعَاتٍ فِي السَّوَادِ الْأَعْظَمِ . وَهَذَا الْوَجْهُ الَّذِي ذَكَرَهُ الرَّازِي ذُو مَضْمُونٍ فِكْرِيٍّ جَدِيدٍ بِالْاعْتِبَارِ ، أُمَّا الْوَجْهَانِ الْأَخِيرَانِ فَتَخْرِيجَانِ نَحْوِيَّانِ فَقَطْ " ⁵ . كما نقل عنه في مواضع أخرى⁶ .

تفسير القرطبي (ت 671 هـ) المسمّى "

الجامع لأحكام القرآن " :

من ذلكَ قوله المؤلف رحمه الله في الملحق الثاني في سورة الشعراء حول (الشعر و الشعراء في القرآن والسنة) : " قال القرطبي : روى اسماعيل بن عباس عن عبد الله بن عون عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : حَسَنُ الشُّعْرِ كحَسَنِ الْكَلَامِ ،

1 - الكشاف : الزمخشري ، 1/558 .

2 - معارج التفكير و دقائق التدبر : عبد الرحمن الميداني ، 393 / 5 .

3 - نفسه : 3/628 .

4 - نفسه : 8/770 ، و قال رحمه الله بعد سوقه هذه الرواية : " محمد الطاهر

بن عاشور في تفسيره لآخر سورة الشعراء " .

5 - نفسه : 599 / 4 .

6 - نفسه : 2/76 ، 109 ، 127 .

وقبيحُ الشُّعر كقبيح الكلام " ¹ . ذكره هكذا دون تخريج أو تعليق ، وهذا غالبُ فعله مع الروايات . قلتُ : كما نقل عنه في مواضع أخرى ² .

البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (ت 754 هـ)

³

تفسير القرآن العظيم لابن كثير (ت 774 هـ) :
وقد ورد ذكره كثيرًا في التفسير الأمر الذي يدل على مقدار اعتماده عليه واهتمامه به، وقد نقل عنه في جوانب متعددة ⁴ .

الدر المنثور للسيوطي (ت 911 هـ) ⁵ .

فتح القدير للشوكاني (ت 1250 هـ) : فقد نقل

عنه رحمه الله في مواضع متعددة ⁶ .

تفسير التحرير و التنوير لابن عاشور (ت 1393

هـ) : نقل عنه في مواضع متعددة ⁷ .

كتب له في التفسير : قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله

عز وجل ⁸ ، و كتاب " نوح عليه السلام و قومه في القرآن " ⁹ .

ت- مصادره من كتب الحديث :

وأوضحُ أهم كتب الحديث التي رجَع إليها و اعتمد عليها في

النصوص الحديثية أو التخريج أصالة أو بالواسطة ¹⁰ :

موطأ الإمام مالك بن أنس (ت 179 هـ) ¹¹ .

مصنف ابن أبي شيبة (ت 235 هـ) ¹² .

1 - معارج التفكير و دقائق التدبر : عبد الرحمن الميداني ، 8 / 778 .

2 - نفسه : 1/152 . 2 / 472 . 8 / 772 .

3 - نفسه : 3/530 ، 563 . 6 / 444 .

4 - نفسه : 1/108 ، 144 ، 314 ، 317 ، 606 ، 668 . 4 / 246 ، 548 ، 656 .

5/56 . 6/16 ، 249 ، 364 . 9 / 755 .

5 - نفسه : 3/628 .

6 - نفسه : 1/26 ، 627 ، 628 ، 708 . 2 / 134 ، 396 . 5/56 ، 298 .

7 - نفسه : 1/102 ، 385 ، 528 . 4 / 570 . 8 / 771 ، 718 . 9/521 . و انظر

التحرير و التنوير : ابن عاشور ، 29/304 .

8 - معارج التفكير و دقائق التدبر : عبد الرحمن الميداني ، 1 / 134 ، 691

في التفريق بين الفقير و المسكين 1/538 . 6 / 331 ، 363 ، 367 ، 432 ،

538 ، 570 ، 574 . 12 / 229 (8) .

9 - نفسه : 3 / 364 . 4 / 317 .

10 - تم مراعاة الترتيب الزمني لأصحابها ، مع الاختصار على اسم الشهرة .

11 - معارج التفكير و دقائق التدبر : عبد الرحمن الميداني ، 1/276 .

12 - نفسه : 1/314 .

- مسند الإمام أحمد بن حنبل (ت 241 هـ)¹ .
سنن الدارمي (ت 255 هـ)² .
صحيح البخاري (ت 256 هـ)³ .
صحيح مسلم (ت 261 هـ)⁴ .
سنن أبي داود (ت 275 هـ)⁵ .
سنن ابن ماجه (ت 275 هـ)⁶ .
سنن الترمذي (ت 279 هـ)⁷ .
سنن النسائي (ت 303 هـ)⁸ .
مسند أبي يعلى (ت 307 هـ)⁹ .
صحيح ابن خزيمة (ت 311 هـ)¹⁰ .
صحيح ابن حبان (ت 354 هـ)¹¹ .
الطبراني (ت 360 هـ)¹² .
عمل اليوم و الليلة لابن السنّي (ت 364 هـ)¹³ .
المستدرک للحاكم (ت 405 هـ)¹⁴ .

- 1 - **نفسه** : 1/274 ، وربما نقل عنه بالواسطة 1/664 ، فقد نقل عنه في هذا الموضوع عبر تفسير ابن كثير ، وانظر **تفسير القرآن العظيم** : ابن كثير - تحقيق : مصطفى السيد محمد ، محمد السيد رشاد ، محمد فضل العجاوي ، علي أحمد عبد الباقي ، وحسن عباس قطب - الجيزة ، مصر - مؤسسة قرطبة - ط 1 - 2000م ، 8/472 .
- 2 - **معارض التفكير و دقائق التدبر** : عبد الرحمن الميداني ، 1/285 .
- 3 - **نفسه** : 1/33 ، 80 ، 160 ، 274 ، 275 ، 378 ، 379 ، 675 ، 2/306 .
- 4 - **نفسه** : 1/89 ، 274 ، 275 ، 378 ، 379 ، 466 ، 586 ، 610 ، 675 . 2/306 ، 3/635 .
- 5 - **نفسه** : 1/282 .
- 6 - **نفسه** : 1/275 .
- 7 - **نفسه** : 1/127 ، 128 ، 275 ، 276 ، 610 ، 3/598 .
- 8 - **نفسه** : 1/282 .
- 9 - **نفسه** : 3/593 .
- 10 - **نفسه** : 1/317 .
- 11 - **معارض التفكير و دقائق التدبر** : عبد الرحمن الميداني ، 4/400 .
- 12 - **نفسه** : 1/556 ، و نقل عنه عن طريق **الدر المنثور في التفسير بالمأثور** : السيوطي - تحقيق : عبد الله بن عبد المحسن التركي ، عبد السنند حسن يمامة - القاهرة ، مصر - مركز هجر للبحوث والدراسات - ط 1 - 2003م ، 6/608 .
- 13 - **معارض التفكير و دقائق التدبر** : عبد الرحمن الميداني ، 1/285 ، عن طريق **الدر المنثور للسيوطي** .
- 14 - **معارض التفكير و دقائق التدبر** : عبد الرحمن الميداني ، 1/285 ، 556 ، 586 .

ابن مردويه (ت 410 هـ)¹ .
 شعب الإيمان للبيهقي (ت 458 هـ)² .
 شرح السنّة للبغوي (ت 516 هـ)³ .
 مشكاة المصابيح للبغوي (ت 516 هـ)⁴ .
 النهاية في غريب الحديث و الأثر لابن أثير (ت 606 هـ)⁵ .
 مجمع الزوائد للإمام الهيثمي (ت 807 هـ)⁶ .
 فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر (ت 852 هـ)⁷ .
 تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير لابن حجر⁸ .
 الجامع الصغير للسيوطي (ت 911 هـ)⁹ .
 الجامع بين الصحيحين جمع و ترتيب صالح الشامي¹⁰ .
 صحيح الجامع الصغير و زيادته لمحمد ناصر الدين الألباني (ت 1420 هـ)¹¹ .
 روائع من أقوال الرسول للمؤلف نفسه¹² . 7
ث- مصادره من كتب اللغة :
 وأهم كتب اللغة العربية التي رجّع إليها و اعتمد عليها هي

: 13

-
- 1 - نفسه : 1/556 ، وبالواسطة عن الدر المنثور للسيوطي ، 6/608 .
 - 2 - معارج التفكير و دقائق التدبير : عبد الرحمن الميداني ، 1/279 ، 285 .
 - 3 - نفسه : 1/276 ، 3/592 .
 - 4 - نفسه : 3/331 ، 332 ، 593 .
 - 5 - نفسه : 1/657 ، وقد نقل عنه في شرح مادة صلّى بواسطة لسان العرب لابن منظور .
 - 6 - معارج التفكير و دقائق التدبير : عبد الرحمن الميداني ، 5/548 .
 - 7 - نفسه : 1/89 ، 274 ، 275 ، 378 ، 379 ، 466 ، 586 ، 610 ، 675 .
 - 8/ 306 ، 600 ، 3/635 .
 - 8 - نفسه : 9/57 .
 - 9 - نفسه : 1/692 .
 - 10 - معارج التفكير و دقائق التدبير : عبد الرحمن الميداني ، 3 / 523 .
 - 11 - نفسه : 1/129 ، 274 ، 286 ، 3/489 ، 6/107 ، 7/194 ، 8/111 ، 769 .
 - 12 - نفسه : 1/637 .
 - 13 - تم مراعاة الترتيب الزمني لأصحابها ، مع الاختصار على اسم الشهرة .

تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري (ت 370 هـ)¹ .
الصاح تاج اللغة و صحاح العربية للجوهري (ت 393 هـ)² .

المخصص لابن سيده (ت 458 هـ)³ .
لسان العرب لابن منظور (ت 711 هـ)⁴ .
مغني اللبيب لابن هشام (ت 761 هـ)⁵ .
القاموس المحيط للفيروزآبادي (ت 817 هـ)⁶ .
المعجم الوسيط لمجموعة من الأساتذة⁷ .
البلاغة العربية للمؤلف نفسه⁸ .

ج- مصادره من كتب العقيدة الإسلامية :
وأهم كتب العقيدة الإسلامية التي رجّع إليها و اعتمد عليها هي⁹ :

الملل و النحل لابن حزم (ت 456 هـ)¹⁰ .
التذكرة في أحوال الموتى و أمور الآخرة للقرطبي (ت 671 هـ)¹¹ .

شرح المقاصد لسعد الدين التفتازاني (ت 793 هـ)¹² .
إظهار الحق لرحمة الله الهندي (ت 1306 هـ)¹³ .

-
- 1 - معارج التفكير و دقائق التدبير : عبد الرحمن الميداني ، 1/468 . 2/320 . 579 . 3/530 . 659 ، 4 / 265 ، 347 ، 417 ، 431 ، ينقل عنه بلفظ : قال الأزهري ، انظر : 1 / 248 ، وربما نقل عنه بواسطة لسان العرب لابن منظور و غيره .
 - 2 - معارج التفكير و دقائق التدبير : عبد الرحمن الميداني ، 2 / 124 ، 309 . 3 / 45 ، 266 . 4 / 101 .
 - 3 - نفسه : 2 / 529 . 4 / 8 ، 101 ، 249 ، 624 ، 664 .
 - 4 - نفسه : 1 / 333 . 2 / 124 ، 316 ، 322 ، 433 ، 434 ، 579 . 6 / 201 . 7 / 448 ، 594 ، 553 . 8 / 208 ، 240 . 9 / 46 ، 666 . 10 / 720 ، 660 .
 - 5 - نفسه : 1 / 657 . 3 / 19 .
 - 6 - نفسه : 3 / 61 ، 266 .
 - 7 - نفسه : 6 / 153 .
 - 8 - معارج التفكير و دقائق التدبير : عبد الرحمن الميداني ، 1 / 524 . 3 / 143 . 8 / 721 . 9 / 599 ، 762 . 11 / 197 .
 - 9 - تم مراعاة الترتيب الزمني لأصحابها ، مع الاقتصار على اسم الشهرة .
 - 10 - معارج التفكير و دقائق التدبير : عبد الرحمن الميداني ، 7 / 547 .
 - 11 - نفسه : 5 / 203 . 6 / 154 ، 396 .
 - 12 - نفسه : 1 / 294 .
 - 13 - نفسه : 4/622 .

العقيدة الإسلامية و أسسها للمؤلف نفسه¹ .
 ابتلاء الإرادة بالإيمان و الإسلام و العبادة للمؤلف نفسه² .
ح- مصادره من كتب الأديان الأخرى :
 كما اعتمد أيضًا في الاستشهاد على كتب الديانات الأخرى
 من مثل :
 التوراة و الإنجيل³ .
 قاموس الكتاب المقدّس (مجموعة من ذوي الاختصاص
 بإشراف بطرس عبد الملك)⁴ .
خ- مصادره من كتب السيرة النبوية و التاريخ :
 وأهم كتب السيرة و التاريخ التي رجّع إليها و اعتمد عليها
 هي⁵ :
 الأصنام لابن السائب الكلبي (ت 204 هـ)⁶ .
 سيرة ابن هشام (ت 218 هـ)⁷ .
 طبقات ابن سعد (ت 230 هـ)⁸ .
 حلية الأولياء و طبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصفهاني (ت
 430 هـ)⁹ .
 أطلس تاريخ الإسلام للدكتور حسين مؤنس (ت 1416 هـ
)¹⁰ .

-
- 1 - نفسه : 622 / 4 .
 - 2 - نفسه : 457 , 298 / 1 .
 - 3 - نفسه : 622 , 625 , 637 , 644 , 645 , 649 , 667 , 672 , 701 , 711 , 509 / 7 . 511 , 510 / 4 . 581 , 578 , 567 , 566 , 526 , 126 / 3 .
 - 4 - نفسه : 622 / 4 .
 - 5 - تم مراعاة الترتيب الزمني لأصحابها ، مع الاختصار على اسم الشهرة .
 - 6 - معارج التفكير و دقائق التدبر : عبد الرحمن الميداني ، 2 / 123 ، 125 .
 - 7 - نفسه : 622 , 625 , 637 , 644 , 645 , 649 , 667 , 672 , 701 , 711 , 509 / 7 . 511 , 510 / 4 . 581 , 578 , 567 , 566 , 526 , 126 / 3 . 222 , 105 , 96 / 1 . 210 , 208 , 126 , 125 , 123 / 2 .
 - 8 - نفسه : 773 / 8 .
 - 9 - نفسه : 586 / 1 .
 - 10 - نفسه : 375 / 9 . 399 / 4 .

محمد رسول الله صلى الله عليه و سلم منهج و رسالة
محمد الصادق ابراهيم عرجون (ت 1400هـ) ¹¹ .

د- مصادره من كتب الفكر الإسلامي:

وأوضح أهم كتب الفكر الإسلامي التي رجع إليها و اعتمد
عليها في مايلي :

الإسلام و النظر في آيات الله الكونية للدكتور محمد عبد
الله الشرقاوي ² .

الموسوعة العربية العالمية ³ .

خلق الإنسان بين الطب و القرآن لمحمد علي البار ⁴ .

الأمّة الربانية الواحدة للمؤلف عبد الرحمن الميداني ⁵ .

فقه الدعوة و فقه النصح و الإرشاد و الأمر بالمعروف و

النهي عن المنكر للمؤلف نفسه ⁶ .

بصائر للمسلم المعاصر للمؤلف نفسه ⁷ .

العبادة في الإسلام للمؤلف نفسه ⁸ .

مكايد يهودية عبر التاريخ للمؤلف نفسه ⁹ .

ظاهرة النفاق و خبائث المنافقين في التاريخ للمؤلف

نفسه ¹⁰ .

كواشف زيوف المذاهب الفكرية للمؤلف نفسه ¹¹ .

الأخلاق الإسلامية و أسسها للمؤلف نفسه ¹² .

ذ- مصادره من الصحف و المجلات :

وقد رجع رحمه الله إلى صحيفة واس في القاهرة ¹³ .

11 - نفسه : 1 / 280 .

2 - نفسه : 6 / 564 . 7/96 .

3 - نفسه : 8 / 504 . 11 / 43 .

4 - نفسه : 3 / 268 .

5 - نفسه : 1 / 336 .

6 - نفسه : 1 / 460 . 3 / 130 ، 518 .

7 - معارج التفكير و دقائق التدبر : عبد الرحمن الميداني ، 10 / 165 .

8 - نفسه : 4 / 78 .

9 - نفسه : 9 / 553 .

10 - نفسه .

11 - نفسه .

12 - نفسه : 6 / 486 .

13 - نفسه : 2 / 423 .

المبحث الثاني منهج المؤلف في تفسير السور و الآيات

وسأطرق في هذا المبحث إلى دراسة المنهج الخاص التفصيلي للمؤلف في كتابه (معارج التفكير و دقائق التدبّر) في تفسير السور والآيات، من حيث اعتماد أسباب النزول و التفسير بالمأثور وبالرأي ومنهجه في تناول مسائل اللغة والتفسير الموضوعي والتفسير العلمي بما أراه يعطي صورة عن التعريف التفصيلي بمنهجه في تفسير الآيات و السور .

1- اعتماد ترتيب النزول القرآني لا المصحفي في التفسير :

صرّح المؤلف رحمه الله باعتماده ترتيب النزول منهجًا في تفسير القرآن العظيم و تدبّر آياته ، واعتبر هذا الأمر مهمًا جدًّا في إدراك مدلولات النصوص و الدروس القرآنية لأنه قد ينزل بعد السابقة نصّ قرآني أو جملة نصوص هي تكميلٌ أو بيانٌ كاشفٌ لأحكام المرحلة اللاحقة ، فيحتاج المتدبّر إلى معرفة المكي و المدني و تاريخ التنزّل القرآني للآيات ¹

1 - ينظر للتفصيل في علم المكي و المدني و تاريخ التنزيل ، والاطلاع على كلام العلماء و تعدادهم للسور المكية والمدنية، واختلافهم في بعضها المراجع الآتية : **البرهان في علوم القرآن** : الزركشي، 1/187-206 ، و **الإتقان في علوم القرآن** : السيوطي ، 1/34-59 ، و **مناهل العرفان في علوم القرآن** " لمحمد عبد العظيم : الزرقاني ، 1/135-167 .

لتصوّر التكامل التشريعي والتربوي أو الحركي الإصلاحي لتلك النصوص و لذلك الموضوع عبر مراحل التنزيل فيه ¹ : قال في قواعده رحمه الله : " على متدبر كتاب الله أن يجتهد في تتبّع مراحل تنزيل القرآن ، و يبني فهمه على أساس تدرّج التشريع ، حتى لا يقع في خطأ اعتماد آية سابقة النزول في تدرّج التشريع مع أنه قد نزل بعدها تكميلًا أو بيانًا كاشفًا لأحكام المرحلة اللاحقة ، وحتى لا يقع في خطأ تصوّر معارضة الآية السابقة لما نزل بعدها في موضوعها الذي تعالجه من موضوعات التكاليف والأحكام ، ووسائل التربية ، وطرائق الإصلاح ، وأساليب الدعوة ، وألوان الجهاد " ² . وقال رحمه الله : " و تتبّع مراحل النزول للنصوص التربويّة يكشف للباحث عن التدرّج في الخطوات التربوية ، والتكرير في استعمال العلاج التربوي ، بغية تأثيره والحصول على الفائدة منه ، كالعلاج الدوائي في مجال الصحة الجسديّة ، وكذلك النصوص الحركية في طرائق الإصلاح ، وأساليب الدعوة و ألوان الجهاد " ³ .

وقال رحمه الله : " الذي ترجّح لمدّيّ فيه أن أتابع تدبّر السور على ما ذكر العلماء بعلوم القرآن الكريم ، من ترتيب نزولها ، لا على وفق ترتيبها الاجتهادي في المصاحف ، التزامًا بترتيب المصحف الذي وُزعت نُسخُ منه على معظم أمصار المسلمين في عهد عثمان رضي الله عنه . و قد رأيت بالتدبر

1 - و قد نصّ الدكتور طه محمد فارس أنه سأل الشيخ في لقاءه معه في دبي عن سبب اختياره لهذه الطريقة في تفسيره فقال له : " إنّ هذا الترتيب يفيد في البناء الفكري ، و البناء التربوي ، و البناء الأخلاقي " . و قال له : " بأنّ هناك آلاف الأفكار و الفوائد تستفاد من هذه الطريقة " ، وقال له مسوِّعًا عمله هذا و اختياره بأثّه : " لا يطبعُ مُصحفًا ، وهذا الترتيب يعينه على الفهم " ا هـ من : **تفاسير القرآن الكريم حسب ترتيب النزول دراسة و تقويم** : د طه محمد فارس ، ص 842 .

2 - **قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله عز وجل** : عبد الرحمن الميداني، ص 151 .

3 - **نفسه** : ص 152 . ولا يُستثنى من هذا كما بيّنا في الدراسة النظرية سوى النصوص الخبرية عن الكون و النصوص التي تبيّن مسائل العقائد و أصول الدّين الكلّيّة العامّة ، فهذه ذوات دلالات مقصودات على الدوام ، واللاحق منها يُضمّ إلى السابق كأنما أنزلت دفعة واحدة ، " فالمرحليّة فيها مرحليّة بيان تعليمي وليست مرحليّة تدرّج تربوي .

الميداني للسور ، أن ما ذكره المختصون بعلوم القرآن الكريم من ترتيب نزول ، هو في معظمه حق ، أخذًا من تسلسل البناء المعرفي المتكامل ، وتسلسل التكامل التربوي ، و اكتشفت في هذا التدبر أمورًا جليلاً تتعلق بحركة البناء المعرفي لأمر الدين و حركة المعالجات التربوية الربانية الشاملة للرسول صلى الله عليه و سلم و للذين آمنوا به و اتبعوه ، و للذين لم يستجيبوا لدعوة الرسول مترين أو مكذبين كافرين¹ .

فنستطيع مما سبق أن نلخص أسباب ومبررات اختيار المؤلف رحمه الله للتفسير على ترتيب النزول في مايلي :

أ- تحقيق حكمة التدرج التشريعي، حتى لا يقع في خطأ اعتماد آية سابقة النزول في تدرج التشريع مع أنه قد نزل بعدها تكميلًا أو بيانًا كاشفًا لأحكام المرحلة اللاحقة ، وحتى لا يقع في خطأ تصوّر معارضة الآية السابقة لما نزل بعدها في موضوعها الذي تعالجه من موضوعات التكليف و الأحكام .

ب- تحقيق السلامة من الأخطاء التفسيرية ، وذلك يحصل بإدراك المكي و المدني ، ومراعاة ذلك في تفسير النصوص ، لأن كثيرا من المفسرين يحملون النص ما لا يحتمل من خلال الإتيان مثلاً بقرص مدنية فيضعونها تفسيرًا لنصوص مكية .

ت- تحقيق حكمة التدرج التربوي و الخطوات التربوية و التمكّن من كشفها و تدبر سياقاتها التشريعية و التاريخية و البيئية .

ث- تحقيق تسلسل البناء المعرفي المتكامل ، والتسلسل في التكامل التربوي وبناء الأخلاقي .

ج- اكتشاف أمور و فوائد ترجع إلى حركة البناء المعرفي لأمر الدين ، وهذه لا تُكتشف إلا بمتابعة مراحل التنزيل و تدبرها بدقّة و غوص .

ح- اكتشاف حركة المعالجات التربوية الربانية الشاملة للرسول صلى الله عليه و سلم و للذين آمنوا به و اتبعوه .

خ- فقه النصوص الحركية على ترتيب نزولها يجعل المتدبر يكتشف طرائق الإصلاح و أساليب الدعوة و ألوان الجهاد في إطار بنائي متدرج .

د- التمكن من فهم التكرير في القرآن الكريم .
ومن المواضع التي تدل على كون هذا المنهج دعامة أساسية من دعائم جهد وعمل المؤلف في تفسيره كله ، ما يسجله رحمه الله في ثانيا كل مجلد من سوابق النزول وعلاقتها بالموضع الذي يشرحه في الدرس و يتدبر فيه ، مثل : قضية الإنفاق و التدرج في الأمر به من خلال سورة العلق و المدثر و الأعلى و الليل¹ ، و قضية الامتحان ببسط الأرزاق و تضيقها و واجب الإنسان الممتحن في الحياة تجاهها من خلال سورة العلق و المدثر و الأعلى و الليل و الفجر² ، و التدرج الدعوي في مراحل البناء و ضرورته للتنظيمات الدعوية³ ، و آيات الاستعاذة⁴ ، و الآيات التي وردت في التنديد على المشركين بشأن عقيدتهم في الملائكة⁵ ، و الآيات المتحدثة عن الإنسان حسب ترتيب النزول⁶ ، و حب العاجلة في القرآن⁷ ، و مواضع أخرى كثيرة .

وهذا المنهج في التفسير من أكثر الأمور التي أثرت حولها المناقشات بين المتخصصين ، عند المفسرين بها بشكل عام ، وعند عبد الرحمن الميداني بشكل خاص .
نعم هذا المنهج الذي التزمه المؤلف مفيد في تحقيق كثير من الحكم و الدلالات و الدقائق التدبرية ، من : تحقيق حكمة التدرج التشريعي ، و تحقيق السلامة من الأخطاء التفسيرية بإدراك المكي و المدني ، و مراعاة ذلك في تفسير النصوص ، و من تحقيق حكمة التدرج التربوي و الخطوات التربوية و التمكن من كشفها و تدبر سياقاتها التشريعية و التاريخية و البيئية ، و تحقيق تسلسل البناء المعرفي المتكامل ، و

-
- 1 - معارج التفكير و دقائق التدبر : عبد الرحمن الميداني ، 1/493 - 494 .
 - 2 - نفسه : 1/532 .
 - 3 - نفسه : 1/ 259 - 260 .
 - 4 - نفسه : 2/51 .
 - 5 - نفسه : 2 / 172 - 193 .
 - 6 - نفسه : 2/231 .
 - 7 - نفسه : 2/499 .

التسلسل في التكامل التربوي و البناء الأخلاقي ، و اكتشاف أمور و فوائد ترجع إلى حركة البناء المعرفي لأمور الدّين ، و اكتشاف حركة المعالجات التربوية الربّانيّة الشاملة للرسول صلى الله عليه و سلم و للذين آمنوا به و اتبعوه ، وفقه النصوص الحركية و اكتشاف طرائق الإصلاح و أساليب الدعوة و ألوان الجهاد في إطار بنائي متدرّج ، مع التمكن من فهم التكرير في القرآن الكريم .

وقد لمست كثيرًا من تلك الفوائد و الدقائق حقًا ، لولا ما انقُذَ على المؤلّف رحمه الله من كون هذه المنهجية في التفسير تفتقدُ إلى رواية صحيحة ثابتة يقينًا تبين المتقدّم و المتأخّر ، والمكي و المدني بكلّ يقين ، كيف و كثيرٌ من تلك الروايات لا تصلحُ مُستندًا لمعرفة ذلك ، لضعفها سندًا و متنا ، ولكثرة نواقضها من الروايات الصحيحة ، و بالتالي يصعبُ جدًّا الاطمئنانُ إلى النتائج التدرّية المبنية عليها إلا إذا تعاملنا معها على أنّها مجرد تأمل مبنية على غير مُسلمات¹ .

قال طه محمد فارس يحكي مناقشته للمؤلّف في ذلك : " و أذكرُ أنّي عندما التقيتُ به (أي المؤلّف) في مدينة دُبي ، وكان زائرًا لها رحمه الله ، وسألته عن مستند الترتيب الذي اعتمده ، فقلتُ: إنّه مخالفٌ لإجماع الصحابة ، ولم تثبت في الترتيب روايةٌ صحيحة؟! . كان جوابُهُ غريبًا محيرًا حيثُ قال : " ترتيب النزول قطعي ، أما ترتيب المصحف فاجتهادي من الصحابة " . أقول - د طه فارس - وما قاله غريبٌ حقًا ، يدل على عدم بحثه واطّلاعه على أقوال العلماء في ذلك ، وكان ينبغي عليه وهو ينشئ تفسيرًا كاملاً لكتاب الله على ترتيب

1 - صرّح المؤلّف رحمه الله أنه اعتمد في معرفة ترتيب نزول السور المكية و المدنية على المصحف الذي اعتمده الشيخ محمد علي خلف الحسيني شيخ المقارئ المصرية في إحدى الطبعات المصرية للمصحف الشريف، انظر: **معارج التفكير و دقائق التدبير** : عبد الرحمن الميداني ، 1/151 . وقد أثبت في كتابه **قواعد التدبير الأمثل لكتاب الله عزّ وجل** ، ص 178-184 اعتماده على نفس المصدر مع قوله : " على خلافٍ يسيرٍ في بعض ذلك " . يقصد مخالفة الترتيب لذلك المصحف في سورتي القلم و المدثر ، بتأخير سورة القلم من رقم 2 إلى رقم 4 ، و قدّم سورة المدثر رقم 4 إلى 2 . وجعل سورة المزمل بعد المدثر بخلاف المصحف الذي اعتمد عليه فهي قبلها ، وقدّم المبررات لذلك : انظر **معارج التفكير و دقائق التدبير** : عبد الرحمن الميداني ، 1/77 ، 151 ، 195 ، 280 .

النزول، أن يبحث في مستند هذه الطريقة ، ويراجع أقوال العلماء في ذلك " 1 .

قلتُ (الباحث) : هذا رأيُّ المؤلف رحمه الله ، و مع ذلك أستبعدُ جدًّا عدم اطلاعه على أقوال أهل العلم في هذا الموضوع ² ، كيف وقد قال - وهذا نقله طه محمد فارس في رسالته - : " و قد رأيت بالتدبر الميداني للسور ، أن ما ذكره المختصون بعلوم القرآن الكريم من ترتيب نزول ، هو في معظمه حق " ³ .

فهذا دليلٌ على اطلاع المؤلف على الموضوع و هضمه لأقوال العلماء فيه و تتبّع ما قالوه في ذلك، بل و موافقته لمعظم ما قيل ، و إنّما ظهر للمؤلف رحمه الله أنّ ترتيب النزول و إن كان عن اجتهادٍ فمعظمه حق، و هذا المعظم كافٍ في سلوك هذا المنهج لتحقيق إدراك و ملامسة حكمة التدجّج و التسلسل في البناء المعرفي المتكامل و البناء التربوي الأخلاقي المتكامل للنصوص القرآنية ، مع ملامسة حركة البناء المعرفي لأمر الدين وفق مراحل التنزيل ، لأنّ معظمها على أقل تقدير مُسلّمٌ به لدى المؤلف ، وهو أمرٌ غير مخدوم من العلماء و الباحثين على الاستفاضة و التوسّع الحاصل في منهج التفسير على ترتيب سور المصحف .

هذا و قد انتقدَ طه محمد فارس المؤلفَ رحمه الله في اعتماده هذا المنهج في التفسير في رسالته للدكتوراه **(تفاسير القرآن الكريم حسب ترتيب النزول دراسة و تقويم)** ، و مما قاله في هذا الانتقاد : " لم تكن الأسباب التي ذكرها الأستاذ حينئذٍ لتفسير القرآن على ترتيب النزول كافية و مقنعة لسلوك هذا المنهج في التفسير ، فلذلك سوف

1 - قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله عزّ وجل : عبد الرحمن الميداني، ص 247-248 .

2 - فضلها جيّدًا طه محمد فارس في رسالته للدكتوراه : **تفاسير القرآن الكريم حسب ترتيب النزول دراسة و تقويم** ، ص 109 وما بعدها ، و نادي حسن علي صبرا في رسالته للماجستير : **منهج عبد الرحمن حينئذٍ الميداني في التفسير** ، ص 32 وما بعدها ، و قد رأيت الاقتصار على الإحالة إلى ما فيهما ، تميّنًا لجهدهما ، و حتى لا أكثّر ما ذكره الباحثون .

3 - معارج التفكير و دقائق التدبّر : عبد الرحمن الميداني ، 1/6 .

أتناول هذه الأسباب لمناقشتها و بيان مدى الاحتجاج و التعلل بها " ¹ . ثم راح يسوق الأسباب و يناقشها .

ومما قاله في ذلك : " قوله بأنه سلكَ ترتيب النزول ليبيّن فهمه على أساس التدرّج التشريعي كلاً لا يصح ، وهو منقوضٌ من ناحيتين : **أما الناحية الأولى** فهو أنه عندما تناول السور بالتفسير على ترتيب النزول ، بغض النظر عن ثبوت هذا الترتيب أو عدمه ، لم يكن هذا الترتيب ليعطي تصوراً صحيحاً عن المراحل الزمنية التي مرّ بها التشريع ، ذلك أنّ هذا الترتيب المعتمد يذكرُّ السور التي نزلت مفرّقةً في أزمنة متباعدة جملة واحدة ، مما يصعب معه معرفة التدرّج التشريعي من خلال ترتيب النزول ، ففصول سورة البقرة - مثلاً - متداخلة مع غيرها من السور التي وُضعت في الترتيب بعد سورة البقرة ، إلا أنّ بعضَ فصول سورة البقرة نزلت بعد هذه السور " ²

قلْتُ (الباحث) : أتعجّبُ من هذا الاستدراكِ على المؤلف رحمه الله في أمر لم يصل إليه رحمه الله بالبيان والتطبيق لنلاحظ على وجه اليقين مدى صلاحيته للاعتماد عن تجربة و ممارسة ، فإنّ التشريع كما هو معلوم حاصلٌ في السور المدنية ، والمؤلف مات قبل أن يُبررَ لنا براعته في الكشف عن التدرّج التشريعي في تلك السور و فصولها وفق ترتيب النزول ، فكأنّ استدراك طه محمد فارس عليه استدراكٌ قبل أوانه ، فلا يصلحُ للنقض من هذا الوجه . ثمّ إنّ الأزمنة المتباعدة لنزول التشريعات لا يمنع من إدراك حكمة الترتيب و التدرّج ، لأنّ ذلك التباعد في الزمن جزءٌ من العلاج ، وهو مقصودٌ في تشخيص الجرعات تماماً كالتشريع نفسه ، فلا يصلحُ هذا الاستدراك للنقض أيضاً ، والله تعالى أعلم .

ويستمر في ذكر الناحية الثانية فيقول : " أما الناحية الثانية : لم يكن التفسيرُ على ترتيب المصحف مانعاً من فهم

1 - تفاسير القرآن الكريم حسب ترتيب النزول دراسة و تقويم : طه محمد فارس ، ص 844 .

2 - تفاسير القرآن الكريم حسب ترتيب النزول دراسة و تقويم : طه محمد فارس ، ص 844 .

التدرّج التشريعي في الأحكام ، بل إنّ فهمَ التدرّج التشريعي كان معلومًا من زمن الصحابة رضي الله عنهم ، ثم ممن بعدهم من التابعين و تابعيهم ، و جلّ المفسرين أشاروا في تفاسيرهم إلى التدرّج التشريعي في الأحكام ، و الأستاذ حبنكة لم يأت بشيءٍ جديد في بيان التدرّج التشريعي لم يقل به المفسرون من قبل ، فما هي ميزة اعتماد ترتيب النزول إذًا وهو لم يقدّم لنا جديدًا في فهم التدرّج التشريعي؟! " 1 .

قلتُ (الباحث) : تأكّدُ من خلال هذا الكلام في الناحية الثانية أنّ انتقاد طه محمد فارس للمؤلف في هذه النقطة ليس بشيء ، وما كان ينبغي أن يصل به إلى حدّ قوله في توجيهه للاستدراك على الشيخ عبد الرحمن إلى قوله : " .. لا يصح ، وهو منقوض " ! .

ذلك أنّه أقرّ بأنّ إدراك الحكمة في تدرّج التشريع في طريقة التفسير الأساسية (على ترتيب المصحف) قائمة أساسًا على معرفة المكي و المدني ، وتاريخ النزول ، و الناسخ و المنسوخ ، وهو أيضًا أمرٌ اجتهادي و فيه اختلافٌ في مواضع أعني المكي و المدني و تاريخ النزول و الناسخ و المنسوخ ، وهذا كافي في اعتبار طريقة الشيخ المتي اختارها آليةً من الآليات فحسب في استخراج نفس المطلوب و لكن وفق طريقة إجرائية خاصة جديدة ، ولذلك صرّح له كما نقل الدكتور طه محمد فارس نفسه عن الشيخ حينما التقاه في دبي أنّه قال في تبريره للأخذ بهذه الطريقة بأنّه : " لا يطبعُ مصحفًا ، و هذا الترتيب يعينه على الفهم " 2 . فهو وسيلة إجرائية تعين فحسب، مثل اعتماد المفسرين على طريقة ترتيب المصحف على معرفة المكي و المدني و تاريخ النزول و الناسخ و المنسوخ ، و الاكتفاء بذلك الإجراء العلمي في عملية استخراج الحكم المتعلقة بتدرّج التشريع دون تغيير ترتيب المصحف، فلا هذا ينقضُ هذا ، ولا هذا ينقضُ هذا ، و الله تعالى أعلم .

1 - نفسه .

2 - تفاسير القرآن الكريم حسب ترتيب النزول دراسة و تقويم : د طه محمد فارس ، ص 842 .

و قد ساق طه محمد فارس عدّة انتقادات لاختيار المؤلف لطريقة ترتيب النزول في التدبر القرآني من أهمها قوله : " خامسًا : قوله بأنه يريدُ من خلال ترتيب النزول أن يحقق تسلسل البناء المعرفي المتكامل ، و تسلسل التكامل التربوي ، و البناء الأخلاقي ، و اكتشاف أمور تتعلق بحركة البناء المعرفي ، و حركة المعالجات التربوية ، و معرفة طرائق الإصلاح و أساليب الدعوة و ألوان الجهاد . أقول : كل هذا الكلام الذي ذكره ، مع ما فيه من العموميات و عدم الوضوح ، رهن بثبوت ترتيب نزول صحيح دقيق، يراعى فيه الترتيب الزمني للآيات التي نزلت متأخرة عن مطالع سورها . أما و أنه لم يثبت لدينا ترتيب صحيح للسور ، كما أنّ الترتيب المعتمد لم يذكر لنا الآيات التي نزلت متأخرة عن مطالع سورها ، فلا نستطيع أن نسلم للأستاذ حنكة أنّ ترتيب النزول المعتمد يحقق لنا ما أشار إليه من النتائج و الثمرات، بل إنّ عدم ثبوت هذا الترتيب ، و عدم دقته ، و توافر نواقضه من صحيح الروايات و المعقول ؛ قد يعطينا تصورًا ناقصًا ، أو معكوسًا ، عن تلك الأمور التي أشار إليها ، والله أعلم ¹ .

قلْتُ (الباحث) : يا دكتور طه ؛ عمَلُ المفسّر و نظره في كتاب الله تعالى عملٌ اجتهادي قائمٌ على استفراغ الوُسع والسَّعة ، ولو على طريقة ترتيب المصحف ، و هذا التخوّف الذي طرحته ينسحبُ أيضًا - عند التأمل - على التفسير و التدبر على طريقة ترتيب المصحف حتى ولو كانت ثابتة بإجماع ، فإنّ إدلاء المفسّر بالحكمة من كون سورة كذا بعد سورة كذا في المصحف ، أو بالحكمة من الاستفتاح بهذه الآية و علاقة ذلك بالمضمون ، أو حتى باكتشاف شخصية السورة التي ربّبت آياتها بإجماع ؛ هذا عملٌ اجتهادي أيضًا ، قائمٌ على استفراغ الوُسع و السَّعة ، على ما يقتضيه العلم و الرأي المحمود لا على مجرّد الرأي المذموم ، وهذا ما فعله المؤلف رحمه الله بالضبط ، فهو لم ينطلق من عمل ارتجالي غير مؤسس في ترتيب السور ، و إنما بناءً على فحص و تتبع علمي لجهود العلماء المتخصصين في إثبات ذلك الترتيب

بحسب الوُسع و السَّعة وعلى ما تقتضيه قواعد العلم ، وقد مرَّ معنا ذلك ، ثم جاءَ منه التدبُّر بعد ذلك ، وهو في حدِّ ذاته بغضُّ النظر عن المترتيب عملية اجتهادية ، ونتائج اجتهادية أيضًا ، وهذا موجودٌ في كثير من العلوم ، فأين الإشكال؟! .
نعم ؛ يمكن أن يقال إنَّ اعتماد مثل هذه الطريقة في التفسير قد يجنحُ بالمفسِّر أحيانًا إلى شيءٍ من التكلف، وهذا ما انتُقِدَ بالفعل على الشيخ عبد الرحمن رحمه الله ، ولكنه لا يصل إلى حدِّ إلغاء الطريقة من أساسها . فعلى سبيل المثال لا الحصر ، وفي بداية تفسيره رحمه الله رصدَ التكامل التربوي الموجود في ترتيب سور العلق و المدثر و المزمل و الفاتحة و الأعلى ، فبيَّن دلالة هذا الترتيب ، و أشار إلى فوائد و دقائق تدبُّريَّة رائعة :

قال رحمه الله تحت عنوان (**تتابع التوجيه التربوي لذكر الله حتى نزول سورة الأعلى**) - بتصرف اختصارًا - :
" في سورة العلق بدأ التوجيه لذكر اسم الربِّ مقترنًا بالأمر بالقراءة ، ثم في سورة المدثر توجيهٌ لتعظيم الربِّ و تكبيره ، ثم في سورة المزمل أخلص له العبادة و الطاعة ، و انقطع عن غيره ، فلا تعلق قلبك و نفسك بغيره في عباداتك ، ثم في سورة الفاتحة . . ثم في سورة الأعلى جاء التوجيه لذكر الله بالتسبيح ، الذي يدلُّ على تنزيهه الله عمَّا لا يليقُ بجلاله " ¹ .
ثم قال رحمه الله : " دلالة هذا الترتيب : و نستطيع أن نستدلَّ من هذا الترتيب في مراحل التنزيل القرآني على ما يلي : **أولاً** : العلمُ هو الخطوة الأولى ، و العلمُ عن الربِّ الخالق و سيئلتُهُ قراءةُ الكتاب المنزَّل من لدنه ، و تدوين العلم بالقلم ، مع الاستعانة باسم الربِّ الذي خلق ، إذ لا يكون العلم مصوَّبًا عن الزلل مالم يقترن بالاستعانة باسمه ، و التبرُّك بالابتداء به ، والرغبة بالتعرُّف على كمال صفاته ، استدلالًا بظواهر خلقه . **ثانيًا** : العلم بالله يهدي إلى تعظيم الله و تكبيره . . **ثالثًا** : طريق الوصول إلى حقيقة العبوديَّة لله عزَّ وجلَّ مداومة ذكر اسم الربِّ ، و التبثُّل إليه ، بالانقطاع إليه عن كلِّ شريك . . **رابعًا** : وحين يصل الفكر في تصوراتهِ لصفات

الربّ إلى مستوى يُدرك فيه أنّ كلّ مظهر من مظاهر الكائنات يدلّ على صفة من صفات الربّ تستحقّ أكبر الحمد و أعظم الثناء . . فلا بُدّ أن يكون على يقين تامّ بأنّ كلّ الحمد و أكملّ الحمد هو لله ربّ العالمين الرحمن الرحيم . . **خامساً** : بعد التحقق بالمراحل السابقة ، صار الإنسان المتدرّج على وفق بنائها التربوي مستعدّاً لأن تكون نفسه و يكون قلبه و فكره في حالة سبّح ضمن أفاق تصوّرات صفات الربّ الأعلى ، وتذوّق المشاعر النفسية و القلبية التي تستثيرها أو تُحدثها أو تغذيها تلك التصوّرات . وهذا السبّح الفكريّ و النفسيّ و القلبيّ الذي لا تعترضه عقبات الكثافات المادية . يُساعد على تحقّقه مُداومة التسبيح المُشتمل على ذكر اسم الربّ الأعلى . . ولا بُدّ أن نلاحظ أنّ هذا البناء التربوي المتدرّج ملاحظ فيه بالدرجة الأولى قِمة البشر جميعا ، وهو رسول الله صلى الله عليه و سلم ، ثمّ وفقه يكونُ تدرّج البناء التربوي بالنسبة إلى غيره ، مع مراعاة حالة استعداد كل منهم للمدّة التي يحتاجها ، حتى ينتقل من مرحلة إلى التي تليها ¹ .

نلاحظ من خلال هذا النقل أنّ المؤلف رحمه الله اجتهد في الكشف عن التكامل في العلاج التربوي من خلال ترتيب نزول هذه السور ، بل كشف عن الأدوية و الجرعات و مدّة العلاج ومراحل هذه المدّة .

هذا وقد اعتبر طه محمد فارس وهو يسوق هذا المثال في رسالته أنّ المؤلف تكلف فيه ² ، رغم أنّه شهد بأنّ ما جاء به صحيح . و أرى أنّ المؤلف لم يتكلف، بل عمّل رأيه و غاص بكلّ كفاءة و إتقان لاستخراج وجه المناسبة التربوية الكامنة في سور نزلت بالفعل متتابعةً على الأقل فيما ترجّح لديه، **وهذا من التدبّر الدقيق المندرج ضمن التفسير بالرأي المحمود لا من التكلف** ، لأنّ الأصل محاكمة المؤلفين إلى مناهجهم لا إلى منهج القارئ و الناقد .

1 - معارج التفكير و دقائق التدبير : عبد الرحمن الميداني ، 1/438 - 440 .

2 - انظر : تفاسير القرآن الكريم حسب ترتيب النزول دراسة و تقويم

: طه محمد فارس ، ص 254 .

ولذلك نقل الدكتور طه محمد فارس نفسه عن الشيخ حينما التقاه في دبي أنه قال في تبريره للأخذ بهذه الطريقة بأنه: " لا يطبع مصحفاً ، و هذا الترتيب يعينه على الفهم " ¹ . و يبقى هذا الموضوع - من وجهة نظر الباحث - مجال أخذ ورد ، و اتفاق و اختلاف ، و يبقى تفسير القرآن العظيم على ترتيب المصحف هو الأساس ، و لكن هذا لا يقوى ولا يرقى إلى مستوى الإلغاء التام أو المدعوة إلى مصادرة هذا النوع من التفسير على ترتيب النزول ، و إنما حسب هذا الأخير أنه خروج عن المألوف ولو كان هذا المألوف إجماعاً عملياً .

وللتوازن والإنصاف أنقل ما قاله نادي علي حسن صبرا في رسالته (**منهج عبد الرحمن الميداني في التفسير**) : " والسؤال المطروح هو: هل استخدام ترتيب النزول بعد هذه الانتقادات وغيرها يعطي الجدوى التي توخاها مستخدمو هذه الطريقة؟ . إن تجاوز ترتيب المصحف تضييع لفوائد جمة، وحكم كثيرة موجودة في هذا الترتيب أشار الباحثون في مجال المناسبات بين السور، ونظم القرآن إلى طرف منها، كما أن ما أراده المفسرون بهذه الطريقة من دراسة متسلسلة للموضوعات ومتابعة أجواء النزول يمكن الوصول إليه واحتوائه من خلال التفسير بترتيب المصحف، مع اتباع منهج التفسير الموضوعي " ² .

ومع ذلك ختم رسالته في التوصيات بقوله : " ومن التوصيات التي أوصي بها توسيع دراسة هذه الطريقة في التفسير من خلال أبحاث معمقة للتفاسير التي اتبعت هذه **الطريقة للوصول إلى مقاصدهم الحقيقية**، سيما وأنهم ممن اختارهم الله إلى جواره، فليس هناك فرصة للقاء بهم " .

2- **منهج المؤلف في التفسير بالمأثور :**

أ- **تفسير القرآن بالقرآن :**

1 - **تفاسير القرآن الكريم حسب ترتيب النزول دراسة و تقويم** : طه محمد فارس ، ص 842 .

2 - **منهج عبد الرحمن الميداني في التفسير** : نادي علي حسن صبرا ، ص 53 .

وهذا المنهج واضحٌ جدًّا في تفسير معارج التفكير ، فكثيرًا ما يوردُ رحمه الله بعض الآيات القرآنية في سياق تفسيره لآية من كتاب الله أو لدرسي من دروسه ، ومن ذلك :

إيراده آيات من سورة المزمّل و القلم في سياق بين قوله تعالى : [دَرَيْتِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا] (المدثر : الآية 11) ليدلّل على كون أسلوب الدّعوة في مراحلها الأولى سلميًا¹ .

وكذلك ما ذكره في نفس السورة عند قوله تعالى : [لَوَاحَةٌ لِلْبَشَرِ] (المدثر : الآية 29) ، فبيّن معناها مستشهدًا بآيات من سورة الأعلى و سورة النساء² . و الأمثلة على نهجه في تفسير القرآن بالقرآن كثيرةٌ متعددة³ .

و في كثير من الأحيان لا يفوت الشيخ أن يربط بين ما يفسّره الآن في ذلك الموضوع ، وما سبق و أن فسّره فيما مضى من المواضيع التي تخدم ذلك الموضوع خدمةً تكميليّة مباشرة أو غير مباشرة ، وهذا أيضًا من حسن تطبيقه لتفسير القرآن بالقرآن لأنّ فيه زيادة إيضاح و إضافة معاني⁴ و لعلّ من أبرز ما يميّز منهجه في تفسير القرآن بالقرآن التأصيل له تنظيمًا في كتابه (قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله عز وجل) ، و السعي لتطبيقه في معارج التفكير :

كما في القاعدة السادسة " حول تكامل النصوص القرآنية في الموضوعات التي اشتمل عليها القرآن ، واستبعاد احتمال التكرير لمجرد التأكيد ما أمكن "⁵ . قال رحمه الله : " كثيرٌ من النصوص كتبتُها مكرّرة ، وكنا نفهم أنّ الغرض من تكريرها التأكيد ، وتحقيق

1 - معارج التفكير و دقائق التدبر : عبد الرحمن الميداني ، 1/ 101 .

2 - نفسه : 1/111 .

3 - نفسه : 1/ 135 ، 136 ، 167 ، 168 ، 177 ، 178 ، 267 ، 297 ، 308 ، 403 ، 588 ، 602 ، 671 ، 707 . 2/ 29 ، 32 ، 99 ، 136 ، 169 ، 251 ، 384 ، 421 ، 503 . 3/ 33 ، 34 ، 69 ، 91 ، 186 ، 274 ، 353 ، 401 ، 437 . 4/ 68 ، 69 ، 83 ، 93 ، 105 ، 108 ، 124 ، 129 ، 189 ، 229 ، 343 ، 474 ، 507 ، 566 .

4 - نفسه : 3/469 ، 493 ، 518 ، 519 ، 520 ، 577 ، 599 ، 601 ، 615 ، 625 ، 668 ، 640 ، 647 . 4/ 112 ، 251 .

5 - قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 67 .

أهداف تربوية ، لكن البحث العميق أثبت أنها متكاملة ، مع تحقيق غرض التأكيد و الأهداف التربوية " ¹ .
و كذلك من أبرز ملامح منهجه في تفسير القرآن بالقرآن " **التفسير الموضوعي** " ، من خلال تتبّع النصوص القرآنية المتعلقة بموضوع واحد ، أو من خلال الملاحق التي يلحقها في نهاية تفسيره للسور، وقد خصّصت للتفسير الموضوعي فرعًا مستقلًا لأهميته .

ب- تفسير القرآن بالسنة النبوية :

وهذا المنهج واضح أيضًا في تفسير معارج التفكير ، فكثيرًا ما يوردُ رحمه الله الأحاديث النبوية و يستشهد بها في سياق تفسيره لآية من كتاب الله أو لدرسٍ من دروسه ، ولا يحدُّ عن السنة النبوية إذا ثبتت لديه .

ففي تفسيره لسورة القصص، وبعد أن أورد رحمه الله مجموعة من الروايات في قصة قارون ، قال: " توجد مرويات في قصة قارون ما استسغتها ، ولم أجد لها أسانيد تجعلها مقبولة فيما يروى ، فأعرضت عنها" ² .

ويؤكد رحمه الله على اعتماد السنة أصلاً من الأصول في أكثر من مناسبة، من ذلك قوله رحمه الله عند تفسيره لقول الله تعالى : [رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَخْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مِّثْلًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ] (ق: الآية 11) : " تدلُّ ظواهر النصوص القرآنية على أن الله جلّ جلاله وعظم سلطانه ينبت أجساد الموتى في الأرض كما ينبت النباتات التي نشاهد عودتها إلى الحياة في ظاهرات متكررات، إذ ينزل من السماء ماء صالحًا لتفجير نويات أجساد الموتى فتأخذ في النماء كما تنبت البقول أو الفطور في الأرض حتى إذا اكتملت نفخت فيها الأرواح، وهذا هو ما دلت عليه بيانات الرسول فوجب اعتماده " ³ .

ومن ذلك أيضًا في تفسيره لسورة الفاتحة قال : " وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أن الفاتحة هي

1 - نفسه .

2 - معارج التفكير و دقائق التدبر : عبد الرحمن الميداني ، 9 / 467 .

3 - نفسه : 3 / 70 .

السبع المثاني و هي القرآن العظيم فلا عدولَ عن هذا الذي صح عن الرسول "1. ثم ساق الأحاديث الثابتة في ذلك . فهذا منهجه رحمه الله ، الاعتماد على السنة النبوية² ، في بيان فضائل السور القرآنية³ ، أو بيان تاريخ النزول⁴ ، أو سبب نزول⁵ ، أو بيان معنى من المعاني⁶ ، أو غير ذلك⁷ . و يقدّم ما ورد في كتب الصحاح على غيرها ، وهو أمرٌ ملحوظ في استشهاده بالروايات و الأحاديث⁸ . و يذكر في أغلب الأحيان المصدر الذي خرّج منه الحديث دون ذكر الجزء و الصفحة⁹ ، وفي بعضها الآخر يُغفل ذلك¹⁰ . و هذا يجعلنا نقول : أنه ربّما يرجع إلى تلك الأصول فعلاً ، وربّما يأخذ الأحاديث من الكتب و التفاسير التي تقع بين يديه دون الرجوع للتأكد إلى مصادر تلك الروايات . و هذا الأخير يوقع أحياناً في الخطأ تبعاً للمصدر أو المرجع الذي أخطأ صاحبه ، وهو ما وقع للمؤلف رحمه الله تبعاً ، من ذلك مثلاً :

ما ذكره¹¹ في فضائل سورة الفاتحة فقال :

" روى الإمام أحمد في مسنده و النسائي من حديث عبد الله بن جابر أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : " . ألا أخبرك يا عبد الله بن جابر بخير سورة في

-
- 1 - نفسه : 89 / 11 .
 - 2 - معارج التفكير و دقائق التدبير : عبد الرحمن الميداني ، 1/285 ، 703 ، 704 ، 3 / 10 ، 78 ، 70 ، 92 ، 114 ، 138 ، 361 ، 494 ، 520 . 4 / 38 ، 126 ، 184 ، 220 ، 238 ، 302 ، 400 ، 531 ، 541 ، 665 ، 671 .
 - 3 - نفسه : 1 / 282 ، 396 ، 436 ، 627 ، 649 ، 650 ، 703 ، 704 . 2 / 24 .
 - 4 - نفسه : 1/33 ، 80 .
 - 5 - نفسه : 1 / 377 ، 555 ، 556 ، 651 .
 - 6 - نفسه : 1/32 .
 - 7 - نفسه : 1 / 484 ، 513 ، 664 .
 - 8 - ينظر على سبيل المثال بدايات السور في ذكر فضائلها وما ورد فيها .
 - 9 - معارج التفكير و دقائق التدبير : عبد الرحمن الميداني ، 1 / 33 ، 63 ، 64 ، 80 ، 89 ، 160 ، 255 ، 274 ، 275 ، 276 ، 279 ، 282 ، 285 ، 542 ، 543 ، 703 ، 704 .
 - 10 - نفسه : 1 / 105 ، 161 ، 289 ، 347 ، 420 ، 469 ، 513 . 3 / 88 ، 99 . 4 / 302 ، 400 .
 - 11 - نفسه : 1 / 282 .

القرآن ؟ . قلت : بلى يا رسول الله . قال : اقرأ الحمد لله رب العالمين حتى تختتمها " .

فهذا الحديث رواه الإمام أحمد في مسنده¹ ، ولم يخرجہ النسائي .

و المؤلف رحمه الله يتحرى الأحاديث الثابتة الصحيحة ، و يردّ الأحاديث غير الثابتة ، وذلك إما ببيان هذا الضعف ، أو بالإشارة إليها مع عدم إيرادها :

من ذلك قوله رحمه الله في حديث الدّابة² : " . . . وجاءت آثار في وصف هذه الدابة ، ووصف بعض أعمالها ، لا ترقى إلى مستوى الاحتجاج بها أعرضت عن ذكرها " ³ .

وقال في موضع آخر: "توجد مرويات في قصة قارون ما استسغتها، ولم أجد أسانيد تجعلها مقبولة فيما يروى فأعرضت عنها " ⁴ .

وهكذا يتبين الأصل في منهجه رحمه الله وهو على الاعتماد على الحديث الصحيح واعتباره، وطرح ما سواه وعدم اعتباره، و ذلك من خلال تقديمه للحديث الصحيح والاستشهاد به، وتنبهه على الضعيف بذكر ضعفه حيناً، وعدم إيراده أحياناً مع الإشارة إلى وجوده تحذيراً للقارئ من الاغترار به، ما يدل على المنهج الصحيح السليم في التعامل مع الحديث النبوي .

غير أنه مع هذا قد يستدلّ بالضعيف أيضاً في فضائل الأعمال كما في فضل السور وقراءتها:

كما ذكر رحمه الله في فضل سورة يس أحاديث أكثرها ضعيف لا يصح :

قال : "جاء في كتب السنة بشأن فضل سورة يس روايات أسانيدُها ضعيفة ، وبعضها حسن ، وهي بمجموعها تُشعرُ بأنّ لهذه السورة خصوصية فضل " ⁵ .

1 - **المسند** : أحمد بن حنبل - بتحقيق و إشراف شعيب الأرنؤوط - 139 / 29 ، برقم 17597 ، و ضعّفه .

2 - الحديث رواه مسلم : كتاب الإيمان - باب بيان الزمن الذي لا يُقبل فيه إيمان - 138 / 1 ، برقم 249 .

3 - **معارج التفكير و دقائق التدبر** : عبد الرحمن الميداني ، 9/185 .

4 - **نفسه** : (9 / 467) .

5 - **نفسه** : 6 / 15-16 .

و هذا من باب الأخذ بالحديث الضعيف غير شديد الضعف في فضائل الأعمال .

و لكنه أحيانًا قد يستدل بالحديث الضعيف جدًا دون الإشارة إلى الضعف :

من ذلك قوله : " جاء عند المفسرين عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " لو لم يقل يوسف الكلمة التي قالها (أي [اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ]) ما لبث في السجن طول ما لبث ، حيث يبتغي الفرج من عند غير الله " (ثم قال) : وفي معنى هذا الحديث عدّة مراسيل .. " ¹ .

و هذه الرواية من الإسريّيات ، وهي ضعيفة جدًا لا تصح :

قال ابن كثير : " وهذا الحديث ضعيفٌ جدًا ، لأنّ سفيان بن وكيع ضعيف ، و ابراهيم بن يزيد (هو الخوري) أضعف منه أيضًا ، وقد رُوِيَ عن الحسن و قتادة مرسلًا عن كل منهما ، وهذه المرسلات ههنا لا تُقبَلُ لو قُبِلَ المرسلُ من حيث هو في غير هذا الموطن " ² .

بل حكى قولاً منكراً بصيغة التضعيف و لم يبيّن نكارتة : قال رحمه الله : " قيل : إنّ جبريل عليه السلام أتى آدم و حواء بعد أن أهبطا إلى الأرض عاريين ، إلا ما خصفا على سوءاتهما من ورق الجنة ، فأعطاهما قُطْنًا ، و أمر حواء أن تغزل ، و علمها كيف تغزله خيوطًا ، و أمر آدم بالحياكة ، و علمه كيف ينسج الخيوط ، حتى تكون صالحة لوقاية الأجساد من صُزِّ الحر ، و صُزِّ المبرد ، فكان هذا أول صناعة الألبسة ، والله أعلم " ³ .

هكذا فعل رحمه الله و لم يبيّن نكارة هذا القول . وقد قال ابن كثير رحمه الله : " حديث غريب ، و رفعه منكرٌ جدًا و قد يكون من كلام بعض السلف ، و سعيد بن ميسرة هذا هو أبو عمران البكري البصري ، قال عنه البخاري : منكر الحديث ، و قال ابن حبان : يروي الموضوعات . و قال ابن عدي : مُظْلِمٌ

1 - معارج التفكير و دقائق التدبير : عبد الرحمن الميداني ، 675 / 10 ، و قد أخرجها الطبري في تفسيره ، 223 / 7 .

2 - تفسير القرآن العظيم : ابن كثير ، 391 / 4 .

3 - معارج التفكير و دقائق التدبير : عبد الرحمن الميداني ، 156 / 4 .

الأمر "1 . فلو بين أو ساق مثل هذا القول لكان هناك وجه نقل تلك الرواية الهالكة .

و قد يحكي ضعف روايات هي صحيحة ثابتة ، حتى وإن كان يرى في التي يشرحها شيئاً زائداً عما ورد في تلك الروايات ، ولكن ردّ الصحيح غير متّجه :

ففي تفسير قول الله تعالى : [ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ] (التكاثر : الآية 8) أطلق رحمه الله الحكم بالضعف على روايات منها ما هو في صحيح مسلم ، قال رحمه الله : " .. و بسبب ترك هذا الاستقراء لآيات القرآن ، وترك النظر في وحدة موضوع السورة ، وترابط آياتها حول موضوعها ؛ توجّهت أنظار معظم المفسرين إلى أنّ المراد بالنعيم في الآية لذات و منافع الحياة الدنيا ، و عذرهم أنّ أحاديث مروية عن الرسول صلى الله عليه و سلم لم تبلغ مبلغ الصحة جاء فيها أنّ الناس يُسألون يوم الدين عن كل نعمة أنعم الله بها عليهم في الحياة الدنيا ، إلا أنّ شيئاً منها لم يحدّد أنّ المراد بالنعيم في الآية الثامنة من سورة التكاثر هو لذات الحياة الدنيا ، وقد توسّع الرواة في استعمال لفظ النعيم فحملوه على متاع الحياة الدنيا ، على أنّ متاع الحياة الدنيا إنّما يُسأل عنها في موقف الحساب ، وما دلت عليه الآية هو ما بعد موقف الحساب "2.

قلت : ربّما أناقش هذا المثال في موضعه الذي يتناسب معه (وحدة موضوع السورة و ترابط آياتها حول موضوعها) ، و إنّما أعقب هنا فقط على قوله رحمه الله : " أحاديث مروية عن الرسول صلى الله عليه و سلم لم تبلغ مبلغ الصحة " :
و الحديث في صحيح مسلم³ عن أبي هريرة قال : خرج رسول الله صلى الله عليه و سلم ذات يوم أو ليلة فإذا هو بأبي بكر وعمر ، فقال : " ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة " . قالوا الجوع يا رسول الله . قال : " وأنا والذي

1 - البداية و النهاية : ابن كثير - بيروت ، لبنان - مكتبة المعارف - دط - دس ، 1/74 .

2 - معارج التفكير و دقائق التدبر : عبد الرحمن الميداني ، 1/ 682 .

3 - رواه مسلم : كتب الأشربة - باب جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه - 3/ 1609 ، برقم 2038 .

نفسى بيده لأخرجني الذي أخرجكما قوموا " .
فقاموا معه فأتى رجلا من الأنصار فإذا هو ليس في بيته فلما
رأته المرأة قالت مرحبا وأهلا فقال لها رسول الله صلى الله
عليه وسلم: "**أين فلان؟**" . قالت: ذهب يستعذب لنا من
الماء . إذ جاء الأنصاري فنظر إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وصاحبيه ثم قال : الحمد لله ما أحد اليوم أكرم أضيافا
مني . قال : فانطلق فجاءهم بعدق فيه بسر وتمر ورطب
فقال كلوا من هذه ، وأخذ المدينة . فقال له رسول الله صلى
الله عليه وسلم : "**إياك والحلوب** " . فذبح لهم فأكلوا من
الشاة ومن ذلك العذق وشربوا . فلما أن شبعوا ورووا قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وعمر : "**والذي
نفسى بيده لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة
أخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتى
أصابكم هذا النعيم** " .

فهذا الحديثُ صحيحٌ ثابتٌ واضحٌ في إثبات السؤال عن
مثل هذا النوع من النعيم ، وهو مما يصلح لشرح الآية به ،
بغضِّ النظر عن توسُّع المؤلف في الشرح . و لكنَّ ردَّ الصحيح
دون تأكد هفوة .

ت- تفسير القرآن بأقوال الصحابة و التابعين :

وهو القسم الثاني من أقسام التفسير بالمأثور عند الشيخ
عبد الرحمن إلى جانب ما ورد من أحاديث عن رسول الله
صلى الله عليه و سلم في التفسير . وقد صرَّح المؤلف
رحمه الله باعتماد هذا المصدر (أقوال الصحابة و التابعين)
ضمن منهجه في التفسير :

قال رحمه الله : " ويشمل التفسير بالمأثور ما فهمه
الصحابة والتابعون "¹

ومع هذا الاشتمال ؛ فقد أكد رحمه الله على ضرورة النظر
فيما ورد عنهم وعن المفسرين ، و ضرورة تحرير وتمييز
المقبول منها أو المردود ، وفق قواعد علم التدبُّر ، فليس "

1 - قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل : عبد الرحمن الميداني، ص

علم التدبر حشرًا لأقوال وآراء أهل التأويل والإكثار من عرض ما قال الناس " ¹ .

و بالتالي ظهر من الناحية النظرية اعتماد الشيخ لهذا الأصل منهجًا له على التفصيل المقدم : ضرورة النظر فيما ورد عن الصحابة والتابعين ، اعتبار أقوال المفسرين الآخرين ، عدم حشر الأقوال أو الإكثار من عرض الآراء ، عدم التسليم والتأثر الكامل بها ، بل سلوك التحري والتمييز.

أقول: إذا كان هذا موقفه نظريًا؛ فقد ثبت عند تفحص تفسيره التطبيق العملي لهذا الموقف، فهو حين يذكر معنى الآية فإن ذلك يكون عن دراية وخبرة بأقوال من سبق، وهضم لآراء السلف من الصحابة والتابعين، وهو حين يورد الأقوال في معنى آية أو لفظ فإنه ينتقي ما يورد ولا يكثر من عرض الأقوال، و غالبًا ما يتبع ذلك بالتعقيب بالموافقة أو النقد أو التصحيح ² .

و هو في كثير من الأحيان يعمل على إيراد الأقوال منسوبة إلى قائلها من الصحابة أو التابعين:

ومثال ذلك ما ورد عند الحديث عن الحروف المقطعة حيث قال : " ولكن أكثر السلف رأوا أن حروف التهجي المقطعة في أوائل بعض السور مما استأثر الله بعلمه، وأنها سر القرآن: روي عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال: في كل كتاب سر، وسر الله في القرآن أوائل السور، وروي عن علي رضي الله عنه أنه قال : لكل كتاب صفة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي، وروي نحو ذلك عن الشعبي من التابعين، ولهذا نجد كثيرًا من المفسرين يقولون بشأنها: الله أعلم بمراده " ³

ومثال آخر عند تفسير قوله تعالى [وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ] (الفلق: الآية 3) قال : "فما هو الغاسق إذا وَقَب؟ . أولاً: تدور مادة غسق حول معنيين هما : انصب وأظلم، يقولون: غسق اللبن من الضرع غسقًا إذا انصب انصبًا،

1 - نفسه .

2 - انظر : منهج عبد الرحمن حبنكة الميداني في التفسير : نادي حسن علي صبرا ، ص 106 .

3 - معارج التفكير و دقائق التدبر : عبد الرحمن الميداني ، 1 / 208 .

وغسقت السماء تَغْسِقُ غَسْقًا وَعَسْقًا إِذَا انصبت مطرًا،
ومنه قول عمر رضي الله عنه : " حين غسق الليلُ على
الظراب " ، أي حين انصبَّ الليل على الجبال " ¹ .

ففي هذين المثالين وظفَّ المؤلفُ رحمه الله وساق أقوال
الصحابة والتابعين في بيان المعاني المترتبة على الآية
وألفاظها ، وكما رأينا ينسبُ تلك الأقوال إلى أصحابها .

وفي بعض الأحيان يوردها غير منسوبة إلى قائلها :
و الأمثلة في هذا أيضا كثيرةٌ متعدّدة ، منها ما ورد عند
تفسير قوله تعالى : [الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ] (الفاتحة : الآية
2) ، حيث قال رحمه الله : " وقد اختلفت أقوال المفسرين
في تفسير لفظة العالمين في القرآن: منهم من قال: كلُّ
موجود سوى الله، ومنهم من قال: هم كلُّ من يعقل، وقال
ابن عباس: هم الجن والإنس " ²

ففي هذا المثال نلاحظ أنه رحمه الله أورد الأقوال غير
منسوبة لأصحابها باستثناء ما ذكره عن ابن عباس رضي الله
عنهما، وبالرجوع إلى مصادر التفسير نجدُ هذه الأقوال
منسوبة إلى بعض الصحابة والتابعين ³ .

ومن الأمثلة في عدم نسبة الأقوال إلى أصحابها ما ذكره
في تفسير سورة العلق، قال : " وبعد نزول هذه الآيات
الخمس من هذه السورة قُتِر الوحي، واختلفت الروايات في
مدة فترة الوحي بعدها، فقيل: أربعون يومًا، وقيل: ستة أشهر،
وقيل: سنتان، وقيل: سنتان ونصف، وقيل: ثلاث سنوات،
وليس في الصحيح ما يثبت قولاً من هذه الأقوال، لكن الفترة
قد حصلت " ⁴ .

وهو في إيراده للأقوال الصحابة و التابعين ؛ أحيانًا يعقَّبُ
و يُرَدُّ و يوجَّه و يختارُ ، و أحياناً أخرى يكتفي بمجرد ذكر تلك
الأقوال دون تعقيب .

فمن أمثلة تعقبه على أقوالهم ما قاله رحمه الله في
تفسير قول الله تعالى : [افْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ]

1 - نفسه : 31 / 2 .

2 - نفسه : 292 / 1 .

3 - جامع البيان : للطبري ، 89 / 1 ، و الدر المنثور : للسيوطي ، 1/35 .

4 - معارج التفكير و دقائق التدبر : عبد الرحمن الميداني ، 31 / 1 .

(القمر: الآية 1) ، حيث أورد عدة روايات تثبت حادثة انشقاق القمر ، ثم قال : " فهل بعد هذه الروايات الثابتات من أسانيد مختلفة مجالٌ لتشكك بعض المتشككين الذين يحاولون تأويل النص القرآني وحمله على أنه خبر عما سيحدث مستقبلاً عند قيام الساعة أو قبيلها " ¹ .

وقد يكون التعقيب اختياراً لمعنى آخر غير ما ذهب إليه السلف، قال رحمه : " وروي عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى : [وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا] (الجن : الآية 19) مجتمعين بعضهم على بعض، قال: ومعنى [لِبَدًا] يركب بعضهم بعضاً. أقول: الجماعات المتألفة ضده، هذا أنسب المعاني الملائمة للسياق في النص لعبارة [كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا] كما سيأتي إن شاء الله إيضاحه في التدبر " ²

ومن أمثلة عدم تعقيبه : قوله في تفسير قول الله عز وجل : [وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ] (الفلق : الآية 4) : " عن ابن عباس في تفسير هذه الآية قال: ما خالط السحر من الرقى، وعن الحسن: أن النفاثات في العقد السواحر والسحرة، وعن ابن زيد قال: السواحر في العقد، وروي عن مجاهد أنه قال: هن السواحر إذا رقين وَتَفْتَنَ في العقد، ونحو ذلك قال عكرمة والضحاك " ³ .

ومما سبق يظهر للباحث موقف المؤلف رحمه الله من التفسير بالمأثور بأقسامه المختلفة، و قد تبين بوضوح اهتمامه وعنايته به، وتقديمه على غيره، ما كان منسجماً مع السياق وأكثر ملاءمة له، ومناقشة ما يراه منه غير مناسب لما يعتقده ⁴ ، أو يراه من معاني النصوص والألفاظ، كل ذلك بعد تأكيده

1 - نفسه : 3 / 334 .

2 - نفسه : 5/613 .

3 - معارج التفكير و دقائق التدبر : عبد الرحمن الميداني ، 2 / 33 .

4 - نفسه : 4 / 224 ، 225 . و أنظر رده على بعض الشبهات 2 / 27 ، ورده على ابن كيسان في قضية انشقاق القمر 3 / 334 ، ورده على اليهود و النصارى 4 / 568 .

على قيمة التفسير بالمأثور وجعله قاعدة من قواعد التدبر
الأمثل¹.

ث- منهجه في القراءات القرآنية :

عناية المؤلف رحمه الله بالقراءات القرآنية في تفسيره
عنايةً كبيرةً جدًّا وملحوظةً بأدنى تأمل . ولا شك أنه رحمه الله
أولاها عنايةً كبيرةً جدًّا إذ خصَّص لها قاعدةً بأكملها أخذت من
كتاب (قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل) أكثر
من تسعين صفحة، بما يصلح أن يكون كتابًا مستقلًا².

ومنهجه رحمه الله في هذا الباب توظيفُ القراءات في
تدبر كتاب الله تعالى و استخراج دقائقه و معانيه، قال رحمه
الله : " : " على متدبر كتاب الله أن يبحث عن المعاني وعن
الصور البيانية الموصولة بإعجاز القرآن ، التي تدلُّ عليها وجوه
القراءات المختلفة التي لا يظهر فيها بوضوح أن الغرض من
الاختلاف فيها مجرد التهوين و التسهيل على السنة الناطقين
العرب إبان تنزيل القرآن ، مراعاةً للهجاتهم المختلفة و قواعد
السننهم " ³.

وبالنظر في تفسيره (معارج التفكير و دقائق التدبر)
ثبت لي أن كل ما نظر له المؤلف رحمه الله أتقن تطبيقه بما
يُظهر للقارئ بكل جلاءٍ ووضوح منهجه المتميز في هذا الباب ،
من حيث إثبات القراءات ، و الإشارة عند كل سورة إلى
اختلاف القراءات المتواترة و أثر ذلك في المعنى (التكامل
الفكري) أو الجانب البياني (التكامل في الأداء البياني) ، أو
التنوع في الأداء الفني الجمالي ، و إثبات وجوه عربية متكافئة

ففي التدبر التحليلي للدرس الأول من سورة الحجر أورد
المؤلف القراءات ، و أشار إلى بعض الفوائد التدبرية الواردة
فيها مما له تعلق بموضوعنا ، فقال : " قرأ شعبة [مَا تُرْرُ
الملائكة] بالمبني لما لم يُسم فاعله ، و (الملائكة) نائب

1 - منهج عبد الرحمن حبنكة الميداني في التفسير : نادي حسن علي
صبرا ، ص 110 .

2 - قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل : عبد الرحمن الميداني ، من
ص 709- إلى ص 800 .

3 - نفسه : ص 722 .

فاعل . و قرأ حفصٌ و حمزة و الكسائي وخلف : [ما تُنَزَّلُ
الملائكةُ] بالمبني للمعلوم ، و (الملائكة) مفعول به ، و
الفاعل المتكلمُ العظيمُ جلَّ جلاله . و قرأها البزِّي [ما تُنَزَّلُ
الملائكةُ] بتشديد التاء مع المدِّ المُشبع ، أصلها : (ما تَنَزَّلُ)
أدغمت التاء بالتاء . و قرأها باقي القراء العشرة : [ما تَنَزَّلُ
الملائكةُ] بحذف إحدى تاءَي (تنزَّلُ) . **وكلها وجوهٌ
عربيَّةٌ** ، و بين المبني للمعلوم ، و المبني لما لم يُسمَّ فاعله
تكاملٌ في الأداء البياني ، فالملائكةُ ينزلها الله ، وهي
تُنَزَّلُ ، وهي تنزَّلُ طاعةً لأمر الله " 1 .

ومن ذلكَ أيضًا في هامش نصِّ آيات سورة الأنعام ،
وتحت عنوان (نصِّ السورة وما فيها من فرش القراءات)
قال المؤلفُ : " قرأ شُعبة ، وحمزة ، و الكسائي ، و يعقوب ،
وخلف [مَنْ يَصْرِفُ] بالفعل المبني للمعلوم، أي مَنْ يَصْرِفُ
اللهُ عنه . و قرأ باقي القُراء العشرة [مَنْ يُصْرِفُ] بالفعل
المبني لما لم يُسمَّ فاعله، **و بين القراءتين تكاملٌ في
الأداء البياني** " 2 .

ومن ذلكَ أيضًا في الهامش نفسه من الصفحة : " قرأ
يعقوب [وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ] بالياء في الفعلين،
أي يحشرهم الله ، و قرأها باقي القراء العشرة [وَيَوْمَ
نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ] بالنون في الفعلين، و الفاعل ضمير
المتكلم العظيم . و بين القراءتين تفنُّنٌ بياني " 3 .

و من ذلكَ قوله : " قرأ نافعٌ و ابن كثير و عاصم و أبو جعفر
[يَفْضُ الحَقَّ] ، و قرأها باقي القُراء العشرة [يَفْضِ الحَقَّ] و
بين القراءتين **تكاملٌ في أداء المعنى المراد** " 4 ، أي
تكامل معرفي .

ومن ذلكَ قوله : " قرأ شُعبة [وَخُفِيَّةٌ] بكسر الخاء . و
قرأها باقي القراء العشرة [وَخُفِيَّةٌ] بضمِّ الخاء، (خُفِيَّةٌ وَخُفِيَّةٌ)
(لغتان عربيَّتان " 5 .

1 - معارج التفكير و دقائق التدبير : عبد الرحمن الميداني ، 19-11/18 .

2 - نفسه : 11/ هامش ص 111 .

3 - نفسه .

4 - نفسه : 11/ هامش ص 117 .

و لدى تتبع طريقته في تطبيق هذا المنهج ظهرت كمايلي :

- ذكر نص السورة كاملاً في البداية في أعلى الصفحة بالرسم العثماني ، وتحتها القراءات.

- ذكر القراءات في الأسفل و أصحابها و الإشارة في كثير من الأحيان على وجه الإجمال إلى التوجيه التدبيري .

- إعادة إيراد القراءات في الشرح عند اللزوم مع تفصيل الفائدة التدبيريّة .

- الاقتصار على القراءات العشر المتواترة ، وعدم التطرق تماما للقراءات الشاذة بما يفيد عدم الاعتماد عليها في التوجيه التدبيري .

و من المؤاخذات التي يمكن أن تسجّل على المؤلف في هذا المجال إعادة ذكر القراءات القرآنية عند شرحه للنصوص و قد كان ذكرها كاملةً مع ما فيها من التوجيه و الإفادة التدبيريّة مع النص القرآني كاملاً في بداية تفسير السورة ، و هذا من التكرار¹ .

ج - منهجه في التعامل مع الإسرائيليات :

القرآن الكريم تحدّث عمّا وقع للأمم السابقة مع أنبيائهم ، لكنه لم يخض في التفاصيل الدقيقة ، مكتفياً بالإشارة إلى ما فيه عبرة و عظة ، و الشاهد أنّ كثيراً من هذه التفاصيل الدقيقة موجودة في الروايات الإسرائيلىّة² ، مع ما شابها من التحريف و التبديل ، فإذا انضمّ إلى هذا شغفُ النفوس بالاطلاع على التفاصيل ظهرت خطورة هذا الباب³ .

5 - معارج التفكير و دقائق التدبر : عبد الرحمن الميداني ، 11 / هامش ص 118 .

1 - انظر : تفاسير القرآن حسب ترتيب النزول دراسة و تقويم : طه محمد فارس ، ص 861 .

2 - أفردت مؤلفات خاصة في الإسرائيليات، منها : " الإسرائيليات في التفسير و الحديث " للدكتور محمد الذهبي ، و " الإسرائيليات و الموضوعات في كتب التفسير " لمحمد أبي شهبة ، و " الإسرائيليات و أثرها في كتب التفسير " للدكتور رمزي نعاغة .

3 - التفسير و المفسرون : حسين الذهبي - القاهرة ، مصر - مكتبة وهبة - ط 4 - 1409 هـ ، 1 / 167 .

و الإسرائيليات¹ : هي تلك الروايات المنقولة عن أهل الكتاب سواء كانوا يهودًا أو نصارى ، و إنما غلب تسميتها بالاسرائيليات لأنها أغلبها عن بني إسرائيل .
و منهجُ المؤلف رحمه الله في استعمال الإسرائيليات في تفسيره مطابقٌ لمنهج الصحابة و التابعين من الروايات الإسرائيلىة ، فكما جاء عن بعضهم نقدُ الاسرائيليات و ذمُّها و الإعراض عنها ، جاء عن آخرين روايتها و تفسير كلام الله بها ، بل قد يردُّ هذا عن نفس الشخص من السلف فيُنقلُ عنه رواية الإسرائيلىات و يُنقلُ عنه نقدُها² . وهذا هو منهجُ المؤلف باختصار .

وهذا الموقف الذي يحمل الاتجاهين معًا في الاستعمال و التعامل و التوظيف هو ما جاء عن النبي صلى الله عليه و سلم في إباحته التحديث عن بني إسرائيل ، وما ورد عنه من النهي عن سؤالهم ، و عن تصديقهم و تكذيبهم ، فمجموع هذه الروايات يؤسس للمنهج المتكامل المتوازن في التعامل معها على حذر ، للأسباب التالية :

أ- الخشية من مزاحمة المرويات الإسرائيلىة لما مع المسلمين من مرويات الكتاب و السنة، إذ الانشغال بها يؤثّر ولا بُدَّ على ارتباط المسلم بكتاب ربّه ، خاصّة إذا وافق قصورًا في الحصيلة الشرعيّة .

ب- الخشية من تصديق أهل الكتاب و الوثوق بأقوالهم و الركون إليهم مع ثبوت التحريف و التبديل في كتبهم فيحصل الانحراف عن الحق الذي جاءنا بسبب الاغترار بما عندهم ، و لذلك نُهينا عن سؤالهم ، قال ابن مسعود رضي الله عنه : " لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء ، فإنهم لن يهدؤكم و قد ضلّوا ، فتكذبوا بحقِّ و تصدّقوا بباطل " ³ .

1 - انظر : الإسرائيليات و الموضوعات في كتب التفسير : محمد أبو شهبة - القاهرة ، مصر - مكتبة السنة - ط 4 - 1408هـ ، ص 12 .

2 - انظر : نقد الصحابة و التابعين للتفسير دراسة نظرية تطبيقية : د عبد السلام بن صالح بن سليمان الجار الله - الرياض ، السعودية - دار التدمرية - ط 1 - 2008 م ، ص 199 .

3 - المصنف : عبد الرزاق الصنعاني - تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي - جنوب إفريقيا - منشورات المجلس العلمي - ط 1 - 1390هـ ، 6/112 .

ولذلك كان المنهج الصحيح المتكامل هو عدم اعتبارها مصدرًا من مصادر التفسير ، وإنما الاستئناسُ بها على سبيل الاستكشاف لا على سبيل الاعتماد ، مع التعامل مع رواياتها وفق مقتضيات النقد الإسلامي .

إذا طبّقنا هذا الكلام على منهج المؤلف رحمه الله في تفسيره (معارج التفكير و دقائق التدبّر) نلمسُ هذه الخطة بكلّ وضوح في التعامل مع المرويّات الإسرائيليّة ، **فمنهجه منهجٌ نقديٌّ متوازن** ، فلا هو يعتبرها مصدرًا من مصادر التفسير يتوقف عليها نظرٌ و عملٌ و استنباطُ المفسّر ودلالة النص القرآني، ولا هو ممن ينفىها مطلقًا و يمنعُ تفسيره منها ، ولا هو بمن يعتمدُ عليها أو يستشهدُ بها في الإثبات و التأسيس ، و إنّما إن ساقها رحمه الله فهو لمجرد الإعلام ، أو لخدمتها تدبّره للآية ، و غالبًا ما ينفذها و يوجّهها بما يقضي على ما يمكنُ أن يتسبّب في تضييع الدقيقة التدبّرية في الآية .

و الدليلُ على هذا التوازن أنّ المواضيع التي يُكثرُ فيها المفسّرون من إيراد الروايات الإسرائيليّة لا تجدُ فيها للمؤلف أيّ تعريجٍ على تلك الروايات في المواضيع التي فسّرها : ففي قصة سليمان عليه السّلام في سورة النمل : لا تكادُ تجدُ شيئًا لأخبار أهل الكتاب ، إلا ما وردَ عنه من قوله رحمه الله : " قال المفسرون : و اسمُ هذا الذي عنده علمٌ من الكتاب ، وهو من أهل مجلس سليمان عليه السلام و مستشاريه (أصف بن برخيا) ، و الله أعلم " ¹ . فالمؤلف رحمه الله اقتصر على ذكر الاسم وهو واردٌ في الإسرائيليّات يقينًا ، و لكنّه كما يظهرُ لا يؤثّر على عمليّة التدبّر السليم إطلاقًا ولا يوجّهها .

في قصة نوح عليه السلام في سورة هود وما تعلق ببناء السفينة و أحداث الطوفان مما هو وراؤُ في كتب بني إسرائيل و أخبارهم و كتب التفسير في حجم السفينة و

1 - معارج التفكير و دقائق التدبّر : عبد الرحمن الميداني ، 9/91 . وانظر للمقارنة : جامع البيان : الطبري ، 518 /9 ، والجامع لأحكام القرآن : القرطبي - تحقيق : عبد الله بن عبد المحسن التركي ، محمد رضوان عرقسوسي- بيروت ، لبنان - مؤسسة الرسالة - ط 1 - 2006م ، 13/182 .

الألواح و المسامير وما شابه ؛ لم يعرّج المؤلف على شيءٍ من ذلك رغم أنه تدبّر القصة كاملة في أكثر من خمسين صفحة¹ ، وإنما اقتصر على قوله رحمه الله : " قالوا : اسم هذا الولد (يام) ، وهو رابع ولد من زوجة اسمها (واعلة) ، كانت كافرة مع كفار قومها " ² . و حكايته للرواية بقوله (قالوا) فيه إشعارٌ بمرتبها من الاستثناس لا الاعتماد .

و مما يدل على توازن المنهج النقدي للمؤلف رحمه الله في التعامل مع الإسرائيليات سَوْقُهُ للقصة مع ردّه لها لعدم ثبوتها ليشير للمنهج الذي ينبغي أن يُعتمد مع مثلها ، من ذلك :

قوله رحمه الله في سورة سبأ و قصة سليمان عليه السلام : " جاء في قصة موت سليمان عليه السلام حكايات³ ليس لها أسانيد تجعلها ذات قيمة خبريّة ، فمن الخير عدم ذكر شيءٍ منها " ⁴ .

ومنه في تفسيره لسورة القصص قال رحمه الله : " جاء عند المفسرين أقوال ليس لها سندٌ عن رسول الله صلى الله عليه و سلم منها مايلي : سار موسى عليه السلام من مصر إلى مدين لم يأكل إلا البقل وورق الشجر، حتى لصق بطنه بظهره من الجوع ، و إنّ خضرة البقل لثرى من داخل جوفه " ، كما أورد روايات أخرى ثم قال : " و إذ لا توجد أسانيد صحيحة لهذه الأقوال فلا داعي لاعتمادها " ⁵ . و لكن مع ذلك يذكّر في بعض الأحيان شيئاً منها ولو بصيغة التمرّض :

كما في سورة (ص) عند ذكره لقصة أيوب عليه السلام قال : " و ذكر المؤرّخون و المفسّرون أنّ أيوب كان كثير المال من كل صنوفه ، و كانت زوجته تعمل بالخدمة عند الناس لتشتري له ما يأكله ، ولم تجد في بعض الأيام عملاً ،

1 - معارج التفكير و دقائق التدبّر : عبد الرحمن الميداني ، 10 / 358 - 412 .

2 - نفسه : 10/396 .

3 - انظر على سبيل المثال تفسير القرآن العظيم : ابن كثير ، 3 / 357 فقد أورد شيئاً منها .

4 - معارج التفكير و دقائق التدبّر : عبد الرحمن الميداني ، 12 / 54 .

5 - معارج التفكير و دقائق التدبّر : عبد الرحمن الميداني ، 9 / 378 .

فاضطرت أن تبيع ضفيري شعرها لبعض نساء الأثرياء من اللواتي يحبن أن يتزيّن بالشعر الطويل لتجلب له طعامه ، فسألها أيوب كعادته : من أين جلبت هذا الطعام ؟ ، فأخبرته ، فسأه ما فعلت ، وحلف ليضربنّها مائة ضربة بالسُّوط متى استطاع أن يفعل ذلك . و قيل غير ذلك ، و الله أعلم ¹ .

قلتُ : نسبته الكلام للمؤرّخين و المفسّرين ، و قوله (و قيل غير ذلك) ، و نسبته العلم لله تعالى في آخر الفقرة دليلٌ على موقفه من أخبار أهل الكتاب مما له تعلقٌ بالتفسير ، و كأنه رحمه الله ساق هذه القصّة للاستئناس فحسب ، و يُعطي للقارئ صورةً عن مثل السبب الذي حمل أيوب عليه السلام أن ينذر عقاب زوجته، وهذا السبب أعرض عنه القرآن ولم يذكره تحديداً لأنه لا يترتب عليه شيء في الاعتبار و التدبّر ، وهذا هو مقصوده من قوله (و قيل غير ذلك ، و الله أعلم) ² .

ومع هذا و للأمانة العلميّة فقد يقع المؤلف رحمه الله في حكاية شيء من الإسرائيليات ولو مع نوع توجيه و نقد، و لكنّه توجيهٌ و نقدٌ لا يقضي على كلّ ما في القصّة من محذور ، و الأفضل بالنسبة إلى المفسّر - و الله أعلم - عدم سوقها : من ذلك حكايته لجزءٍ من إسرائيلية تُسبت لداود عليه السلام مما لا يليق حكايته أبداً ، و نقل عن الإصحاح الحادي عشر و الثاني عشر من سفر صموئيل الثاني الرواية التي ذكرها عنه عليه السلام ³ ، وانظر ما ساقه في كرسي سليمان عليه السلام (3 / 566) ، وفي الأسباط (4 / 637 - 639) ، وفي المن و السلوى (4 / 645) ، وفي الألواح التي كتب الله لموسى عليه السلام (4 / 547 - 548) .

3 - منهج المؤلف في التفسير بالرأي :

الرأي المقصودُ به إعمالُ الفكر و الاجتهادُ في فهم الآيات القرآنية ⁴ ، وهذا الإعمال نوعان محمودٌ و ذموم :

-
- 1 - نفسه : 3 / 579 .
 - 2 - نفسه : 3 / 526 ، 561 . 9 / 397 . 10 / 623 ، 632 ، 648 . 12 / 48 .
 - 3 - معارج التفكير و دقائق التدبّر : عبد الرحمن الميداني ، 3 / 526 .
 - 4 - انظر في تعريف الرأي : إعلام الموقعين : ابن قيم الجوزية - تحقيق : مشهور بن حسن سلمان ، شارك في التخرّيج : أبو عمر أحمد - الدمام ،

محمودٌ جاءت الشريعةُ بإقرارِهِ لعدم تعارضه مع النصوص و القواعد الشرعيّة ، فالمفسر حين يجتهدُ في بيان معنى آيةٍ قرآنية يجعل الأصول و القواعد الشرعيّة أمام ناظره فلا يتجاوزها ، بل يدور في فلكها ويتقيّد بضوابطها ، وهذا النوع لا إشكال فيه وليس هو المقصودُ هاهنا :

قال ابن تيميّة : " و معلومٌ أنّ هذه الآثار الدائمة للرأي لم يقصد بها اجتهاد الرأي على الأصول من الكتاب و السنة و الإجماع في حادثة لم توجد في كتاب ولا سنّة ولا إجماع ممن يعرفُ الأشباه و النظائر وفقه معاني الأحكام ، فيقيسُ قياسَ تشبيه و تمثيل ، أو قياسَ تعليل و تأصيل ، قياسًا لم يعارضه ما هو أولى منه ، فإنّ أدلّة جوازِ هذا للمفتي ولغيره والعامل نفسه ، ووجوبه على الحاكم و الإمام أشهرٌ من أن تُذكر هنا ¹"

و إنما المذمومُ ما كان مخالفاً لقواعد التفسير و أصول التدبّر المعتمدة غير منضبطٍ بها ولا منطلق منها ، كأن يكونَ للمفسّر هوى و رأي شخصي فكري أو عقدي يتعصّبُ له ، فيتأوّل القرآن على وفق ما يري و يهوى ، ويحتجُّ به على تصحيح غرضه ، فيكون الدافعُ إلى المعنى هواءً لا دلالة الآية . أو المسارعةُ إلى تفسير كلام الله تعالى دون بحثٍ ولا نظر فيما يؤيد تفسيره من الكتاب أو السنة أو الإجماع ، و إنما بمطلق ما ظهر له من غير نظر في المنقول ولا اللغة . أو الكلام في الآية بما خطر في البال بادئ الأمر دون تأمّل ولا تدبّر ولا إحاطة بجوانب الآية ولا بموادّ التفسير اللازمة ، كمن يقول في قوله تعالى : [وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً] (الإسراء : 59) فيفسّر مبصرةً بأنها ذاتُ بصرٍ لم تكن عمياء ، فهذا من الرأي المذموم لفساده ² .

السعودية - دار ابن الجوزي - ط 1 - 1423هـ ، 1/66 ، ومناهل العرفان :
الرزقاني ، 1/517 ، و التفسير و المفسرون : الذهبي ، 1/255 .

1 - إقامة الدليل على بطلان التحليل : ابن تيميّة - تحقيق حمدي عبد
المجيد السلفي - عمان ، الأردن - المكتب الإسلامي - ط 1 - 1418هـ ، ص 211 .

2 - التحرير و التنوير : ابن عاشور ، 29-1/28 .

هذا و قد بَوَّب البخاري في صحيحه بابًا فيما يُذكرُ من ذم الرأي¹ ، وابن جرير الطبري² ، و بَوَّب ابن عبد البر³ بابًا فيما جاء في ذم القول في دين الله بالرأي⁴ ، فكان الرأي المذمومُ ممقوتًا في التفسير و غيره .

و لذلك عندما سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ابنَ عباس رضي الله عنهما : " كيف تختلف هذه الأمة و كتابها واحدٌ ، و نبيُّها واحدٌ ، و قبلتها واحدة ؟ . قال ابن عباس : " يا أمير المؤمنين ؛ إنا أنزل علينا القرآنُ فقرأناه و علمنا فيما نزل ، و إنَّه سيكونُ بعدنا أقوامٌ يقرؤون القرآن لا يدرونَ فيمَ نزل ، فيكونُ لهم فيه رأي ، فإذا كان لهم فيه رأيٌ اختلفوا ، فإذا اختلفوا اقتتلوا . فزبره عمر و انتهره ، فانصرف ابن عباس ، و نظرَ عمر فيما قال فعرفه فأرسلَ إليه ، فقال : أعد عليَّ ما قلت . فأعاده عليه ، فعرفَ عمرُ قوله و أعجبه " ⁵ .

و تفسير المؤلف رحمه الله (معارج التفكير و دقائق التدبُّر) هو نموذجٌ من ترجمة حقيقيَّة للتفسير بالرأي المحمود القائم على قواعد التفسير و أصول التدبُّر ، و أكبر دليل على هذا الأمر تأليفه أولًا (قواعد التدبُّر الأمثل لكتاب الله عز وجل) ، وهو كالمقدِّمة التي طبَّق ما فيها في معارج التفكير ، و من تأمَّل تلك القواعد الأربعين علمَ أنَّ أكثرها قائمٌ على أعمال الفكر و التدبُّر و تفعيل الوسائل المختلفة اللغوية و غيرها لإدراك مدلولات النص القرآني ، من ذلك :

بيان الوحدة الموضوعيَّة للسورة ، و كذلك تقسيمه للسورة إلى دروس فهو من التفسير بالرأي لأنَّ فيه تفكير و

1 - صحيح البخاري : كتاب الاعتصام بالكتاب و السنة - 8/148 .

2 - جامع البيان : الطبري ، 1/71 .

3 - هو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي ، كبير محدثي الأندلس في وقته ، اشتهرت تصانيفه في الآفاق ، منها : التمهيد ، الاستذكار ، ت (463هـ) ، انظر : ترتيب المدارك و تقريب المسالك : القاضي عياض - تحقيق عبد القادر الصحراوي - المحمدية ، المغرب - مطبعة فضالة - ط 1- 1970م ، 4/808 .

4 - جامع بيان العلم و فضله : ابن عبد البر - تحقيق أبي الأشبال الزهيري - الدمام ، السعودية - دار ابن الجوزي - ط 1 - 1414هـ ، 2/133 .

5 - فضائل القرآن : أبو عبيد القاسم بن سلام - تحقيق مروان العطيبة ، و محسن خراية ، و وفاء تقي الدين - دمشق ، سوريا - دار ابن كثير - ط 1 - 1415هـ ، 1/218 .

إعمال تأمل و ملاحظة و استنباط ، عنايته ببيان وجه المناسبة بين السور القرآنية ، عنايته ببيان وجه ارتباط الآية بالسياق ، عنايته ببيان و كشف وجه تكامل الآيات في الموضوع الواحد هذا أيضًا مما يحتاج إلى تفكير و إعمال تأمل و ملاحظة و استنباط ، عنايته بتوجيه المتشابه ، وما يتعلق بالآية من قضايا نحوية و بلاغية ، كذلك ما يستلزمه النص و يقتضيه من معاني و دلالات هذا مما يحتاج يقينًا إلى تفكير و إعمال تأمل و ملاحظة و استنباط ، عنايته ببيان وجه استخدام اللفظ القرآني حيث يتطوّر أو يخرج عن أصل استعماله ، عنايته بتعدد المعاني التي يُحمل عليها اللفظ، هذا مما يحتاج يقينًا إلى تفكير و إعمال تأمل و ملاحظة و استنباط ، إلى غير ذلك من الاجتهاد في تفسيره .

و بالتالي كثيرٌ من هذه الأهداف و التطبيقات هي من التفسير بالرأي ، و هي عند التأمل قواعد نصّ عليها في كتابه الذي هو مقدّمة منهجية (**قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله عزّ وجل**) و أحسنَ تطبيقها في (**معارج التفكير**) ، بالإضافة طبعًا إلى ردّه و تعقيبه و اختياراته فهي تندرج ضمن التفسير بالرأي لظهور رأي المؤلف فيها بجلاء ، وسوف يمر معنا كثيرٌ من الأمثلة في الفصل القادم المتعلق بتطبيق القواعد في تفسيره .

ومع هذا مما يؤخذ على المؤلف رحمه الله في تفسيره بالرأي :

الإطالة و الاستطرادُ الكبير الذي لا داعي له ، وهو سمة بارزة في كتابه (**معارج التفكير**) ، فمن ذلك : الإسهابُ في ذكر معاني المفردات مع إعادة تلك المعاني في المعنى الإجمالي ثم في الدروس ، و لذلك فقد استغرقت على سبيل المثال سورة (العلق) من تفسيره ثلاثةً و أربعين صفحة¹ ، و سورة الأعراف ألفَ صفحة .

وكذلك مما يؤخذ عليه رحمه الله البسطُ الزائد المتكلف للنصوص القرآنية ، و إيهام القارئ بوجود محذوف، ثم يقوم

بتقديره¹ ، علمًا بأنّ النصّ القرآنيّ ألمحّ إلى ذلك المحذوف
إلماحةً واضحةً².

و كذلك الملاحق التي يختم بها السور ، هي في غالبها
اقتباسٌ مما سبق و تكررٌ لما ذكر في السورة القرآنية فلا
داعي إليها طلبًا للاختصار ، فهي مما يستنبطه القارئ .

و مما انثُقد عليه رحمه الله في تفسيره و لمسّه الباحثُ
أيضًا : الاستطرادُ الزائدُ في دروس التفسير مما قد يُعدُّ
خروجًا غير مُنتج عن صلب الموضوع ، وقد أشار الدكتور طه
محمد فارس في رسالته للدكتوراه (**تفاسير القرآن
حسب ترتيب النزول دراسة و تقويم**)³ إلى كثير منها ،
كعقيدة القبط في عهد الفراعنة⁴ ، وبعد تصفّحها وجدته
أصابَ في كثير منها⁵ .

و مما يؤخذ عليه أيضًا في تفسيره بالرأي الوقوع في
بعض الآراء التي تعتبر مجازفة لا دليل عليها ، من ذلك عندما
فسّر قوله تعالى: [**اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ
مِثْلَهُنَّ**] (الطلاق : من الآية 12) قال رحمه الله : " المماثلة
محمولةٌ على العناصر التي تتكوّن منها الأرض ، فهي مماثلة
للعناصر التي تتكوّن منها أجرام السموات السبع "⁶ . فهذا
الكلام في إقتراح المماثلة على مستوى العناصر يحتاج إلى
دليل ، و إلاّ كان من قبيل الرأي المذموم ، مع ما يُخشى منه
من الإساءة للتفسير العلمي إن ثبت عدم صحّة هذا التماثل
بين العناصر على مستوى بحوث علماء الفلك و الطبيعة .

4 - منهج المؤلف في التفسير الموضوعي :

التفسير الموضوعي مصطلح معاصر ، استخدمه
المفسرون و الباحثون المعاصرون ، للدلالة على الأبحاث و

1 - نفسه : 3 / 273 .

2 - انظر : **تفاسير القرآن حسب ترتيب النزول دراسة و تقويم** : طه
محمد فارس ، ص 861 .

3 - نفسه : ص 862 .

4 - معارج التفكير و دقائق التدبر : عبد الرحمن الميداني ، 14 / 497 .

5 - انظر على سبيل المثال : **معارج التفكير و دقائق التدبر** : 1 / 51 ، 88 ،
89 ، 95 ، 106 ، 136 ، 137 ، 199 ، 202 ، 203 ، 281 ، 313 ، 377 . 2 /

212 ، 438 ، 568 . 3 / 374 ، 559 ، 460 ، 398 ، 104 / 4 .

6 - نفسه : 4 / 286 .

الدراسات التي تركّز وتتناول موضوعًا من موضوعات القرآن الكريم .

و بما أنّ المصطلح معاصرٌ ؛ فقد أوردَ من كتبوا فيه عدّة تعريفات له ، منها ما هو مختصر ومنها ما هو مطول ، ومنها ما ينطبق على لون واحد فيه ، ومنها ما يتّسع إلى أكثر من لون .

و قد أورد على سبيل المثال الدكتور مصطفى مسلم خمسة تعريفات له و اختار ما يلي : " التفسير الموضوعي هو علمٌ يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر " ¹ .

ومن أهم المؤلفات المعاصرة في التفسير الموضوعي :
" **مباحث في التفسير الموضوعي** " للدكتور مصطفى مسلم ، و " **مدخل إلى التفسير الموضوعي** " للدكتور عبد الستار فتح الله سعيد ، و " **البداية في التفسير الموضوعي** " للدكتور عبد الحي الفرماوي ، و " **الفتوح الربّانية في التفسير الموضوعي** " للدكتور الحسيني أبو فرحة ، و " **دراسات في التفسير الموضوعي** " للدكتور أحمد العمري ، و " **دراسات في التفسير الموضوعي** " للدكتور زاهر عوّاض الألمعي ، و " **التفسير الموضوعي للقرآن الكريم** " للدكتور أحمد السيد الكومي ، و " **التفسير الموضوعي بين النظرية و التطبيق** " للدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي ، و غيرها ² .
و أغلب هذه المؤلفات يقدّم فيها الدراسة النظرية المنهجية لهذا اللون من التفسير ، بالإضافة إلى تطبيقات علي نماذج و أمثلة للألفاظ و المصطلحات و الموضوعات القرآنية ، تبين كيفية الجمع بين المعرفة النظرية و التطبيق .
و لهذا اللون من التفسير صور متعددة منها :

1 - **مباحث في التفسير الموضوعي** : مصطفى مسلم- دمشق ، سوريا - دار القلم - ط 3 - 1421 هـ ، ص 16 .

2 - انظرها في : **التفسير الموضوعي بين النظرية و التطبيق** : الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي- عمان ، الأردن - دار النفائس - ط 2 - 1428 هـ ، ص 35 .

أ- تتبع لفظة من القرآن الكريم، ثم جمع الآيات التي وردت فيها هذه اللفظة أو مشتقاتها و الإحاطة بتفسيرها، ثم العمل على استنباط دلالات الكلمة من خلال استعمال القرآن الكريم لها .

ب- جمع الآيات القرآنية ذات الوحدة الموضوعية ودراستها حسب منهج البحث في التفسير الموضوعي، وهو المشهور في عرف أهل الاختصاص، وإذا أطلق اسم التفسير الموضوعي فلا يكاد ينصرف الذهن إلا إليه .

ت- الكلام على السورة ككل، مع بيان شخصيتها و ملامحها المتميزة ، و أغراضها العامة والخاصة ، وما فيها مع بيان ، مع ربط الموضوعات بعضها ببعض حتى تبدو السورة في النهاية وهي في منتهى الدقة والإحكام .

إذا كانت هذه هي صور التفسير الموضوعي المتعارف عليها بين العلماء فإن المؤلف رحمه الله في كتابه (**معارج التفكير و دقائق التدبر**) قد تطرّق إليها في كثير من المواضع تنظيراً و تطبيقاً .

فأما اللون الأول : الذي يعنى بتتبع لفظة معينة واستخدام القرآن لها فله أمثلة في تفسير (معارج التفكير) تدلّ على مدى اهتمام الشيخ بهذا الأمر، من ذلك ما كتبه في ملاحق تفسير سورة الفاتحة تحت عنوان (**نظرات تدبّرية حول الآيات التي جاء فيها لفظ " الصراط - الطريق - السبيل - المنهاج**)¹ ، مما يصلح أن يكون بحثاً مستقلاً في التفسير الموضوعي للمصطلح القرآني.

وكذلك ما كتبه في ملاحق تفسير سورة الضحى تحت عنوان (**حول إسناد فعل " وَجَدَ يَجِدُ " إلى الله في القرآن**)²، فهو يصلح أيضاً لاعتباره من تطبيقات هذه القاعدة وفق طريقة (المصطلح القرآني) .

و كذلك تصلح نتائج استقراءاته رحمه الله للدخول في هذا القسم (المصطلح القرآني) و إن لم يخصّص لها شيئاً مكتوباً، مثال ذلك قوله في كلمة (الفواحش) في شرحه لقوله تعالى [**وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ**]

1 - معارج التفكير ودقائق التدبر : عبد الرحمن الميداني، 1/319- 373 .

2 - نفسه : 1/576 .

(الأنعام : من الآية 151) : " وقد نظرت في الاستعمالات القرآنية لهذه المادة فوجدت أنها تدور حول الكبائر المتعلقة بشهوات الفروج، و ترجّح لديّ أن يُحملَ ما جاءَ منها مطلقاً لم تبيّنه القرائنُ على ما جاءَ منها مُبيّناً بالقرائن ، فهي في الاستعمال القرآني مُخصّصةٌ بهذا الإطار من المعاصي اصطلاحاً ، و الله أعلم " ¹ .

وفي كتابه (قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل) يوجد بعض القواعد حول ألفاظ محددة في القرآن : من ذلك القاعدة الثانية و الثلاثون " حول كلمة (لعل) الواردة في القرآن في مثل (لعلكم تتقون) " ² ، فقد جاء استعمال كلمة "لعل" في القرآن أكثر من مئة مرة ، و أكثر هذه المواضع جاءت الكلمة المتبوعة بفعل مضارع أكثره للجمع ، و لها أغراض شتى ذكرها المؤلف ونسبها إلى قائلها من اللغويين و النحويين .

ومثل القاعدة الثالثة و الثلاثين [حول كلمة بلى في القرآن] ³ ، فقد وقعت [بلى] فى كتاب الله عز وجل في اثنين وعشرين موضعاً ، وفى ست عشرة سورة . و كذلك هو الأمر بالنسبة للقاعدة الرابعة و الثلاثين [حول عبارة (وما أدراك ما...؟!) في القرآن] ⁴ ، و القاعدة السادسة و الثلاثين " حول تعبيرات [من بين يديه ومن خلفه ، ونحوهما - الأمام - الورا] " ⁵ ، و القاعدة التاسعة و الثلاثين [حول لفظ كذلك] ⁶ ، و غيرها من الألفاظ القرآنية التي تناولها بالبحث الموضوعي ، وهذا من تطبيق هذا اللون من ألوان التفسير .

و بخصوص اللون الثاني من ألوان التفسير الموضوعي، أعني جمع الآيات القرآنية ذات الهدف الواحد التي اشتركت في موضوع ما ودراستها حسب منهج البحث في التفسير

-
- 1 - نفسه : 11/472 .
 - 2 - قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 627 .
 - 3 - نفسه : ص 633 .
 - 4 - نفسه : ص 637 .
 - 5 - نفسه : ص 657 .
 - 6 - نفسه : ص 695 .

الموضوعي ؛ فقد ظهر هذا واضحًا في منهج الشيخ من خلال إفراده لمواضيع و بحثها في القرآن الكريم ، من مثل حديثه عن " التسيح في القرآن " ¹ ، و " حب العاجلة في النصوص القرآنية " ² ، و " حول الرياح في القرآن المجيد " ³ ، و " نظرة عامة حول ما جاء في القرآن والسنة مما يثبت البشري للمؤمنين المتقين " ⁴ ، و " نظرة حول ما جاء من صفات عباد الرحمن في سائر القرآن " ⁵ ، و " القسم في القرآن " ⁶ ، و " التدبر التكاملي للنصوص القرآنية بشأن مريم عليها السلام " ⁷ ، و " الاستعاذة بالله في القرآن و السنة " ⁸ ، و " بيان أن وظيفة القرآن و الرسول و وظيفة بيان و تذكير " ⁹ ، و " حول الشمس و القمر و النهار و الليل في القرآن " ¹⁰ ، و " البركة في القرآن " ¹¹ ، و " الحكمة في القرآن المجيد " ¹² ، و " أطوار خلق الإنسان في القرآن " ¹³ و غيرها من المواضيع القرآنية .

هذا وقد خصص المؤلف رحمه الله قاعدة كاملة في تنظيره يرجع إليها مضمون هذا العلم ، وهي قضية الارتباط الموضوعي للجملة القرآنية بغيرها في القرآن الكريم ، نجد هذا في القاعدة الأولى [حول ارتباط الجملة القرآنية بموضوع السورة، وارتباطها الموضوعي بما تفرق

-
- 1 - معارج التفكير ودقائق التدبر : عبد الرحمن الميداني، 1/ 467 .
 - 2 - نفسه : 2/ 499 .
 - 3 - نفسه : 2/ 626 .
 - 4 - معارج التفكير ودقائق التدبر : عبد الرحمن الميداني، 6/ 444 .
 - 5 - نفسه : 6/ 672 .
 - 6 - قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل : عبد الرحمن الميداني ، ص 463 .
 - 7 - معارج التفكير ودقائق التدبر : عبد الرحمن الميداني، 7/420 .
 - 8 - نفسه : 2/ 51 .
 - 9 - نفسه : 2/ 261 .
 - 10 - نفسه : 2/ 332 .
 - 11 - نفسه : 3/ 147 .
 - 12 - نفسه : 3/ 453 .
 - 13 - نفسه : 3/ 287 .

في القرآن المجيد [1 . ففي هذه القاعدة يؤصل الشيخ لقضية تناسب أجزاء القرآن ، بالإضافة إلى الوحدة الموضوعية ، ابتداءً من الجملة القرآنية إلى الآية إلى السورة إلى القرآن المجيد كله ؛ كلما زاد التدبُّر و التعمُّق و الغوصُ و السُّبر تلمَّسَ الباحثُ هذا التناسب ، وهذا مما له تعلق كبير بهذا اللون الثاني المشار إليه و يخدمه .

قال رحمه الله : "إن مثل الجمل القرآنية وما تحمل من معاني و دلالات كمثل حبات نفيسات الجواهر ، نظمت في عقد متكامل تمثله السورة القرآنية ، أو نضدت في قطعة نادرة مصوغة أبدع

صياغة من قطع الحلبي مع التناسق التام والبدیع" 2 .
و بخصوص اللون الثالث من التفسير الموضوعي المتعلق بالسورة القرآنية ؛ فما من سورة إلا و يعرف بها و بلامحها و شخصيتها في بداية التفسير ، مع الكشف عن دروسها محتوياتها بما يجعلها ذات شخصية مستقلة ، ومنه ما كتبه رحمه الله في التعريف بسورة النمل ، و كشف وحدة موضوعها و انساق فروعها تحت عنوان " موضوع سورة النمل " 3 :

قال رحمه الله : " **موضوع هذه السورة يسيّر على ثلاثة خطوطٍ كبرى ، تتفرّع عنها فروع مشتقة من عناصرها ، الخط الأول** : متابعة معالجة كبراء مُشركي مكة وما حولها ، و يُلحق بهم أتباعهم . . مع إضافات بيانية دينية ترهيبية ، و إقناعات جدلية بشأن توحيد الربوبية و الإلهية لله عزّ وجل ، و إقناعات تتعلق بالإيمان بالآخرة . **الخط الثاني** : متابعة تربية الرسول محمد صلى الله عليه و سلم بحسب الحال التي كان عليها إبان نزول السورة . . واقترنت بهذه المتابعات التربوية تكليفاتٌ له تتعلق بمسيرته الدعوية . **الخط الثالث** : تثبيت المؤمنين على إيمانهم و الانتفاع بالقرآن الذي هو هدى و بشرى و رحمة لهم . . و اقتضت

1 - قواعد التدبُّر الأمثل لكتاب الله عز وجل : عبد الرحمن الميداني ، ص 13 .

2 - قواعد التدبُّر الأمثل لكتاب الله تعالى : عبد الرحمن الميداني ، ص 14 .

3 - شرح وحدة موضوع السورة في ثلاث صفحات .

الحكمة التربوية للرسول ، و الحكمة العلاجية للكافرين عرض لقطات من قصة موسى عليه السلام و فرعون وقومه ، و لقطات من قصة سليمان عليه السلام و بلقيس ملكة سبا في عهده ، ولقطات من قصة صالح ولوط عليهما السلام . . و اقتضت معالجة كبراء مُشركي مكة تعليم الرسول صلى الله عليه وسلم مناظرة جدلية حول قضيتي توحيد الربوبية و توحيد الإلهية لله عزّ وجل . . و اقتضت تربية الله عزّ وجل لرسوله صلى الله عليه و سلم إعلامه بأنه لا فائدة من مجاهدته لإسماع الموتى أو إسماع الصم إذا ولّوا مدبرين . . و اقتضت معالجة المشركين عرضَ بيانات تتعلقُ بأحداث مستقبلية تحدثُ قبل يوم القيامة ، و أحداث أخرى تحدثُ عند القيامة و بعدها ممتزجةً بالتنبيه على ظواهر كونية دالة على ربوبية الله الواحد الأحد . . **و أنهت السورة** بتوصية موجّهة من الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم و هذه الوصية تتضمّن ما يقوله لمن لم تؤثر فيهم المعالجات السابقة " ¹ ..

وقد خصص رحمه الله قاعدة كاملة هي القاعدة الثانية من كتابه (**قواعد التدبر الأمثل**) [**حول وحدة موضوع السورة القرآنية**] ² ، فهذه القاعدة تؤسّسُ لقضية " الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية " ، و هي جزء أصيل في مجال التفسير الموضوعي . و قد شبّه المؤلف رحمه الله السورة القرآنية بالشجرة من الأشجار البديعة المثمرة المشبّعة بالتنسيق الجمالي ، أو كمثل كائن حيٍّ من الكائنات الراقيات، و " الشجرة مهما اختلفت صفات أجزائها مجتمعة على أصل واحد ، ومشتقّة منه ، و الكائن الحي مهما اختلفت صفات أعضائه ، مجتمعٌ على أصل واحد ، ومشتقٌّ منه " ³ .
قال رحمه الله : " إنّ السورة القرآنية من الناحية البانية والمعاني و الدلالات التي اشتملت عليها بمثابة جلية أدبية رائعة فذة ، فهي ذات موضوع كلي واحد ، إلا أن وحدة الموضوع في كل سورة قد لا تستبينُ بالنظرة الجزئية ، ولا بالنظرة السطحية التي تمرّ مرّاً سريعاً على آياتها ، وقد لا

1 - معارج التفكير ودقائق التدبر : عبد الرحمن الميداني، 21-9/19 .

2 - قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني، ص 27 .

3 - نفسه : ص 27،28 .

يتنبه لها الكثيرون ، تأثراً بالاتجاه السائد عند المفسرين القدماء ، الذين لم يوجهوا عناية كبيرة لهذا الأمر رغم خدماتهم الجليلات التي قدّموها لهذا الكتاب الربّاني العظيم ، إلا أنه كتابٌ معجز ، لا تفنى أعاجيبه ، وسيظلّ فيه دقائق معجزة خفية يظهر منها في كلّ حين من الدهر ما لم يكن قد ظهر من قبل " 1 .

5 - منهج المؤلف في التفسير العلمي :

اهتم المؤلف رحمه الله اهتماماً بالغاً بهذا اللون من التفسير ، فهو يفسّر آيات كثيرة تفسيراً علمياً ، و شرطه فيها أن تصل تلك المعلومة العلمية إلى درجة اليقين المقطوع به لا المشكوك فيه 2 .

وقد وضع الشيخ - رحمه الله - ضمن قواعد التدبر الأمثل قاعدة تتعلق بهذا الأمر ، وهي القاعدة الثامنة عشرة " **حول أن القرآن لا اختلاف فيه ولا تناقض، وأنه لا تناقض بينه وبين الحقائق العلمية الثابتة بالوسائل الإنسانية** " 3 . وقد بيّن فيها موقفه ، وما ينبغي على المفسر اتباعه وتوظيفه عند تدبره الآيات التي تحتوي على تلك الإشارات العلمية .

و عند شرحه للمقولة الثانية في هذه القاعدة وهي قوله : " لا تناقض بين القرآن وبين الحقائق العلمية الثابتة بالوسائل الإنسانية " ، بيّن رحمه الله أنّ دفع توهم الاختلاف ينتج عنه المعنى الصحيح للنص ، وبناء على هذه القاعدة لا بد أن يتطابق المعنى الصحيح للنص الذي تعرض لبعض الحقائق العلمية مع الحقائق العلمية الثابتة . وللسائل أن يسأل ما علاقة هذا بهذا ، فأقول : لعله رحمه الله اعتبر أن بعض ظواهر القرآن أو المعاني فيه يظهر من النظرة السطحية أنّها لا تتفق مع بعض الحقائق العلمية ، مما يلقي في النفس شبهة التناقض و الاختلاف. و الجواب على هذا كما بيّن المؤلف أنّ عدم التطابق بين الحقيقتين ، ربما مرده إلى أن الحقيقة العلمية غير مؤكدة ، وإما أن ما ادّعي أنه تفسير قاطع للنص

1 - نفسه : ص 29 .

2 - معارج التفكير ودقائق التدبر : عبد الرحمن الميداني ، 3 / 46 .

3 - قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 225 .

قد كان ادعاءً غير صحيح ، وإذا حصل هذان الأمران أو أحدهما ؛ فعلى المخطئ أن يراجع خطأه ، ويستأنف بحثه من جديد ليصل إلى التطابق ، أو يترك الباب مفتوحًا والبحث معلقًا ولا يجزم ريثما يفتح ما يدفع الاضطراب و التناقض¹ .
ومن خلال ما سبق يظهر أن المؤلف رحمه الله القائلين بضرورة التفسير العلمي في الآيات التي تضمنت الكلام في العلوم المختلفة أو الإشارات إليها، والقاعدة التي قررها سار على وفقها في (**معارج التفكير**) ولذلك وجدته يقف ووقفات علمية عند كثير من المواضع القرآنية، ويتدبرها بمقتضى ما ثبت من العلوم، مستنيطًا ما فيها من إشارات حول هذه العلوم، مبيّنًا ما في القرآن من دلائل وراء ذكر هذه العلوم، ومشيرًا إلى هدف القرآن من إيرادها، خلوصًا إلى عد ذلك من عناصر الإعجاز القرآني .

وفيما يلي أمثلة من واقع التفسير على توظيف الشيخ للتفسير العلمي في فهم النصوص القرآنية:

فمن ذلك قوله في تدبر قول الله تعالى : [**الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ**] (الرحمن : الآية 5): " أي تقدير جرميهما و حركتيهما بحساب دقيق غاية في الإبداع و الإتيان . جاء في هذا النص تأكيدًا ما سبق بيّنه في سورة (الأنعام) لما في تقدير جرمي الشمس و القمر و تقدير حركتيهما بحساب غاية في الدقّة، فهما لا يخرجان عن أنظمتهم الموضوعة لهما طوال ملايين السنين ، **وهذا إنما يُدرك عظمتة و يدهش لها علماء الكونيّات الرياضيّون** " ² .

ومن ذلك قوله رحمه الله عند تفسير قول الله تبارك و تعالى : [**إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ**] (التكوّير : الآية 1) قال : " هذه المطالعة أليسية التي قدمت لنا هذه الصورة الوصفية عن الشمس، أخذًا مما توصل إليه علماء الفلك من معلومات عنها،

1 - قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 234-235 .

2 - معارج التفكير ودقائق التدبر : عبد الرحمن الميداني، 2/343 . وهو يشيّر رحمه الله إلى آية سورة (الأنعام) : [**فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَعْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (96)**] .

نستطيع أن نقول: إن أمثلَ طريقة لمح و ضياء الشمس مع بقاء ما فيها من مواد صالحة للتفجر والاشتعال تكون بلف السنة الغاز الملهب، ولف أعمدة الغاز الضخمة، وتكويرها كورًا فوق كور على المواد ذات الكثافة الشديدة في باطنها حول مركزها وضغط هذه الألسنة الغازية، والأعمدة الغازية التي يبلغ امتدادها مئات الآلاف من الكيلومترات لمنع التفجرات النووية التي تحدث في باطنها وتمد بألسنة الغاز الملهب إلى سطحها، وبهذا التكوير و الضغط على مركز الشمس ينمحي الضياء وتشتد كثافة الشمس، حتى تصير المواد الغازية بشدة كثافتها شبيهة بالمواد الصلبة مع بقاء القوى الالتهابية كامنة فيها والله على كل شيء قدير، هذه هي الظاهرة التي تكون في هذا الحدث العظيم، أما الوسيلة لحدوث هذه الظاهرة فأمر من أمور الغيب التي يعلمها الله، ولا نملك حتى الآن أمارات عليها ¹ .

ومن ذلك حديثه رحمه الله عن تناقص الأكسجين في الطبقات الجوية العليا² ، و ذكر ما وصل إليه علماء الفلك عن وصف الشمس³ ، و حديثه عن المجموعات الشمسية و النجوم في الكون و قدوم الليل و ذهابه⁴ ، و عن تكوين الذرة⁵ ، و عن الغدد للمفاوية ودورها في القضاء على الجراثيم⁶ ، و عن الجينات الوراثية⁷ . كما تحدّث عن مسألة التسجيل على الأقراص الضوئية الليزرية و ربطها بالقضايا الإيمانية⁸ ، و تحدّث أيضًا عن نظام القلق في الكون⁹ ، و عن تركيب الذرة من بروتونات و إلكترونات¹⁰ ، و عن النطفة و ماء الرجل¹¹ ، و

1 - معارج التفكير ودقائق التدبّر : عبد الرحمن الميداني، 1/402 .

2 - نفسه : 350 / 1 .

3 - نفسه : 401 / 1 .

4 - نفسه : 422 / 1 .

5 - نفسه : 447 / 1 .

6 - معارج التفكير ودقائق التدبّر : عبد الرحمن الميداني، 1 / 449 .

7 - نفسه : 451 / 1 .

8 - نفسه : 475 / 1 .

9 - نفسه : 29 / 2 .

10 - نفسه : 85 / 2 .

11 - نفسه : 236 / 2 . 288 / 3 .

الكون و المجرات و الأفلاك¹ . و ذكر خبرًا علميًا نشرته إحدى الصحف مفاده بأن الكعبة المشرفة تمثل مركز الأرض² . كما تكلم عن الصلب و الترائب و كيف اتضحت في العصر الحديث³ ، و الغلاف الجوي⁴ ، و الصوت و الصورة⁵ .

المبحث الثالث منهج المؤلف في تناول مباحث اللغة والعقيدة و علوم القرآن

-
- 1 - نفسه : 2 / 312 ، 313 ، 314 ، 315 . 4 / 289 .
 - 2 - نفسه : 2 / 423 .
 - 3 - نفسه : 3 / 267 .
 - 4 - نفسه : 3 / 276 .
 - 5 - نفسه : 4 / 255 .

1- منهج المؤلف في تناول مباحث اللغة :

اتفقت كلمة العلماء على ضرورة الإحاطة باللغة العربية و علومها قبل اقتحام معترك التفسير و التدبر ، لأنّ القرآن العظيم نزل على سنن العرب في الكلام . فهذا ابن عباس رضي الله عنهما يقول : " التفسير على أربعة أوجهٍ : وجهٌ تعرفُهُ العربُ من كلامها ، و تفسيرٌ لا يُعَدَّرُ أحدٌ بجهالته ، و تفسيرٌ يعلمُهُ العلماءُ ، و تفسيرٌ لا يعلمه إلا الله " ¹ .

و المؤلف رحمه الله يعتمد في تفسيره على اللغة العربية بكل فنونها من معاني و نحو و صرف و بلاغة و غيرها ، فهو يتناول الألفاظ القرآنية و يبحث عن أصل اشتقاقها ، و يبرز وجوه معانيها بالرجوع إلى أمهات المعاجم اللغوية ، كما يهتم بالنحو و الإعراب اهتماماً بالغاً واضحاً ، و يهتم بالجوانب البلاغية في الآيات و السور ، و كثيراً ما يجعل لوجوه البلاغة في السورة ملحفاً في آخر تفسير تلك السورة ، ولا يترك فناً من فنون البلاغة إلا و يوردُ له شاهداً من القرآن مما يدل على تضلعه رحمه الله و تمكنه في هذا الفن .

أ- تناول دلالات الألفاظ ومعانيها :

1 - تفسير عبد الرزاق : عبد الرزاق الصنعاني - تحقيق محمود محمد عبده - بيروت ، لبنان - دار الكتب العلمية - ط 1 - 1419هـ ، 1/59 .

اعتنى المؤلف رحمه الله بمجال دلالات الألفاظ و بيان معانيها اعتناءً ظاهرًا ، تنظيرًا و تطبيقًا ، ومن ذلك القاعدة السادسة عشرة [**حول ضرورة البحث في معاني الكلمات القرآنية بحثاً علمياً لغوياً**]¹ ، و قد أطال المؤلف جدًّا في بيان و شرح هذه القاعدة و التمثيل لها² ، و نصَّ رحمه الله على أن من أكبر أسباب الخطأ و الانحراف في التدبُّر عدم التعرُّيج على الدلالة الأصلية للكلمة العربية ، فلا بُدَّ من الرجوع في ذلك إلى أمهات المعاجم اللغوية : قال رحمه الله : " و يخطئ كثيرًا من يتدبَّر آيات الله دون أن يرجع في كلِّ كلمة قرآنية إلى دلالتها الأصلية في كلام العرب ، متنبِّعًا في معاجم اللغة ، و في نصوص من يُستشهد بأقوالهم من العرب ، و بعد البحث يختار من معاني الكلمة المعنى الذي يلائم دلالة النص القرآني بوجه عام "³ . و لدى تتبُّعي لمنهج المؤلف في هذا الباب- البحث في معاني الكلمات - في كتابه (**معارج التفكير**) لمسئته أنَّه جعل هذا الأمر خطوة أساسية بالنسبة إليه⁴ ، قبل أن يمُرَّ إلى تفسير الآيات . من ذلك قوله رحمه الله في ضبط معنى الفلق في اللغة : " الفلقُ يُطلقُ على اللغةِ على واحدِ الفُلوْقِ ، وهي الشُّقُوقُ . و الفلقُ بسُكونِ اللامِ هو الشقُّ الذي هو الحدث ، وهو مصدرُ فلقِ الشيءِ فلقًا أي شقَّه . و يُطلقُ الفلقُ بفتح اللام على ما نفلقَ من عمود الصبح . و يُسمَّى الخلقُ فلقًا بسكون اللام ، وعلى هذا فالفلقُ بفتح اللام هو المفلقُ ، أي : المخلوق ، فربُّ الفلق هو ربُّ كلِّ مخلوق "5

-
- 1 - قواعد التدبُّر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 317 .
 - 2 - أخذت من الكتاب أكثر من مائة صفحة ، (من ص 317 إلى ص 428) .
 - 3 - قواعد التدبُّر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 317 .
 - 4 - معارج التفكير ودقائق التدبُّر : عبد الرحمن الميداني ، 1 / 42 ، 43 ، 45 ، 140 ، 157 ، 164 ، 240 ، 291 ، 383 ، 488 ، 529 ، 630 ، 656 . 2 / 28 ، 82 ، 106 ، 112 ، 217 ، 315 ، 408 ، 503 ، 579 . 3 / 19 ، 24 ، 41 ، 121 ، 277 ، 361 . 4 / 54 ، 95 ، 132 ، 156 ، 202 ، 217 ، 339 ، 392 ، 413 .
 - 5 - نفسه : 29-2/28 .

ومن ذلك أيضًا بحثه رحمه الله في المعنى اللغوي ل (الغاسق)¹ ، و كلمة (وقب)² . و المواضع في تطبيق هذه القاعدة - البحث في معاني الكلمات - أكثر من أن تُحصر .

ومن صور اعتناؤه بمعاني ودلالات الألفاظ تخصيصه القاعدة الثامنة عشرة [**حول النظر في الألفاظ المتقاربة المعنى أو المترادفة**]³ .

ومن صور اعتناؤه بمعاني ودلالات الألفاظ تخصيصه القاعدة التاسعة عشرة [**حول تردد النص القرآني بين داليتين أو أكثر**]⁴ ، و كذلك القاعدة الثامنة و العشرون [**حول استعمال الكلام في أكثر من معنى**]⁵ ، وفي هذه القاعدة على سبيل المثال أشار المؤلف رحمه الله إلى أنّ كثيرًا من الكلمات القرآنية تكون ذوات أكثر من معنى ، و هي صالحة لأن تدلّ على أكثر من معنى ، و لا داعي لصرفها عن أحد تلك المعاني و قصرها على واحدٍ منها دون غيره ، فالأفضل و الأمثل في التدبّر حملها على كل تلك المعاني التي يؤيّدُها الواقع أو العقل تمثيلاً مع عطاء القرآن الثرّ الذي لا تنضبُ معانيه و لا تفتنى أعاجيبه .

قال رحمه الله في شرح هذه الصورة من استعمال اللفظ في معانيه : " هو من الفنون البلاغية العالية القائمة على الإيجاز ، و التي فيها عطاءٌ فكريٌّ ثرّ ، و إمتاعٌ للأذكياء ، و فيه استغناء عن ذكر اللفظ مرادًا به بعض ما له من معانٍ بقرينة ، ثم ذكْرُهُ مرادًا به بعضٌ آخر بقرينةٍ أخرى ، فذِكْرُهُ مرّةً واحدةً مرادًا بها جملة المعاني التي يدلّ عليها أوسع لدلالته ، و أعمّ لفائدته ، و أثرى لمعانيه ، و هذه هي طبيعة النصوص الرفيعة ، التي تشتمل على دلالات كليّة دستوريّة " ⁶ . و تحت هذه

1 - نفسه : 2/31 .

2 - نفسه .

3 - قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 435 .

4 - نفسه : ص 453 .

5 - قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 567 .

6 - نفسه .

القاعدة كتب رحمه الله في معنى (دَمَدَمَ) عند تفسيره لقول الله عز وجل : [فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمَدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا] (الشمس: الآية 14) ، " أي غَضِبَ عليهم ، فأنزل بهم ما عذبهم به حتى أهلكهم جميعاً ، و دفنهم ، وردَمَ الأرضَ فوقهم ، حتى لم يبقَ لأجسادهم أثرٌ ظاهر " ¹ .

ثم بين مرجع استعمال هذا المعنى الشامل في (دمدم) فقال : " يُقالُ لغةً : دمَدَمَ عليهم ، أي غَضِبَ عليهم . ودمدم عليهم إذا طحتهم و أهلكهم مستأصلاً ، و أطبق عليهم بوسائل التعذيب و الإهلاك. ويُقال : دمدم عليه القبر و نحوه أي : أطبقه عليه حتى سواه بسائر الأرض ، **وكلُّ هذه المعاني تنطبقُ على ما أنزلَ اللهُ بـثمود** " ² .

فلاحظ كيف حافظ المؤلف رحمه الله على استعمال و توظيف كل المعاني الدلالية التي دلت عليها الكلمة في اللغة . واعتناؤه بهذا الباب كثيرٌ جدًّا في تفسيره.

ب- تناول النحو و الصرف :

خصص المؤلف القاعدة السادسة و العشرين لهذا المجال في اللغة فقال : [**حول ضرورة ملاحظة قواعد اللغة العربية ومفاهيم الصيغ الصرفية. ولزوم البحث عن سر مخالفة الإعراب لمقتضى الظاهر**] ³ ، وقد بين رحمه الله ضرورة ضبط المتدبر لكتاب الله لقواعد اللغة العربية نحوها و صرفها ، لأنَّ القرآن الكريم نزل على سنن العرب في الكلام ، ولا يتم له وجهٌ صحيحٌ لفهم النصِّ القرآني إلاَّ بإدراك سليم لقواعد النحو و الصرف ، فلا تكفي المعرفة المعجمية وحدها لفهم الكلام العربي .

قال رحمه الله : " بين معنى النصِّ وقواعد اللغة العربية، نحوها و صرفها، ارتباطٌ يمثل ركنا أساسيا من بناء الكلام العربي ، فالجملة العربية بناء كلامي يعتمد على أركان ، **الركن الأول** : مادّة الكلمة وما تدلُّ عليه من معنى بحسب الاستعمال العربي لها ، ومرجع هذا معاجم اللغة ، و استعمالات العرب في نثرهم و شِعْرهم ، **و الركن الثاني** :

1 - معارج التفكير ودقائق التدبُّر : عبد الرحمن الميداني، 2/325 .

2 - نفسه : 2/325 .

3 - قواعد التدبُّر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 551 .

صيغة الكلمة وما تدلّ عليه الصيغة من دلالات خاصّة زائدة على المعنى العام الذي تدلّ عليه مادة الكلمة . . و المرجع لمعرفة دلالات الصيغ علم الصّرف و بعض قواعد النحو ، فعلى دارس أي نص عربي لاسيما كتاب الله عز وجل أن يكون خبيراً بدلالات الصيغ المختلفة لمادّة الكلمة العربية ، لأنّ الفهم الصحيح للنصّ مرتبط بمعرفة ذلك . . **و الركن الثالث :** **تركيب الكلام العربي القائم على التقديم و التأخير ،** فإنّ كثيراً من دلالات الجملة العربية تستفاد من تقديم بعض عناصرها أو تأخيرها . . **و الركن الرابع الإعراب القائم على تغيير الحركات أو ما ينوب في أواخر الكلمة العربية .** و المرجع لمعرفة قواعد إعراب الكلمة العربية إنما هو علم النحو ¹.

و المواضيع التي اهتم فيها رحمه الله بالنحو و الإعراب أكثر من أن تحصر ².

ت- تناول البلاغة :

البلاغة تهتم بمعنى المادة في الكلمة المفردة ، وبمعنى صيغتها ، وبالمعاني التي تنشأ من حركات تركيب الكلمات ومواقع الكلمات في الجمل ، وبالمعاني التي تتأثر دلالة ألفاظها بالسياق ، وبكيفية دلالتها من حقيقة ومجاز وكناية وتعريض وتنظيم للكلام على ما يقتضيه العقل ، وبأثر أصوات الحروف في نفس السامع ، وبالجملة فعلم البلاغة يهتم بكل ما يُبلِّغ به المتكلم قلب السامع بالمعنى المراد إقناعاً وتأثراً بحيث يوافق ما تقتضيه حال المخاطب

ومن أظهر صور الاعتناء لدى المؤلف رحمه الله بعلوم اللغة العربية اهتمامه بالجوانب البلاغية في الآيات و السور ، وكثيراً ما يجعل لوجوه البلاغة في السورة ملحفاً في آخر

1 - نفسه .
2 - معارج التفكير ودقائق التدبّر : عبد الرحمن الميداني، 1 / 518 ، 562 ، 611 ، 635 ، 672 ، 673 ، 678 ، 680 . 2 / 30 ، 78 ، 79 ، 111 ، 113 ، 125 ، 154 ، 223 ، 309 ، 438 ، 440 . 3 / 96 ، 482 ، 487 ، 490 ، 502 ، 513 ، 520 ، 597 . 4 / 79 ، 80 ، 126 ، 146 ، 158 ، 345 ، 413 ، 421 ، 438 ، 441 ، 460 ، 461 ، 485 .

تفسير تلك السورة¹، ولا يتركُ فَنًّا من فنون البلاغة إلا و يوردُ له شياهدًا من القرآن الكريم²، مما يدل على تضلعه رحمه الله و تمكنه في هذا الفن .

و يكفي في إثبات عِظَمِ اعتنائه بالبلاغة تلك القواعد التدبيريّة البلاغيّة التي وضعها في كتابه (**قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله عز وجل**) ، و سار على تطبيقها في كتابه (**معارج التفكير و دقائق التدبّر**) ، و من هذه القواعد :

القاعدة الثالثة " **حول أوجه النص التي يهدف إليها** "³ ، و هي تدورُ في جملة ما تدورُ حول دلالة الخطاب القرآني ، و الذي منه تحقيق الغرض البياني للمخاطبين ، بالإضافة إلى تحقيق الغرض التعليمي و التربوي ، و في هذا يقول المؤلف رحمه الله : " من الخير لمتدبّر كلام الله أن يتفكر فيما يمكنُ أن يشتمل عليه النصّ القرآني من أوجه ، و ما يهدف إليه كلُّ وجهٍ منها من أغراضٍ بيانيّة و تربويّة و تعليميّة "⁴.

و القاعدة الثانية عشرة " **حول لزوم فهم الآية وفق ترتيب نظمها** "⁵ ، و كذلك القاعدة الرابعة عشرة " **حول اقتضاءات النص و لوازمه و روابطه الفكرية، و محاذيفه التي حذفَت للإيجاز و التضمينات التي**

1 - من ذلك : ملحق مستخرجات بلاغيّة من سورة إبراهيم 14/90 ، ملحق مستخرجات بلاغيّة من سورة المؤمنون 14/511 ، ملحق مستخرجات بلاغيّة من سورة السجدة 14/562 ، و كذلك ملحق مستخرجات بلاغيّة من سورة الطور 14/603 ، ملحق مستخرجات بلاغيّة من سورة الملك 14/641 ، ملحق مستخرجات بلاغيّة من سورة الحاقة 14/670 ، ملحق مستخرجات بلاغيّة من سورة المعارج (14/702) .

2 - **معارج التفكير و دقائق التدبّر** : عبد الرحمن الميداني، 1 / 42 ، 43 ، 45 ، 184 ، 249 ، 267 ، 298 ، 315 ، 338 ، 421 ، 505 ، 529 ، 550 ، 600 ، 618 ، 644 ، 658 ، 697 . 2 / 122 ، 126 ، 149 ، 171 ، 175 ، 251 ، 255 ، 260 ، 311 ، 331 ، 420 ، 454 ، 505 ، 522 ، 620 . 3 / 33 ، 45 ، 95 ، 100 ، 142 ، 144 ، 211 ، 217 ، 237 ، 259 ، 266 ، 286 ، 441 . 4 / 61 ، 80 ، 87 ، 112 ، 129 ، 141 ، 213 ، 289 ، 354 ، 407 ، 457 ، 532 ، 595 ، 605 ، 632 ،

3 - **قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله** : عبد الرحمن الميداني ، ص 45 .

4 - **قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله** : عبد الرحمن الميداني ، ص 45 .

5 - **نفسه** : ص 207 .

يضمنها ¹ . هذه القاعدة سماها المؤلف ب (**العمق القرآني**) ، وهي من أطول القواعد في الكتاب ، فقد تطلبت خمسة وأربعين صفحة ، تحدث فيها رحمه الله عن مقتضيات النص والإيجاز وحقائقه البلاغية وما يترتب عن ذلك كله من تدبر عميق يفضي إلى استفادة دلالات دقيقة، ومعاني عميقة .
و كذلك القاعدة الخامسة عشرة " **حول التكرير وأغراضه** " ² ، حيثُ درس فيها فوائد جمّة من بينها تحقيق الجوانب البلاغية في النص بالتوزيع ، إذ تُعرضُ الفكرة الواحدة بصور بلاغية رائعة مختلفة ، مع مطابقة مقتضى الحال في كل منها .

و من القواعد البلاغيّة أيضًا القاعدةُ الحادية و العشرون " **حول النظر في ملاءمة الأسلوب البياني للهدف منه** " ³ ، كما قال رحمه الله : " على متدبّر كلام الله أن يُمعنَ النَّظَرَ في ملاءمة الأسلوب البياني للهدف منه ، فلكلّ هدف من أهداف الكلام أساليب تلائمه و تناسبه ، بينما لا تلائمه أساليب أخرى قد تكون صالحةً لتحقيق هدف غيره " ⁴ .
و من أوضح هذه القواعد في الاعتناء بالجانب البلاغي القاعدةُ الثانية و العشرون " **حول البحث عن الوجوه البلاغية والغرض الفكري من الصور البلاغية في القرآن المحيد** " ⁵ . وهي التي قال فيها المؤلف رحمه الله : " على متدبّر كتاب الله أن يبحثَ عن الوجوه البلاغيّة التي اشتمل عليها أيّ نصٌّ من نصوصه ، و أن يمعنَ النظر لاستجلاء الغرض الفكري من الصورة البلاغيّة التي يكتشفها ، فليس المهم الإشارة إلى الصورة البلاغيّة البديعة فقط ؛ بل ينبغي أيضًا استجلاء الغرض الفكري من استخدامها مع غرض الإبداع البلاغي و الإعجاز البياني " ⁶ ، و بموجبها سجّل رحمه الله في

1 - نفسه : ص 239 .

2 - نفسه : ص 307 .

3 - نفسه : ص 499 .

4 - نفسه .

5 - نفسه : ص 503 .

6 - قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 503 .

نهاية كل سورة ملحقًا للفوائد البلاغية الموجودة فيها و التي ترجع للمعاني و البيان و البديع¹ و كذلك نجد القاعدة الثالثة و العشرين التي قال فيها : " **حول الاستغناء في الأداء البياني بتعبيرات مختلفات موزعات على الأشباه والنظائر للدلالة على التكامل البياني فيما بينها وطرده استعمالها في سائرها**"² ، و كذلك القاعدة الرابعة و العشرين " **حول التنوع في أساليب الأداء البياني**"³ ، و القاعدة الخامسة و العشرين " **حول البحث عن أغراض الاختلاف في التعبير في مختلف النصوص**"⁴ . و غيرها مما فضلناه نظريًا في القسم النظري و نذكر تطبيق المؤلف له في الفصل القادم إن شاء الله⁵ .

2- منهج المؤلف في تناول مباحث العقيدة⁶ :

تفسير المؤلف شامل للقرآن المكي بأكمله، والقرآن المكي يعالج قضايا العقيدة بمختلف فروعها ، والاهتمام ببناء كليات العقيدة و تصحيحها في نفوس المخاطبين هو المقصود الأول للدعوة المكيّة، إذ لا يمكن مخاطبة الناس بالأحكام و الشرائع قبل تهيئة نفوسهم وعقولهم بالمبادئ العقدية الصحيحة .

1 - انظر مثلاً : معارج التفكير ودقائق التدبر : عبد الرحمن الميداني، 1 / 530 ، 619 / 2 . 260 ، 331 / 3 . 142 / 5 ، 81 / 84 ، 253 / 7 ، 259 ، 260 ، 263 / 8 . 525 ، 535 / 9 . 221 ، 223 / 10 . 681 ، 11 / 500 ، 501 ، 509 ، 12 / 547 ، 792 .

2 - قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 515 .

3 - نفسه : ص 529 .

4 - نفسه : ص 535 .

5 - انظر : منهج عبد الرحمن حبنكة الميداني في التفسير : نادي حسن علي صبرا ، ص 168 وما بعدها .

6 - انظر للتوسع في هذا المجال : عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني و آراؤه في العقيدة الإسلامية عرض و نقد (رسالة ماجستير غير مطبوعة) : مازن عطية ابراهيم مسالمة - إشراف أ د حافظ محمد حيدر الجعبري - كلية الدراسات العليا - جامعة الخليل - فلسطين - 2013 م ، منزلة على موقع أهل التفسير . وهي رسالة تعطي للقارئ تصوّرًا دقيقًا حول آراء الشيخ في العقيدة ولكن من خلال كتابه (العقيدة الإسلامية و أسسها) ارتكازًا ، بخلاف دراستنا فهي مقتصرة منهجيًا على كتابيه (قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله) و (معارج التفكير و دقائق التدبر) .

ولهذا اعتنى المؤلف رحمه الله في تفسيره بهذا الجانب
اعتناء خاصاً متميزاً من خلال إبراز هذا الجانب كثيراً في
الدروس التدبرية ، و التركيز على بيان الموضوعات العقيدية
وتصحيح المفاهيم و التصورات حولها .

ثم إنَّ المؤلف رحمه الله ممن كتبَ في العقيدة السلامية
، وله فيها كتابٌ كبيرٌ متميزٌ مشهورٌ عنوانه " العقيدة
الإسلامية و أسسها " ، طبعه للمرَّة الأولى في دمشق سنة
1966م ، وكان قد أعدَّهُ كما قال لطلاب المرحلة الثانوية من
المدارس الشرعيَّة في سوريا ، و قام بتدريسه لطلاب الثانوية
الشرعيَّة في دمشق عندما كان مدرِّسًا فيها ، خلال الأعوام
1381هـ إلى 1385هـ¹ .

وهذا يُظهر لنا مدى اعتناء الشيخ بهذا المجال إلهامًا و
تدريسًا . و لذلك ظهر في كتاب " معارج التفكير " ما يدلُّ
على اعتنائه بمسائل العقيدة الإسلامية أيضًا ، مما هو موافقٌ
لاختياره في الكتاب الذي ألفه . وقد نصَّ رحمه الله على
اختياره في كتابه (العقيدة الإسلامية و أسسها) فقال : " **أهل السنة والجماعة بشكل عام**، وطريقة السلف هي
الطريقة التي رأيتها أقرب لسلامة الفطرة و صفاء الفكرة،
وبعدها عن التعقيدات الفلسفية المتشعبة التي تكثر متهاتها و
كبواتها " ² .

وقوله رحمه الله (**مذهب أهل السنة والجماعة
بشكل عام**) يشرحه في كتابه فيقول بعد ذكره للاتجاه
الأول المنحرف : " .. **الثاني** : وهو احتمال مقبولٌ عقيدَّة
وعقلا، وهو أن هذه النصوص مستعملة على وجه الحقيقة
وفق دلالة لغوية تليق بجلال الله لا تشبيه فيها ولا تجسيم،
وفق معنى أعلى يليق بالخالق، ومعنى أدنى يناسب المخلوق،
**وهذا مذهب نصره ابن تيمية وابن القيم ومن
تبعهما، وهي طريقة المحدثين وكثير من أهل السنة
والجماعة، وهو الأحق بأن يستمسك به . الثالث** : وهو

1 - **العقيدة الإسلامية و أسسها** : عبد الرحمن الميداني - دمشق ، سوريا

- دار القلم - ط 12 - 1425هـ ، ص 9 .

2 - **نفسه** : ص 6 .

أن هذه النصوص مستعملة على وجه الحقيقة استعمالاً شرعياً في معان تليق بجلال الله وفق اصطلاح شرعيٍّ، أي إن لله صفات خاصة مثل (اليد) ، حملاً للنص على ما ورد فيه دون تأويل، ولكن مع نفي المعنى الذي يتبادر لأذهان الناس مما لا يليق أن يكون صفة للخالق سبحانه، فهي ليست مستعملة للدلالة على المعاني التي تدلُّ عليها أوضاعها اللغوية، وهذا الاحتمال قال به كثير من أئمة أهل السنة والجماعة، وهو ظاهر ما نقل عن الصحابة والتابعين وأتباعهم، وهي الطريقة الأسلم لأنها تعتمد على تفويض المعنى إلى الله والتسليم له دون تأويل .

الرابع: وهو تأويل النصوص لمعان تحتملها بوجه من وجوه المجاز المعروفة، وذلك كتأويل اليد بالقدرة وبشبه ذلك، وهذا الاحتمال غير مرفوض إذا كان المعنى الذي أولَّ إليه اللفظ موافقاً لأصول العقيدة الإسلامية وهو ما عليه كثير من خلف أهل السنة والجماعة، وتسمى هذه بطريقة التأويل لمعنى يحتمله اللفظ وفق أصول اللغة واستعمالاتها، وهي طريقة تجعل النصوص تدلُّ على معان مقبولة في مفاهيم الناس وتصوراتهم عن صفات الله، وليس من موجب لتضليل أصحاب هذه الطريقة على اعتبار أن فيها تعطيلاً لصفات أثبتتها الشرع فإن حمل النص على بعض احتمالاته المقبولة شرعاً وفق أصول اللغة مسلك لا تعطيل فيه، مع ملاحظة أن كباراً من علماء الأمة هم مراجع المسلمين في علوم الفقه والتفسير والحديث قد أخذوا بهذه الطريقة " 1 .

و يمكن أن أوضح شيئاً من هذا في مايلي :

أ- تناول مسائل الاعتقاد بشكل عام :

فقد تناول المؤلف رحمه الله مسائل الاعتقاد بشكل عام ، واعتنى بتقريرها وهو يفسر كتاب الله تعالى ، ومن ذلك وفي بدايته التأكيد بأن العقيدة هي الأساس الأول في بناء الإنسان : قال رحمه الله : " لما كان للفكرة هذا الأثر العظيم في وجود الإنسان وحياته؛ كانت الأسس الفكرية في حياته - التي تمثل عقائده- أول ما يجب العناية به عناية بالغة النهاية، لأن

كل تصرف من تصرفاته سيصبح أدنى إلى كمال السلامة، متى انضبطت هذه الأسس في نفسه وبنيت على الحق " 1 .

وهو ما أشار إليه رحمه الله في (معارج التفكير) ، كما في تفسير قول الله تعالى : [إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ] (يونس : الآية 3) قال بما يفيد تصحيح القاعدة الإيمانية العقدية : " يعلمنا ربنا جلّ جلاله أسلوب العودة إلى الإقناع بأركان القاعدة الإيمانية في الدين، لدى دعوة المشركين، أو الكافرين ببعض صفات رب العالمين ولوازمها الفكرية، فأمّنوا بأفكار باطلة والتزموا بلوازمها في السلوك، فهذا هو المنهج السليم في الإقناع بالحق، والحوار المجدي والمجادلة التي هي أحسن، أما الحوار والمجادلة بالفروع قبل تصحيح القاعدة الإيمانية ولوازمها الفكرية والسلوكية فعملٌ غير ذي جدوى، وربما يكون ضرره أكثر من نفعه " 2 .

و أيضًا تحدّث المؤلف رحمه الله في تفسيره عن لفظ الجلالة (الله) 3 ، و بيّن معنى الربوبية 4 ، و ردّ على من يقول بأنّ جميع المشركين مؤمنون بتوحيد الربوبية 5 ، و بيّن أن الإقرار بتوحيد الربوبية يستلزم الإقرار بتوحيد الألوهية 6 ، و يفرّق رحمه الله في اللغة بين الألوهية و الإلهية بأنّ الأولى صفة للعباد و الثانية صفة للمعبود 7 ، و تحدّث عن أسماء الله الحسنی و بيّن أنها غير محصورة في تسعة و تسعين 8 ، و بيّن منهج التعامل مع الصفات الإلهية 9 ، و تحدّث عن عصمة الأنبياء و الرسل عليهم السلام 10 ، و بيّن مفهوم الغيب 11 ، و

-
- 1 - نفسه : ص 8 .
 - 2 - معارج التفكير و دقائق التدبر : عبد الرحمن الميداني ، 10/37 .
 - 3 - نفسه : 1 / 19 .
 - 4 - نفسه : 1 / 45 .
 - 5 - نفسه : 7 / 292 .
 - 6 - نفسه : 7 / 328 .
 - 7 - نفسه : 7 / 291 ، 312 .
 - 8 - نفسه : 1 / 42 .
 - 9 - نفسه : 12 / 585 .
 - 10 - نفسه : 2 / 103 .
 - 11 - نفسه : 5 / 636 .

أسلوب القرآن في عرض الغيبيات¹ ، و تعرّض إلى تعريف الوحي وأنواعه² ، و عرّف بالملائكة عليهم السلام³ و خصائصهم و وظائفهم ، و تكلم عن الجن في بداية تفسير سورة الجن⁴ ، و السحر و تأثيره و أنواعه و المس و حقيقته⁵ ، و العين و حقيقتها⁶ ، و غير ذلك من مباحث و مسائل الغيبيات و الاعتقاد .

ب- منهجه في تناول الأسماء و الصفات :

نظرًا لأهميّة هذا الباب و اهتمام الباحثين به ؛ أفردته بفرع خاص من بين سائر مسائل و أبواب الاعتقاد . و المتتبع لمنهج المؤلف في هذا الباب يكادُ يلمسُ تعدّد آراء الشيخ في تناوله لباب الأسماء و الصفات الإلهية بحسب ما أشار إليه في كتابه (العقيدة الإسلامية و أسسها) في المسالك المقبولة ، فتارةً تجدهُ يسلكُ مسلكَ التأويل ، وتارةً تجدهُ يسلكُ مسلكَ التفويض و التسليم، وتارةً يُجري الألفاظَ على ظاهرها دون تأويل :

الأوّل : مسلك التأويل :

المؤلفُ رحمه الله نصّ في كتابه " العقيدة الإسلامية و أسسها " على قبول هذا المبدأ في التعامل مع نصوص الأسماء و الصفات فقال : " وهذا الاحتمال احتمالٌ غيرُ مرفوض ، إذا كان المعنى الذي أوّل إليه اللفظ موافقًا لأصول العقيدة الإسلامية ، وقد جرى على هذا الاحتمال كثيرٌ من خَلفِ أهل السنّة و الجماعة ، وهي طريقةٌ تجعلُ النصوص تدلّ على معانٍ مقبولة في مفاهيم الناس و تصوّراتهم عن صفات الله ، التي هي منزّهةٌ عن الجسميّة و الحدوث و مشابهة الحوادث "⁷ .

فبيّن رحمه الله في هذا النصّ قَبُولَهُ لمذهب الخَلفِ من أهل السنّة و الجماعة في التأويل الموافق لأصول الاعتقاد

- 1 - نفسه : 260/ 3 .
- 2 - نفسه : 564/ 5 .
- 3 - نفسه : 29 ، 28/ 7 .
- 4 - معارج التفكير و دقائق التدبر : عبد الرحمن الميداني ، 520/ 5 .
- 5 - نفسه : 68 ، 66 ، 63/ 2 .
- 6 - نفسه : 35 / 2 .
- 7 - العقيدة الإسلامية و أسسها : عبد الرحمن الميداني ، ص 251 .

السليم ، و أنه ليسَ من الخطأ و لا من الضلال ، بل صرَّح بهذا فقال : " و ليسَ من موجِب لتضليل أصحاب هذه الطريقة على اعتبار أن فيها تعطيلاً لصفات أثبتها الشرع في نصوصه الصحيحة " ¹ .

وهذا الذي قبله ولم يُنكره طَبَقَهُ في تفسيره (معارج التفكير) ، ومن ذلك تأويله للفظِ (أَعَيْنَا) في قوله تعالى : [وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ] (الطور : الآية 48) . قال رحمه الله : " بالحفظِ و الرعاية و الحماية و المراقبة التامة " ² .

وكذلك تأويله لقوله تعالى : [وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي] (طه : من الآية 39) ، قال : " أي و قدَّرتُ و قضيتُ إيصالك إلى آل فرعون و إلقاء محبتك في قلوبهم لتنشأ في القصر الفرعوني إنشأً خاصاً ، تُصنع فيه صُنْعاً راقياً بعنايتي بك و حمايتي و رعايتي لك . [عَلَى عَيْنِي] أي على المكان المحاط بعنايتي بك ، و حمايتي و رعايتي لك . أطلق لفظ العين و أريدَ به بالغ العناية ، لأنَّ العين بها تكون الرؤية و المراقبة ، فيكون موسى على المواضع التي تشملها و تحيط بها عناية الله القائمة له ، كدوام رؤية الله لكلِّ ما يمكن عقلاً رؤيته في الوجود كله " ³ .

وهو نفس ما فعله عند تأويله لقوله تعالى : [كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ] (القصص : من الآية 88) ، قال رحمه الله : " أطلق لفظ الوجه ، و المراد به ذاته تبارك و تعالى ، مراعاة لما يفهمه المخلوقون ، من إطلاق أكرم شيءٍ فيهم - وهو الوجه - على كل ذواتهم في استعمالاتهم ، وهو من إطلاق البعض و إرادة الكل على سبيل المجاز المرسل " ⁴ .
فهذا الذي ذهب إليه هو مذهب الأشاعرة ، ولا يَعْتَبِرُ هذا المذهب في التأويل ضلالاً ولا تعطيلاً للصفات ، و إنما يرى أنها طريقة تجعل النصوص تدلُّ على معان مقبولة في مفاهيم

1 - نفسه : ص 252 .

2 - معارج التفكير و دقائق التدبر : عبد الرحمن الميداني ، 3/369 .

3 - نفسه : 8/93 .

4 - نفسه : 9/494 . وانظر 4/ 265 . 12/259 .

الناس و تصوّراتهم عن صفات الله ،التي هي منزّهة عن الجسميّة و الحدوث و مشابهة الحوادث .

الثاني : مسلك الإثبات مع التفويض و التسليم في الأسماء و الصفات :

بالإضافة إلى مسلك التأويل نجد المؤلف رحمه الله يجنح في بعض الأحيان إلى الإثبات مع التفويض و التسليم دون تأويل ، من ذلك :

عند تفسيره لآية الاستواء على العرش ، في قوله تعالى :
[**إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ**] (الأعراف : من الآية 54) قال رحمه الله : " و قد وصف الله نفسه بأثّه استوى على العرش ، و قد كان الله قبل أن يخلق الخلق ولم يكن شيء معه ، و وصف نفسه بأثّه استوى إلى السماء فسوّاهنّ سبع سموات ، استواء وصف الله به نفسه ، فنحنُ ثبتته ضمن حدود ما أثبتته لنفسه جل جلاله و عظم سلطانه ، و نقول : هو استواءٌ يليق بذاته سبحانه عما وصفه به الواصفون ، ضمن مدركاتهم المحدودات الضئيلات التي لا تصلُ إلى إدراك ذاته ، إذ لا تُدرِكُهُ الأبصار وهو يُدرِكُ الأبصار ، وهو اللطيف الخبير . . . و أحسنُ بيان حول الاستواء الذي وصف الله عز وجل به نفسه ما قاله الإمام مالك رحمه الله (الكيفُ غير معقول ، و الاستواء غير مجهول ، و الإيمان به واجب ، و السؤال عنه بدعة) " ¹ .

وهو نفس ما قام به مع صفة اليد و اليدين و الأيدي :
عند تفسير قوله تعالى : [**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِنَّمَا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ**] (يس : الآية 71) قال رحمه الله : " ذكر الله في هذا النص عبارة [**أَيْدِينَا**] مبيّنًا أنّهُ خلق الأنعام بها ، و أبان جل جلاله أنّهُ خلق آدم بيديه ، و أبان جل جلاله أنّ الذين يبايعون الرسول صلى الله عليه و سلم قد كانت (**يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ**) ، و أبان جل جلاله أنّ يديه مبسوطتان ينفق بهما كيف يشاء ، ردّا على اليهود الذين قالوا [**يَدُ اللَّهِ مَعْلُومَةٌ غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا**] بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ] (المائدة : من الآية 64) فنسب الله عز وجل إلى

نفسه في هذه النصوص : الأيدي ، و اليدين ، و اليد ، ورأي السلف في مثل هذه الصفات المنسوبة إلى الله عز وجل قد لخصه الإمام مالك رحمه الله الكيف غير معقول ، و الاستواء غير مجهول ، و الإيمان به واجب ، و السؤال عنه بدعة " ¹ .

الثالث : مسلك إجراء الصفات على ظاهرها دون تأويل :

من ذلك قوله رحمه الله في تفسير قول الله تعالى : [**يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ**] (القلم : الآية 42) : " في هذا الاختبار يكشف الله عز وجل عن ساقه ، ويدعى أهل الموقف للسجود ، فيسجد كل مؤمن ومؤمنة ، أما المنافقون فلا يستطيعون السجود لربهم يومئذ ، إذ يكون ظهر كل واحد منهم طبقاً واحداً " ² .

و قد أورد رحمه الله رواية ابن جرير الطبري بتفسير الساق بالنور العظيم ، وذكر ما قاله ابن كثير و أن في تلك الرواية رجلاً متهماً ، ثم قرّر الإجراء على الظاهر بناء على نص حديثي ثابت فقال : " و بيان الساق جاء في الحديث الأنف الذكر عند البخاري و مسلم ³ عن أبي سعيد الخدري ، ولا داعي إلى تأويلات ذكرها المفسرون ، فالحديث صحيح صريح " ⁴ .

فالملاحظ أنه رحمه الله أثبت الصفة اعتماداً على النص الحديثي ، و تركها على ظاهرها من غير تأويلها بشدة الهول وعظم الأمر ⁵ .

و عند تفسيره لقوله تعالى : [**سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى**] (الأعلى : الآية 1) قال رحمه الله : " للثناء على الله بأنه هو الأعلى من كل ذي علو في الوجود " ⁶ . أي في الشأن و القهر

1 - نفسه : 208 / 6 باختصار .

2 - نفسه : 256-255 / 1 .

3 - روى البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : " يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ، فيبقى كل من كان يسجد في الدنيا رياء و سُمعةً فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً " رواه البخاري - كتاب تفسير القرآن - باب يوم يكشف عن ساق - رقم 4919 .

4 - معارج التفكير و دقائق التدبير : عبد الرحمن الميداني ، 1 / 256 .

5 - وما ذكره هنا في تفسيره مخالف لما ذكره في كتابه : " العقيدة الإسلامية و أسسها " ، ص 246-252 .

6 - معارج التفكير و دقائق التدبير : عبد الرحمن الميداني ، 1 / 445 .

و الفوقية ، بدليل قوله رحمه الله : " وهو سبحانه المتصف بالفوقية المطلقة فهو العلي الأعلى " ¹ ، وربما قصد بها علو المكان ² ، و الله تعالى أعلم .

و كذلك قوله في تفسير المجيء عند شرح قول الله تعالى : [وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًا صَفًا] (الفجر: الآية 22) : " أي جاء ربُّكَ الله الخالق البارئ المصوِّر المهيمَن بصفات ربوبيته مجيئًا يليقُ بجلاله و عظيم سلطانه " ³ . فهاهنا أيضًا مال رحمه الله إلى إبقاء دلالة الآية على ظاهرها دون تأويل . ولا يفوتني أن أنبه إلى بعض هفوات أرى أنه ما كان للمؤلف رحمه الله أن يأتي بها لأنها لا تليقُ بكمال الله تعالى : منها استعمال لفظي (خطّة و برنامج) في حق الله تعالى :

قال رحمه الله : " فمن تدبّر في حكمة الله الخالق المربِّ المبدع الحكيم ظهر له أنّ مُقدَّرَ اليوم الجاري . . لا بُدَّ أن يكون قد وضع في خطته و برنامجه خلقَ يومٍ آخرٍ بحاسب فيه ، و يقضي فيه بين عباده ، و يجزيهم بحسب أعمالهم " ⁴

وهو ما كرّره في موضع آخر فقال : " لا بدّ أن يكون الخالق الحكيم قد أعدّ في خطته ظروف حياة أخرى غير هذه الحياة الدنيا " ⁵ . بل و يكرّره في مواضع كثيرة جدًا ⁶ .

فهذا اللفظ لا يجوزُ التعبيرُ به في حقّ الله تعالى ، لأنّ الله تعالى يعلمُ ما كان و ما هو كائنٌ و ما سيكونُ و يقول للشّيء كن فيكون ، و الخطّة لفظ فيه إيحاءٌ بنقصٍ و احتياجٍ و اعتماد لا يليقُ بكمال الله تعالى و عظيم علمه و قدرته، فترك هذين

-
- 1 - نفسه : 59 / 4 .
 - 2 - و انظر : معارج التفكير و دقائق التدبر : 268 / 11 .
 - 3 - نفسه : 541 / 1 .
 - 4 - معارج التفكير و دقائق التدبر : عبد الرحمن الميداني ، 354/ 2 .
 - 5 - نفسه : 548 / 3 .
 - 6 - نفسه : 2 / 397 ، 399 ، 413 ، 418 ، 516 ، 519 ، 547 ، 551 ، 570 ، 572 ، 575 ، 577 ، 581 ، 583 . 3 / 28 ، 29 ، 32 ، 212 ، 216 ، 271 ، 272 ، 289 ، 551 ، 619 ، 675 ، 717 . 4 / 134 ، 146 ، 161 ، 275 ، 277 ، 374 ، 564 ، 617 .

اللفظين من وجهة نظري واجبٌ في وصف أفعال الله جل جلاله ، و الله تعالى أعلم .

ومنها قوله رحمه الله في تفسير قوله تعالى : [تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ] (الأعراف : من الآية 54) : " أي تنامى و تزايد و تعاظمَ الله ربَّ العالمين ، في ذاته و في صفاته عن كل تصورات كل خلقه " ¹.

فهذا التعبيرُ يظهرُ أنَّه خطأً في حق الله تعالى ، حتى و إن كان أصل البركة في اللغة العربية الزيادة و النماء ، و إنما لا يصحُّ شرعاً إطلاق تنامى و تزايد عليه سبحانه ، لأنَّ البركة تدلُّ حقيقتها على حصول الزيادة بعد ثبوت النقصان في الشيء ، والله تعالى له الكمال المطلق من كل وجه ، بخلاف إطلاق وصف تعاظمَ و جلَّ و تقدَّسَ و تعالى و تنزَّه ، فهو أسلم ، و الله تعالى أعلم .

3- منهج المؤلف في تناول علوم القرآن :

المؤلف رحمه الله الله أظهرَ عنايةً منهجيةً خاصَّةً بعلوم القرآن باعتبارها نقطة ارتكاز في الدرس التفسيري التدبيري لكتاب الله تعالى لا يمكن الاستغناء عنها، ويمكن الإشارة إلى أهم مفردات هذه العناية فيما يلي :

أ- علم ترتيب نزول السور القرآنية :

و المقصود به ترتيب السور فيما بينها نزولاً و الاستنباطُ من ذلك ، و اعتناء المؤلف بهذا الجانب واضحٌ جدًّا ، فقد اختار ترتيب النزول منهجًا له في تفسير كتاب الله عزَّ وجل .

قال رحمه الله : " الذي ترجَّحَ لِدِيَّ فيه أن أتابع تدبُّر السور على ما ذكر العلماءُ بعلوم القرآن الكريم ، من ترتيب نزولها ، لا على وفق ترتيبها الاجتهادي في المصاحف ، التزامًا بترتيب المصحف الذي وُزِّعتْ نُسخُ منه على معظم أمصار المسلمين في عهد عثمان رضي الله عنه . و قد رأيت بالتدبر الميداني للسور ، أنَّ ما ذكره المختصُّون بعلوم القرآن الكريم من ترتيب نزول ، هو في معظمه حق ، أخذًا من تسلسل البناء المعرفي المتكامل ، وتسلسل التكامل التربوي ، و اكتشفتُ في هذا التدبُّر أمورًا جليلاً تتعلق بحركة البناء

المعرفي لأمر المدّين و حركة المعالجات التربوية الربّانية الشاملة للرسول صلى الله عليه و سلم و للذين آمنوا به و اتبعوه ، و للذين لم يستجيبوا لدعوة الرسول متريّين أو مكذّبين كافرين " ¹ .

فالمؤلف رحمه الله اعتمد هذا الترتيب في إقامة تفسيره كما رأينا قبل ، و التزم الإشارة في تفسيره إلى موقع كل سورة و تاريخ نزولها بشكل منظم مع المتي قبلها و بعدها ، ووضع جدولاً سار عليه في الترتيب ² .

بالإضافة إلى استنباطه من ترتيب النزول القرآني بشكل واضح بين :

من ذلك قوله رحمه الله : " و كان أوّل ما نزلَ بشأن أحكام التحريم و التحليل الجاهليّة في القرآن المجيد ، قول الله عز وجل في سورة (الأعراف/ 7/ مصحف/ 39/ نزول) خطاباً لرسوله ، و يُلْحَقُ بِهِ كُلُّ دَاعٍ إِلَى اللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ : [قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (32)] ، وقد سبق تدبّر هذا النصّ في مكانه من سورة (الأعراف) . ثمّ أنزل الله عز وجل الآيتين (59 و 60) من سورة (يونس/ 51/ نزول) التي نتدبّرهما . ثمّ أنزل الله عز وجل الآيات من (138-140) من سورة (الأنعام/ 6/ مصحف/ 55/ نزول) وقد جاء فيها بعض تفصيل لأحكام الجاهليّة في تحريم بعض الأنعام و بعض الحرث ، ضمن صفات و حدود افترائيّة حدّودها ، وزعموا أنّها أحكام ربّانيّة تعبدية افتراءً على الله . ثمّ أنزل الله عز وجل في سورة (المائدة/ 5/ مصحف/ 112/ نزول) الآية (103) و فيها ذكر تفصيلي للأنعام التي حرّمها أهل الجاهليّة ، فجاء ذكر البحيرة و السائبة و الوصيلة و الحامي ، وأقتصر هنا على تدبّر ما جاء في سورة (يونس) الجاري تدبّرهما على ما يفتح الله

"³

1 - معارج التفكير و دقائق التدبر : عبد الرحمن الميداني ، 1/6 .

2 - قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله عز وجل : عبد الرحمن الميداني، ص 178 .

3 - معارج التفكير و دقائق التدبر : عبد الرحمن الميداني ، 164/10-165 .

ومن تلك العناية أيضًا ما ذكره رحمه الله في شرحه التدرّبي التحليلي للدرس الرابع من دروس سورة (هود) لقوله تعالى : [فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَصَائِقُ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (12) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنْ اسْتَلْعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (13) قَالِمٌ يَسْتَحْيِيوْا لَكُمْ فَاعْلَمُوا إِنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ] (هود : الآية 12-14) ، قال رحمه الله : " هذا المدرسُ موصولٌ بما سبق أن نزل قبل سورة (هود) من سور ، بشأن القرآن و حال الرسول صلى الله عليه وسلم تجاه مواقف كبراء مشركي قريش ، من بعض ما أنزل الله فيه مما يخالف شركياتهم و لوازمها في السلوك ، وتجاه مطالبتهم الرسول بمطالب تعنّية ، منها ما يتعلق بتبديل ما يخالف معتقداتهم من آيات القرآن ، ومنها ما يتعلق بخوارق ماديّة ، أو إنزال كنز عليه بأية خارقة ، أو بعث ملكٍ مُصاحبٍ له يشهدُ له بأنّه رسول ربّ العالمين . فمنها ما جاء في الآيات من (15-17) من سورة (يونس / 51 نزول) . و في الآيتين (37) و (38) منها أيضًا ، و في الآيات من (86-89) من سورة (الإسراء / 50 نزول) و في الآيتين (86) و (87) من سورة (القصص / 49 نزول) إلى سائر ما جاء في السور قبل ذلك " ¹ .

ب- علم المكي و المدني ² :

عنايته ببيان المكي و المدني واضحة في بداية كل سورة ، فهو يشير إلى كونها مكّيّة ، أو ما فيها من آيات مدنيّة إن وُجدت ³ ، يفعل هذا في صفحة مستقلة في بداية كل سورة .

1 - نفسه : 330-10/331 .

2 - و إن كان رحمه الله لم يتعرّض للقرآن المدني لوفاته قبل ذلك ، ولكنه استفتح بسورة البقرة ، و يشير في خلال السور المكّيّة إلى بعض ما فيها من المدني .

3 - السور المكّيّة التي ضُمّت إليها آياتٌ نزلت في المدينة هي (33) ثلاثٌ وثلاثون سورة ، و السور المدنيّة التي ضُمّت إليها آياتٌ نزلت في مكة هي ثلاث سور فقط . انظر قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله عز وجل : عبد الرحمن الميداني ، ص 185 .

ومن الأمثلة: قوله عند سورة الأعراف: [سورة الأعراف
7 مصحف 39 نزول وهي مكية كلها إلا الآيات من 163 وحتى
غاية الآية 170 فمدنية " ¹ .

ومن الأمثلة كذلك قوله عند سورة سبأ: [سورة سبأ 34
مصحف 58 نزول، وهي سورة مكية، وقيل: إلا الآية 6 منها " ²

و قوله عند سورة الزمر : " سورة الزمر 39 مصحف
59 نزول : وهي سورة مكية كلها على الأرجح، وقيل إلا
الآيات 52 ، 53 ، 54 " ³ .

و الأصل هو الأخذ من الروايات الثابتة في تصنيف السورة
، و مع هذا قد لا يبني ترجيحه على الروايات الثابتة و إنما
على الاستنباط الشخصي ، كما ورد في سورة العلق
مثلاً، حيث قال عند سورة العلق: "هي مكية باتفاق، ولا شيء
منها مدني، نزلت بمكة، وقد نزل صدرها من قول الله عز
وجل : [اَفْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ] (العلق : الآية 1) ، حتى
غاية الآية الخامسة منها: [عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ] (العلق :
الآية 5) مع بدء الوحي إلى الرسول حينما كان يتعبد ربه في
غار حراء على الموروث في العرب من ديانة إسماعيل
وإبراهيم عليهما السلام، وهذا من أرجح الآراء الاستنباطية " ⁴

و حينما توجد آيات مدنية في السورة المكية يشير
رحمه الله إليها مع بيان الحكمة من تخللها السورة :
قال رحمه الله في شرحه للآيات (17-33) من سورة
(القلم) و التي جعلها درسًا مستقلًا : " هذا درسٌ مدنيُّ
أضيف إلى سورة (القلم) التي هي من أوائل التنزيل المكي
، للإشعار بأن ما كان إنذارًا من قبل قد تحقّق بعضُهُ فيما بعد
" ⁵ . ثم شرع رحمه الله يفصّل هذا الاقتضاء ، فقال : " ففي
العهد المدني من مسيرة دعوة الرسول صلى الله عليه و

1 - معارج التفكير و دقائق التدبر : عبد الرحمن الميداني ، 4/7 .

2 - نفسه : 5 / 12 .

3 - نفسه : 131 / 12 .

4 - نفسه : 31 / 1 .

5 - معارج التفكير و دقائق التدبر : عبد الرحمن الميداني ، 1/234 .

سلم أخذت الهزائم تتلاحق بمشركي مكة ، الذين كانت لهم من قبل السيادة والسلطان ، و كانوا يعاملون الرسول و الذين آمنوا به و اتبعوه بظلم و قسوة و عدوان .. فسلبهم الله بنصر رسوله و المؤمنين عزهم و مجدهم ومعظم ما كان لهم به دولة و سلطان، و تحولت أنظار العرب و غير العرب إلى المدينة المنورة ، حيث ظهرت دولة الإسلام الدنيية ، بقيادة محمد بن عبد الله الذي كان بين قومه و عشيرته في مكة مضطهدًا . فجاءت عظة الواقع تطبيقًا للإنذار السابق فكان من المناسب إنزال قصة هذا الدرس التاريخية المشابهة لحال كفار مكة بين العهدين المكي و المدني للرسول محمد صلى الله عليه و سلم ، وإضافة هذا الدرس إلى سورة (القلم) الذي أنزل معظمها أيام كان كفار مكة في أوج مجدهم و عزهم و سلطانهم ، و الفرق بين تاريخي تنزيلهما عشر و بضع سنين، **لكن كتاب التربية و الموعظة الربانية كتاب لكل الناس على تعاقب العصور ، فإذا اقتضت حال المعالجين في مرحلة من مراحل تنزيل القرآن عدم إنزال درس من الدروس أحر الله تنزيله ، حتى إذا اقتضت الحكمة تنزيله أنزله الله ، و ضممه مكانه الملائم من تنزيل سابق ، و في الصيغة النهائية الدائمة يُراعى تكامل النص للهدف العام منه** ¹ .

ت- علم أسباب النزول :

المفسر لكتاب الله تعالى و المتدبر في آياته يحتاج إلى معرفة سبب نزول الآية أشد الاحتياج ، ليسير على ضوئه في فهم النص ، إذ ربما لا يمكن معرفة تفسير الآية من دون الوقوف على سبب نزولها، لأن النص القرآني المرتبط بسبب معين للنزول تجئ صياغته وطريقة التعبير فيه على وفق ما يقتضيه ذلك السبب

والمؤلف رحمه الله جعل من العناية بأسباب النزول قاعدةً مستقلة من قواعد التدبر القرآني ، وهي القاعدة الحادية عشرة في كتاب (قواعد التدبر الأمثل في كتاب الله عز وجل) ، فهو يشير إلى شبب النزول في

بداية كل سورة لها سبب نزول ، أو أثناء دروسه التي يشرحها

وقد اختار المؤلف رحمه الله أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، و طَبَّقَ هذا الأمر في تفسيره و المتزمه التزامًا واضحًا، من ذلك قوله في تفسيره لسورة لقمان : " جاء في أسباب نزول آية سورة (لقمان) روايات، منها ما يلي : أن اليهود قالوا للرسول أو أغروا بعض القرشيين أن يقولوا له لما سمعوا أنه صلى الله عليه و سلم قال بشأنهم ما جاء بيأته في سورة (الإسراء/17 مصحف/50 نزول) [وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا] (85) ، قالوا : كيف و أنت تتلو فيما جاءك أتا قد أوتينا التوراة ، وفيها تبيان كل شيء . فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : هي في علم الله قليل ، ثم أنزل الله الآية (27) من سورة (لقمان) . و الرواية الثانية : أن قريشًا قالت : " ما أكثر كلام محمد " ، فنزلت هذه الآية . إلى غير ذلك من روايات ، و الله أعلم ، **على أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب** "1

ومنها ما كتبه في شرحه للدرس الثالث من سورة (المدثر) في قوله تعالى : [دَرَيْي وَمَنْ خَلَعْتُ وَجِيدًا (11) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا (12) وَبَيِّنَ شُهُودًا (13) وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا (14) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (15) كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا (16) سَأَرْهُقُهُ صَعُودًا (17) إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (18) فَقَتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (19) ثُمَّ قَتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (20) ثُمَّ نَظَرَ (21) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (22) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (23) فَفَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ (24) إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (25) سَأَصْلِيهِ سَقَرٌ (26) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ (27) لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ (28) لَوَاحِةٌ لِلْبَشَرِ (29) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ] (المدثر : الآيات 11-30) ، قال رحمه الله تحت عنوان (ورد في أسباب النزول) و بعد أن ساق الروايات الدالة على سبب النزول في الوليد بن المغيرة² : " إلى غيرها من روايات تؤكد أنها نزلت الآيات بمناسبة ما كان من الوليد بن المغيرة ، ووعيده بعذاب الله في سقر ، أقول : و يُلْحَقُ بالوليد من كان

1 - معارج التفكير و دقائق التدبر : عبد الرحمن الميداني ، 753-11/752 .

2 - أسباب النزول : الواحدي - تحقيق كمال بسيوني زغلول - بيروت ، لبنان - دار الكتب العلمية - ط 1 - 1990م ، رقم 842 .

مثله في كفره و عناده ، و مخالفته لقناعاته ، و إصراره على الباطل ، على الرّغم من وضوح الحقّ له ، فسنة الله في عباده واحدة " ¹ .

و قد ينقل رحمه الله عن بعض المفسرين سبب النزول ² ولا يأخذها مباشرة من المصدر ، وربما ذكر فحوى الروايات دون لفظها ³ ، وربما أعرض عن ذكر السبب أصلاً إذا كان ضعيفاً ⁴ .

ث- علم الناسخ و المنسوخ :

لا شك أنّ العلم بما ثبت من الناسخ و المنسوخ من ضرورات الدرس التفسيري ، ولولاه يقع المفسّر و المتدبّر في كتاب الله تعالى في الخلط و الخطأ ، و من هنا حرّم على المفسّر التعرّض للتفسير إلاّ مع استكمال هذا العلم ⁵ :

و قد مرّ معنا أنّ المؤلف رحمه الله جعل القاعدة الثامنة من كتابه تدور حول التوظيف التدبّري للناسخ و المنسوخ ، وعرّف فيها النسخ ، و بيّن حكمته ، و أشار إلى أنه ليست بعض النصوص أولى بالاعتبار من بعض ، و أنّ الأصل اعتبار النص القرآني محكمًا غير منسوخ ، و أنّ اللجوء إلى النسخ لا ينبغي إلا في حالة تعدّد حمل النص على أنه محكم، أو عند ثبوت النسخ بدليل صحيح صريح ، مع ضرورة اعتناء المتدبّر بالجمع بين النصوص في نسق فكري متكامل . كل هذا من اعتناء المؤلف بعلم الناسخ و المنسوخ و توظيفه في المدرس التدبّري .

أما مفهوم النسخ فقد قال في (معارج التفكير) : " النسخ بيان انتهاء العمل بمقتضى نصّ تكليفي سابق، وهذا البيان لا بد فيه من دليل كافٍ للتعريف بانتهاء زمن العمل بمقتضى النص السابق" ⁶

1 - معارج التفكير و دقائق التدبر : عبد الرحمن الميداني ، 1 / 99 .

2 - نفسه : 11 / 678 . 2 / 148 .

3 - نفسه : 9 / 719 .

4 - نفسه : 11 / 198 عند تفسير قوله تعالى : [وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ] (الأنعام : 26) ، فلم يذكر بعض ما أورده المفسرون بشأنها من سبب نزول و أعرض عنه لعدم ثبوته عنده .

5 - البرهان في علوم القرآن : الزركشي ، 2 / 158 .

6 - معارج التفكير و دقائق التدبر : عبد الرحمن الميداني ، 1 / 193 .

وقال رحمه الله في ضرورة الجمع بين النصوص في نسق فكري متكامل : " ومهما أمكن جمع النصوص القرآنية، وحمل النص المعارض في ظاهره على معنى صحيح سليم منسجم مع السياق، ومع مفاهيم أحكام الشريعة بوجه عام، وغير معارض معارضةً كليّةً لأمرٍ ثابتٍ في بيان دلالته، فلا يصح فهمه بطريقة تُلجئ إلى اعتباره منسوخاً " ¹ .

وقال رحمه الله : " و يكثرُ عند بعض المفسّرين ادّعاء النسخ في كثير من الآيات القرآنية ، دون دليل كافٍ يثبت به النسخ ، و الأصل أن الآيات القرآنية باقية الدلالات ، ومرادُ المعاني التي تحملها ، في مواردِها ، ولا يجوزُ اللجوءُ إلى الحكم بالنسخ لأدنى شبهة ، أو لدليل ضعيف لا يقوى على رفع دلالة النصّ الثابتة " ² . ولا شكَّ أنّ من تأمّل تصرّفات كثير من المفسّرين مع الآيات و ادّعائهم النسخ فيها دون أدنى تأمّل للجمع ؛ يسلمُ للمؤلف هذا الحكم عن يقين ³ .

و قد تطرّق المؤلف تحت هذه القاعدة إلى معالجة السبب الرئيس الذي دفع بكثير من المفسّرين إلى إصدار الحكم بالنسخ في كثير من المواضع وهي محكمة لا تحتمل ، فقال : " و على المتدبّر لكتاب الله أن يكون على بصيرة من

1 - قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 140 .

2 - نفسه .

3 - كما في قوله تعالى : [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ] (آل عمران : من الآية 102) : عن سعيد بن جبیر قال " لَمَّا نزلت هذه الآية اشتدّ على القوم العمل ، فقاموا حتى ورمّت عراقبيهم ، و تقرّحت جباههم ، فأنزل الله تخفيفاً على المسلمين [فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ] (التغابن : من الآية 16) ، فنسخت الآية الأولى " (أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (3/722) ، و هو ما دفع الإمام أبا جعفر النخّاس أن يقول : " محال أن يقع في هذا ناسخٌ ومنسوخٌ إلا على حيلة ، و ذلك أنّ معنى نسخ الشيء إزالته و المجيء بضده ، فمحال أن يقال [فَاتَّقُوا اللَّهَ] منسوخ " اهـ **الناسخ و المنسوخ** : أبو جعفر النخّاس - تحقيق محمد عبد السلام محمد- الكويت - مكتبة الفلاح - ط 1 - 1408هـ ، 2/129 . و عند التحقيق وفق القاعدة التي أشار إليها المؤلف هنا نلمسُ التكامل وفق هذا البيان : مرادُه سبحانه و تعالى تقييد الأمر المطلق بالاستطاعة أو بيان الأمر المُجمل بالاستطاعة ، بهذا يجتمعان ، إذ أوجب الله تعالى على عباده حقّ التقوى الذي هو امتثال الأوامر و اجتناب النواهي و رعاية الحُرّمات ، و الوقوف عند الحدود ، فإذا ما قامَ عذرٌ في المخالفة و كانت الطاعةُ خارجةً عن وُسع الإنسان و قُدرته و دَرَعِه فلا تكليف بما لا يُطاق ، وهذا هو الجمعُ بين الآتين ، فلا داعي للقول بالنسخ .

الحقيقة التالية : و هي أنّ التدرّج في إنزال الأحكام ليس من النسخ¹ ، إذ الأمر المسكوت عنه في البيان لا يُعتبر بيان حكمه بعد ذلك نسخاً له ، فمن نقذ من الخطة الموضوعية بعض عناصرها التي تسمحُ به الظروف أو تقتضيه الحكمة ، فإنه لا يكونُ مبدلاً ولا مغيّراً في أصل الخطة ، و قد تكون الخطة في أساسها تقتضي بأن يجري تنفيذ عناصرها على مراحل " ² .

وسوف أتطرّق في الفصل الرابع للبحث للنماذج التي طبّق فيها هذه القاعدة ، و أيضاً يمكن النظر في الأمثلة التي ضربها في كتابه " **قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله عز وجل** " ، لأنّه مات رحمه الله قبل أن يمضي في القرآن المدني الذي تضمّن الأحكام ، ومعلوم أنّ القرآن المدني بما فيه من نصوص الأحكام هو المجال الذي وقع فيه النسخ أو ادّعي فيه .

ج - علم الإعجاز القرآني :

كل من طالع تفسير معارج التفكير لمس فيه تعدّد أوجه الإعجاز التي أشار إليها المؤلف و كشف عنها³ ، و للمؤلف رحمه الله عناية كبيرة و خاصّة متميّزة بأهم مجالات الإعجاز القرآني الذي هو الإعجاز البياني، فلا يدع فرصة إلا و ينبه فيها المتدبّر لكتاب الله على ضرورة استجلاء هذا اللون من الإعجاز و كشف و التفكير فيه :

و قد أصّل لهذا الموضوع في كتابه (قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله عز وجل) ، و أشار إلى مختلف جوانب الإعجاز القرآني :

من ذلك قوله رحمه الله في علاقة ترتيب النزول بالإعجاز : " ترتيب النزول يتوصل من خلاله إلى معرفة جوانب من الإعجاز البلاغي والفكري والعلمي، يدلّ على ذلك الأساليب

1 - فهذا التدرّج يتمشى مع سُنّة الترقّي في تربية البشرية ومسايرة نُضج العقل الإنساني، فينبغي رعاية هذا المقصد في التعامل مع المعطيات الزمانية و المكانية و الحالية للبشر .

2 - **قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله** : عبد الرحمن الميداني، ص 140 .

3 - انظر على سبيل المثال : **منهج عبد الرحمن حبنكة الميداني في التفسير** : نادي حسن علي صبرا ، ص 154 وما بعدها.

البلاغية التي استخدمت في مخاطبة من نزل فيهم القرآن، وملاءمة تلك الأساليب للأغراض المقصودة " ¹ .
وقال رحمه الله : " ومن أغراض التكرير تجزئة الأفكار المراد بيانها حول موضوع واحد لتكامل النصوص فيما بينها مؤدية غرض التأكيد لأصل الفكرة، ومؤدية جوانب بلاغية رفيعة هي من عناصر الإعجاز القرآني " ² .
ومن ذلك قوله رحمه الله : " على متدبر كتاب الله أن يبحث عن الوجوه البلاغية التي اشتمل عليها أي نص من نصوصه ، و أن يمعن النظر لاستجلاء الغرض الفكري من الصورة البلاغية التي يكتشفها ، فليس المهم الإشارة إلى الصورة البلاغية البديعة فقط ؛ بل ينبغي أيضًا استجلاء الغرض الفكري من استخدامها مع غرض الإبداع البلاغي و الإعجاز البياني " ³ .

وعند إشارته إلى مجموعة الأغراض التي تؤديها القراءات قال رحمه الله : " وقد تتداخل الأغراض الأربعة أو بعضها في نص واحد فيكون اختلاف القراءات فيه للتكامل الفكري وللتكامل في الأداء البياني، و للتنوع في الأداء الفني الجمالي، وإثبات وجوه عربية متكافئة، وهذه الأغراض الأربعة يمكن اعتبارها إحدى وجوه الإعجاز في القرآن المجيد " ⁴ .
فهذا مما يبين عنايته بأوجه الإعجاز القرآني و العمل على توجيه المتدبر إلى كشفها و البحث عنها في كتاب الله .
والمؤلف رحمه الله لا تقتصر عنايته على الإعجاز البياني فحسب ، و إن كان هذا اللون أظهر أوجه الإعجاز في القرآن ؛ بل له عناية واضحة باستجلاء بقیة جوانب الإعجاز في الدرس التدبري ، و خاصة الإعجاز العلمي .
ومن المفردات التي أشار إليها في هذا اللون من الإعجاز قوله رحمه الله في شرح قوله تعالى : [**وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ**] (يس : الآية 38) : "

1 - قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل : عبد الرحمن الميداني ، ص 155 .

2 - نفسه : ص 309 .

3 - نفسه : ص 503 .

4 - نفسه : 724 .

الجري : السير المنتظم، يُستعمل لذي الأرجل و للماء ، و لكل سائر ينتقل من مكان إلى مكان آخر . . كان يدرّس في مادّة العلوم الطبيعيّة في أوائل القرن العشرين الميلادي أنّ الشمس ثابتة لا تجري ، و أنّ الأرض و الكواكب من حول الشمس هي التي تجري حولها . وانطلقت يومئذ الأسئلة حول مخالفة الآية القرآنيّة لما هو مقرّر في العلوم الكونيّة الإنسانيّة ، وقامت جدليّات بين المؤمنين بالقرآن و المؤمنين بمقالات العلوم ، دون تحفّظ ، فتنة بما يذكّره علماء الكونيّات . ثمّ تقدّمت البحوث العلميّة الفلكيّة ، وأثبت العلماء الفلكيّون أنّ الشمس بالنسبة إلى مجموعتها المدائرة حولها و التي هي أسرتها ثابتة ، لكنّها مع كل أسرتها تجري بحركة خاصّة في فلك أكبر ضمن المجرّة ، فهي بالنسبة إلى أسرتها ثابتة ، لكنّها بالنسبة إلى وضعها مع أسرتها في المجرّة جارية غير ثابتة ، فهي كما قال الله عز وجل [تَجْرِي لِمْسْتَقَرٍّ لَهَا] . وظهر بهذا نقص العلوم الإنسانيّة الأولى ، التي كان يقول بها علماء الدراسات الكونية ، وظهرت مطابقة البيان القرآني للحقّ و الواقع ، وظهرت مطابقة كلمة الله البيانيّة لآثار كلمة الله التكوينية في الكون، وهذه إحدى أمثلة الإعجاز العلمي في القرآن¹ .

و للمؤلف رحمه الله كلامٌ في تفسيره حول كثير من مسائل علوم القرآن ، كالحروف المقطّعة² ، و القراءات³ ، و القصص القرآني⁴ .

1 - معارج التفكير و دقائق التدبر : عبد الرحمن الميداني ، 117-118 / 2 .
2 - نفسه : 1/205 . وانظر 3 / 16 . 3 / 381 . 3 / 481 . 4 / 51 . 6 / 27 . 7 / 376 . 8 / 29 . 8 / 562 . 9 / 339 . 10 / 31 . 10 / 307 . 10 / 601 . 11 / 20 . 11 / 682 . 12 / 317 . 12 / 459 . 12 / 568 . 12 / 695 .
3 - نفسه : 1 / 32 ، 78 ، 88 ، 124 ، 137 ، 143 ، 165 ، 197 ، 281 ، 377 ، 395 ، 73 / 2 . 91 ، 282 ، 305 ، 572 ، 7 / 3 . 10 ، 171 ، 313 ، 4 / 151 ، 214 ، 280 ، 529 ، 563 ، 577 . 5 / 59 ، 60 ، 517 ، 573 ، 586 . 6 / 7 ، 295 . 7 / 8 ، 423 ، 543 . 9 / 7 ، 323 ، 505 . 10 / 7 ، 287 ، 581 . 11 / 7 ، 109 ، 529 ، 673 . 12 / 7 ، 133 ، 297 ، 445 ، 555 ، 679 .
4 - نفسه : 3 / 512 ، 647 ، 657 ، 669 . 5 / 279 . 7 / 413 ، 524 ، 542 . 8 / 88 ، 678 . 9 / 245 . 10 / 791 . 11 / 229 .

الفصل الثالث

الدراسة النظرية للقواعد التي ذكرها الشيخ
في كتابه قواعد التدبّر الأمثل

و قد قسّمت هذا الفصل إلى ثلاثة
مباحث هي :

المبحث الأول : دراسة القواعد المتعلقة
بالآثار وبالتناسب والوحدة الموضوعية في
القرآن الكريم
المبحث الثاني : دراسة القواعد المتعلقة
بالبلاغة واللغة ودلالات الألفاظ و التراكيب
المبحث الثالث : دراسة القواعد المتعلقة
بالنحو والمتفرقات

تمهيد :

القواعد كما رأينا هي الأصول الكليّة التي تُردُّ إليها الجزئيات ، و هي تتميز على وجه العموم بالإيجاز في الصياغة ، مع عموم المعنى ، وسعة الاستيعاب ، تحقيقًا لسهولة حفظها .

وأغلب من أَلَّف في قواعد التفسير يقومُ بتصنيفها و تمييز أنواعها في المقدّمة النظرية المنهجية قبل التطرُّق إلى سرد مفرداتها التفصيليّة ، ليسهل التعاملُ معها ومعرفةُ نوعها ، مثلما فعلَ مساعد الطيار¹ في كتابه " **فصول في أصول التفسير** " ، حيثُ قسّم قواعد التفسير قسمين : "قواعد عامة " ² وهي التي ينبغي أن يعلمها المفسر عندما يفسر آية من القرآن، و " قواعد ترجيحية " ³ وهي التي يحتاجها المفسر عند الترجيح بين الأقوال التفسيرية .

1 - هو مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار ، وهو من أسرة الطيار في محافظة الزلفي في المملكة العربية السعودية ، ولد الشيخ حفظه الله عام 1384هـ الموافق 1965 ميلادي في محافظة الزلفي التابعة لمنطقة الرياض ، تخرج الشيخ من قسم القرآن وعلومه في كلية أصول الدين بالرياض ، حاز على درجة الماجستير في تخصص علوم القرآن للعام الدراسي 1409/1410 ، وكانت بعنوان (وقوف القرآن وأثرها في التفسير) ، ثم درجة الدكتوراه 1421هـ وكانت بعنوان (التفسير اللغوي للقرآن الكريم) . من مؤلفاته : فصول في أصول التفسير ، مفهوم التفسير و التأويل و الاستنباط و التدبّر و المفسر ، شرح مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ، و غيرها . انظر ترجمته و سيرته الذاتية في موقعه : <http://www.attyyar.net/container.php?fun=sheckseer>

2 - **فصول في أصول التفسير** : مساعد الطيار - الرياض ، السعودية - دار النشر الدولي - ط 1 - 1413هـ ، ص 87 .

3 - **نفسه** : ص 94 .

وهو نفس ما فعله حسين الحربي¹ في كتابه " **قواعد الترجيح عند المفسرين دراسة نظرية تطبيقية** " ² .
وهناك صيغة أخرى للتقسيم : ذكرها خالد بن عثمان السبت³ ودرج عليها في كتابه وهو تقسيم القاعدة بالنظر إلى ناحيتين :

أ / شمولية القاعدة للأبواب المتعددة .

ب / ما تختص به القاعدة من وفاق أو خلاف .

ولكل منهما جعل له قسمين⁴ .

بيد أنّ المتأمل في صنيع عبد الرحمن الميداني رحمه الله يلمس أنّه لم يسر في تقسيم القواعد على ذكر التصنيف قبل التطرق للبيان ، فقد أخرج هذه القواعد مطلقاً دون التقييد بشيء من ذلك ، فهو يورد القواعد متتاليةً مع شرحها و أمثلتها ، ولم يشترط على نفسه تقسيماً معيناً في المقدمة ، بل لم يشر في أول الأمر إلى مناهج التقسيم .

ولذلك فقد قمت باستقراء القواعد ومحاولة ترتيبها وجمعها في أصناف حسب مقاصدها ، وجاء التوزيع في شكل مباحث .

1 - هو حسين بن علي بن حسين الحربي ، أستاذ الدراسات القرآنية بكلية التربية جامعة جازان ، المملكة العربية السعودية ، و عضو مركز تفسير للدراسات القرآنية بملتقى أهل التفسير ، له اعتناء خاص بالتأليف في البحوث و الدراسات القرآنية ، و مقالاته ودراساته تدلّ على رسوخه و تمكنه في التخصص، من مؤلفاته : قواعد الترجيح عند المفسرين دراسة نظرية تطبيقية ، منهج الإمام ابن جرير الطبري في الترجيح ، أقوال المفسرين توجيهها و مسالك التوفيق بينها ، ، انظرشيء من ترجمته في : <http://www.jazan.org/vb/showthread.php?t=205107&page=21>

2 - **قواعد الترجيح عند المفسرين دراسة نظرية تطبيقية** : حسين بن علي الحربي - راجعه مناع بن خليل القطان - الرياض ، السعودية - دار القاسم - ط 1 - 1417هـ ، ص 35 .

3 - هو خالد بن عثمان بن علي السبت ، ولد عام 1384هـ بمدينة الدمام المملكة العربية السعودية ، حائز على درجة الدكتوراه سنة 1416 هـ من كلية القرآن بالجامعة الإسلامية بالمدينة ، عنوانها " قواعد التفسير جمعاً و دراسة " ، وقد كانت رسالته للماجستير سنة 1412هـ بعنوان (دراسة تقويمية لكتاب مناهل العرفان للزرقياني) . انظر ترجمته في موقعه : <http://khaledalsabt.com/about>

4 - **قواعد التفسير جمعاً و دراسة** : خالد السبت ، 1/47 .

وسأطرق في هذا الفصل إلى دراسة نظريّة مختصرة للقواعد الأربعين المذكورة في كتاب " **قواعد التدبّر الأمثل** لكتاب الله عزّ وجلّ " ، ومنهجي في الدراسة النظرية قائمٌ على :

- ذكر القاعدة بلفظها و رقمها كما ذكرها الشيخ .
- أجتهد في تبسيط معنى القاعدة و قد أستعينُ ببيان غيري إذا وجدتُ من شرحها.
- أكتفي بإعطاء مثال واحدٍ عليها من الأمثلة التي ساقها المؤلفُ خشية أن يطول البحث .
- أكتفي بالإشارة فقط إلى مظانّ القاعدة عند غير عبد الرحمن الميداني و بعض ما يتعلّق بها ، ولا أتوسّعُ إلى المقارنة بطرح غيره ، ولا إلى بيان الأدلة على القاعدة ، و لا اختلافات أهل العلم إن وُجدت، و هذا حتّى لا أخرج عن مجال الدّراسة " الميداني " ، و حتّى لا يطول البحثُ جدًّا ويتوسّع .

المبحث الأول **دراسة القواعد المتعلقة بالآثار** **وبالتناسب والوحدة الموضوعية في** **القرآن الكريم**

وسأطرق في هذا المبحث إلى دراسة القواعد الواردة في الكتاب محلّ الدراسة و المتعلقة بالآثار و بالتناسب والوحدة الموضوعية في القرآن الكريم دراسةً نظريّةً، هذا ويدخل في الآثار البيان النبوي و التفسير الصحابي، وما أثار عن التابعين وكذلك أسباب النزول وملابسات التنزيل ، وهذه القواعد هي:

1- قاعدة " حول تتبع التفسير المأثور لمعنى النص "

المتدبر لكلام الله تعالى لا يستغني عن التفسير بالمأثور ،
ففيه في كثير من الأحيان بيانٌ للمعنى المقصود حتى وإن
كان النص لا يزال يحتاج إلى مزيد تأمل و استنباط . قال
رحمه الله : " على متدبر كلام الله أن ينظر في التفسير
بالمأثور لمعنى النص القرآني ، فهو حريٌّ أن يكون في كثير
من الأحيان فهما صحيحا ، وإن لم يكن كاملاً شاملاً لكل ما
يهدف إليه النص القرآني " ² .

ثم أخذ رحمه الله يبيِّن ماهية التفسير بالمأثور و أنواعه
ليكون المتدبر على دراية بتلك الأنواع كلها ، فعَدَّ رحمه الله
أربعة مراتب من الأثر هي : 1 / البيان النبوي لمعنى النص
القرآني (واشترط أن يكون صحيحاً ثابتاً) . 2 / ما فهمه
الصحابة رضي الله عنهم من النص . 3 / ما فهمه التابعون
من النص . 4 / آراء المفسرين المعتمدين و أقوال أهل التأويل
المعتبرين . فقال : " ويشمل التفسير بالمأثور ما فهمه
الصحابة و التابعون . أمَّا البيان النبوي لمعنى النص القرآني
فإذا صحَّ فهو الذي يجب المصير إليه ، وقد يكون البيان النبوي
بعض ما اشتمل عليه عموم النص ، أو بعض ما اشتملت عليه

1 - قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 133 ، وهي
القاعدة السابعة في الكتاب .

2 - قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 133 .

دلالاته ، فيكون ما جاء في البيان أحد المعاني التي اشتملت عليها دلالاته . و ينبغي النظر أيضًا فيما ورد من آراء المفسرين المعتمدين ، و أقوال أهل التأويل المعتمدين و مفاهيمهم ، فمن شأن هذا النظر أن يبصر المتدبر بجوانب قد تغيب عنه ولا تخطر على باله " 1 .

ثم بعد تحديده لمجالات و أقسام ما ينطبق عليه وصف المأثور ؛ أوصى المتدبر بأن لا يشغل نفسه بحشر الأقوال على حساب التدبر ، بل يفعل لديه " الملكة " التي بها ينتقي و يميّز و يعي ما ينقل : " و يعرف ما يدعُ و يعرف ما هو ساقط مردود ، وما هو محتمل ، وما هو راجح ، وما هو حق لا رد له ، وما هو بعض المعنى المراد ، وما لا يمكن أن يكون مرادًا ، أي : أن تكون لديه الملكة لذلك ، و إن كان عرضة للخطأ في بعض الأحيان " 2 .

جميع هذه الأقسام و الأنواع من التفسير بالمأثور الذي ينبغي أن يعتني به المتدبر لكلام الله .

هذا و بالرجوع إلى الكتب التي ألفت في قواعد التفسير نلمس اهتمامًا كبيرًا بهذه القاعدة ، فبخصوص البيان النبوي عقد له مساعد الطيار من المتأخرين مبحثًا ، و قسم البيان النبوي إلى أربعة أقسام : أ / أن ينص على تفسير آية أو لفظة . ب / أن يشكل على الصحابة فهم آية فيفسرها لهم . ج / أن يذكر في كلامه ما يصلح أن يكون تفسيرًا للآية . د / أن يتأول القرآن 3 . ثم تعرّض بعد ذلك لتفسير الصحابة و التابعين بتفصيل .

وفي " قواعد التفسير " 4 لخالد بن عثمان السبتي تفصيلٌ أوسع للقواعد الأثرية و أدلتها و تطبيقاتها ، وقد عدّ منها (إذا عُرف التفسير من جهة النبي صلى الله عليه و سلم فلا حاجة إلى قول من بعده) 5 ، و قاعدة (قول الصحابي مقدّم على غيره في التفسير و إن

1 - نفسه .

2 - نفسه : ص 134 .

3 - فصول في أصول التفسير : مساعد الطيار ، ص 27 .

4 - قواعد التفسير جمعًا و دراسة : خالد السبتي ، 1/149 وما بعدها .

5 - فصول في أصول التفسير : مساعد الطيار ، ص 88 .

كان ظاهر السياق لا يدلّ عليه¹، و قد أفاض في بيان تعريف الصحابي وبيان مصادر الصحابة في التفسير، و كيف يقع تفسيرهم، و قاعدة (إذا اختلف السلف في تفسير الآية على قولين لم يجز لمن بعدهم إحداث قول ثالث يخرج عن قولهم)²، و (فهم السلف للقرآن حجة يُحتكم إليه لا عليه)، و قد أفاض أيضا في بيان تعريف التابعي وبيان مصادر التابعين في التفسير، و كيف يقع تفسيرهم، و ذكر أمورًا ينبغي مراعاتها عند النظر في تفسيرات السلف .

هذا وقد لاحظت أنّ عبد الرحمن الميداني رحمه الله أشار إلى القاعدة الكلّية في التعامل مع التفسير بالمأثور، وهو على ما عُرف عنه من التوسّع و الإحاطة لم يتوسّع في هذا الباب المهم، كما رأينا في عمل مساعد الطيّار³ و خالد السبت⁴، كما لم يبين لنا الآليات التي يتبّعها المتدبّر في النقد وفي هذا الانتقاء و التمحيص بين الروايات، وإنما اكتفى بالتأصيل دون تفصيل. ثم ضرب رحمه الله مثالين فقط لهذه القاعدة، وما يلاحظ ههنا أن المؤلف لم يستغرق في تأصيل القاعدة بالتحليل والشرح المعهودين منه .

و في تقديري يرجع هذا الأمر لأحد سببين :
أ - المؤلف رحمه الله نزعتَه إلى الاجتهاد - كما رأينا - بارزة أكثر، و يظهر أنه متحرر في التفسير من التقيّد الكثير بالأثر، حيث يرى - كما مرّ معنا - أن الأقوال المأثورة قد تعني وجهًا من أوجه الدلالة و ليست بالضرورة كلّ الأوجه، و على المتدبّر استنباط الباقي .

1 - ينظر في هذا : البرهان في علوم القرآن : الزركشي ، 2/176 ،
تفسير القرآن العظيم : ابن كثير، 1/3) - مجموع الفتاوى : ابن تيمية ،
13/364 ، الموافقات : الشاطبي ، 3/369 ، - فصول في أصول
التفسير : مساعد الطيّار، ص 30 .

2 - انظر : شرح الكوكب المنير : ابن النجار - تحقيق محمد الزحيلي و نزيه حماد - الرياض ، السعودية - طبعة وزارة الأوقاف - ط 1 = 1413 هـ ، 2/264 -
272 . روضة الناظر و جنة المناظر : ابن قدامة المقدسي - تحقيق شعبان محمد اسماعيل - الرياض ، السعودية - مؤسسة الراين - ط 1 = 1419 هـ ،
2/488 ، فصول في أصول التفسير : مساعد الطيّار، ص 39 .

3 - فصول في أصول التفسير : مساعد الطيّار ، 27 - 40 .

4 - قواعد التفسير : خالد السبت ، 1/149-209 .

ب- وإما أن المؤلف يعلم ما أفاض الناس في كتبهم حول هذه القاعدة تأصيلاً ، والأقوال المأثورة التي ساقها المفسرون ، فاكتفى بالإشارة ، خشية الإطالة .

2 - قاعدة " حول تتبع مراحل التنزيل " ¹ :

هذه القاعدة تتعلق بضرورة امتلاك المتدبر لكتاب الله للعلم بتاريخ نزول النصوص القرآنية و مراحل هذا النزول ، فهذا يفتح له باب فقه التدرج التشريعي و التربوي و الحركي الإصلاحية الذي تنزلت في ضوءه النصوص على مراحل ، كما تعصم المتدبر من اعتقاد وجود التناقض والمعارضة بين النصوص :

قال رحمه الله : " على متدبر كتاب الله أن يجتهد في تتبع مراحل تنزيل القرآن ، و يبني فهمه على أساس تدرج التشريع ، حتى لا يقع في خطأ اعتماد آية سابقة النزول في تدرج التشريع مع أنه قد نزل بعدها تكميلاً أو بياناً كاشفاً لأحكام المرحلة اللاحقة ، وحتى لا يقع في خطأ تصوّر معارضة الآية السابقة لما نزل بعدها في موضوعها الذي تعالجه من موضوعات التكاليف والأحكام ، ووسائل التربية ، وطرائق الإصلاح ، وأساليب الدعوة ، وألوان الجهاد " ² .

فالنظر في تاريخ نزول الآي و السور مهم جداً لتحديد المعنى ، وهو من الأسس العلمية في الدرس التدبري التفسيري ³ ، ذلك أن تفسير الآية مثلاً بأمر لم يقع إلا بعد نزولها من القرائن الدالة على ضعف هذا المآخذ في التفسير ، و الطريق في فرز هذا الأمر معرفة المكي و المدني و تاريخ التنزل القرآني للآيات ⁴ ، فإن به السلامة من هذا الإشكال .

1 - قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل : عبد الرحمن الميداني ، ص 151 ، و هي القاعدة التاسعة في الكتاب .

2 - نفسه : ص 151 .

3 - قواعد التفسير جمعاً و دراسة : خالد السبت ، 76 / 1 .

4 - ينظر للتفصيل في علم المكي و المدني و تاريخ التنزيل ، والاطلاع على كلام العلماء وتعدادهم للسور المكية والمدنية، واختلافهم في بعضها المراجع الآتية :
البرهان في علوم القرآن : الزركشي ، 206-1/187 ، **الإتقان في علوم القرآن** : السيوطي ، 59-1/34 - **مناهل العرفان في علوم القرآن** : لمحمد عبد العظيم الزرقاني ، 167-1/135 .

وقد أشار رحمه الله إلى فائدة هذه القاعدة في جميع أنواع النصوص القرآنية :

فبخصوص النصوص التشريعية قال : " إنَّ النصوص المتأخّرة نزولاً في باب الأحكام و التشريعات هي الأحقُّ بأن تكون عمدة الأحكام و التشريعات النهائية ، إن كانت معارضة تمامًا لما نزل قبلها ، ومكمّلة و مبيّنة إذا لم تكن معارضة تمامًا لما نزل قبلها " ¹ .

وبخصوص النصوص التربوية و الحركية الإصلاحية قال : " و تتبّع مراحل النزول للنصوص التربوية يكشف للباحث عن التدرّج في الخطوات التربوية ، و التكرير في استعمال العلاج التربوي ، بغية تأثيره و الحصول على الفائدة منه ، كالعلاج الدوائي في مجال الصحة الجسدية و كذلك النصوص الحركية في طرائق الإصلاح و أساليب الدعوة و ألوان الجهاد " ² .

ولا يُستثنى من هذا سوى النصوص الخبرية عن الكون ، والنصوص التي تبين مسائل العقائد و أصول المدين الكلية العامة ، فهذه ذوات دلالات مقصودات على المدوام ، واللاحق منها يُضمّ إلى السابق كأنما أنزلت دفعة واحدة ، كما قال رحمه الله : " فالمرحلية فيها مرحلية بيان تعليمي وليست مرحلية تدرّج تربوي " ³ .

ثمّ بين رحمه الله كيف يُعرفُ ترتيبُ نزول القرآن ⁴ ، و أشادَ قبل التطرّق إلى الأمثلة بتطبيق سيّد قطب لهذه القاعدة في تفسيره لسورة التوبة التي هي من أواخر ما نزل ، وكيف أنّه وضّحت له تمامًا طبيعة المنهج الحركي و مراحل و خطواته انطلاقًا من تصوّر و تطبيق هذه القاعدة .

هذا وقد ألحق المؤلفُ بشرحه للقاعدة جدولاً بيّن فيه ترتيب السور بحسب التنزيل ، وما في السور المكيّة من آيات

1 - قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله عز وجل : عبد الرحمن الميداني ، ص 151 .

2 - نفسه : ص 152 .

3 - نفسه .

4 - نفسه : ص 153 .

مدنيّة ، وما في السور المدنيّة من آيات مكّيّة ، وما ذكره العلماء حول أول ما نزل وآخر ما نزل ونحو ذلك¹ .

ومن الأمثلة التي قدّمها أختار لبيان القاعدة المثال الأول في بيان التدرّج في تحريم الخمر :

أ / ففي العهد المكي جاء التلوّيح بأنّ صفات الرسول محمد صلى الله عليه و سلم أنه يحلّ لأمته الطيبات و يحرم عليهم الخبائث (الأعراف : الآية 157) .

ب / ثم نزل تلوّيح أقوى في العهد المكي في وصف الرزق بأنه حسن و أنّ السكّر ليس برزق و ليس بحسن (النحل : الآية 67) .

ج / ثم في العهد المدني نزل في أوائله تمهيدٌ صريحٌ بتحريم الخمر و أنّ إثمه أكبر من نفعه (البقرة : الآية 219) .
د / ثم نزل التحريم في أوقات الصلاة (النساء : الآية 43) .

هـ / ثم نزل التحريم النهائي في جميع الأوقات (المائدة : 90-92) .

و كل هذا يفتح للمتدبّر فقه حكمة التدرّج التشريعي و التربوي القرآني في سياسة النفس الإنسانيّة ، و تغيير العادات الاجتماعيّة المتأصّلة على أحكم وجه و أتقنه و أكمله .

3- قاعدة : " **حول الحكمة من وضع آيات مدنية التنزيل في سورة مكية، ووضع آيات مكية في سور مدنية** " ²

وهذه القاعدة تفتّح للمتدبّر في كتاب الله تعالى باب إدراك الاقتضاء الذي جعل الآيات المدنيّة توضع في سور مكّيّة ، و المكّيّة توضع في سورة مدنيّة ، و قبل أن يتعرّض المؤلف إلى شرح هذا الاقتضاء ؛ فقد أشار أوّلاً إلى السور المكّيّة التي فيها آيات مدنيّة و العكس ليعلمها المتدبّر لكتاب الله ، وقد سبقت في الجدول الذي أشار إليها في القاعدة الماضية :

1 - قواعد التدرّج الأمثل لكتاب الله عز وجل : عبد الرحمن الميداني ، ص 178-184 .

2 - نفسه : ص 185 ، وهي القاعدة العاشرة في الكتاب .

قال رحمه الله : " السور المكيّة التي صُمّت إليها آياتٌ نزلت في المدينة هي (33) ثلاثٌ وثلاثون سورة ، و السور المدنيّة التي صُمّت إليها آياتٌ نزلت في مكة هي ثلاث سور فقط ، وسورة (محمد) مدنيّة نزلت الآية (13) منها أثناء الهجرة في الطريق ، وسورة (المائدة) من أواخر التنزيل المدني ، وقد تأخّر نزول الآية (3) منها إلى حجة الوداع ، فقد نزلت هذه الآية بعرفات في حجة الوداع ، بعد نزول سورة (التوبة) " ¹ .

وبعد أن بيّن المواطن التي ينبغي الانتباه إليها شرع في بيان المقتضى الذي جعل الآيات من النوعين تنزل في سور من الأخرى ، الأول " المقتضى الفكري الموضوعي " و الثاني " المقتضى التربوي " :

قال رحمه الله يشرّح النوع الأول : " أما الاقتضاء الفكري عند إكمال الدّين تنزيلاً فيلائمه وضع هذه الآيات بخصوصها ذات التنزيل المدني في مواضعها التي وضعت فيها السور المكيّة (أي التي معظم آياتها تنزل مكي) " ² . و يعني رحمه الله مقتضى تأخير البيان و التبليغ لوقت الحاجة و المناسبة أثناء التنزيل ، فإذا ما اكتمل التنزيل زال السبب العارض من مراعاة المناسبة ، و لاءم مع ذلك الانتهاء وضع الآيات موضعها الذي يتحقّق به التكامل الموضوعي النهائي بآيات مكيّة و أخرى مدنيّة .

وفي شرحه للنوع الثاني قال : " و أما الاقتضاء التربوي القائم على سنة التدرّج ومراعاة حال المخاطبين الزّمنية في تبليغ أحكام الدّين و تعاليمه و مفاهيمه ، و تربية جماعة المؤمنين المسلمين الأوّلين الذين يمثّلون القاعدة الرصينة الراسخة لبناء الأمة الإسلاميّة العظيم ، فيلائمه تأخير تنزيلها إلى الوقت المدني الذي نزلت فيه " ³ .

ويعني رحمه الله أنّ الحكمة التربوية في التعليم و التكليف و صناعة النضج الإنساني و الممارسة العمليّة التي

1 - قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله عز وجل : عبد الرحمن الميداني ، ص 185 .

2 - نفسه : ص 186 .

3 - نفسه .

تُكتسبُ بها المهارات و العادات الجسديّة و النفسيّة و الوجدانيّة و الفكرية تقتضي الالتزام بسنة التدرّج الارتقائي ، وهذا هو المقتضى التربوي الذي جعل الآيات من النوعين تنزل في سور من الأخرى .

وقد أعطى المؤلف سبعة أمثلة على هذه القاعدة التي ينبغي أن يراعيها المتدبّر أختار منها المثال الخامس¹ للتوضيح و أترك الباقية في مناقشة المؤلف في القسم التطبيقي : في سورة الأعراف (مكيّة آياتها 206) ضمّ إليها نصّ مدنيّ هو من آية (163) إلى غاية آية (170) ، وقد وُضعت تلك الآيات المدنيّة ضمن **سياقها الفكري** الملائم لها تمامًا ، إذ الآيات قبلها و بعدها تتحدّث عن بني إسرائيل و أحداثهم ، لكنّ تنزيلها كان يترقّب الحدث الملائم ، إذ هي تبدأ بتكليف النبي صلى الله عليه و سلم أن يسأل اليهود عن القرية التي كانت حاضرة البحر ، ولم تكن في مكة مواجهة مع اليهود ، إنما حصلت هذه المواجهة في المدينة ، فلمّا وُجدت المناسبة الدّاعية أنزل الله الآيات ، و أوحى أن توضع في الموضع الذي هي فيه في سورة الأعراف ، فتحقق بذلك الاقتضاءان الفكري الموضوعي ، و اقتضاء حدوث المناسبة .

4- قاعدة : " **حول النظر فيما ورد من أسباب النزول** " ²

يحتاج المفسّر لكتاب الله تعالى والمتدبّر في آياته إلى معرفة سبب نزول الآية أشدّ الاحتياج، ليسير على ضوئه في فهم النص، إذ ربما لا يمكن معرفة تفسير الآية من دون الوقوف على سبب نزولها، لأن النص القرآني المرتبط بسبب معين للنزول تجيء صياغته وطريقة التعبير فيه على وفق ما يقتضيه ذلك السبب ، فما لم يعرف ويحدد ؛ لا تُستجلى أسرار صياغته ولا تدرك مراميه و معانيه³.

1 - قواعد التدرّج الأمثل لكتاب الله عز وجل : عبد الرحمن الميداني ، ص 198 .

2 - نفسه : ص 203 ، وهي القاعدة الحادية عشرة في الكتاب .

3 - وقد عدّه الإمام الزركشي لأهمّيته النوع الأول من علوم القرآن ، وذكره الإمام جلال الدين السيوطي - رحمه الله تعالى - في النوع التاسع .

وفي هذا يقول المؤلف رحمه الله: " على متدبر كتاب الله و آياته أن ينظر فيما ورد من أسباب النزول ، فكثيراً ما يلقي سبب النزول الذي صحَّ سندهُ الضوءً على المعنى المراد من النصِّ القرآني"¹.

وهو عينٌ ما أشار إليه غيره من أهل العلم و نبهوا عليه ، قال الشاطبي: " معرفة الأسباب رافعةٌ لكلِّ مُشكل في هذا النمط ، فهي من المهمّات في فهم الكتاب بلا بُد ، و الجهل بأسباب التنزيل موقعٌ في الشُّبه و الإشكالات ، و مورد النصوص الظاهرة مورد الإجمال حتى يقع الاختلاف ، و ذلك مظنةٌ وقوع النزاع "² . و قال : " وهكذا شأن أسباب النزول في التعريف بمعاني المنزَّل ، بحيثُ لو فقد ذكر السبب لم يعرف من المنزَّل معناه على الخصوص ، دون تطرُّق الاحتمالات و توجُّه الشُّبهات "³ .

وهذا الأمر مستقرٌّ عند العلماء من عهد الصحابة رضي الله عنهم : سأل عمر بن الخطاب عبد الله بن عباس : " كيف تختلف هذه الأمة و كتابها واحد ، و نبيها واحد ، و قبلتها واحدة ؟! " . فقال ابن عباس : " يا أمير المؤمنين إنّنا أنزلَ علينا القرآنُ ، فقرأناه و علمنا فيمَ نزل ، و إنه سيكون من بعدنا أقوامٌ يقرؤون القرآن لا يدرون فيمَ نزل ! ، فيكون لهم فيه رأي ، فإذا كان لهم فيه رأيٌ اختلفوا ، فإذا اختلفوا اقتتلوا " ⁴ . وهذا الذي حدّر منه ابن عباس يقع بالفعل ، كما قال عمر في الخوارج : " انطلقوا إلى آياتٍ نزلت في الكفّار فجعلوها على المؤمنين "⁵ .

هذا وقد ذكر المؤلف شروطاً في التعامل مع هذا الموضوع حتى لا يتأثر المتدبرُ و يُحجَبَ عن الفهم الصحيح بسبب الخطأ في هذا الباب ، قال رحمه الله : " و كثيرٌ مما يذكره المفسِّرون على أنه سبب لنزول آية من الآيات ليس له

1 - قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل : عبد الرحمن الميداني ، ص 203 .

2 - الموافقات : الشاطبي ، 4/146 .

3 - نفسه : 4/152 .

4 - فضائل القرآن : أبو عبيد ، 1/281 .

5 - صحيح البخاري : كتاب استتابة المرتدّين- باب قتل الخوارج و الملحدين بعد إقامة الحجة عليهم - 8/51 ، رقم 6531 .

سندٌ صحيحٌ يُثبتُهُ ، كما أنه قد يكون غير صالح لإلقاء الضوء على المعنى المراد ، بل قد يحوّل فكر المتدبّر لكلام الله عن الفهم الصحيح المتّسق مع جملة ما جاء في كتاب الله . . و لذلك لا يصحّ اعتماد جميع ما ذكره المفسّرون على أنه من أسباب النزول و اعتباره أساسًا لتحديد معاني النصوص ، **إلا أن يثبت بسند صحيح ، ولا يتنافى مع تاريخ نزول النص** أو يكون منسجمًا مع دلالات النصّ الواضحة دون أن يكون فيه ما يخدشُ اعتباره سببًا لنزول النص الموضوع للتدبّر¹

والمؤلف لم يقدّم أمثلة في هذه القاعدة ، فأسوق المثال التالي لتوضيحها ، و تترك مناقشة الأمثلة الواردة في تفسيره "**معارج التفكير**" إلى القسم التطبيقي :

فقد مثل السيوطي في هذا الباب بقوله تعالى : [**وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**] (البقرة : الآية 115) وقال : " فَإِنَّا لَوُ تَرَكْنَا وَ مَدَلُولَ اللَّفْظِ لَاقْتَضَى أَنَّ الْمَصْلِيَّ لَا يَجِبُ عَلَيْهِ اسْتِقْبَالُ الْقِبْلَةِ سَفَرًا وَلَا حَضْرًا ، وَهُوَ خِلَافُ الْإِجْمَاعِ ، فَلَمَّا عُرِفَ سَبَبُ نَزُولِهَا عُلِمَ أَنَّهَا فِي نَافِلَةِ السَّفَرِ ، أَوْ فِيمَنْ صَلَّى بِالْإِجْتِهَادِ وَ بَانَ لَهُ الْخَطَأُ عَلَى اخْتِلَافِ الرِّوَايَاتِ فِي ذَلِكَ " ² .

والمثلة على هذا المعنى كثيرة، و هي تدلُّ جميعًا على ضرورة امتلاك المفسّر للعلم بأسباب النزول و أنّ الإحاطة بهذا الجانب ضروريٌّ للمُشتغل بكتاب الله و معانيه ³ .

5- قاعدة "**حول بيئة نزول النص البشرية و الزمانية والمكانية**" ⁴ :

المقصودُ بهذه القاعدة استحضار المفسّر لكلام الله تعالى لواقع التنزيل ، و لظروف البيئة النفسية و الفكرية و

1 - قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله عز وجل : عبد الرحمن الميداني ، ص 205 .

2 - الإتيان في علوم القرآن : السيوطي ، 1/39 .

3 - انظر للاستزادة و التوسّع في الأمثلة : نقد الصحابة و التابعين للتفسير دراسة نظرية تطبيقية : د عبد السلام بن صالح بن سليمان الجار الله ، ص 390 وما بعدها .

4 - قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله عز وجل : عبد الرحمن الميداني ، ص 53 ، وهي القاعدة الرابعة في الكتاب .

الاجتماعية و المعهود فيها أيام تنزل الآيات ، فإن القرآن الكريم نزل فيها و في إصلاحها ، وهذا عنصر مهم في إدراك مدلولات القرآن و إحياءاته الفكرية و التربوية و الحركية ، ووجه ارتباط هذه القاعدة بالمبحث المتعلق بالآثار أنها أقرب ما تكون إلى استجلاء الناحية البيئية التاريخية و تتبع السيرة والأثر ، فلذلك ألحقتها بهذا القسم من القواعد لهذه المناسبة .

قال رحمه الله : " على متدبر كتاب الله أن يضع في اعتباره لدى تدبر نصّ منه ملاحظة الأمور التالية : الأول : تصوّر العصر الإسلامي الأوّل ، وواقع حال المذنب كانت تنزل عليهم الآيات القرآنية لتعليمهم و توجيههم و تربيتهم ، و يدخل في هذا تصوّر بيئتهم العامّة ، و مفاهيمهم التي كانت سائدة بينهم بوجه عام . و الثاني : تصوّر الحالة النفسية و الفكرية و الاجتماعية التي كانوا عليها حين نزول الآيات موضوع الدراسة ، وذلك بشكل خاص . الثالث : تصوّر الطرفين الزمني و المكاني اللذين أنزلت فيهما الآيات الموضوعة للتدبر و الدراسة " ¹ .

وقد أشار سيد قطب إلى مثل هذا حينما قال : " ولا يفهم النصوص القرآنية حق الفهم إلا من يواجه مثل الظروف التي واجهتها أول مرة ، هنا تتفتح النصوص عن رصيدها المذخور ، وتتفتح القلوب لإدراك مضامينها الكاملة ، وهنا تتحول النصوص من كلمات و سطور إلى قوى وطاقات ، و تنتفض الأحداث و الوقائع المصورة فيها ، وإن الإنسان ليقراً النص القرآني مئات المرات ثم يقف الموقوف أو يواجه الحادث ، فإذا النص القرآني جديد يوحى إليه بما لم يوحى من قبل قط " ² .

وهذا الذي ذكره المؤلف و سيد قطب مهم جداً للمتعامل مع الآيات في جميع تلك الأبعاد ، فبخصوص تصوّر العصر الإسلامي الأوّل يتمكن المتدبر باستحضاره من تبصّر المناخ الذي نزل فيه النص ، وهذا يهديه بالفعل إلى ملامسة المفاهيم

1 - قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل : عبد الرحمن الميداني ، ص 53 .

2 - في ظلال القرآن : سيد قطب - القاهرة ، مصر - دار الشروق - ط 32- 1423 هـ ، 5/2836 .

الحقيقية التي يعالجها النص ، لأنّ النص إنما يعمل في واقع ، و لذلك فإنّ استعجال تطبيق النص على الواقع الذي يعيشه المفسّر بمعطياته البيئية و البشرية التي تغيّرت دون المرور على معطيات بيئة التنزيل يورث أخطاء في استلهاهم منهج القرآن الكريم في التعليم و التوجيه و التربية .

كذلك هو الأمر في تصوّر الحالة النفسية و الفكرية و الاجتماعية للذين تنزلت فيهم الآيات، حالات السلم و الحرب، والأمن و الخوف، وسعة الرزق و الجوع، والإيمان والكفر والنفاق، والبداءة والتحصّر ، كل هذا وغيره يستدعي من البيان التعليمي و التوجيهي و التربوي ما يلائمه .

ثمّ شرع المؤلف رحمه الله في بيان خصائص القرآن المكي و أسلوب الآيات القرآنية المكيّة تبعًا لخصائص البيئة و العهد المكي ، و خصائص القرآن المدني و أسلوب الآيات القرآنية المدنية تبعًا لخصائص البيئة و العهد المدني، و أفاض في ذلك¹ ، و بيّن كيف أنّ العلم بهذا الأمر يورث خبرةً و مهارة و ملكة تدبّرية تمكّن المتعامل مع كتاب الله من الإقلاع الحقيقي نحو أفق التدبّر ، و ضرب على هذا مثالاً بأبي بكر الصديق رضي الله عنه ، و بعبد الله بن عباس رضي الله عنهما :

قال رحمه الله : " لقد صار في المؤمنين المسلمين طليعةً ممتازة ذات تفوّق علمي ، وخبرة في إدراك دلالات النصّ الرفيع ، ومهارة في استنباط المعاني من النصوص ذات الأداء الدقيق ، وكان هؤلاء بيئة متعلّمة متقدّمة في المعارف الدّينية ، قد اجتازت في حصيلتها و قدرة إدراكها المرحلة الابتدائية و الثانوية ، و بعض هؤلاء قد اجتازوا المرحلة العالية أيضًا ، وصاروا مؤهّلين لاستخراج دقائق المعاني و الأحكام من بواطن النصوص الطويلة ، و الربط بين الآيات المتفرّقات في السور . حتى إنّ أبا بكر رضي الله قد استطاع أن يدرك من آيات سورة (النصر) التي هي آخر سور القرآن نزولاً أنّ الله عز وجل ينعى بها رسوله لنفسه ، فبكى أبو بكر رضي الله عنه

1 - قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله عز وجل : عبد الرحمن الميداني ،

لفراق قريبٍ لم يقع بعد، وهذا ما استقرَّ عليه علم ابن عباس و علم عمر رضي الله عنهما في فهم السورة " ¹ .
هذا وقد أشار خالد السبت في " قواعد التفسير " ² إلى ما يتعلق بهذه القاعدة و يخدم موضوعها ³ ، من ذلك قاعدة (**تُحمل نصوص الكتاب على معهود الأميين في الخطاب**) ⁴ ، و قاعدة (**لا يجوز حمل ألفاظ الكتاب على اصطلاح حادث**) ، و (**القرآن عربي فيسلك في الاستنباط و الاستدلال مسلك العرب في تقرير معانيها**) .

وأشار مساعد الطيار في كتابه " فصول في أصول التفسير " ⁵ إلى فائدة معرفة " ملابسات النزول و قصص الآية " في فهم مدلول اللفظة و الآية ، و مثل على ذلك . كما ذكر في القواعد الترجيحية (**الترجيح بالاستعمال العربي**) ⁶ ، فهذا أيضًا له تعلق بما مضى ، وهو مما يحتاجه المتدبر لكتاب الله احتياجًا كبيرًا .

6- قاعدة " **حول القراءات العشر** " ⁷ :

قبل الشروع في بيان مسائل هذه القاعدة أود أن أشير إلى أنها استغرقت في الكتاب واحدًا وتسعين صفحة فهي بذلك أطول قاعدة من حيث البسط و التمثيل و الشرح و التفرع ، و قد أطال رحمه الله فيها بما يصلح أن يكون كتابًا مستقلًا ⁸ ، وليس معنى هذا كثرة القواعد و القضايا المتفرعة عنها ؛ بل توسع البحث بإيراده رحمه الله لمسائل تكميلية من قبيل علوم القراءات كالفريسيات التي استغرقت وحدها ستة و ثلاثين

1 - نفسه : ص 56-57 .

2 - قواعد التفسير جمعًا و دراسة : خالد السبت ، 230-1/217 .

3 - و إن كانت الناحية البيانية اللغوية فيها أكثر تعلقًا من الناحية البيئية الفكرية الاجتماعية التي أشار إليها لكن لاشتراكها في كلفة " طرائق الفهم " أثبتتها للمقارنة .

4 - انظر للاستزادة في الموضوع : **الموافقات** : الشاطبي ، 69-95 ، وانظر مناقشة محمد الطاهر بن عاشور للشاطبي في **التحرير و التنوير** ، 45-1/42 .

5 - **فصول في أصول التفسير** : مساعد الطيار ، ص 43 .

6 - نفسه : ص 115 .

7 - **قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل** : عبد الرحمن الميداني ، ص 709 ، وهي القاعدة الأربعون في الكتاب .

8 - نفسه : من ص 709- إلى ص 800 .

صفحة ، أوردتها على شكل جداول، وكذلك أورد ملحقا للقراء العشر والرواة عنهم ترجم لهم ترجمة موجزة في سبعة عشرة صفحة .

بدأ رحمه الله القاعدة بذكر " مقدمة حول القراءات " ، وهي مقدّمة مطولة شملت :
أ / القراء و ثبوت القراءات بالأسانيد المتصلة وبسط أدلة وقوعها.

ب / اختلاف القراءات مقصود في المعنى (التكامل الفكري) أو ذو غرض بياني (التكامل في الأداء البياني) .
ت / الكلام عن الأحرف السبعة وتوجيهها وذكر بعض الحكم من وجودها ، و رجّح رحمه الله أنّها " جملة وجوه لفظية مختلفة أنزل عليها مجموع القرآن ، أي : لو صُنّفت هذه الوجوه المختلفة في كليات عامّة ووضعت في جداول ؛ لم تخرُج هذه الجداول التصنيفية عن سبعة " ¹ .
ث / تم شرع في بسط الكلام حول القاعدة وما استنبط منها من مسائل متعلقة ² :

قال رحمه الله : " على متدبّر كتاب الله أن يبحث عن المعاني وعن الصور البيانية الموصولة بإعجاز القرآن ، التي تدلّ عليها وجوه القراءات المختلفة التي لا يظهر فيها بوضوح أنّ الغرض من الاختلاف فيها مجرد التهوين و التسهيل على السنة الناطقين العرب إبان تنزيل القرآن ، مراعاة للهجاتهم المختلفة و قواعد أسنتهم " ³ .

ومن خلال تتبّع الأغراض التي أشار إليها رحمه الله ظهر للباحث أنّ جُهدَهُ في استبصارها و توجيهها **على هذه الدقّة و العمق و الإيجاز** فتحّ مباركٌ لم يُسبق إليه و الله أعلم ⁴ ،

1 - قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله عز وجل : عبد الرحمن الميداني ، ص 717 .

2 - انظر للاستزادة في الموضوع : قواعد التفسير : خالد السبت ، 1/83 - 99 ، تحت عنوان " القواعد المتعلقة بالأحرف و القراءات التي نزل عليها القرآن " . و انظر فصول في أصول التفسير : مساعد الطيّار ، ص 126 - 130 ، تحت عنوان " توجيه القراءات و أثره في التفسير " .

3 - قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله عز وجل : عبد الرحمن الميداني ، ص 722 .

وسوف أشير إلى هذا في الباب القادم في الفصل المتعلق بمعالج التفرّد و التجديد.

وقد ذكر أنه بعد السّبر و التعمّق في الدّراسة و التعامل مع القراءات ومدلولاتها توصل إلى أنّها تتضمّن الأغراض الأربعة التالية :

قال رحمه الله : " **الغرض الأوّل " التكامل الفكري** ، فمن اختلاف القراءات في النصّ الواحد ما الغرض منه تأدية كل قراءة لمعنى لا تؤدّيه القراءة الأخرى ، فتقوم القراءتان أو الأكثر مقام تعدد الآيات . **الغرض الثاني : التكامل في الأداء البياني** ، كأن يُراعى في النص توجيهه مرّة بأسلوب الحديث عن الغائب ، مثل (**وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ**) و توجيهه مرّة أخرى بأسلوب الخطاب الوجيه المباشر مثل (**وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**) وهذا كثير في القراءات . . و **الغرض الثالث : التنوع في الأداء الفني الجمالي** مع ما قد يتضمّنه من دلالات فكرية و بيانية مثل جعل فعل الشرط بصيغة الفعل الماضي في قراءة ، و جعله بصيغة فعل المضارع في قراءة أخرى ، نحو (**وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا**) ، و (**وَمَنْ يَطَّوِّعْ خَيْرًا**) و **الغرض الرابع : إثبات وجوه عربية متكافئة** : فيما قسّمه علماء العربية حين أرادوا ضبط هذه اللغة بعد اختلاط الشعوب ، إلى علوم اللغة ، و النحو ، و التصريف ، و البلاغة (المعاني و البيان و البديع) ، وجاء في التنزيل إثبات هذه الوجوه أمثلةً يقاسُ عليها ، و شاهدًا دائمًا على أنها من الوجوه الجائزة في العربية ، و أنه يحسُن استمرار استعمالها في وجوه الكلام العربي ، مع ما تتضمّنه من تحقيق الأغراض الثلاثة الأوّل " ¹ .

4 - من الكتب المؤلّفة في توجيه القراءات : **معاني القراءات** لأبي منصور الأزهر (ت 370 هـ) ، و **الكشف عن وجوه القراءات السبعة و عللها و حججها** لمكي بن أبي طالب (ت 437 هـ) ، و **طلائع البشر في توجيه القراءات العشر** لمحمد الصادق القمحاوي ، و **المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة** لمحمد سالم محيسن ، و كتب التفسير المطولة لا تخلو من توجيه للقراءات كتفسير الطبري و ابن عطية و القرطبي و أبي حيان و الرازي و الشنقيطي و الطاهر بن عاشور . . جميعها يستفيد منها المتدبّر في استجلاء التوجيه و تصنيف نوعه .

ثم أرفق رحمه الله دراسةً تحليليةً " للقراءات التي ليست لمجرد التيسير على الناطق العربي الموجودة في سورة البقرة " ، مع ملحق فيه " القراء العشرة والرواة عنهم " ، و " نماذج من القراءات العشر في سورتي البقرة و آل عمران ومعظمها من الفرش " ¹

7- قاعدة " حول ارتباط الجملة القرآنية بموضوع السورة، وارتباطها الموضوعي بما تفرق في القرآن المجيد " ² :

في هذه القاعدة - التي تندرج تحتها أغلب القواعد التي بعدها - يؤصل الشيخ لقضية تناسب أجزاء القرآن و ارتباطها الموضوعي بعضها ببعض ، ابتداءً من الجملة القرآنية إلى الآية إلى السورة إلى القرآن المجيد كله ؛ كلما زاد التدبر و التعمق و الغوص و السبر تلمس الباحث هذا التناسب ³ .

1 - قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل : عبد الرحمن الميداني ، ص 722-723 .

1 - نفسه : ص 753 .

2 - نفسه : ص 13 ، وهي القاعدة الأولى في الكتاب .

3 - قريبٌ من هذا الارتباط الموضوعي موضوعُ التناسب أو النظم أو الوحدة الموضوعية و العضوية على اختلاف العلماء في التسمية، هذا وقد طبّق هذا الموضوع - على تباين - شيخُ المفسرين أبو جعفر الطبري (ت 310 هـ) ، و أبو بكر النيسابوري (ت 324 هـ) ، و القاضي عبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ) ، و الإمام الزمخشري (ت 538 هـ) ، و القاضي أبو بكر بن العربي (ت 543 هـ) ، و الإمام الفخر الرازي (ت 606 هـ) ، و الإمام الشاطبي (ت 790 هـ) ، و الإمام بدر الدين الزركشي (ت 794 هـ) والذي تحدث في كتابه " البرهان في علوم القرآن " عن التناسب باعتباره واحداً من علوم القرآن، فعزّفه وذكر رواه وأبرز المشتغلين به إلى زمانه، وردودهم على المعترضين، ثم أفاض في الحديث عن وجوه التناسب ، ولعل جهد الإمام برهان الدّين البقاعي (ت 885 هـ) في تفسيره " نظم الدرر في تناسب الآيات و السور " ، هو الأجمع والأشمل والأكثر تفصيلاً، والأفضل من كل سابقه وأغلب الذين جاءوا من بعده ؛ فإنه قد جعل المناسبة من جميع جوانبها غاية من الكتاب الذي حوى كنوزاً من هذا الفن على كلام فيه لبعض الأقران . و من أبرز المعاصرين الدكتور عبد الله دراز (ت 1958 م) . . وغيرهم كثير ، و ينبغي التأكيد على أن من حُصوا بالذكر هم نخبة من أبرز المشتغلين بالتناسب عبر العصور، وبالأخص من كانت لهم بصماتهم في هذا المجال، علماً بأن ثمة أعلاماً كباراً من القدماء والمعاصرين - سوى هؤلاء - عُنوا بالمناسبات في تفاسيرهم وأبحاثهم ورسائلهم الجامعية سواء منهم من استعمل مصطلح التناسب أو النظم أو النظام أو الوحدة الموضوعية أو العضوية .

وفي هذا المعنى قال رحمه الله : " إن مثل الجمل القرآنية وما تحمل من معاني و دلالات كمثل حبات نفيسات الجواهر ، نظمت في عقد متكامل تمثله السورة القرآنية ، أو نضدت في قطعة نادرة مصوغة أبدع صياغة من قطع الحلبي مع التناسق التام والبديع " ¹ .

يعني أنّ العِقدَ الجميلَ البديعَ كتلةً واحدةً ، و التّسقَ الجمالي المتكامل فيه سرُّهُ في " إتقان " الوضعِ و الرّصفِ لكلِّ حَبَّةٍ في المجموع الكلي للعقد ، هذا هو جوهرُ النظرية ، ولكِنَّها ها هنا في الجانب الموضوعي المعرفي أو التربوي و ليس في الجانب الجمالي كما في العقد .

ولله سبحانه المثلُّ الأعلى ، فعلى المتدبّر لكلام الله تعالى أن يتلمّسَ بذهنيه هذا التناسُبَ وهذا التناسُقَ و التكامل بين المعنى الجزئي و ما له به تعلقٌ موضوعي معرفي أو تربوي داخل كل آية ، و داخل كل سورة ، بل و في القرآن المجيد كله ، و يقفَ على عناصر هذا الترابط الوثيق بالملاحظة و السّبر ² .

هذا وقد جعل الشيخ هذا الارتباط على نوعين :

أ - نوع هو ارتباط معنى الجملة القرآنية بما تفرق في القرآن بمعان تجتمع معه في موضوع واحد ، وسوف يكتشف الباحث بالغوص و السّبر أنّ لذلك المعنى الجزئي موقع في جملة الموضوع القرآني ، و يمكن أن نطرح على هذا النوع وصف " التناسُب الموضوعي للجملة في الإطار القرآني الإجمالي " .

ب- ونوع ثان هو ارتباط معنى الجملة القرآنية بمعاني سائر الجمل في آية وفي السورة ، و يمكن أن نطرح على هذا النوع الوصف التالي : " التناسُب الموضوعي للجملة في إطار السورة القرآنية الواحدة " .

وعلى المتدبّر أن يبحث و يتأمّل في كليهما من أجل أن " يكتشف المناسبة ، أو الغرض التعليمي أو التربوي ضمن

1 - قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله عز وجل : عبد الرحمن الميداني ، ص 14 .

2 - انظر للتوسع مقال : (الوحدة البنائية في القرآن المجيد) - طه جابر العلواني - د ت - <http://www.alquran.ma/Article.aspx?C=5646>

المنهج التعليمي القرآني العام "1 ، و عليه أيضًا " أن يبحث عن التسق الذي يكشف عن التلاحم أو التناصب بين معاني جُمَل الآية القرآنية ووحدة موضوع السورة "2 . فهو يؤكد إذًا على ضرورة رؤية القرآن العظيم و نصوصه و أجزاءه رؤية موضوعية بناءية متكاملة يلامسُ معها الباحثُ روعة البيان القرآني و يُدركُ التناصب الذي يقدم للمتدبر نفعًا عظيمًا ومفاهيم جليلة .

وآلة هذا الاستكشاف التدبري هي " العناية التامة و الملاحظة المستمرة " 3 ، و اكتساب شخصية تدبرية تتجاوز السطحية في التعامل مع القرآن إلى تحريك القدرات و الملكات من الغوص و السبر و التأمل و الاستقراء و العمق في التفكير و التحليل ، و في هذا يقول : " وعلى المتدبر العميق التفكير أن يكتشف ويحلل ويبرز عناصر الترابط ويضع أسهم التناسق والترابط بين هذه النقائص الموزعة أبدع توزيع " 4

ثم أعطى أمثلة تطبيقية من خلال معاشته للصنعة التدبرية برهنَ بها على القاعدة ، و على كيفية اكتشاف ذلك التناصب ، أختارُ منها مثالاً واحدًا وهو قول الله تعالى : [خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْعَقَّارُ] (الزمر: الآية 5) .

فقد بين الشيخ - من خلال التأمل في مناسبة الاقتران بين معنيين جزئيين في الآية هما " ظاهرة الليل و النهار " و " تسخير الشمس و القمر " ، أن هذا الاقتران في الذكر يدل على وجود ترابط في الواقع ينبغي أن يتوصل إليه المتدبر . ما هو هذا الترابط ؟ ، يجيبُ الشيخ فيقول : " و البحث العلمي في الكون أثبت الترابط بين الشمس و القمر و الأرض و الجريان ، ومعلوم أن الجريان فيه حركة دوران الشيء حول

1 - قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 14 .

2 - نفسه .

3 - نفسه : ص 15 .

4 - نفسه .

نفسه ، ومسير الشيء في مسير ، فالليلُ و النهار ظاهران
لنظام سير الأرض بالنسبة للشمس¹ .
فظهر من خلال تفسير الشيخ أنّ الرابطَ هنا " علمي
معرفي فلكي " ، فائدة من فوائد التأمل في معنى الجملة
القرآنية و الجملة المقترنة بها في الآية الواحدة .
8 - قاعدة " حول وحدة موضوع السورة القرآنية " 2

هذه القاعدة تؤسّسُ لقضية " الوحدة الموضوعية للسورة
القرآنية "³ ، وهي " رائعة من روائع إعجاز القرآن "⁴ ، و جزء
أصيل في مجال التفسير الموضوعي⁵ .
هذا و قد شبه المؤلف رحمه الله السورة القرآنية
بالشجرة من الأشجار البديعة المثمرة المشبّعة بالتنسيق
الجمالي ، أو كمثل كائن حيٍّ من الكائنات الراقيات، و "
الشجرة مهما اختلفت صفاتُ أجزائها مجتمعة على أصل
واحد ، ومشتقّة منه ، و الكائن الحي مهما اختلفت صفات
أعضائه ، مجتمعٌ على أصل واحد ، ومشتقٌّ منه "⁶ .
قال رحمه الله : " إنّ السورة القرآنية من الناحية البانية
والمعاني و الدلالات التي اشتملت عليها بمثابة حلية أدبية

-
- 1 - قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 16 .
2 - نفسه : ص 27 ، وهي القاعدة الثانية في الكتاب .

3 - والدلائل على تميز سور القرآن بهذه السمة متوافرة بشكل يجعلها وجها من
أوجه الإعجاز . وقد وفق العلماء المتقدمون في استجلاء هذه السمة ودراستها
في علمين من علوم القرآن : الأول " علم المناسبات " الذي عني بأوجه الارتباط
بين الآيات والسور، والثاني " علم مقاصد السور " الذي أبدعه برهان الدين
البقاعي، وبفضله تنبه بعض المفسرين - لا سيما من المعاصرين - إلى أن لكل
سورة غرضا محوريا تدور عليه جميع آياتها، فعنوا ببيانها في تفاسيرهم . و انظر
للتوسع في هذا الباب والوقوف على تفاصيل القاعدة و أدلتها و تطبيقاتها بشكل
موسع : " وحدة النسق في السورة القرآنية فوائدها و طرق دراستها
" رشيد الحمداوي - مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية - عدد 3 -
1428 هـ ، <http://library.tafsir.net/book/6009>

- 4 - قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 29 .
5 - التفسير الموضوعي بين النظرية و التطبيق : د صلاح عبد الفتاح
الخالدي ، ص 64 .
6 - قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 27,28 .

رائعة فذة ، فهي ذات موضوع كلي واحد ، إلا أن وحدة الموضوع في كل سورة قد لا تستبينُ بالنظرة الجزئية ، ولا بالنظرة السطحية التي تمرّ مرّاً سريعاً على آياتها ، وقد لا يتنبّه لها الكثيرون ، تأثراً بالاتجاه السائد عند المفسّرين القُدماء ، الذين لم يوجّهوا عناية كبيرة لهذا الأمر رغم خدماتهم الجليلات التي قدّموها لهذا الكتاب الربّاني العظيم ، إلاّ أنه كتابٌ معجز ، لا تفنى أعاجيبه ، وسيظلّ فيه دقائق معجزة خفية يظهر منها في كلّ حين من الدهر ما لم يكن قد ظهر من قبل " 1 .

وفي إطار تقريب هذا المعنى الأساسي العظيم لمن يلحظُ اختلاف دروس الآيات و مجالات الخطاب فيها فيظنّ أنها لا رابط بينها² يقول المؤلف : " فالدرسُ الواحدُ من دروس التنزيل قد يشتمل على تعليم في قضايا الإيمان ، وتعليم في قضايا الأخلاق ، و تعليم في قضايا العبادة ، و تعليم في قضايا السلوك ، و مناظرة إقناعية ، و تربية للدّاعي ، و ترغيب و ترهيب ، و وعد ووعيد ، و تعليقات نفسية ، و بيان حقائق عن طبائع الناس و الأشياء ، ووقائع التاريخ الإنساني ، وظواهر المجتمع البشري ، و سنن الله عزّ وجل ، في مزيج قد تكون معه الجملة القرآنية الواحدة مستخدمةً لتحقيق عدّة مطالب ، فيستغنى بهذا الدرس عن نحو عشرة دروس أو أكثر ، بحسب نوع الدرس ، والموقف البشري الذي نزل بشأنه في حركيّة نجوم التنزيل " 3 .

فالمطلوب إذًا من المتدبّر أن يؤمن بهذه القاعدة ، و " يوجّه عنايته ما استطاع لاكتشاف وحدة موضوع السورة القرآنية ، و ارتباط المعاني التي اشتملت عليها

1 - قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 29 .
2 - كثيرا ما يقوم البعض بالتعامل مع سور القرآن - بناء على النظرة السطحية العابرة - على أنها غير مترابطة وأنها تأتي بقصة من هنا وأخري من هناك وعدة مقاطع قد تبدو للنظرة السطحية الفاصرة أنها متباينة الموضوعات لا رابط بينها ، وهو السبب الرئيسي في أن حفظ السور مسألة صعبة لدى الكثيرين ، و الصحيح خلاف هذا كما بيّن المؤلف رحمه الله ، بل هناك انسجام بين الموضوع الكلي للسورة القرآنية و الأجزاء و الدروس الواردة فيها .

3 - قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 31 .

جَمَلُهَا بِهَذَا الْمَوْضُوعِ الْكَلِّيِّ ، فَعَسَى أَنْ يَلْهَمَهُ اللَّهُ الصَّوَابَ " 1 .

ثمَّ شرع المؤلف في تقديم الأمثلة التطبيقية التي تبرهن على القاعدة ، فذكر عدَّة أمثلة ، منها سورة الرعد ، فكتب تحت عنوان " سورة (الرعد) ووحدة موضوعها و تسلسل أفكارها " 2 ، وقد بيَّن رحمه الله أنَّ موضوع سورة الرعد " نجده في الآية الأولى منها : [تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ] ، وتتضمَّن هذه الآية الإشعار بالكلام عن عناصر ثلاثة ، وهي : 1- رسالة الحق . 2 - رسول الصدق . 3 - مرسل إليهم أكثرهم لا يؤمنون . أمَّا الكلام على الرسالة فيستدعي إقامة الدليل على أسسها ، ومن أجل ذلك جاءت مجموعة من الآيات في السورة لإقامة الأدلة على وجود الله عزَّوجلَّ و عظيم صفاته ، و أما الكلام على الرسول و المرسل إليهم فيستدعي بيان حال الصراع الذي تمَّ بينه و بينهم ، و يتضمَّن ذلك عرض أقوالهم و حججهم في تكذيبهم بالرسول و رسالته ، وكيف عالج الرسول صلى الله عليه وسلم إصلاحهم ضمن التعليمات و البيانات الربانية التي أنزلت عليه ، كما يتضمَّن عرض تربية الله لرسوله أمام ما لاقى من المكذِّبين " 3 .

ثمَّ قدَّم المؤلف تفصيل التسلسل و الترابط في ثلاث و عشرين نقطة ، ختمها برسم مخطط شجرة عناصر سورة (الرعد) تفصيلاً ، ليكون " نموذجاً لوضع مخططات شجرات موضوعات سور القرآن العظيم ، المبيِّنة للوحدة الموضوعية لكلِّ سورة " 4 .

9- قاعدة " حول التفسيرات الجزئية والمعنى الكلي " 5 :

أساسُ الانطلاق في هذه القاعدة تحديد المعنى الكلي للنص ، ثم التفسيرات الجزئية الصحيحة الواردة عند

-
- 1 - نفسه : ص 30 .
 - 2 - قواعد التدبُّر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 31 .
 - 3 - نفسه : ص 38 - 39 .
 - 4 - نفسه .
 - 5 - نفسه : ص 59 ، وهي القاعدة الخامسة في الكتاب .

المفسرين إنما هي من قبيل تفسير النص القرآني ببعض ما يدل عليه من جزئيات أو أفراد، لا هي المعنى الواحد للنص كما يتوهم ، ولذلك صاغ المؤلف تحت هذا العنوان جملة تصلح أن تكون قاعدة أو شرحاً لهذه القاعدة ، يقول: "مهما أمكن جمع التفسيرات الجزئية في معنى كلي فهو الأولى بأن يكون منهج المتدبر لكتاب الله"¹ .

ومرادُه أن التفسير الجزئي الصحيح يتوافق مع المعنى الكلي ولو تعددت التفاسير لأنها بمثابة الوجوه وهي التطبيقات الجزئية التي تبين المعنى الكلي . يقول رحمه الله : " فكثيرا ما يأتي في التفاسير تفسير المراد من الكلمة أو الجملة القرآنية بعدة وجوه و لدى التمحيص و التحليل والتأمل يظهر أن هذه الوجوه هي من قبيل المعنى الجزئي الذي يكون المعنى الكلي العام الذي يشملها جميعا، فهي تصلح لأن تدل عليها جميعا ، دون تخصيص بواحدة منها أو أكثر ، وما جاء عن المفسرين ولو كان ماثورا عن الصحابة أو التابعين ؛ إنما هو تفسير للنص القرآني ببعض ما يدل عليه من جزئيات أو أفراد"² .

وعلى هذه القاعدة المثلى³ ينبغي أن يتعامل المتدبر مع كتاب الله و نصوصه و آياته و التفسيرات الجزئية الواردة عن المفسرين ، المنهج الأمثل لمتدبر كلام الله " هو أن يبقي اللفظة أو الجملة القرآنية على دلالتها الكلية ومعناها الشامل ، حتى تدل على كل الجزئيات والأفراد و الصور التي يمكن أن تكون مشمولة بها ، ما لم يقم الدليل على التخصيص ببعض هذه الجزئيات أو الأفراد أو الصور دون بعض"⁴ .

فمراده أنه متى أمكن حمل الآية على معنى كلي عام شامل، يجمع تفسيرات جزئية جاءت في تفسيرها، هي من قبيل التفسير بالمثال أو الجزء أو بالثمرة أو بنحو

1 - قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 59 .

2 - نفسه .

3 - ينظر في هذا : الموافقات : الشاطبي، 214/4-220 حيث فضل هذا الموضوع ، و" قواعد التفسير جمعا و دراسة " لخالد عثمان السبت، 1/208 .

4 - قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 60 .

ذلك، ولا معارض له، وتشهد الأدلة بصحته؛ فهو أولى بتفسير الآية، حملاً لها على عموم ألفاظها، ولا داعي لتخصيصها بواحد من المعاني الجزئية، إلا أن يكون السياق يقتضي تخصيصها حتماً، أو يقوم الدليل على ذلك.

ثم شرع في تقديم الأمثلة التطبيقية، أختار منها المثال الثاني وهو واضح لا يحتاج إلى شرح :

قال : " جاء في تفسير قول الله تعالى : [سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيَّهَا] (البقرة : من الآية 42) عدّة أقوال : قال الزجاج : المراد من السفهاء ههنا مشركو العرب. وقال مجاهد: هم أحبار اليهود . وقال السُّدي: هم المنافقون . وقال ابن كثير: والآية عامة في هؤلاء كلهم والله أعلم . أقول : وما قاله ابن كثير أعم و أشمل، إذ لا موجب للتخصيص ومن المعلوم المجرب أن الكافرين على اختلاف أصنافهم متى أطلق بعضهم شبهة على الإسلام ردَّدها سائرهم وتناقلها بعضهم عن بعض، فيكونون جميعاً قائلين لها، ولو لم يكونوا كلهم مُبتكرين لها " ¹ .

10- قاعدة " حول تكامل النصوص القرآنية في الموضوعات التي اشتمل عليها القرآن، واستبعاد احتمال التكرير ² لمجرد التأكيد ما أمكن " ³ :

موضوع هذه القاعدة، أن النصوص التي ظاهرها التكرار إنما تتكامل في إنشاء معاني جديدة غير سابقة، أو إضافة جوانب مقصودة ينبغي التنبيه إليها، وهذا متفرع عن مبدأ تكامل النصوص القرآنية الذي ينبغي أن يكون أساساً من أسس التدبر القرآني .

يقول رحمه الله: " و بناء على ما سبق فالأصل تكامل النصوص القرآنية الواردة حول موضوع واحد، والتأسيس في كل نص منها مقدم على التأكيد ⁴، أي فهم النص أنه

1 - قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 61 .
2 - انظر أغراض التكرير في القاعدة الخامسة عشرة من كتاب المؤلف، ص 307 .

3 - قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 67 ، وهي القاعدة السادسة في الكتاب .

4 - وهذا مما نصَّ عليه علماء التفسير في كتبهم ، من ذلك ما قاله مكي بن أبي طالب : " حمل اللفظين على فائدتين، ومعنيين أولى من حملهما على التكرار

يحمل فكرة جديدة أولى من فهمه على أنه يؤكد فكرة سابقة ، ولا يُصار إلى حمله على أنه من قبيل التأكيد المحض إلا عند تعدُّر حمله على أنه يشتمل على فكرة جديدة مقبولة لا اعتراض عليها في مفاهيم القرآن ، مع ما فيه من تأكيد لأصل الموضوع مقترن بزيادة الفكرة الجديدة " ¹ .

وقد توصل المؤلف إلى هذه الفائدة التدبيريّة بالاستقراء مع البحث المعمق ، قال : " كثيرٌ من النصوص كُنّا نظنُّها مكرّرة ، وكنا نفهم أنّ الغرض من تكريرها التأكيد ، وتحقيق أهداف تربوية ، لكن البحث العميق أثبت أنها متكاملة ، مع تحقيق غرض التأكيد و الأهداف التربوية " ² .

و أشار إلى أنّ رابط الدلالة على الفكرة الجديدة قد يكون ظاهرًا و قد يكون خفيًا ، فهو يحتاج إلى استنتاج و اجتهاد ، فلا ينبغي التسرّع في اعتقاد وجود الفجوة المهملة فهي منعدمة يقينًا ، ولا ينبغي كذلك تصوّر أنّ النص كُله تكرير لما سبقه لغرض التأكيد أو لمجرّد أغراض تربويّة مصاحبة ، فالأصل - بناء على هذه القاعدة **وجود فكرة مضافة في النص الجديد** :

قال رحمه الله : " و تأكّد عندي أنه ليسَ في أيّ موضوع قرآني فجوات مهملة ، و لكن قد لا يهتدي المتدبّر إلى ملء الفجوة التي يلاحظها بدلالة نصٍّ من النصوص القرآنية الموزّعة في السور ، إمّا لأنّه لم يتنبّه إلى النص ، وإما لأنه لم يتنبّه إلى دلالاته الظاهرة أو الخفية " ³ .

ولمّا كان التكرار أكثر ما يرد في القصص ؛ كتب المؤلف تحت عنوان " **التوزيع في القصص القرآنية** " ⁴ ، وأكد وجودَ الفكرة المضافة في النصّ القصصي الجديد على

بمعنى واحد " **الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه** : مكي بن أبي طالب - تحقيق أحمد حسن فرجات - بيروت ، لبنان - دار المنارة - ط 1 = 1406هـ ، ص 219 . وقال محمد الأمين الشنقيطي : "إن المقرر في الأصول أنه إذا دار الكلام بين التأكيد والتأسيس معاً، وجب حمله على التأسيس، ولا يجوز حمله على التأكيد إلا لدليل يجب الرجوع إليه " **أضواء البيان** : الشنقيطي، 2/473 .

1 - **قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله** : عبد الرحمن الميداني ، ص 69 .

2 - **قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله** : عبد الرحمن الميداني ، ص 67 .

3 - نفسه : ص 68 .

4 - نفسه : ص 69 .

الدّوام ، وكيف أنّه لا يُساقُ لمجرّد التكرير و التأكيد فحسب ، قال رحمه الله : " ومن ذلك توزيع القصص القرآنية على نجوم التنزيل ، فمنها الموجز ومنها فوق ذلك حتى المبسوط المطوّل ، وعلى مراحل من البيان التعليمي ، و التربوي ، و التوجيهي ، وتجزئتها مفرّقة في سور من القرآن متعدّدة ، وضمن مناسبات ؛ كل مناسبةٍ منها تستدعي التنبيه على جانب من القصّة القرآنية ، تتصل العظّة به ، أو بيان ديني يوجد في هذا الجانب من القصّة ما يكشف وحدة أصول الرسالات الرّبانيّة التي جاء بها الأنبياء و المرسلون ، أو يكشف تشابه قلوب الناس ونفوسهم و أنواع سلوكهم ، في مقابلة دعوات الحقّ التي تخالف أهواءهم ، أو تخالف عاداتهم و تقاليدهم ، و أنانيّاتهم ، و تعصّبهم لما كان عليه الآباء و الأجداد ، ولما كانوا عليه قبل أن تأتيهم هداية المرسلين من ربّ العالمين " ¹ .

ثمّ شرع يقدّم أمثلة تطبيقية برهانية على هذه القاعدة لتأكيدها و للتدريب عليها ، و قد أطال جدّاً رحمه الله فأعطى إحدى عشر مثالا ² ، أختار منها المثال الثاني وأترك الباقي للقسم التطبيقي :

في موضوع النهي عن قتل الأولاد ، لدينا نصّان في القرآن المجيد :

النص الأول ، وهو الأسبق نزولاً ، قوله تعالى : [وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ] (الإسراء : من الآية 31) .

والنص الثاني ، وقد نزل في المدينة ، قوله تعالى : [وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ] (الأنعام : من الآية 151) .

قال رحمه الله : " إذا تدبّرنا هذين النصّين وجدناهما متكاملين لا مكتررين ، فما جاء في سورة الإسراء أعلن الله عزّ وجلّ فيه تكفّله برزق الأولاد ، وعطف عليه تكفّله برزق أوليائهم المنفقين عليهم ، وذلك في موضوع محاولة التخلص من الأولاد بقتلهم خشية حدوث الفقر في المستقبل بسبب

1 - نفسه : ص 69- 70 .

2 - قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، من ص 71 إلى ص 131 .

الإنفاق عليهم ، فالله ينهى عن قتلهم في هذه الحالة ، و يبين للأولياء أن رزقهم قد يكون بسبب الأولاد أو عن طريقهم إذا كبروا وقد دلّ على هذا تقديم التكفل برزق الأولاد [تَحْنُ تَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ] ، ودلّ على أنّ الفقر أمر محذور وقوعه في المستقبل المجهول و ليس واقعا في الحال قوله تعالى في الآية : [خَشِيَةَ إِمْلَاقٍ] ، أي خشية حدوث فقر في المستقبل . وما جاء في سورة الأنعام قد أعلن الله فيه تكفله برزق الأولياء ، وعطف عليه تكفله برزق أولادهم ، على عكس ما جاء في النص الأول ، لأنّ الموضوع هنا هو محاولة التخلص من الأولاد بقتلهم تخلصاً من أزمة الفقر الواقع الجاثم ، دلّ على هذا قول الله في الآية ، [وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ] أي من فقر واقع فعلا ، فكان المناسب هنا تقديم العهد برزق الأولياء على

العهد برزق أولادهم ، فتكامل النصان و تمّ الموضوع من مختلف جوانبه ، وحصل مع ذلك تأكيد النهي عن قتل الأولاد الذي هو أساس الموضوع بما جاء في النص المتأخر " 1 .

11- قاعدة " حول تكافؤ النصوص القرآنية ووجوب الجمع بينها في نسق فكري متكامل وعدم اللجوء إلى الحكم بالنسخ إلا فيما ثبت نسخه بدليل صحيح صريح " 2 :

موضوع هذه القاعدة في نفس السياق التدبري للقاعدة الماضية من حيث اعتقاد تكامل النصوص القرآنية و استبعاد ما يدفع ذلك ما أمكن ، القاعدة الماضية كانت حول استبعاد التكرار ، و في هذه القاعدة يتم استبعاد القول بالنسخ إلا فيما ثبت بيقين ، لأنّ اعتقاد النسخ يحجب عن المتدبر حقيقة هذا التكامل و التناسق الموضوعي ، و الذي ينبغي أن يكون أساساً من أسس التدبر القرآني كما مرّ معنا .

ولا شك من حيث الأصل أنّ العلم بما ثبت من النسخ و المنسوخ من ضرورات الدرس التفسيري ، ولولاه يقع المفسر و المتدبر في كتاب الله تعالى في الخلط و الخطأ ، و من هنا

1 - نفسه : ص 75 .

2 - قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 139 ، وهي القاعدة الثامنة في الكتاب .

حُرِّمَ عَلَى الْمَفْسِّرِ التَّعَرُّضُ لِلتَّفْسِيرِ إِلَّا مَعَ اسْتِكْمَالِ هَذَا الْعِلْمِ¹ :

جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه مرَّ بقاصٍّ فقال له : " أتعرف الناسخ و المنسوخ ؟ " قال لا . قال ابن عباس : " هلكت و أهلكت "² . و في بعض الروايات أن عليًّا رضي الله عنه قال للقاص : " اخرج من مسجدنا ولا تذكر فيه "³ . ومعناه أن القاصَّ يستدلُّ ولا بُدَّ في وعظه بكتاب الله و بيِّن أحكامه للناس فإذا ما مرَّ بأية منسوخة وهو لا يعلم يقع في الخلط و الخطأ و يدعو النَّاسَ إلى شيءٍ كتابُ الله منه بريء ، فيضلُّ و يُضلُّ .

ولكنَّ مرادَ المتقدِّمين بالنسخ مُوسَّعٌ على خلافِ الاصطلاحِ الذي عليه المتأخرون فهو يدخلُ فيه عند المتقدِّمين التخصيص و التقييد و التبيين وما شابه ، و الأمرُ على هذا الاصطلاح له تعلقٌ كبيرٌ بهذه القاعدة التي ذكرها الشيخُ لأنَّ النصوص التي يُدَّعى فيها النسخُ على هذا الوجه سوف تبقى دلالاتها و المعاني التي تحملها في نسقٍ فكريٍّ متكاملٍ كما سنرى ، بخلاف ما هو عليه مصطلح النسخ عند المتأخريين ، فهو رفع الحكم الثابت بخطابٍ متقدِّمٍ رفَعًا كليًّا بخطابٍ آخر متراخٍ عنه⁴ . و لذلك فهو عند المتقدِّمين و في نصوصهم الثابتة عنهم كلُّ ظاهرٍ تُركَ ظاهره لمعارضٍ راجحٍ كتخصيص العام و تقييد المطلق ، فينبغي مراعاةُ هذا الاصطلاح عند النظر في كلام و تطبيقات العلماء متقدِّمين و متأخريين⁵ .

وقضية هذه القاعدة أن كثيرا من النصوص يُنقى عنها النسخُ إذا أحسن المتدبِّر وضعها في سياقها وإعمال قواعد الشرع العامة فيها ، فهي بذلك تتكافؤ و تكتمل ، يقول رحمه

1 - البرهان في علوم القرآن : الزركشي ، 2/158 .

2 - الناسخ و المنسوخ : أبو جعفر النحاس ، 1/414 .

3 - نفسه : 1/410 .

4 - انظر : روضة الناظر : ابن قدامة المقدسي ، 1/283 ، و شرح الكوكب المنير : ابن النجار ، 3/526 .

5 - فاصطلاح المتأخريين للنسخ اصطلاحٌ مخصوص متعلِّقٌ برفع كامل حكم الآية ، و الرفع الجزئي له اصطلاحات أخرى كما تمت الإشارة ، بخلاف اصطلاح السلف فهو أشمل ، و المقصودُ أن المتدبِّر مطالبٌ بتحصيل علم الباب على الاصطلاحين حتى لا يقع في الخلط و الخطأ .

الله: " ومهما أمكن جمع النصوص القرآنية، وحمل النص المعارض في ظاهره على معنى صحيح سليم منسجم مع السياق، ومع مفاهيم أحكام الشريعة بوجه عام، وغير معارض معارضةً كليّةً لأمرٍ ثابتٍ في بيان دلالاته، فلا يصح فهمه بطريقة تُلجئ إلى اعتباره منسوخاً " ¹ .

وقد لاحظ المؤلفُ أنَّه قد كُتِرَ فعلاً ادّعاءُ النسخ عند كثير من المفسّرين لأدنى موجب ، و دون دليل كافٍ يمكن الاستناد إليه ، و هذا من المسالك التي ينبغي أن يسلم منها المتدبّر حفظاً لدلالات النصوص المحكمة الثابتة :

قال رحمه الله : " و يكثرُ عند بعض المفسّرين ادّعاءُ النسخ في كثير من الآيات القرآنية ، دون دليل كافٍ يثبت به النسخ ، و الأصل أن الآيات القرآنية باقية الدلالات ، و مرادةُ المعاني التي تحملها ، في مواردِها ، ولا يجوزُ اللجوءُ إلى الحكم بالنسخ لأدنى شبهة ، أو لدليل ضعيف لا يقوى على رفع دلالة النصّ الثابتة " ² .

ولا شكُّ أنَّ من تأمّل تصرّفات كثيرٍ من المفسّرين مع الآيات و ادّعائهم النسخ فيها دون أدنى تأمّل للجمع ؛ يسلمُ للمؤلف هذا الحكم عن يقين .

وقد تطرّق المؤلف تحت هذه القاعدة إلى معالجة السبب الرئيس الذي دفع بكثير من المفسّرين إلى إصدار الحكم بالنسخ في كثير من المواضع وهي محكمةٌ لا تحتمل ، فقال : " و على المتدبّر لكتاب الله أن يكون على بصيرة من الحقيقة التالية : و هي أنّ التدرّج في إنزال الأحكام ليس من النسخ ³ ، إذ الأمر المسكوتُ عنه في البيان لا يُعتبرُ بيان حكمه بعد ذلك نسخاً له ، فمن نفّذ من الخطة الموضوعية بعض عناصرها التي تسمحُ به الظروف أو تقتضيه الحكمة ، فإنه لا يكونُ مبدلاً ولا

1 - قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 140 .

2 - نفسه .

3 - فهذا التدرّج يتمشى مع سُنّة الترقّي في تربية البشرية ومسائرة نُضج العقل الإنساني، فينبغي رعاية هذا المقصد في التعامل مع المعطيات الزمانية و المكانية و الحالية للبشر .

مغيّرًا في أصل الخطّة ، و قد تكون الخطّة في أساسها تقتضي بأن يجري تنفيذ عناصرها على مراحل " 1 .
ثم شرع المؤلف في تقديم الأمثلة التطبيقية التي تبرهن على هذه القاعدة التدبيريّة ، و أمثلة أخرى على ما يُدعى النسخ فيه وهو محكم غير منسوخ ، اختار منها المثال الثاني :
في قوله تعالى : [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ] (المائدة : من الآية 105) .
فالغلط في فهم هذا النص يقع في تعميمه و جعله مُسقطًا لواجبات كالأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و الأخذ على يد الظالم و الجهاد في سبيل الله حتى يُخيّل لمتعامل مع كتاب الله تعالى أنّ النصوص الآمرة بذلك تُسخت و بطل مؤدّاها بهذا النص ، وهذا خطأ .

قال رحمه الله : " إِذَا فَهِمَ هَذَا النَّصَّ عَلَى إِطْلَاقِهِ الظَّاهِر أَلغى دلالات نصوص الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ، و الجهاد في سبيل الله ، و الأمر بوقاية الأهل من النار . و فهم النصوص بعد اجتماعها كلها يوضح أنّ هذا النص له موضع لا يتعداه ، ضمن الموضوع العامّ الذي تناولته جملة النصوص : فقول الله تعالى : [عَلَيكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ] يراؤ منه بيان أنّ مسؤولية المؤمن لا تتجاوز حدود ما أمره الله به من إيمان و عمل ، و يدخل في العمل الجهاد في سبيل الله و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و الأخذ على يد الظالم و العمل لإقامة شريعة الله و إقامة حدوده ، فمسؤوليته لا تتجاوز هذه الحدود حتى تدخل في حدود أنه مسؤول عن ضلال من ضلّ بعد ذلك ، بل ضلال من ضلّ بعد ذلك تقع مسؤوليته على نفسه ، لا يضُرُّ بضلاله عند الله أحدًا من المؤمنين القائمين بما أمرهم الله " 2 .

12- قاعدة " **حول الربط بين الآيات وخواتيمها** " 3 :
هذه القاعدة أيضًا من قواعد علم المناسبة في القرآن الكريم ، ذلك أنّ المناسبة تأتي على أنواع ، من أجلها هذا

1 - قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 140 .

2 - نفسه : ص 143 .

3 - قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 429 ، وهي القاعدة السابعة عشرة في الكتاب .

النوع، و المقصود بهذه القاعدة اتجاه المتدبر لإدراك التناسب و استنباط الترابط الموجود بين معاني كلمات الآية و ما يليها من معاني خواتيمها ، فهي قد تلقي الضوء على المراد مما جاء فيها و تدلنا على معانٍ لم نكن لنفهمها لولا إدراك الهدف من تلك الخواتيم¹ .

قال المؤلف رحمه الله: "إن خواتم الآيات قد تلقي الضوء على المراد مما جاء فيها، و على المتدبر للآية القرآنية أن يبحث عن التناسب و الترابط بين مضمون الآية وما جاء في آخرها من قضايا كلية، إن كان في آخرها شيء من ذلك"² .
ووجه مناسبة خاتمة الآية مع قبلها لم يذكر منها المؤلف إلا نوعاً واحداً هو مطابقة صفة اسم الله تعالى في آخر الآية مع ما قبلها ليتحقق المعنى المراد ، و أعطى أمثلة على ذلك ، منها المثال الثالث ، قوله تعالى: [إِنَّ تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤُهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرُخُوا بِهَا وَإِنْ تَضُرُّوا وَتَنْفُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ] (آل عمران : 160) :
قال رحمه الله : " نلاحظ أن الآية ختمت بقول الله عز وجل : [إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ] ، وبقليل من التأمل ندرك أن الآية خُتِمت بهذا الختام لتدل على أن الله عز وجل سَيُحِيط كَيْدَ المنافقين الذي يكيدون كيدهم ضد المؤمنين إذ من هو محيط بما يعمل أعداء أوليائه وهو قدير على نصره

1 - و انظر للتوسع النظري و التطبيقي كتاب : " نظرات و اختيارات في مناسبة خواتيم الآيات مع فوائد بديعات " ، فكري بن محمود بن رجب سلامة ، مكتبة أبو بكر الصديق - القاهرة ، مصر - ط 1 - 1433 هـ . و " الإعجاز البياني في نظم خواتم الآيات المشتملة على أسماء الله الحسنى " (رسالة ماجستير غير مطبوعة) - عاطف رجب جمعة القانوع - إشراف أ د محمد شعبان علوان - الجامعة الإسلامية - غزة ، فلسطين - 1427 هـ ، متاحة للتحميل عبر النت : http://resaalaty.blogspot.com/2013/05/blog-post_2.html
و انظر رسالة : " المناسبة بين الفواصل القرآنية و آياتها دراسة تطبيقية الجزء الأول من سورة البقرة " (رسالة ماجستير غير مطبوعة) - أحمد عطية المنيراوي - إشراف د زكريا إبراهيم الزميلي - الجامعة الإسلامية - غزة ، فلسطين - 1431 هـ ، متاحة للتحميل عبر النت : http://resaalaty.blogspot.com/2012/07/blog-post_6614.html ، مع رسائل ماجستير أخرى في نفس الجامعة بنفس العنوان الأخير و نفس الرابط لكن بتطبيقات في سور القرآن المختلفة .
2 - قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 429 .

أوليائه وإحباط مكايدهم فإِنَّه سيفعل ذلك ، لا سيما إذا طمأنهم بقوله : أنا محيط بما يعمل أعداؤكم ضدكم " 1 .
وكثيرًا ما يقع المتدبّر في الخطأ بسبب عدم رعاية هذا الأمر ، ومن بديع ما نقله السيوطي رحمه الله " عن أعرابيٍّ أَنه سمِعَ قارئًا يقرأ : [فَإِنْ رَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَاغْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ (غَفُورٌ رَحِيمٌ)] ، ولم يكن يقرأ القرآنَ لِأَنَّ الْآيَةَ فِي كِتَابِ اللَّهِ هَكَذَا [فَإِنْ رَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَاغْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ] (البقرة : من الآية 209) ، فقال : إِنْ كَانَ هَذَا كَلَامَ اللَّهِ فَلَا يَقُولُ كَذَا ؛ الْحَكِيمُ لَا يَذْكُرُ الْغَفْرَانَ عِنْدَ الزَّلَّةِ لِأَنَّهُ إِعْرَاءٌ عَلَيْهِ ! " 2 . فانظر كيف أدرك الأعرابيُّ أَنَّ الْكَلَامَ لَا يَقُولُهُ حَكِيمٌ بِتَأَمُّلِهِ فِي خَاتِمَةِ الْآيَةِ وَ عَدَمِ إِمْكَانِيَّةِ مَنَاسِبَتِهَا لِمَضْمُونِهَا .

هذا وقد أشار كثيرٌ ممن اعتنى بعلوم القرآن و قواعد التفسير و التدبّر إلى هذه القاعدة ، و بيّنوا ضرورة اعتناء المتدبّر لكلام الله تعالى بما تدلُّ عليه من الفوائد البديعة حتى يحصل المقصود و يسلم من الزلل :

قال الزركشيُّ : " اعلم أَنَّ من المواضع التي يتأكد فيها إيقاع المناسبة مقاطع الكلام وأواخره وإيقاع الشيء فيها بما يشاكله ، فلا بُدَّ أَنْ تكونَ مُناسِبَةً للمعنى المذكور أولاً وإلا خرج بعضُ الكلام عن بعض ، **وفواصلُ القرآن العظيم لا تخرجُ عن ذلك** ، لكن منه ما يظهرُ ومنه ما يُستخرجُ بالتأمل لليبب " 3 .

وقال ابنُ القيم : " وإذا تأملتَ ختمَ الآياتِ بالأسماء والصفات ؛ وجدتَ كلامه مُحْتَمًّا بذكرِ الصِّفةِ التي يقتضيها ذلك المقامُ حتى كأنها ذُكرت دليلاً عليه وموجبةً له " 4 .

1 - قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 432-433 .

2 - الإتيان في علوم القرآن : جلال الدين السيوطي ، 2 / 271 ، النوع التاسع و الخمسون في فواصل الآي .

3 - البرهان في علوم القرآن : برهان الدّين الزركشي ، 1/78 ، النوع الثالث معرفة الفواصل ورؤوس الآي .

4 - شفاء العليل في مسائل القدر و الحكمة و التعليل : ابن قيم الجوزية - تحقيق الحساني حسن عبد الله - القاهرة ، مصر - دار التراث- د ط - د ط ، ص 200 .

وقال عبد الرحمن السَّعديّ: "يَخْتَمُ اللهُ الآياتِ بأَسْماءِ اللهِ الحسنى؛ لِيَدُلَّ عَلَى أَنَّ الحِكمَ المذكورَ لَهُ تَعَلُّقٌ بِذَلِكَ الاسمِ الكَرِيمِ، وَهذِهِ القَاعِدَةُ لِطِيفَةٍ نَافِعَةٍ، عَلَيْكَ بِتَتَبُعِهَا فِي جَمِيعِ الآياتِ المَخْتومَةِ بِهَا، تَجِدُهَا فِي غَايَةِ المُنَاسِبَةِ، وَتَدُلُّكَ عَلَى أَنَّ الشَّرْعَ وَالْأَمْرَ وَالخَلْقَ كُلَّهُ صَادِرٌ عَنِ أَسْمَاءِ وَصِفَاتِهِ، وَمُرْتَبِطٌ بِهَا، وَهَذَا بَابٌ عَظِيمٌ فِي مَعْرِفَةِ اللهِ وَمَعْرِفَةِ أَحْكامِهِ، فَتَجِدُ آيَةَ الرَّحْمَةِ مَخْتومَةً بِصِفَاتِ الرَّحْمَةِ، وَآيَاتِ العَقوبَةِ وَالْعَذَابِ مَخْتومَةً بِأَسْمَاءِ العِزَّةِ وَالقُدْرَةِ وَالْحِكمَةِ وَالْعِلْمِ وَالقَهْرِ"¹.

وقال حامدُ بنُ عبدِ اللهِ العليّ²: "حَتَمَ الآياتِ بِأَسْماءِ اللهِ الحسنى يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَعانِيَ الآيَةِ لَهَا عِلاقَةٌ بِالاسمِ"³.

المبحث الثاني

- 1 - **القواعد الحسان لتفسير القرآن** : عبد الرحمن السعدي - جدة ، السعودية - دار الرشد - ط 1 - 1420هـ ، ص 50 .
- 2 - حامد بن عبد الله أحمد العلي ، كويتي ، أستاذ للثقافة الإسلامية في كلية التربية الأساسية في الكويت ، وخطيب مسجد ضاحية الصباحية ، طلب العلوم الشرعية في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة من عام 1401هـ إلى عام 1410هـ ، وحصل على الماجستير في التفسير وعلوم القرآن ، وتولى منصب الأمين العام للحركة السلفية في الكويت من عام 1418هـ إلى عام 1421هـ ، ثم تفرغ بعدها للكتابة وتدريس العلوم الشرعية في مسجده ، وإلقاء المحاضرات والدروس ، وقد عمل في وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في الكويت كإمام وخطيب من 1400هـ ، حتى عام 1425هـ انظر سيرته في : <https://saaid.net/Warathah/1/h-alali.htm>
- 3 - (**الخلاصة الجامعة لقواعد التفسير النافعة**) : حامد العلي ، http://www.h-alali.net/b_open.php?id=606c301a-28/09/2007-bf3b-102a-be60-0010dce2d6ae

دراسة القواعد المتعلقة بالبلاغة واللغة ودلالات الألفاظ و التراكيب

وسأتطرق في هذا المبحث إلى دراسة القواعد الواردة في الكتاب محلّ الدراسة و المتعلقة بعلوم البلاغة و اللغة ودلالات الألفاظ و التراكيب دراسةً نظريّةً ، و قبل الأخذ في دراسة القواعد أقول:

بخصوص علوم البلاغة فقد أورد المؤلّف رحمه الله عشرة قواعد ، كلها تتصل بشكل مباشر بالبلاغة ومساائلها وتخدم الدرس التدبيري من الناحية البلاغية خدمة عظيمة .
وعلم البلاغة يهتم بمعنى المادة في الكلمة المفردة ، وبمعنى صيغتها ، وبالمعاني التي تنشأ من حركات تركيب الكلمات ومواقع الكلمات في الجمل ، وبالمعاني التي تتأثر دلالة ألفاظها بالسياق ، وبكيفية دلالتها من حقيقة ومجاز وكناية وتعريض وتنظيم للكلام على ما يقتضيه العقل ، وبأثر أصوات الحروف في نفس السامع ، وبالجملة فعلم البلاغة يهتم بكل ما يُبلّغ به المتكلم قلب السامع بالمعنى المراد إقناعاً وتأثراً بحيث يوافق ما تقتضيه حال المخاطب . هذا وقد اهتم العلماء كثيراً بهذا المجال الأساسي الحيوي ، منهم بدر المدين الزركشي الذي عقد في كتابه " **البرهان في علوم القرآن** " ¹ أنواع من علوم القرآن في هذا المجال ، منها النوع الحادي والعشرين " **معرفة لون اللفظ والتركيب أحسن وأفصح** " ، وكذلك النوع الثامن والثلاثين " **معرفة الإعجاز** " ، والثالث والأربعين في " **بيان الحقيقة و المجاز** " ، والرابع والأربعين في " **الكناية والتعريض** " ، والنوع الخامس والأربعين في " **أقسام معنى الكلام** " ضمنه مباحث بلاغية ، والنوع السادس والأربعين في " **أساليب القرآن** " ، واستغرقت الجزء الثالث كله من كتاب البرهان قاعدة في البلاغة " **الكلام على المفردات من الأدوات والبحث عن معاني الحروف** " .

وذكر عبد الرحمن السعدي بعض الأنواع متفرقات في كتابه في القواعد¹.

و كذلك عقد جلال الدين السيوطي في كتابه الإتقان في علوم القرآن مباحث بلاغية متعددة، منها : المجاز، الكناية ، والتعريض ، والاستعارة والتشبيه، والإيجاز، والإطناب، والمساواة، والفصل والوصل، والمطابقة والمناسبة، المجانسة والتورية والالتفات، واللفت والنشر. .

وأما مساعد الطيار في كتابه " فصول في أصول التفسير " فبالرغم من أنه يؤصّل في أصول التفسير؛ فإنّه لم يتعرض لهذا الموضوع المهم إلا بإشارات فقط² ، بينما أطال في المجال اللغوي ، وليس مثلي من يوجه الدكتور مساعد الطيار في كيفية السير و التّأصيل ، فلا أتجاوز موضع التلميز بين يديه وأمثاله من العلماء وفقهم الله وسددهم ، ولكنني أحببت أن أنبه إلى علو شأن القواعد البلاغية في تحقيق فهم النص و الإقلاع نحو أفق التدبّر .

وأما خالد السبت فقد اهتم بهذا الجانب اهتماما كبيرًا ، و كتابه في هذا أفضل من كتاب مساعد الطيار ، حيثُ جمع خالد السبت أكثر من ثلاثين قاعدة في باب البلاغة ، و كتابه من أجمع الكتب المعاصرة في هذا المجال³ .

وبخصوص القواعد المتعلقة باللغة والتراكيب ودلالات الألفاظ فهي من أوسع الأبواب التي عليها مدار علم التدبّر ، وقلما نجد كتابا في قواعد التفسير والتدبّر إلا وله عناية ولو يسيرة بهذا الباب ومفرداته، والمؤلف جمع لنا في كتابه عدّة قواعد اعتنى فيها بالاستعمال القرآني لكلمات وتراكيب وصيغ قعد بها أصولا للتدبّر، واستخرج منها لطائف ودقائق تعين المتدبر على فهم مراد كلام الله ، وسوف نحاول أيضًا في هذا المبحث تجليتها وتبسيطها على المترتيب بعد تبسيط وتجلية قواعد البلاغة .

1 - القواعد الحسان لتفسير القرآن : عبد الرحمان السعدي، ص 32، 43، 47، 48 .

2 - فصول في أصول التفسير : مساعد الطيار ، ص 124 .

3 - قواعد التفسير : خالد السبت ، 1 / 247 وما بعدها .

1- قاعدة " **حول أوجه النص التي يهدف إليها** " ¹ :
والسبب في إدراج هذه القاعدة ضمن القواعد المتعلقة
بعلوم البلاغة أنها تدور في جملة ما تدور حول دلالة الخطاب
القرآني ، و الذي منه تحقيق الغرض البياني للمخاطبين ،
بالإضافة إلى تحقيق الغرض التعليمي و التربوي ، و في هذا
يقول المؤلف رحمه الله : " من الخير لمتدبر كلام الله أن
يتفكر فيما يمكن أن يشتمل عليه النص القرآني من أوجه ،
وما يهدف إليه كل وجه منها من أغراض بيانية و تربوية و
تعليمية " ² .

و قد بين المؤلف في هذه القاعدة أن على متدبر كلام
الله تعالى أن يضع في حسابه و هو يتعامل مع النص القرآني -
وهو أرفع النصوص الأدبية على الإطلاق - أنه قد يكون "
موجهًا لعدة أهداف ، وهذه الأهداف كلها مقصودة من النص ،
ويظهر هذا بجلاء حينما يكون المخاطب به جماعة ذات فئات
مختلفات ، وعناصر متباينات " ³ .

بمعنى أن النص سوف يكون مثلث الهدف مثلاً ، أو ربمّا
أكثر ، وكل صاحب علاقة بالخطاب في النص سوف يأخذ منه
ما يناسب حاله ، مثل أن يكون " تهديدًا و توعّدًا للكافرين ،
ووعّدًا للمؤمنين ، و تربوية و تأديبًا و تسليّة للرسول صلوات الله
عليه . . فالقرآن فيه تعليم و توجيه و تربية للجميع ، و كل
فرد من الذين أنزل إليهم من الإنس و الجن يجد في بيانات
القرآن ما يناسبه و يلائم حالته الفكرية و النفسية و الاجتماعية
، في نصّر أو في آخر ، و بوجه من وجوه النص الواحد أو بوجه
آخر ، و البحث المتعمّق المتأثري قد يكشف ذلك " ⁴ .

1 - قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 45 ، وهي
القاعدة الثالثة في الكتاب .

2 - نفسه .

3 - نفسه .

4 - نفسه : ص 46 .

ثمّ شرع المؤلف في تقديم الأمثلة البرهانيّة على القاعدة و التدريبيّة للمفسّر المتدبّر في كلام الله، أختار منها للتوضيح المثال الأول :

في سورة (المدثر) في معرض الحديث عن إمام من أئمة الكفر الذين استكبروا ورفضوا الإذعان للحقائق و البراهين ، حيث جحد أنّ القرآن كلام الله بعد أن استيقن في نفسه أنه ليس من كلام البشر ، فادبر و استكبر ، وقال جحدًا و عنادًا إن هذا إلا سحرٌ يؤثر إن هذا إلا قول البشر و جاء في أسباب النزول أنه الوليد بن المغيرة¹ ، قال الله تعالى : [سَأْضِلُّهُ سَقَرًا (26) وَمَا أَذْرَاكَ مَا سَقَرُ (27) لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ (28) لَوَاحِشٌ لِلسَّحَرِ (29) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ (30) وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَرْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ] (المدثر : 26-31)

قال رحمه الله في الآية الواحدة و الثلاثين : " فالخبر واحد ، و الخطاب واحد ، لكنّه موجّه لعدّة أهداف ، وهذه الأهداف كلها مقصودة من النصّ ، وموجّه لأصناف الناس على اختلافهم فيما بينهم، وردّ فعل كلّ صنف منهم يكون بحسب واقع حاله تجاه ما يلغّه الرسول عن ربّه ، وقد دلّ التعليل الوارد في النصّ على ذلك : 1 - فالغرض من بيان عدد خزنة جهنّم بالنسبة للذين كفروا هو امتحانهم وابتلاء أفكارهم وعقولهم واستخراج ما في نفوسهم من كفر واستهزاء . 2 - والغرض من بيان عددهم بالنسبة إلى الذين آمنوا و بالنسبة إلى الذين أوتوا الكتاب أيضًا ما يلي : أن يزداد المذنبون آمنوا إيمانًا ، إذ يجدون هذا الخبر مطابقا لما في كتب أهل الكتاب من أخبار صحيحة لم تحرف مع أنّ الرسول أمّي لم يطلع على شيء من كتب أهل الكتاب ، و أن لا يرتاب الذين أوتوا الكتاب و المؤمنون مستقبلاً في أيّ خير يُخبر به رسول الله صلى الله عليه و سلم . وهكذا وجدنا أنّ النصّ الواحد له عدّة أوجه وكل

وجه منها يهدف إلى غرض ، وله عدّة اتجاهات ، وكل اتجاه منها يتناول صنفاً من الناس المخاطبين " ¹ .

2 - قاعدة " **حول لزوم فهم الآية وفق ترتيب نظمها** " ² :

النظم لغةً : هو الجمع والضم والاتساق والنظام والتأليف :
جاء في معجم مقاييس اللغة: " النون والظاء والميم:
أصلٌ يدلُّ على تأليف شيءٍ وتأليفه ، وتَظَمْتُ الخَرَزَ تَظْمًا ،
وتَظَمْتُ الشُّعْرَ وغيره . والنَّظْمُ: الخَيْطُ يَجْمَعُ الخَرَزَ " ³ .
وقال ابن منظور : " النظم : التأليف ، نظمته نظمًا ونظامًا
ونظمته فانتظم وتنظم ، ونظمت اللؤلؤ أي جمعته في السلك ،
والتنظيم مثله ، ومنه نظمت الشعر ونظمته ، ونظم الأمر على
المثل ، وكل شيء قرنته بآخر أو ضممت بعضه إلى بعض قد
نظمته " ⁴ .

وقال الفيروز آبادي : " هو التأليف ، وضم شيء إلى شيء
آخر ، ونظم اللؤلؤ ينظمه نظامًا ونظامًا ونظمه : ألفه وجمعه
في سلك فانتظم " ⁵ .

فالمعنى اللغوي المشترك هو ضم الشيء إلى الشيء ،
وتنسيقه على نسق واحد ، وهذا هو الفلك الذي دار فيه
المعنى الاصطلاحي للكلمة ، فهو يدور على التأليف والتشاكل
:

قال الخطّابي يصف القرآن الكريم : " ولا ترى نظمًا
أحسنَ تأليفًا و أشدَّ تلاؤمًا و تشاكلًا من نظمه " ⁶ .
وقال الباقلاني يصف القرآن الكريم و علو شأن نظمه : "
إنه بديع النظم عجيب التأليف متناه في البلاغة إلى الحد الذي
يعلم عجز الخلق عنه . . فأما منهج القرآن ونظمه وتأليفه

1 - قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 47- 48 .

2 - نفسه : ص 207 ، وهي القاعدة الثانية عشرة في الكتاب .

3 - معجم مقاييس اللغة : ابن فارس ، 5/443 - مادة ن ظ م .

4 - لسان العرب : ابن منظور ، 6/4469 - مادة ن ظ م .

5 - القاموس المحيط : الفيروز آبادي - تحقيق محمد نعيم العرقسوسي -
بيروت ، لبنان- مؤسسة الرسالة - ط 8 في مجلد واحد- 1426هـ ، ص 1500 -
مادة ن ظ م .

6 - بيان إعجاز القرآن : الخطّابي - تحقيق محمد خلف الله و محمد زغلول
سلام - القاهرة ، مصر - دار المعارف - ط 3 - 1976م ، ص 27 .

ورصفه فإن العقول تتيه في جهته وتحار في بحره ، وتضل دون وصفه . واعلم أن هذا العلم شريف المحل عظيم المكان قليل الطلاب ضعيف الأصحاب " ¹ .

وفي هذه القاعدة جعل المؤلف رحمه الله من النظم و رعاية ترتيب الكلمات في الآية بصيغتها المنزلة " آية أساسية " من آيات الفهم الصحيح لكلام الله تعالى و تدبر معانيه و دلالاته ، وهو أمرٌ يحتاج من المتدبر إلى بحث و صبر و تفكير طويل بصبر و أناة ، فإذا عجز عن إدراك المعنى الذي عليه النص في نظمه فليعلق الفهم ولا يتسرع بتغيير النظم و ادعاء وجود التقديم و التأخير ، فقد يأتي متدبرٌ آخر يهديه الله إلى فهم المراد من النص في نظمه ، و ينكشف له الغرض البلاغي أو الفني أو الفكري للآية على نظمها الذي نزلت عليه ، مما يكون من مقاصد البيان البليغ الحكيم .

يقول رحمه الله : " ينبغي فهم الآية وفق ترتيب نظمها ، أما الفهم الذي يقوم على أساس التغيير في النظم القرآني ، بالتقديم أو بالتأخير ، لجملة أو كلمة ، فقد يجز إلى فهم غير صحيح ، أو غير مراد ، أو إلى تعطيل دلالة النص ، أو إلى صرفه عن المعنى المراد ، الذي لا يفهم إلا بإبقاء النظم القرآني على حاله " ² .

وقد أعطى رحمه الله سبعة أمثلة على فائدة هذه القاعدة ، أختار منها المثال الثاني :

في قوله تعالى : [فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ] (التوبة : 55) : قال رحمه الله : " قال بعض المفسرين ومنهم الجرجاني : إن قوله تعالى " في الحياة الدنيا " مؤخرٌ من تقديم ، و التقدير : فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا ، إنما يريد الله ليعذبهم بها (في الآخرة) و تزهق أنفسهم وهم كافرون . (ثم ساق قول ابن القيم في ردّ التقديم و التأخير ³ : و كأثمهم لما أشكل عليهم وجه تعذيبهم بالأموال و الأولاد في الدنيا ، و أن سرورهم و لذتهم و نعيمهم

1 - إعجاز القرآن : الباقلاني - تحقيق أحمد صقر - دار المعارف - القاهرة ،

مصر - ط 4 - دس ، ص 37 .

2 - قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 207 .

بذلك فرّوا إلى التقديم و التأخير) أقول : إنّ ما قاله ابن القيم في هذا هو الجدير بالفهم ، و هو من التدبّر الأمثل للنص ، فالنص على نظامه المنزّل ، ليس فيه تقديم و تأخير ، و يجب أن يُفهم وفق النظم الذي أنزل به " 1 .

3 - قاعدة " **حول اقتضاءات النص ولوازمه وروابطه الفكرية، ومحاذيفه التي حذف للإيجاز والتضمنات التي يضمنها** " 2 :

هذه القاعدة من أطول القواعد في الكتاب ، فقد تطلبت خمسة وأربعين صفحة ، جمع فيها المؤلف من ألوان البلاغة الكثير ، فتحدث فيها عن مقتضيات النص دون أن يكون فيه ألفاظ خاصة تدل عليها ، وتحدث عن الإيجاز وحقائقه البلاغية وما يترتب عن ذلك كله من تدبر عميق يفضي إلى استفادة دلالات دقيقة ، ومعاني عميقة من النص ، سمي هذه الفائدة التدبّرية ب (**العمق القرآني**) ، وهو يتحصّل من عدة أسباب فضّلها المؤلف .

وقد جاء كلامه في القاعدة في ثلاث مقولات:

أ - المقولة الأولى: نظرة عامة حول المعاني التي تُستفاد من النص لزوماً و يقتضيها النص اقتضاءً ، وقد طرح فيها المؤلفُ سبعة أمثلة للتوضيح و البيان .

ب - المقولة الثانية: حول المحاذيف للإيجاز طرح فيها المؤلف خمسة و عشرين نوعاً ، و ثلاثين مثلاً .

ت - المقولة الثالثة: حول مراعاة ظاهرة التضمن طرح فيها المؤلف سبعة أمثلة للتوضيح و البيان .

ولكنّه انطلق في البداية بتوضيح مفهوم (**العمق القرآني**) و بيان أسبابه ، لأنّه الأساسُ في إدراكِ كلّ ما سبق ، ومن فتح الله عليه بلامسة العمق القرآني فقد فتح عليه بالتدبّر الحقيقي لمراد الله سبحانه :

3 - **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان** : ابن قيم الجوزية - تحقيق محمد عزيز شمس - خرّج أحاديثه مصطفى بن سعيد إيتيم - مكة ، السعودية - دار عالم الفوائد - ط 1 - 1432هـ ، 1/35 .

1 - **قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله** : عبد الرحمن الميداني ، ص 211 .

2 - **نفسه** : ص 239 ، وهي القاعدة الرابعة عشرة في الكتاب .

قال رحمه الله : " من المعاني ما يدلُّ عليها النصُّ القرآني دلالة مباشرة منصوصا عليها في اللفظ، ومنها معان تستفاد لزومًا ، و يقتضيهما النصُّ اقتضاءً ، دون أن يكون فيه ألفاظ خاصّة تدلُّ عليه . . و القرآن الكريم فيه إيجازٌ كثير ، يدركه أهل التدبُّر العميق ، و النظر الدقيق ، و البصيرة النافذة الكاشفة ، على أنّ القدر الذي يفهمه منه المتدبُّر السطحي كافٍ لهدايته ، ولكنه لا يصل إلى ما يحتوي من معانٍ عميقة ، ودلالات دقيقة ، وهذه المعاني و الدلالات هي من المعاني الباطنة لا الظاهرة ، إلا أن رؤيتها من الظاهر تحتاج إلى بصيرة كاشفة ، و مقدار من الفهم الواسع ، و تأمل طويل ، و **أسمي هذا العمق القرآني** " ¹ .

ثم شرع في بيان أسباب تحصيل العمق القرآني من الآيات فجعلها في خمسة أسباب ² :

الأول : المحاذيف التي تحذف للإيجاز و يقتضيهما معنى النص أو يستدعيها التوازن و التناظر و التكامل فيه .

الثاني : اللوازم الفكرية و الكنايات البعيدة ذوات الدلالات البعيدات .

الثالث : عدم الإشارة باللفظ إلى المترابط المنطقي بين معاني الجمل أو إلى الترتيب الزمني أو المكانيين الأحداث ، مع إبقاء كل جملة في محلها الطبيعي .

الرابع : دلائل المفهوم المخالف لمنطوق النص و المفهوم الموافق له و ما يشير إليه النصُّ من طرف خفي .

الخامس : القياس على ما جاء في النص ، و إلحاق الأشباه و النظائر .

و قد أعطى على المقدّمة الأولى سبعة أمثلة اختار منها المثال الثاني :

في قوله تعالى : [فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ] (الشرح : الآية 7) ، هذا النصُّ فيه دعوة إلى مواصلة بذل الاجتهاد في الطاعات لا دعوة إلى التعب نفسه ، و معناه : " أي إذا أفرغت من عملٍ فاعمل في طاعة ربِّك عملاً آخر حتى تصلَ بعملك إلى مستوى

1 - قواعد التدبُّر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 239 .

2 - قواعد التدبُّر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 240 .

التَّصَبُّ ، وهو التَّعَبُ ، فاستغنى النصُّ بذكرِ المسبَّبِ عن ذكرِ سَبَبِهِ المطلوبِ في الأمرِ التَّكْلِيفِيِّ "1 .

وفي المقولة الثانية : حول المحاذيف للإيجاز ؛ أشار رحمه الله إلى خمسة و عشرين نوعًا من أنواع الحذف في اللسان العربي² ، استشهد عليها بأمثلة قرآنية و بين فائدتها التدبُّرِيَّة ، أختار منها مثالاً واحداً و أترك الكثير منها للدراسة التطبيقية :

حذف جواب (لولا) في قوله تعالى : [**وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ**] (النور : 10) ، أي لعذبكم و لعاقبكم على ما افترئتم من حديث الإفك . و قد جاء جواب لولا هذه مصرِّحاً به بعد ثلاث آيات من السورة نفسها ، فقال سبحانه : [**وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ**] .

وفي المقولة الثالثة : حول مراعاة ظاهرة التضمين ؛ أشار رحمه الله إلى كون ظاهرة " التضمين " من أبداع ظواهر الإيجاز البديع في التعبير القرآني ، وهو أن " تُذَكَّرَ كلمةٌ ذاتُ معنى ، و تُضَمَّنَ مع معناها معنى كلمة أخرى ، ثم يبنى عليها كلامٌ على أساس معنى الكلمة الأخرى التي ضمَّنها إيَّاهَا صاحب البيان ، كالتعدية بالحروف المناسب لمعنى الكلمة المضمَّنة "3 ، ثم أخذ رحمه الله في مناقشة النحويين في التضمين ، و في تحليل هذه الظاهرة و بيان أنها فنٌّ من الفنون البيانية .

وقد أعطى رحمه الله سبعة أمثلة قرآنية على التضمين ، أختار منها المثال الثالث :

وهو المثال المتعلق بقول الله تبارك و تعالى: [**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ**] (المائدة : من الآية 48) .

نلاحظ أنّ فعل (اتَّبِع) يمكن لغة تعديته بحرفي (على) و (في) فنقول اتَّبِعْهُ على مذهبه ، وفي مذهبه ، ولا تأتي تعديته

1 - نفسه : ص 246 .

2 - نفسه : من ص 252 إلى ص 259 .

3 - قواعد التدبُّرِ الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 296 .

بحرف عن ، فكيف نفهم [عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ] ؟ . قال المؤلف : " بقليل من التأمل واهتداء بقاعدة (التضمين) نلاحظ أنّ أصل الكلام : ولا تتبع أهواءهم في مناهج أحكامهم الباطلة فتصرف عمّا جاءك من الحق ، فحُذِفَ من معمولات الفعل الأوّل " فيمناهج أحكامهم الباطلة " و حُذِفَ الفعل الثاني وهو " فتصرف " و أبقِيَ معموله ، وجرى تضمينُ الفعل الأوّل معنى الفعل الثاني ، و تقدير الكلام يكون على الوجه التالي: ولا تتبع أهواءهم منصرفًا عمّا جاءك من الحق " ¹ .

4- قاعدة " **حول التكرير وأغراضه** " ² :

قال المؤلف رحمه الله : " على متدبّر كلام الله أن يبحث في كلّ نصٍّ يبدو له أنه من النصوص المكرّرة في القرآن ، ليكتشف غرض التكرير إذا كان النصّ مكرّرًا حرفيًا ، و ليكتشف فوارق المعاني إذا كان النصّ المكرّر مختلفًا ولو بعض الشيء ، ولو بكلمة أو حرف في كلمة ، فكثيرٌ من النصوص التي يتوهّم فيها التكرار هي ليست في الحقيقة مكرّرة ، و لكنّها متكاملة يؤدّي بعضها من المعاني المرادة ما لا يؤدّيها البعض الآخر ، بزيادة بعض الأفكار على أصل الموضوع الذي يراؤ بيانه ، وذلك من جهات مختلفات " ³ .

بهذا البيان استفتح المؤلف هذه القاعدة ليؤكد للمتدبّر لكتاب الله أنّ للتكرير أغراضًا تحتاج إلى استجلاء و بحث ، و أنّ عليه أن ينشط لإدراك فوارق المعاني و المدلّالات ولو كان الفرق بين الموضوعين حرفًا من الحروف ، مثلما قال ابن تيمية : " وليس في القرآن تكرار محض ، بل لابد من فوائد في كل خطاب " ⁴ .

ثم اتّجه المؤلف إلى بيان أغراض التكرير في القرآن الكريم ، فعّدّ منها :

أ - متابعة الواقع في أحداثه و صياغة النصوص بطريقة تدلّ عليه ، فهي فيما بينها متكاملة غير مكرّرة ، و أعطى على هذا مثالاً .

1 - نفسه : ص 301-300 .
 2 - نفسه : ص 307 ، وهي القاعدة الخامسة عشرة في الكتاب .
 3 - قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 307 .
 4 - مجموع الفتاوى : ابن تيمية ، 14 / 408 .

ب- تجزئة الأفكار المراد بيانها حول موضوع واحد لتتكامل النصوص فيما بينها مؤدّية غرض التأكيد لأصل الفكرة ، و مؤدّية جوانب بلاغية رفيعة هي من عناصر الإعجاز القرآني و أعطى عليه مثالين اثنين .

ت - حكاية الواقع المكرّر ، سواء ما حدث أو ما سيحدثُ مكرّرًا ، و أعطى عليه مثالين .

ث- قصد هدف من الأهداف التي يرمي إليها النص في كل مرّة ، لأنّ المناسبة استدعت هذا الهدف، و أعطى عليه مثال قصة موسى عليه السلام مع قومه .

ج- متابعة الجرعات التربوية كالجرعات الدوائيّة ، و يظهر هذا في نصوص الأمر بالتقوى ، ونصوص الترغيب والترهيب ، والنصوص المبينة للأسس الاعتقاديّة الإيمانيّة ، بغية تثبيتها وتمكينها .

ح- تحقيق جوانب بلاغية في النص ، و هي لا تتحقّق إلا بالتوزيع ، إذ تُعرضُ الفكرة الواحدة بصور بلاغية رائعة مختلفة ، مع مطابقة مقتضى الحال في كلّ منها ، ومثّل على هذا برواية القصة الواحدة بعبارات قليلات، و عبارات متوسطات، و عبارات أطول، و في مناسبات متعدّات، و في سور متباعدة التنزيل دون أن تتعرض إلى اختلاف .

هذا وقد ألف في التكرار و في كشف أهم أغراضه كثيرون ، منهم بدر الدّين الزركشي في " **البرهان في علوم القرآن** " ¹ ، و جلال الدّين السيوطي في " **الإتقان في علوم القرآن** " ² ، ولعل أهم كتاب تناول هذه المسألة بتوسّع في سور القرآن هو كتاب " **البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان** " أو ما يُعرف الآن بعنوان " **أسرار التكرار في القرآن** " لمحمود بن حمزة الكرمانى دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطا ، وهو كتاب قيم كشف اللثام عن جانب هام من أسباب وأسرار التكرار في آيات القرآن والفائدة من إعادتها والحكمة من تخصيص آية بذلك دون

1 - البرهان في علوم القرآن : الزركشي، 3 / 8 وما بعدها .

2 - الإتقان في علوم القرآن : جلال الدين السيوطي ، 3/199 .

أخرى ، وما الموجب للزيادة والنقصان والتقديم والتأخير ، وغيرها من الأساليب¹ .

وكتب فيه خالد السبت بتوسّع في مفهومه و قواعده تحت عنوان (المقصد الرابع والعشرون التكرار في القرآن الكريم)² ، وغيرهم كثير .

5 - قاعدة " **حول النظر في ملاءمة الأسلوب البياني للهدف منه** " ³ :

اختيار الأسلوب الملائم للهدف أمرٌ مهمٌ جدًّا من الناحية البيانية ، و البليغ الأديبُ يحسُّ بوجود التلاؤم أو عدم التلاؤم بين أساليب الكلام و بين الأهداف منها ، و إدراك هذا الأمر في القرآن الكريم أجلُّ و أهم لملامسة المعنى الدقيق المراد ، لأنَّ القرآن الكريم هو الذروة القصوى لكلِّ كلام بليغ : قال المؤلف رحمه الله : " على متدبّر كلام الله أن يُمعنَ النَّظَرَ في ملاءمة الأسلوب البياني للهدف منه ، فلكلِّ هدف من أهداف الكلام أساليب تلائمه و تناسبه ، بينما لا تلائمه أساليب أخرى قد تكون صالحةً لتحقيق هدف غيره " ⁴ .

ثم شرع المؤلف في بيان المعنى المراد بالأسلوب البياني ، و إن كان قد اعترف بصعوبة حصر الأساليب البيانية ، ولكنه عبر بيان طائفة من الأساليب البيانية و ملاءمتها للهدف العام من القول والوضع العام للمخاطب يجعلُ المتدبّر يقفُ على المقصودِ من الباب و كيف يكون تدبّره " مرتقيًا في معارج البلاغة الرفيعة " ⁵ .

فرصد رحمه الله عدّة أساليب كلامية ، وهي ملخصّة :
أ - أسلوب العرض المباشر الصريح للفكرة المراد الإعلام بها .

1 - **البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجّة و البيان** : برهان الدين محمود بن نصر الكرمانى (ت 505 هـ) - دراسة و تحقيق عبد القادر أحمد عطا - دار الفضيلة - دط - د س ، وهو متاح للتحميل عبر النت : <http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=326341>

2 - **قواعد التفسير جمعا و دراسة** : خالد السبت ، 700 / 2 وما بعدها .

3 - **قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله** : عبد الرحمن الميداني ، ص 499 ، وهي القاعدة الحادية و العشرون في الكتاب .

4 - **نفسه** .

5 - **قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله** : عبد الرحمن الميداني ، ص 501 .

ب- أسلوب العرض غير المباشر الذي يُعتمَدُ فيه على مقدار ذكاء المخاطب ، ويدخل في هذا التعريض ، والتلميح ، والإشارة الخفية . .

ت- أسلوب الإطناب و عرض الفكرة مبسّطة موضّحة من كل جوانبها ، وهو يناسب أحوالاً وأشخاصاً و أهدافاً خاصّةً من الكلام .

ث- أسلوب الإيجاز والاختصار وهو مناسب للأذكياء والأمراء وأحوال خاصّة للمخاطبين .

ج- أسلوب الترغيب وهو على مراتب و صور شتى و يناسب معظم النفوس الإنسانية لما خلق الله فيها من طمع .

ح- أسلوب الترهيب وهو على مراتب و صور شتى و يناسب معظم النفوس الإنسانية لما خلق الله فيها من خوف و حذر .

خ- أسلوب العنف و القسوة ، وله مناسباته .

د- أسلوب الرّقة و اللين .

ذ- أسلوب الإثارة للعواطف و الانفعالات، وكثيرا ما يكون نافعا في الخطابة و الحماسة و مواقف التشجيع على الإقدام و البسالة .

ر- أسلوب الإقناع الفكري الهادئ ، وهو النافع في تأسيس العقائد و المفاهيم الاجتماعية و الأسس الأخلاقية ومبادئ المعرفة و مسائل العلوم .

ز- أسلوب الجدل المنطقي الملتزم بمنهج الحق و آداب المناظرة ، وهو النافع مع بعض المخالفين في الرأي ، الذين لهم مهارات جدليّة .

على المتدبّر أن يراعي جميع هذا ليكون تدبّره أكثر سدادًا و أصحّ فهمًا و أكثر فائدةً في استمداد الراوئع البيانيّة الخفيّة . و يؤخّذُ على المؤلّف عدم تمثيله في هذه القاعدة بأيّ مثال ، في حين يُطنّبُ في كثير من القواعد ، و سوف نشير إن شاء الله إلى هذا الأمر في القسم التطبيقي للقواعد .

و قد بحث في مجال هذه الوجوه و الأساليب خالد السبت في كتابه القواعد ، تحت عنوان (المقصد الرابع وجوه

مخاطباته)¹، حيثُ درسَ تنوعَ ضروب الخطاب تحسبًا في الكلام و تقريرًا للمعاني المختلفة، و ذكر عدَّة قواعد في هذا المجال ، و صدَّرها بصيغة " العرب تفعل كذا و كذا في الكلام . " ثم يستدلُّ عليها من القرآن العربيِّ المبين .

و أشار إلى كثير منها مساعد الطيَّار في كتابه " الفصول في أصول التفسير ، تحت عنوان (كليات الأسلوب) ناقلًا لفوائد عن أبي حيان و ابن عطية و الشاطبي و ابن القيم و الشنقيطي في الموضوع . .

6 - قاعدة " حول البحث عن الوجوه البلاغية والغرض الفكري من الصور البلاغية في القرآن المجيد " ² :

إذا كانت القاعدة السابقة تبحثُ في مناسبة الأسلوب في النصِّ للهدف العام المقصودِ منه و لحال المخاطب؛ فإنَّ هذه القاعدة أوسع من حيثُ بحثها عن الوجوه البلاغية في النصِّ كصورة من صور الإبداع لكن لاستجلاء الغرض الفكري من تلك الصورة البلاغية و الإعجاز البياني لا لمجرد النظر في الصورة البلاغية البديعة فقط .

قال المؤلف رحمه الله : " على متدبِّر كتاب الله أن يبحثَ عن الوجوه البلاغية التي اشتمل عليها أي نصٌّ من نصوصه ، و أن يمعنَ النظر لاستجلاء الغرض الفكري من الصورة البلاغية التي يكتشفها ، فليس المهم الإشارة إلى الصورة البلاغية البديعة فقط ؛ بل ينبغي أيضًا استجلاء الغرض الفكري من استخدامها مع غرض الإبداع البلاغي و الإعجاز البياني " ³ .

هذا الذي أشار إليه المؤلف رحمه الله يدرب المتعامل مع كتاب الله تعالى على معرفة الصور البلاغية⁴ و تطبيقها في آن واحد ، ولذلك فهو سوف يمكنُ في نفسه بهذه المعرفة و هذا التطبيق قواعد علوم المعاني و البديع و البيان ، حتى تصبح هذه العلوم بالمران التطبيقية لديه " مَلَكَةٌ لِلذوق البياني

1 - قواعد التفسير جمعاً و دراسة : خالد السبت ، 1/ 269 وما بعدها .

2 - قواعد التدبُّر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 503 ، وهي القاعدة الثانية و العشرون في الكتاب .

3 - نفسه .

4 - معرفة الصور و الوجوه البلاغية مجالها الكتب المتخصصة في علوم المعاني و البديع و البيان .

الرفيع " و " كفاءة " عالية تمكّنه في أن واحدٍ من إدراك الغرض الفكري التربوي من النص ، بل من الغوص في العمق القرآني بكلّ جدارة و الإقلاع نحو أفق التدبّر فيه بكلّ ثقة¹ .
ثم اتّجه المؤلف إلى تقديم الأمثلة التطبيقية البرهانية على القاعدة ، فأعطى أربعة أمثلة اختار منها للتوضيح المثال الأول :

في قوله تعالى : [أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا] (الرعد : من الآية 17) ، في هذه الآية نلمسُ من الصور لبلاغية " الإسناد المجازي " ، إذ أسندَ السيلان إلى الوادي ، مع أنّ المراد سيلان الماء فيه . و الغرض الفكري من هذا المجاز هو " إعطاء السّامع صورةً تُشعّرُ على سبيل التخيل بأنّ الوادي فعلاً يسير ، وهذه الصورة قد تحدّث في وهم الإنسان ، أو في تخيّلته حينما يشاهدُ فعلاً هدير الماء الكثير المتدفّق الذي يملأ الوادي " ² .

7- قاعدة " حول الاستغناء في الأداء البياني بتعبيرات مختلفات موزعات على الأشباه والنظائر للدلالة على التكامل البياني فيما بينها وطرده استعمالها في سائرها " ³ :

يشيرُ المؤلف رحمه الله في هذه القاعدة إلى وجهٍ من أوجه الإيجاز البياني الرائع في القرآن الكريم، تخلص النصوص من التكرير في طريقة الكلام عن الوجوه و الأشباه و النظائر بتوزيع التعبيرات المختلفة على الأشباه و النظائر⁴ ، فتكامل

1 - انظر للفائدة في الموضوع : ملخص الندوة العلمية (المدخل البلاغي و أثره في القرآن الكريم) تنظيم مركز الدراسات القرآنية بالرابطة المحمدية للعلماء بالمغرب ، بالتعاون مع شعبة الدراسات الإسلامية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية ، يومي الثلاثاء والأربعاء 25 - 26 جمادى الأولى 1433هـ الموافق لـ 17 _____ 18 أبريل 2012م :

<http://www.alquran.ma/Article.aspx?C=5624>

2 - قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 504 .

3 - نفسه : ص 515 ، وهي القاعدة الثالثة و العشرون في الكتاب .

4 - القرآن الكريم نزل بلغة العرب و على سننهم في الكلام ، وهم اشتهروا بقوة الفصاحة والبلاغة في استعمال الأساليب ، و كلام الله معجزٌ في هذا ، ومن إعجازه باب " الوجوه و الأشباه و النظائر " ، وهو استعمال المشترك اللفظي الدال على المعاني المتعددة كلفظ الأمة و القرية و ما شابه ، غير أنّ مراد المؤلف بالأشباه و النظائر هنا خاصٌ متميّز ، فلا يشترط فيه أن يكون اللفظ

تلك التعبيرات المختلفة فيما بينهما تكاملاً يستفيد منه المتدبر فوائد تدبرية جمّة على المستوى البياني كما على المستوى الفكري و التربوي الإصلاحي :

قال رحمه الله : " من التكامُل البديع في القرآن الكريم أسلوبُ تخصيص كل من الأشباه و النظائر في النصّ بتعبير يفيد معنى خاصاً ، و هذا التعبير يصلح أطرادُهُ في سائر الأشباه و النظائر ، وبتوزيع التعبيرات ذوات الدلالات المختلفة على الأشباه و النظائر يحصلُ الاستغناء عن إعادة كلّ شبيهٍ ونظير عدّة مرّات بعدد هذه التعبيرات، للإتيان به في كلّ مرّةٍ مقترناً بواحدٍ منها حتى استغراقها " ¹ .

و قد أرشد المؤلف إلى الطريقة التي يحصلُ بها هذا الفهم و الإدراك للتوزيع التكاملي ، إنها " جمع الأشباه و النظائر في نصٍّ واحدٍ ، وقد يدلّ عليه بدءٌ و ختامٌ " ² ، و يتمكّن المتدبر من خلال ذلك إلى إدراك وجه انتقاء التعبير الأكثر ملاءمةً للشبيه الذي يُقرنُ به .

ثم أخذ المؤلف رحمه الله في إعطاء الأمثلة التطبيقية التي تبرهن على هذه القاعدة و تدرب المتدبر في استعمالها في مضائها ، أختار منها المثال الأول :

في قوله تعالى : [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءِ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (11) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ [(الحجرات : 11-12)] .

في هذا النصّ نهْيٌ عن ستّ قبائح اجتماعية بأساليب و تعبيرات بيانية مختلفة :

- أ- في السخرية : [لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ] .
- ب- و في اللمز : [وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ]

مشتركا ، وإنما سياقُ التعبير و الأسلوب واحد و المعنى المستفاد متعدد، و الله أعلم .

1 - قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 515 .

2 - نفسه .

ت- و في التناز : [وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ]

ث- و في الظن المنهية عنه : [اجْتَنِبُوا]

ج- و في التجسس : [وَلَا تَجَسَّسُوا]

ح- و في الغيبة : [وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا]

قال رحمه الله : " و الملاحظ أنه يصح في كل منها استعمال التعبيرات الأخرى لتؤدّي فيه دلالاتها : فيقال مثلاً في السخرية مع ما جاء من النص : [لا تسخروا من أنفسكم ، ولا تتساخروا ، واجتنبوا السخرية ، ولا تسخروا ، ولا يسخر بعضكم من بعض] . و يقال في اللمز [لا يلمز قومٌ قومًا ولا نساء من نساء ، ولا تتلامزوا ، و اجتنبوا اللمز ، ولا تلمزوا ، ولا يلمز بعضكم بعضًا] ، وهكذا في سائرهما ، فأغنى أسلوب التعبير الذي جاء في واحدةٍ منها عن إعادته في سائرهما ، فتكاملت التعبيرات في أداء المقصود من دلالاتها المختلفة ، و مع ذلك فقد اختير لكلّ قبيحة من هذه القبائح الستّ صيغة التعبير التي تدلّ على أبرز صورة من صورها ، وهذا من الدقّة و البراعة و الإبداع الفكري و الفني . فالسخرية تغلب فيها المشاركة الجماعية ، و اللمز يغلب فيه الطابع الفردي ، و النبز باللقب تغالب فيه المشاركة بين فريقين ، و أفض وسيلة لترك الظنّ الذي يآثم به صاحبه هو اجتناب كثير منه ، و التجسس يغلب فيه العمل الفردي ، و الغيبة ظاهرة من ظواهر القبائح الاجتماعيّة التي فيها مغتابٌ و سامعٌ مشاركٌ له أو أكثر . وهذا من روائع الإعجاز البياني فيما يظهر لي و الله أعلم " ¹ .

8- قاعدة " حول التنوع في أساليب الأداء البياني " ²

يشير المؤلف في هذه القاعدة إلى ضرورة رعاية المتدبّر لكلام الله تعالى التنوع الوارد في الأساليب البيانيّة في النصّ القرآني ، هذا التنوع من أعظم ما بحثه أهل العلم في باب الإعجاز البلاغي ³ ، وهو ينفي عن ذهن المتدبّر كون النصّ

1 - قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 516-

517 .

2 - نفسه : ص 529 ، وهي القاعدة الرابعة و العشرون في الكتاب .

وحدات مجزآت غير مترابطات ، و يثبتُ له بالتأمُّل أنَّ لذلك التنوع أهدافاً تدبيريّة سامية ، أشار إلى أهمّها المؤلّف ، وهي :
أ- الجمال الفنّي بالتنوع المجدّد لتنبية الفكر .
ب- اختيار الأسلوب البياني الأنسب للقسم .
ت- اختيار الأسلوب البياني الأنسب للمضامين الفكرية الواردة في النص .

ث- اختيار الأسلوب البياني الأكثر بلاغة وإيجازاً بالنسبة للمضامين الفكرية الواردة في النص .

قال رحمه الله : " على متدبّر كلام الله عزّ و جلي أن يضع في ملاحظته دائماً لدى تدبّر أيّ نصّ قرآني أنّ القرآن المجيد عجيب التنوع في أساليب الأداء البياني ، حتّى في عرض الأقسام التي تدخّل في مَقْسيم واحد ، أو تدخّل تحت عنوان واحد ، إثباتاً للجمال الفنّي بالتنوع المجدّد لتنبية الفكر ، و المحرّك للذهن في مختلفات من الأساليب ، و قد يقترن بإيثار هذا الجمال الفنّي غرضٌ بيانيٌّ آخر ، كاختيار الأسلوب الأكثر ملاءمة للقسم ، أو الأسلوب الأكثر مضامين فكرية يراؤ الدلالة عليها مع ذكره ، أو الأكثر بلاغة و إيجازاً بالنسبة إلى مضامينه الفكرية التي يراؤ بيانها ، إلى غير ذلك من الأغراض " ¹.

ثمّ شرع رحمه الله في تقديم أمثلة تطبيقية على هذا التنوع اختار منها المثال الثاني :

سورة الماعون سورة مكيّة جاء فيها بيانٌ لبعض صفات المكذّبين بالدّين ، و هذه الصفاتُ التي ذُكرت في المكذّب بالدّين هي :

أ - أنه يدعّ اليتيم .

ب- لا يحضّ على طعام المسكين .

ت- ولا يهتمّ بأن يصلّي لربّه ولو أمّن بوجوده ، بل يظلّ ساهياً ، لأنه مكذب بيوم الدّين ، فإذا صلى فإنه يرائي الناس بذلك .

3 - انظر في مؤلفات و أقوال أهل العلم في هذا الباب كتاب " الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث أهل العلم " : د محمد محمد أبو موسى - مكتبة وهبة - مصر - ط 2 - 1997م ، وهو متاح للتحميل في النت ، وكتبه جميعاً مهمة في البلاغة القرآنية : [/http://majles.alukah.net/t23622](http://majles.alukah.net/t23622)

1 - قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 529 .

ث- وهو شحيح كثر النفس ، يمنع أية معونة ، حتى الأمتعة التي تسمى " الماعون " .

هذه الصفات الأربع جاءت في سورة (الماعون) على قصرها بأسلوبين من الأساليب البيانية:

أسلوبٌ في قوله تعالى : [أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ (1) فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ (2) وَلَا يَخْضُ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ] (الماعون : 1-3) ، " بلفت النظر إلى رؤية صفاته المنكرة على طريقة الاستفهام الاستهجاني (بياني) مع ما يتضمنه من إقناع بأن الإيمان بيوم الدين يصلح في الأفراد صفاتهم و أخلاقهم الاجتماعية ، و يجعلهم رحماء يفعلون الخيرات و يحضون على فعلها (فكري) ، و الباقي من صفاتهم جاء بأسلوب التهديد و الوعيد [قَوْلُ لِلْمُصَلِّينَ (4) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (5) الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ (6) وَيَمْتَعُونَ الْمَاعُونَ] (الماعون : 4-7) ، فحصل بهذا الأسلوب التنوع الجمالي الفني مع التهديد و الوعيد بالويل " ¹ .

9- قاعدة " حول البحث عن أغراض الاختلاف في التعبير في مختلف النصوص " ² :

هذه القاعدة التدبرية قريبة المعنى جداً من القواعد السابقة قريباً في فائدة التنوع في الأساليب البيانية في النصوص القرآنية وأثرها في التدبر ، حيث بين المؤلف ضرورة التأمل العميق الدقيق لاستبانة دلالات مرادة مختلفة تدل عليها التعبيرات المختلفة ، وهي هاهنا في هذه القاعدة أوسع من سابقاتها ، تتحقق حتى في الحرف القرآني - كما سيبينه المثال المختار - ، فعلى المتدبر أن يلاحظ كل شيء في الأسلوب و أثره في المعنى :

قال رحمه الله : " على متدبر كتاب الله أن يتأمل بحثاً عن أغراض الاختلاف في التعبير ، الذي اشتملت عليه النصوص القرآنية التي تعالج موضوعات متماثلة أو متشابهة أو متقاربة ، فعسى أن يهتدي إلى دلالات مقصودة زائدة على مجرد التنوع في أسلوب التعبير " ³ .

1 - قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 532-533 .

2 - نفسه : ص 535 ، وهي القاعدة الخامسة و العشرون في الكتاب .

3 - نفسه .

وأعطى رحمه الله أمثلةً توضيحيةً تزيدُ المعنى وضوحًا و تُكسِبُ المتدبِّرَ ملكةً معرفيةً و تدريبيَّةً ، أختار منها المثال الثالث :

في قوله تعالى : [قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا] (التوبة : من الآية 51) ، و في قوله تعالى : [وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبْتَهُمْ فِي الدُّنْيَا] (الحشر: من الآية 3) ، نلاحظُ في هاتين الآيتين أنَّ فعل (كتب) عُذِّي في الأولى باللام [كَتَبَ اللَّهُ لَنَا] ، و عُذِّي في الثانية ب (على) [كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ] ، مع أنَّ المكتوبَ في كليهما مصيبةٌ دنيويةٌ :

قال المؤلف رحمه الله : " و حين نبحتُ عن سرِّ هذا الاختلاف يتضحُ لنا أنَّ التعديَّةَ باللام قد جاءت في جانبِ المصيبة التي تنزلُ بالمؤمنين ، وهي بالنسبة إليهم نعمةٌ من الله و ليست بنقمة ، لأنَّها مكفِّرة ، و رافعة للدرجات ، بخلاف التعديَّة ب (على) فقد جاءت في جانبِ المصيبة التي نزلت بأهل الكفر [وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبْتَهُمْ فِي الدُّنْيَا] أي فهي عقوبة نازلة عليهم " ¹ .

10- قاعدة " حول رعاية فواصل الآيات اهتماما بالنسق اللفظي " ² :

الفاصلة القرآنية : ما تنتهي به الآية القرآنية .
قال الزركشي : " الفاصلة كلمة آخر الآية كقافية الشعر و قرينة السجع " ³ .

والفاصلة في القرآن هي جزء من الآية، وعنصر تعبيرى متميز، ينضوي على دالتين مهمتين ، الأولى : وهي دلالة صوتية تتمثل في الإيقاع ، المحكوم بنسق الآية والسياق العام . والدلالة الأخرى : دلالة معنوية تتعلق بالمعنى و المضمون للآية ⁴ .

1 - قواعد التدبِّر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 538 .
2 - نفسه : ص 557 ، وهي القاعدة السابعة و العشرون في الكتاب .
3 - البرهان في علوم القرآن : الزركشي ، 1 / 53 .
4 - و انظر رسالة : " المناسبة بين الفواصل القرآنية و آياتها دراسة تطبيقية الجزء الأول من سورة البقرة " (رسالة ماجستير غير مطبوعة) - أحمد عطية المنيراوي - إشراف د زكريا إبراهيم الزميلي - الجامعة الإسلامية - غزّة ، فلسطين - 1431 هـ ، متاححة للتحميل عبر النت : http://resaalaty.blogspot.com/2012/07/blog-post_6614.html م ع

و الملاحظُ أنّ فواصل القرآن قد تكونُ متلائمةً تمامًا مع اكتمال المعنى المراد ، وقد لا يكتمل عندها المعنى ، و هنا تأتي قاعدة المؤلف .

في هذه القاعدة يشير المؤلف رحمه الله إلى أثر الاعتناء بالفاصلة القرآنية في إدراك المعنى المقصود في الآية ، ذلك أنّ الفاصلة القرآنية فيها تحقيق لفنيّة الأداء من جهة ، ولفنّ للنظر إلى المضمون الفكري في آن واحد ، فلا ينبغي للمتدبّر أن يتأثر بالفاصلة فيقطع المعنى مع أنّه مرتبطٌ بالآية التي وراء الفاصلة .

قال المؤلف : " التالي لكتاب الله عز وجل بقدر ما من الملاحظة المتأنيّة يكشفُ اهتمام القرآن الكريم بنظام فواصل الآيات ، ونسقتها اللفظي ، ولو كان ما بعد الفاصلة مرتبطًا بما قبلها ارتباطًا فكريًا شديدًا ، مثل الفصل بين العامل و المعمول ، و العمل و الغاية منه ، و الموصوف و الصفة ، و أحيانًا قد يفسدُ المعنى بالقطع و الوقوف عند الفاصلة ، دون متابعة قراءة الآية التي بعدها " ¹ .

ذلك أنّ وضع الفاصلة القرآنية روعي فيه الذوق العربي الجاهلي الذي كانت تأسيّرهُ الجمل المتفاصلة بموازن نثريّة ذات الإيقاع الخاص ، و أغلب ما يكون هذا في القرآن المكي . ثمّ لما تطوّر الذوق العربي بالتدريب على الآيات الطوال و اعتاد تلاوة القرآن ظهرت الآيات المتوسطة ثمّ الطوال في القرآن المدني .

ثم أعطى رحمه الله أمثلة تطبيقية على فائدة هذه القاعدة ² ، أختار منها المثال الأوّل :

رسائل ماجستير أخرى في نفس الجامعة بنفس العنوان الأخير و نفس الرابط لكن بتطبيقات في سور القرآن المختلفة .

- 1 - قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله : عيد الرحمن الميداني ، ص 557 .
- 2 - و انظر للفائدة البلاغية للفواصل القرآنية و ما يتعلق بها من دلالات و مضامين فكرية: " الفاصلة القرآنية شكلًا و بلاغة " : عمار توفيق أحمد بدوي - إصدار مركز الدراسات القرآنية و الإفتاء - أكاديمية القاسمي - ط 1 - 1428 هـ ، وهناك كتبٌ أخرى معاصرة جليّة في دراسة الفاصلة متاحةً جميعًا للتحميل عبر النت منها : الفواصل القرآنية دراسة بلاغية دلالية تأليف الدكتور السيّد خضر وهو الكتاب الحائز على جائزة مجمع اللغة العربية القاهري في مسابقة الشعراوي القرآنية لسنة 2000م ، و الحقائق المكثلة في بيان إعجاز فواصل الآيات المنزلة تأليف السعيد وعزوز ، و دراسات في علم

في قوله تعالى : [**أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ (1) فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ (2) وَلَا يَحْضُرُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ (3) قَوْلُ الْمُصَلِّينَ (4) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (5) الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ (6) وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ**] (الماعون : 1-7) :

فقوله تعالى [**قَوْلُ الْمُصَلِّينَ (4)**] مرتبط بما بعده ارتباطاً أساسياً ، إذ الوقوف عند كلمة المصلين دون ملاحظة ما بعده يُفسد المعنى ، **نظرا إلى أن ما بعده وصفٌ تقييدي** ، فالويل ليس لعموم المصلين ، و لكن للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ، الذين هم يراؤون في صلاتهم ويمنعون الماعون ، وهم من صنف المشركين .

قال المؤلف رحمه الله : " لكن رعاية النسق اللفظي الجميل في الأداء البياني قد اقتضت رسم هذه الفاصلة ، فتم ذلك ، مع توجيه تالي القرآن أن يستمر في تلاوته ، ولو وقف عند الفاصلة حتى يتم له المعنى كاملاً ، ولا يقطع تلاوته قبل ذلك¹ ، و إن كان يجوز له أن يقف عند الفواصل وقفة مرتل متابع لا وقفة ختام² .

11- قاعدة " **حول ضرورة البحث في معاني الكلمات القرآنية بحثاً علمياً لغوياً** " ³ :

الفواصل تأليف حمدي عزت عبد الحافظ ، و **فواصل الآيات القرآنية** لكمال الدين عبد الغني المرسي ، و **الفاصلة في القرآن** للدكتور محمد الحسناوي ، انظرها جميعاً للتحميل <http://vb.tafsir.net/tafsir20673/#.WE1VeE9BLIU>

1 - يسمى هذا في أحكام الترتيل ب " الوقف القبيح " ، وهو أن يقف القارئ على كلام غير تام ، ولم يؤد معنًى صحيحاً ؛ وذلك لشدة ارتباطه بما بعده لفظاً ومعنى ، وقد سمي قبيحاً ؛ لقبح الوقف عليه ؛ لأنه غير تام ، لذا لا يجوز الوقف عليه إلا إذا كان هناك ضرورة ملحة ألجأت القارئ إليه ؛ كضيق نفس أو سعال أو عطاس ، إذا اضطر القارئ إلى الوقوف عليه وأراد الابتداء ؛ فعليه أن يبتدئ بالكلمة التي وقف عليها إن كان يصح الابتداء بها ، وإلا فيما قبلها مما يصح الابتداء به . و انظر " **العميد في علم التجويد** " : محمود بن علي بسنة المصري - تحقيق محمد الصادق قماوي - دار العقيدة - الاسكندرية ، مصر - ط 1 - 1425 هـ ، ص 156 .

2 - **قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله** : عبد الرحمن الميداني ، ص 558-559 .

3 - **نفسه** : ص 317 ، وهي القاعدة السادسة عشرة في الكتاب ، وهي أول القواعد المتعلقة باللغة و دلالات الألفاظ والتراكيب .

اتفقت كلمة العلماء على ضرورة الإحاطة باللغة قبل اقتحام معترك التفسير، فهذا ابن عباس رضي الله عنهما يقول : " التفسير على أربعة أوجهٍ : **وجهٌ تعرفُهُ العربُ من كلامها** ، و تفسيرٌ لا يُعَدُّ أحدٌ بجهالته ، و تفسيرٌ يعلمُهُ العلماءُ ، و تفسيرٌ لا يعلمه إلا الله " ¹ .

والقرآن العظيم نزلَ على سنن العرب في الكلام : قال الصحابيُّ الجليل عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما : " إذا تعاجَمَ شيءٌ من القرآن فانظروا في الشعر ، فإنَّ الشَّعْرَ عربي " ² . و عنه قال : " إذا خفي عليكم شيءٌ من القرآن فابتغوه في الشعر فإنه ديوان العرب " ³ . و سنن العرب في كلامها موجودة في الشعر و النثر على السواء .

ولذلك أطال المؤلف جدًّا في بيان و شرح هذه القاعدة و التمثيل لها ⁴ ، و نصَّ رحمه الله على أن من أكبر أسباب الخطأ و الانحراف في التدبُّر عدم التعرُّج على الدلالة الأصلية للكلمة العربية ، فلا بُدَّ من الرجوع في ذلك إلى أمهات المعاجم اللغوية :

قال رحمه الله : " و يخطئُ كثيرًا من يتدبَّرُ آيات الله دون أن يرجع في كلِّ كلمة قرآنية إلى دلالتها الأصلية في كلام العرب ، متتبعًا في معاجم اللغة ، و في نصوص من يُستشهدُ بأقوالهم من العرب ، و بعد البحث يختارُ من معاني الكلمة المعنى الذي يلائم دلالة النص القرآني بوجه عام " ⁵ . وهذا أشار إليه علماء التأويل و نصَّوا عليه في أقوالهم ، العلم باللغة شرطٌ للقول في التفسير ، و النتيجة الحتمية للجهل بهذا العلم وقوع الخلل في تفسير القرآن العظيم .:

-
- 1 - تفسير عبد الرزاق : عبد الرزاق الصنعاني ، 1/59 ، جامع البيان : الطبري ، 1/70 واللفظ له .
 - 2 - جامع البيان : الطبري ، 17/206 .
 - 3 - عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد و ابن أبي حاتم : الدر المنثور في التفسير بالمأثور : السيوطي ، 6/254 .
 - 4 - أخذت من الكتاب أكثر من مائة صفحة ، (من ص 317 إلى ص 428) .
 - 5 - قواعد التدبُّر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 317 .

فهذا الإمام مجاهد رحمه الله يقول : " لا يحلُّ لأحدٍ يؤمن بالله و اليوم الآخر أن يتكلمَ في كتاب الله إذا لم يكن عالمًا بلغات العرب " ⁶ .

وعن الحسن البصري أنّ رجلاً سأله فقال : " يا أبا سعيد الرجل يتعلم العربية يلتمس بها حسن المنطق و يقيمُ بها قراءته ؟ . قال : حسن يا بن أخي فتعلمها ، فإنَّ الرجلَ يقرأ الآيةَ فيعيي² بوجهها فيهلك " ³ .

قال الشاطبي رحمه الله : " كل معنى مستنبط من القرآن غير جارٍ على اللسان العربي ، فليس من علوم القرآن في شيء ، لا مما يُستفادُ منه ، ولا مما يُستفادُ به ، و من ادّعى فيه ذلكَ فهو في دعواه مبطل " ⁴ .

وهو ما نصَّ عليه أيضًا الزركشي رحمه الله فقال : " و هذا البابُ عظيمُ الخطر ، و من هنا تهيبُ كثيرٌ من السلف تفسير القرآن ، و تركوا القولَ فيه حذرًا أن يزلوا فيذهبوا عن المراد ، و إن كانوا علماءً باللسان فقهاء في الدين " ⁵ .

وهو ما نصَّ عليه أيضًا الطاهر بن عاشور فقال : " إنَّ القرآنَ كلامٌ عربي ، فكانت قواعد العربية طريقًا لفهم معانيه ، و بدون ذلكَ يقع الغلط و سوء الفهم لمن ليسَ بعربيٍّ بالسليقة " ⁶ .

ثم تطرَّق المؤلف رحمه الله إلى نصائح و إرشادات حول الأسباب التي تدعو المتدبِّر إلى توسيع معنى الكلمة أو حتّى إخراج اللفظة العربية عن معناها الأصلي ، وهذا مهم جدًا للمتدبِّر ، فذكر في ذلك :

-
- 6 - البرهان في علوم القرآن : الزركشي ، 1/396 .
 - 2 - أي لا يهتدي لمعناها . انظر أساس البلاغة : الزمخشري - تحقيق : محمد باسل عيون السود - بيروت ، لبنان - دار الكتب العلمية ، ص 443 .
 - 3 - فضائل القرآن : أبو عبيد ، 2/179 .
 - 4 - الموافقات : الشاطبي ، 225-4/224 .
 - 5 - البرهان في علوم القرآن : الزركشي ، 1/398 .
 - 6 - التحرير و التنوير : ابن عاشور ، 1/16 ، و انظر خطورة جهل المفسِّر باللغة العربية : التفسير اللغوي للقرآن الكريم : مساعد الطيار - جدة ، السعودية - دار ابن الجوزي - ط 1 - 1432هـ ، ص 41 وما بعدها ، وأسباب الخطأ في التفسير دراسة تأصيلية : طاهر محمود محمد يعقوب - جدة ، السعودية - دار ابن الجوزي - ط 1 - 1425هـ ، 2/988 و ما بعدها .

أ- الاستعمال العربي للكلمة في الاستعارة و التشبيه و المجاز .

ب- التوسّع في دلالات الألفاظ من الحسيّات إلى المدركات الفكرية و الأمور الغيبية.

ت- التوسّع بالاصطلاح القرآني لمعاني دينية عُرفت عن طريق النصوص الدينية ، كألفاظ الصلاة و الزكاة و الصوم و الحج و الإيمان و الإسلام و النفاق و الربا و غير ذلك .

ث- النظر في التفسير المأثور و يُتقيّد بجعله معنى مقصودًا إذا ثبت عن النبي صلى الله عليه و سلم .

ج- الاهتداء بما قاله أهل التفسير في معنى الكلمة .

ح- النظر في الاستعمال القرآني للكلمة في مختلف المواطن ، فمن شأنه الكشف عن الدلالات الأساسية للكلمة في الاصطلاح القرآني¹ .

خ- الإلمام بالمفاهيم الأساسية المتعلقة بموضوع النص ، ثم بالمفاهيم الأخرى ، مع الاطلاع على مختلف النصوص حول الموضوع .

فإذا ما استكمل المتدبّر هذه الخطوات فقد انفتح له بمجموعها باب التدبّر إن شاء الله ، قال المؤلف رحمه الله : " ثم يأتي بعد ذلك التبصّر الدقيق بمعنى النص القرآني بشكل عام ، مع ملاحظة سياقه في السورة ، وما تجتمع عليه دلالات آياتها ضمن وحدة موضوعها .. و بعد كلّ ما سبق يتّجه المتدبّر الكفء لاختيار المعنى المراد من الكلمة بحسب موضعها الملائم لموضوع النص "² .

ثم أعطى المؤلف رحمه الله أمثلة على هذه القاعدة و أطال فيها كثيرًا و فصل لأهمّيّتها ، أختار منها المثال الثالث حول كلمتي (قدّم و أحر) :

فقد جاء في القرآن استعمال كلمة (قدّم) ومشتقاتها بمعنى تادية عمل ما ، أو قول ما ، وهذا هو الاستعمال القرآني للكلمة ، ذلك أنّ كلّ ما يكسبه الناس في الحياة

1 - التفسير الموضوعي بين النظرية و التطبيق : صلاح عبد الفتاح الخالدي ، ص 97 وما بعدها .

2 - قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 318-319 .

الدنيا فهو مما قدّموه لآخرتهم ، خيرا كان أو شرًّا . و جاء في القرآن استعمال كلمة (أحر) ومشتقاتها بجانب العمل بمعنى ترك المطلوب ، ومن ذلك قوله تعالى : [عَلِمْتُ نَفْسٌ مَّا قَدَّمْتُ وَأَخَّرْتُ] (الانفطار : آية 5) . أي " عملت من عمل فقدّمته ، وما تركت من عمل فأخّرته ، فبقي عدما مع انصرام زمن الامتحان في الحياة الدّنيا " ¹ .

12 - قاعدة " حول النظر في الألفاظ المتقاربة المعنى أو المترادفة " ² :

الترادف لغة : معناه التّتابع ، قال ابن فارس : " المرأء و الدّال و الفاء أصل واحد مطرد يدلّ على اتّباع الشيء ، فالترادف : التتابع ، والرّدفان : الليل و النهار " ³ .
وفي الاصطلاح : " هو الألفاظ المفردة الدّالة على شيء واحد باعتبار واحد " ⁴ .

جوهر هذه القاعدة التي أرشد إليها المؤلّف هو إدراك المتدبّر لكتاب الله تعالى للتّسبب المعنويّة المتفاوتة التي تردّ عليها الكلمات القرآنية التي يتبادر إلى الذهن أنها مترادفة ، و لذلك كلما كان المتدبّر أقدر على استبعاد فكرة المترادف عن الكلمات القرآنية كلما تحقّق له بموجب ذلك فهمٌ عظيم للاستعمال القرآني حسب المواضع :

قال المؤلّف رحمه الله " بإبعاد فكرة الترادف قد يكتشف المتدبر لكتاب الله المستويات النسبية للموضوع الواحد، والدرجات التي يُقصدُ الإشارة إليها وقد يظهر له بعض أغراض تكرير الفكرة في مواضع مختلفة " ⁵ .

-
- 1 - نفسه : ص 336 .
 - 2 - نفسه : ص 435 ، وهي القاعدة الثامنة عشرة في الكتاب .
 - 3 - معجم مقاييس اللغة : ابن فارس ، 2/503 - مادة رد ف .
 - 4 - شرح الكوكب المنير : ابن النجار ، 1/98 . وانظر : مجموع الفتاوى : ابن تيمية ، 342-13/341 .
 - 5 - قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 435 .

وهذا الذي ذكره المؤلف رحمه الله أشار إليه أبو هلال العسكري¹ في كتابه " **الفروق اللغوية** " ² ، و جعل فيه بابًا بعنوان (**الباب الأول : في الإبانة عن كون اختلاف العبارات و الأسماء موجبا لاختلاف المعاني في كل لغة ، و القول في الفروق بينها**) ، و فصل فيه تفصيلاً دقيقاً حول الشواهد التي تدل على اختلاف المعاني تبعا لاختلاف العبارات و الأسماء ، و أشار أيضًا إلى طرق معرفة الفرق بين المعاني تبعا لاختلاف الأسماء ³ .

وهذه القاعدة ذكرها أيضًا خالد السبت ، و أطال فيها و في النقل عن أبي هلال العسكري ، و عنون عليها بقوله : **"مهما أمكن حمل ألفاظ القرآن على عدم المترادف فهو المطلوب"** ⁴ .

ثم أعطى الميداني رحمه الله الأمثلة التطبيقية على هذه القاعدة ، أختار منها المثال الأول :

وهو مثال (المشي والسعي) ، فالمتبادر إلى الذهن أنهما مترادفان ، و لكن المؤلف رحمه الله بين كيف يُستفادُ منهما فائدة تدبيرية بإزالة فكرة المترادف من الذهن، فالمشي هو السير المعتاد ، وقد صَرَبَ اللُّهُ به أمرا لطلب الرزق ، كما في وقوله تعالى : [هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ] (الملك: الآية 15) ، والسعي لطلب الذكر ، في قوله تعالى : [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ] (الجمعة : الآية 9) ، وانظر إلى الفرق بينهما و أثر هذا الفرق على مستوى التدبر :

1 - الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران ، الأديب اللغوي المشهور بابي هلال العسكري ، مات بعد الأربعمئة، انظر : **طبقات المفسرين العشرين** : السيوطي - تحقيق علي محمد عمر - القاهرة ، مصر - مكتبة وهبة - ط 1 - 1396هـ ، ص 33 .

2 - **الفروق اللغوية** : أبو هلال العسكري ، 10-16 .

3 - هذا المبحث من تخصص فقه اللغة ، وانظر خلاف العلماء في وقوع المترادف في اللغة في كتاب " **الفروق اللغوية و أثرها في تفسير القرآن الكريم** " - محمد بن عبد الرحمن الشايع - مكتبة العبيكان - الرياض ، السعودية - ط 1 - 1414 هـ .

4 - **قواعد التفسير جمعا و دراسة** : خالد السبت ، 1/460 .

قال المؤلف رحمه الله : " لدى التدبّر في سرّ اختيار كل من هاتين الكلمتين المتقاربتين في مواضعهما ظهر لي أنّ الله تبارك و تعالی قد أمر بطلب الرزق عن طريق المشي المعتاد ، لا عن طريق السعي الذي فيه المشي الحثيث بهمة بالغة ، أي أمر بطلب الرزق مع الإجمال في الطلب ، و ذلك لأن الرزق مضمون بالمقادير الربّانيّة من خلال تعاطي الأسباب الكونية ضمن ما قسم الله لكلّ إنسان ، فعلى الإنسان أن يتّخذ الأسباب برفق . . أما التوجه لمذكر الله و عبادته فقد أمر الله بطلبه عن طريق السعي ، الذي فيه الهمة النفسيّة و النشاط و الرغبة الشديدة التي تعبّر عنها الحركة النشيطة " ¹ .

13- قاعدة " حول تردد النص القرآني بين دالتين أو أكثر " ² :

في هذه القاعدة التدبّريّة يبيّن المؤلف رحمه الله المخرّج عند تعدّد دلالات النص القرآني ، فمما هو معلوم لدى المفسّر أنّ دلالات النص القرآني قد تختلف وتتعدد ، فمنها دلالة لغوية وهي الأصل ، ومنها دلالة عرفية ، ومنها الدلالة العرفية في استعمال القرآن ، و منها بيانات الرسول صلى الله عليه و سلم ، ومنها دلالة من قبيل التوسّع في المفهوم ، كالانتقال من الحسيّات إلى المعنويات أو المجرّدات ، و من المعاني الحادثة إلى المعاني الأزليّة ، أو دلالة مجازية مما استعمله العرب . هنا ينبّه المؤلف إلى الدلالة التي ينبغي المصير إليها أمام هذا الاختلاف و التردّد :

قال رحمه الله : " فالدلالة التي ينبغي المصير إليها و اعتمادها في فهم معنى النص ، هي التي تطابق الواقع ، أو تؤيدها البراهين العقلية ، أو التي لا إشكال فيها فلا تحتاج إلى تأويل بخلاف غيرها ، أو التي تنسجم مع سوابق النص ولو احقه أو التي تتفق مع المفاهيم القرآنية والأصول الإسلامية الثابتة بيقين. أما إذا تكافأت المدلالات فالدلالة الأصلية اللغوية هي

1 - قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 346-347 .

2 - نفسه : ص 453 ، وهي القاعدة التاسعة عشرة في الكتاب .

المرجحة، وتبقى الدلالات الأخرى احتمالات مرجوحة، حتى يأتي من الدلالة ما يرفع قيمتها إلى التساوي أو الرجحان " 1 .
 ومع هذا الإرشاد الهام ؛ لم يُبين رحمه الله ما هي المرجحات التي يمكن اعتمادها في تقديم دلالة وترك أخرى حتى يستقيم البابُ للمتدبر و يعمل على بصيرة ، وخاصة أنه قدّم الدلالة اللغوية الأصلية عند التكافؤ على بقية الأنواع و جعلها أنثى احتمالات مرجوحة ، فما هي المرجحات ليستقيم التقييد على أصول واضحة ؟
 هذا و قد أعطى المؤلف ستة أمثلة على هذه القاعدة ، نختار منها المثال الأول فهو واضح جدًا :
 وردت كلمة (المكر) في القرآن الكريم في عدة مواضع منها :

قوله تعالى : [وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ] (الأنفال : من الآية 30) . و قوله تعالى : [وَمَكْرُؤًا مَكَرًا وَمَكْرُؤًا مَكَرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (50) فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاَهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ] (النمل : 50-51) . و قوله تعالى : [قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آدَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرُتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ] (الأعراف : الآية 123) .

قال المؤلف : " بحثنا عن المعنى الأصلي اللغوي للمكر فوجدنا أنه تدبير أمر في خفاء ، ومعلوم بداهة أن ما يُدبر في الخفاء لا يلزم أن يكون شرًا ، بل قد يكون خيرًا . ثم اكتسب المكر في تصورات العامة أو في العرف العام بعد ذلك صورة قبيحة مستهجنة ، تخصيصًا منهم للمكر في تدبير ما هو شر ، و سيطر هذا المعنى في أذهان بعض المفسرين فوجدوا إشكالاً في نسبة المكر إلى الله ، فلجأوا إلى تأويل ذلك بأنه من باب المشاكلة ، ولو أنهم أبعدوا عن أنفسهم هذا المفهوم المُستحدث و رجعوا إلى المعنى اللغوي لظهر لهم أن (المكر) الذي هو تدبير أمر في خفاء قد يكون مكرًا في الخير وقد يكون مكرًا في الشر ، وجانب الخير منه لا ينافي الكمال بل هو من عناصره " 2 .

1 - قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 453 .

2 - نفسه : ص 455 .

هذا وقد أشار خالد السببت إلى هذا الباب الذي تتردد فيه المعاني للنص¹ ، ولكنه قرّر قاعدة (**الفاظ الشارع محمولة على المعاني الشرعية ، فإن لم تكن فالعرفية ، فإن لم تكن فاللغوية**)² ، كما ذكر خالد السببت قواعد³ و أمثلتها لها نوع تعلق بالموضوع، وهذه القواعد هي (**في تفسير القرآن بمقتضى اللغة يُراعى المعنى الأغلب و الأشهر و الأوضح دون الشاذ و القليل**) ، و (**تحمّل نصوص الكتاب على معهود الأميين في الخطاب**) ، و (**كل معنى مستنبط من القرآن غير جار على اللسان العربيّ فليس من علوم القرآن في شيء**) ، و (**لا يجوز حمل ألفاظ الكتاب على اصطلاح حادث**) .

14- قاعدة " **حول استعمال الكلام في أكثر من معنى** " :⁴

في هذه القاعدة يشير المؤلف رحمه الله إلى صورة من صور الإيجاز القرآني ، ذلك أنّ كثيرًا من الكلمات والجمل القرآنية تكون ذوات أكثر من معنى ، وهي صالحة لأن تدلّ على أكثر من معنى ، ولا داعي لصرفها عن أحد تلك المعاني و قصرها على واحدٍ منها دون غيره ، فالأفضل و الأمثل في التدبّر حمل تلك النصوص على كل تلك المعاني التي يؤيّدتها الواقع أو العقل تمثيلاً مع عطاء القرآن الثرّ الذي لا تنضب معانيه و لا تفنى أعاجيبه .

قال رحمه الله في شرح هذه الصورة من استعمال اللفظ في معانيه : " هو من الفنون البلاغية العالية القائمة على الإيجاز، و التي فيها عطاءً فكريّ ثرّ ، و إمتاعٌ للأذكىاء ، و فيه استغناء عن ذكر اللفظ مرادًا به بعض ما له من معانٍ بقرينة ، ثم ذكّره مرادًا به بعضٌ آخر بقرينة أخرى ، فذكّره مرّةً واحدةً

1 - قواعد التفسير جمعاً و دراسة : خالد السببت ، 1/151 وما بعدها .
2 - شرح الكوكب المنير : لابن النجار ، 3/433 ، وللاستزادة انظر : المنشور في القواعد : الزركشي ، 2/377 ، وأيضاً واء البيان : الشنقيطي ، 3/100 .
6/522 . 7/268 .

3 - قواعد التفسير جمعاً و دراسة : خالد السببت ، 1/213 وما بعدها .

4 - قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 567 ، وهي القاعدة الثامنة و العشرون في الكتاب .

مرادًا بها جملة المعاني التي يدلُّ عليها أوسع لدلالته ، و أعمُّ لفائدته ، و أثرى لمعانيه ، وهذه هي طبيعة النصوص الرفيعة ، التي تشتمل على دلالات كليَّة دستوريَّة " ¹ .

و بعد أن ذكر المؤلف بعض من ذكر القاعدة ² و نصرَّها ؛ أعطى ثمانية أمثلة عليها ، أختار منها المثال الثاني :

ففي قوله تعالى : [بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (14) (وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ] (القيامة : 14-15) : دلَّ هذا النصُّ على أنَّ الإنسان الكافر يحاول يوم القيامة أن يدافع عن نفسه ، طمعًا في أن ينجي نفسه من عذاب الله ، فيلقي معاذيره كما أخبر الله تعالى في القرآن ، فما المقصود بالمعاذير ؟ .

هنا حافظ المؤلف رحمه الله على استعمال و توظيف كل المعاني الدلالية التي دلت عليها الكلمة في اللغة و اعتبر الأمر من قبيل روائع البيان القرآني و الإيجاز البديع .

قال رحمه الله : " جاء في اللغة مايلي : **معاذير** : جمعُ معذرة ، ومَعذُرة ، وهي الحُجَّةُ التي يقدِّمها و يجادل بها المعتذر ، لتبرئة نفسه من الذنب ، قالوا : و المعاذير يشوبها الكذب . **ومعاذير** : جمعُ معدَّار ، وهو السِّتر بلغة اليمن . فهل نحملُ اللفظَ على المعنى الأوَّل و نهمل الثاني تحكُّمًا ، أو

1 - نفسه .

2 - علم " الأشباه و النظائر " كتب فيه العلماء كثيرون ، من المتقدِّمين و المتأخِّرين ، منهم الحسين الدمغاني (ت 478هـ) كتابه (**الوجوه والنظائر في القرآن الكريم**) ، و أبو منصور الثعالبي (ت 429هـ) كتابه (**الأشباه والنظائر في الألفاظ القرآنية التي ترادفت مابنيها وتنوعت معانيها**) ، و ابن الجوزي (ت 597هـ) كتابه (**نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر في القرآن الكريم**) ، والسيوطي كتابه : (**معترك الأقران في مشترك القرآن**) وهو مطبوع بعنوان : (**معترك الأقران في إعجاز القرآن**) ، ومن الرسائل العلمية في هذا المجال : رسالة دكتوراه سليمان بن صالح القرعاوي بعنوان : (**الوجوه والنظائر في القرآن دراسة وموازنة**) من جامعة الإمام بالسعودية ، وطبعت عام 1410 هـ ، وللباحثة سلوى بنت محمد بن سليم العوا رسالة ماجستير ، بعنوان : (**الوجوه والنظائر في القرآن الكريم**) ، من جامعة عين شمس ، طبعت عام 1998م ، وللدكتور محمد علي الحسن بحث نشره في مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية في دبي ، العدد السابع 1993م ، بعنوان : (**نحو موسوعة إسلامية في الوجوه والنظائر القرآنية**) ، وضع فيه تصوراً مقترحاً للوجوه والألفاظ القرآنية ، تيسر على الباحثين سبل البحث للوصول إلى المعاني المنشودة ، وهناك بحث مفيد للدكتور أحمد محمد البريدي ، بعنوان (**الوجوه والنظائر في القرآن الكريم دراسة تأصيلية**) .

نحمله على المعنى الثاني و نهمل الأوّل تحكُّمًا ؟ . الذي أراه أن نقول في تفسير المراد - و الله أعلم - : بل الإنسان على نفسه بصيرة ، ولو ألقى حُجَجَهُ الكاذبة ، و أقواله التي يحاول بها ستر جرائمه ، كما يلقي من يحاول إخفاء عيوبه في حُجْرَاتِهِ ستورَهُ ، وفي اختيار كلمة (المعاذير) هنا مع اختيار كلمة (ألقى) براءة بيانية دقيقة" ¹.

وقد أشار خالد السبت إلى هذه القاعدة تحت عنوان ² (إذا احتمل اللفظ معاني عدّة و لم يمتنع إرادة الجميع حُمِلَ عليها) ، و أشار إلى بعض مظاهرها ³ و ذكر من هذه المظان قواعد التدبّر الأمثل للميداني ، ثم ذكر سبع صورٍ تتفرّع عن هذه القاعدة و شرحها شرحًا مطوّلًا :

أ- أن تكون المعاني المحتملة متساوية ، أو متقاربة في الاحتمال ، مع انتفاء المانع من إرادتها جميعًا .

ب- أن تكون بعض تلك المعاني المحتملة أرجح من بعض مع كون المانع من حملها على الجميع منتفياً .

ت- أن تكون المعاني المحتملة متلازمة في المعنى ، ولا مانع من الحمل على الجميع .

ث- أن تتعدّد القراءات المتواترة في اللفظة ، مع اختلاف المعنى في كل قراءة ، مع إمكان الحمل على الجميع ، فإنها تُحمَلُ على كلّ المعاني التي نتجت عن اختلاف القراءات .

ج- المعاني الناتجة عن اختلاف مواضع الوقف و الوصل و الابتداء (المعتبرة) في الآية ، حال إمكان إرادة تلك المعاني جميعًا .

ح- حمل اللفظ المشترك بين معانٍ مختلفة على جميع معانيه إذا تجرّد عن قرينة تصرفه لأحد تلك المعاني ما لم يوجد مانع من ذلك .

1 - قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 572-573 .

2 - قواعد التفسير جمعًا و دراسة : خالد السبت ، 2/807 .

3 - مجموع الفتاوى : ابن تيمية ، 12-15/11 ، 17/19 ، 177-31/175 ، التحرير و التنوير : ابن عاشور ، 100-1/93 ، أضواء البيان : الشنقيطي ، 1/24 ، 3/124 ، 4/419 .

خ- ما يتعلق بأسباب النزول (يقصدُ ما كان منها من قبيل عبارات التفسير لا السبب كقولهم : نزلت هذه الآية في كذا و يقصدون التفسير) .

15- قاعدة " حول كلمة (لعل) الواردة في القرآن في مثل (لعلكم تتقون) " ¹ :

جاء استعمال كلمة "لعل" في القرآن أكثر من مئة مرة ، وأكثر هذه المواضع جاءت الكلمة المتبوعة بفعل مضارع أكثره للجمع ، و لها أغراض شتى ذكرها المؤلف ونسبها إلى قائلها من اللغويين و النحويين، وهي : الرّجاء ، و الطمع ، و الشك ، وتأتي بمعنى " كي " أي لأجل كذا ، والتوقع ، والتعليل ، والاستفهام ² .

والمؤلف رحمه الله يرى أنّ التدبّر الأمثلّ في معاني هذه الكلمة يقتضي : جمعها و توظيفها جميعا بنوع من التوجيه و التأمل العميق يراعي السياق و الموضوع ، ولكنّه رحمه الله يجعل من غرض التعليل "الأصل" ، لأنه يتفق غالبا مع الهدف من النص .

قال رحمه الله : " والذي ظهر لي بعد التأمل أنّ أقرب المعاني و أنسبها هو معنى التعليل ، فهو معنى ظاهر لا إشكال فيه .. إذ نقول بمقتضاه : "لعلكم تشكرون" أي : لأجل أن تختاروا بإرادتكم الحرة طريق الشكر ، وتشكروا الله على نعمه ، وأما معنى الترجي و التوقع فيمكن قبوله على معنى أن فريقا منهم سيستجيب، فتحقيق بعضهم للمطلوب مرجو منتظر مترقب، و لو لم يكن أحدٌ منهم سيستجيب فإنّ الله عزّ وجلّ العليم بما سيفعلون و سيختارون لا يتوقّع ولا يترجّى منهم أمرا علم أنّه لا يكون منهم " ³ .

و قد تطرّق المؤلف تحت عنوان (إشكال و جوابه) إلى الجواب على استشكال بعض المتدبّرين لمعنى الترجي باعتبارها صادرا عن الله العليم الخبير ، الذي لا تخفى عليه

1 - قواعد التدبّر الأمثلّ لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 627 ، وهي القاعدة الثانية و الثلاثون في الكتاب .

2 - جامع الدروس العربية : مصطفى الغلاييني - تحقيق علي سليمان شبارة - بيروت ، لبنان - مؤسسة الرسالة ناشرون - ط 1-1433هـ ، ص 700 .

3 - نفسه : ص 628 .

خافية ، فبين رحمه الله أن الله عز وجل لما خلق الإنسان منحه إرادة حرة ووضعه موضع امتحان في الحياة الدنيا ، " ومن شأن الإرادة الحرة أن تختار الطاعة أو المعصية دون إجبار من قوة ضاغطة . . و الله تعالى مكّنهم من اختيار ما يريدون من إيمان و كفر و خير و شر، ولم يجعل علمه السابق بما سيختارونه مجبراً لهم ، ولا رافعاً لاختيارهم . فالعلم السابق كاشف للمستقبل غير مجبر للإرادات ، ولو كان كشافاً لا يتخلف ، فالأصل فيمن منحهم الله الإرادات الحرة ليمتحنهم فيما آتاهم أن يرجى من بعضهم أن يستجيبوا لله إذا دعاهم لما يحييهم حياة سعيدة عاجلة و آجلة ، لذلك تنزل الخطابات و فيها الإشعار بهذا الرجاء ، ولما في عبارة الترجي من التشجيع على الاستجابة ، و تكريم للمخاطبين بأنهم مرجو خيرهم و طاعتهم ، وقد تحقق المرجو في كثير من المخاطبين ، وواقع الناس قد كشف ذلك " ¹

هذا وقد فهمت من الأمثلة التي قدمها المؤلف أن ما كان فيه معنى الثمن على وعدٍ من الله فإنه يظهر فيه معنى التعليل ، ولا داعي إلى تأويله على معنى الطمع و الرجاء، لأن الله لا يخلف الميعاد ، كقوله تعالى : [**وَأَتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**] (آل عمران : من الآية 200) ، و قوله : [**وَأَتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**] (الحجرات : من الآية 49) ، قال : " أي لتفلحوا ، فمن اتقى الله حقاً ، ومات على ذلك أفلح حتماً ، إذ هو وعدٌ من الله ، و الله لا يخلف الميعاد . . ولا أرى داعياً في نظائر هذين المثالين إلى تأويلهما على معنى : طامعين أو راجين أن تُرحموا ، و الله أعلم " ²

16- قاعدة " **حول كلمة (بلى) في القرآن** " ³ :

-
- 1 - **جامع الدروس العربية** : مصطفى الغلاييني ، 631-632 .
 - 2 - **قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله** : عبد الرحمن الميداني ، ص 629 .
 - 3 - **نفسه** : (ص 633) ، وهي القاعدة الثالثة و الثلاثون في الكتاب .

حرفُ (بلى)¹ يردُّ لنفي النفي و إبطاله ، وقد ذهب المؤلف رحمه الله بعد سبره للنصوص إلى أن العطفَ قد يأتي بعد (بلى) عليها كأنها في قُوَّة جملة مُثَبِّتة مُنْتَزَعَة من الجملة المنفيَّة السابقة لها، على اعتبار أنها جاءت لنفي النفي السابق و إثبات المنفي . وقد يأتي الحال بعدها كأن هذه الجملة موجودة ، وقد يأتي غير ذلك مبنياً على هذه الجملة التي جاءت كلمة (بلى) عوضاً عنها أو دالَّةً عليها² .

قال رحمه الله : " و أرى أن نعتير كلمة (بلى) عوضاً عن الجملة المثبتة هذه ، وبقوَّة وجودها فعلاً ، كما قال النحاة في تنوين العوض الذي هو عِوضٌ عن جملة سابقة له ، عندما يُلْحَقُ هذا التنوينُ بكلمة (إذ) فيكونُ عِوَضًا عن جملةٍ بعدها ، تفسرُها جملة سابقة "³

و بالتالي انتهى المؤلفُ في هذه القاعدة التدبيريَّة إلى أن مفاهيم النصوص و الاستعمالات القرآنيَّة تشهدُ بأن (بلى) جديرةٌ بأن يُقال بشأنها : إنها نافية للنفي السابق ، مُثَبِّتة للجملة التي رفعت عنها النفي ، وِعِوضٌ عن هذه الجملة ، على قياس ما قال النحويُّون في تنوين العوض ، ثم يأتي الكلام بعدها مبنياً على هذه الجملة التي هي عِوضٌ عنها .

هذا وقد أشار إلى هذا مصطفى الغلاييني⁴ في كتابه (**جامع الدروس العربية**) فقال في حديثه عن (بلى) و

1 - وقعت [بلى] في كتاب الله عز وجل في اثنين وعشرين موضعاً ، وفي ست عشرة سورة ، و الفرق بين بلى و نعم أن [بلى] لا تأتي إلا بعد نفي، أمَّا [نعم] فهي تأتي بعد النفي والإثبات . تأتي " بلى " ردًّا لما قبلها، فإذا وقعت " نعم " مكانها كانت تصديقاً لما قبلها . مثال ذلك : لم يأت زيد ؟ ، فإن قلت : " بلى " ؛ فأنت ترد النفي ، وثبتت المجيء ، وإن قلت " نعم " ، فأنت تصدق نفيه أي : نعم لم يأت زيد . انظر " **جامع الدروس العربية** " للغلاييني ، ص 690 .

2 - **قواعد التدبُّر الأمثل لكتاب الله** : عبد الرحمن الميداني ، ص 633 .

3 - **قواعد التدبُّر الأمثل لكتاب الله** : عبد الرحمن الميداني ، ص 633 .

4 - هو الشيخ الأديب القاضي مصطفى بن محمد بن سليم الغلاييني ، ولد ببيروت سنة 1886م ، وتعلم فيها ، ثم رحل إلى مصر ودرس في الأزهر ، من شيوخه محمد عبده ، و قد شغل مناصب عديدة منها تعيينه رئيساً للمجلس الإسلامي ، و قاضياً شرعياً و مستشاراً بمحكمة الاستئناف الشرعية ، و انتخب عُضْوًا للمجمع العلمي العربي بدمشق . توفي رحمه الله عام 1944م ، و انظر ترجمته في : **الأعلام** : الزركلي ، 7/244 .

أحرف الجواب : " ويؤتى بها للدلالة على جملة الجواب المحذوفة ، قائمة مقامها " ¹ .

ثم اتجه رحمه الله إلى تقديم الأمثلة التطبيقية التي تبرهن على القاعدة ، أختار منها المثال الأول :

في قوله تعالى : [أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ (3) بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ] (القيامة : 3-4) ، أي " بلى . نجمع عظامه حالة كوننا قادرين لدى جمعها على أن نسوي بنانه ، كما سويناها في الخلق الأول ، إذ هذه التسوية أدق ما في خلق العظام ، لما فيها من قدرات التحرك النافعة العجيبة " ²

فجاءت بلى عوضاً عن جملة (نجمع عظامه) ، وعُطف عليها الكلام في الآية التي بعدها .

17- قاعدة " حول عبارة (وما أدراك ما...؟!) في القرآن " ³ :

صيغة (ما أدراك ما) من الصيغ القرآنية التي وقعت في القرآن المكي و تكررت ثلاث عشرة مرة .

وهذه الصيغة مُصدره ب " ما " الاستفهامية التي يُستفهم بها عن حقيقة الشيء و ماهيته ، وهو استفهام يراى منه التعجب من عظمة الشيء و هوله ، وفائدتها تعظيم المستفهم عنه، كما قال السيوطي في قوله تعالى : [وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الْقَضَل] (المرسلات : 14) ، قال : " تعظيماً لذلك اليوم " ⁴ .

ومحل اجتهاد المؤلف في هذا اعتبار أن صيغة " وما أدراك " من صيغ التعجب القرآنية المبتكرة :

قال رحمه الله : " و من تبع هذه الصيغة في الاستعمالات القرآنية ، ظهر لي أنها صيغة من صيغ التعجب القرآنية المبتكرة ضمن أصول و قواعد اللسان العربي " ⁵ .

1 - جامع الدروس العربية : مصطفى الغلاييني ، ص 690 .

2 - نفسه : ص 634 .

3 - قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 637 ، وهي القاعدة الرابعة و الثلاثون في الكتاب .

4 - الدر المنثور : السيوطي ، 15/178 .

5 - قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 639 .

وأرشدَ رحمه الله المتدبّرَ إلى المنوال الذي ينبغي أن تُشرَحَ في ضوءه سائر النصوص التي وردت فيها هذه الصيغة ، من خلال المثال الذي شرحه .

هذا وقد ساق رحمه الله ما وردَ في القرآن العظيم على هذه الصيغة مرتبًا على النزول ، ثم شرَحَ قوله تعالى: [وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ] (المدثر : الآية 27) ، وقال : " و مثل هذا الاستفهام يتضمَّنُ معنى نفي علم المخاطب بما هو مسؤولٌ عنه ، أي : أنت لا تدري مهما انطلقت سابقًا في التصوُّر مبلغ هول و عظمة و شدَّة (سقر) إلا إذا أعلمناكَ بذلك ، و في هذا دلالة على أنَّها أمرٌ عظيم جدًّا ، وعلى هذا المنوال تُشرَحُ سائر النصوص " ¹ .

هذا ومن الفوائد التي أشار إليها العلماءُ حول هذه الصيغة : الفرق بين [أدراك] و [يدريك] في القرآن الكريم ، فقد قال الكفوي : " ما يدريك : كل شيء في القرآن (ما يدريك) فلم يخبر به ، وكل شيء في القرآن (وما أدراك) فقد أخبر به ، وذلك أن ما في الموضوعين للاستفهام الإنكاري لكن في ما يدريك إنكار ونفي للإدراك في الحال والمستقبل فإذا نفى الله ذلك في المستقبل لم يخبره ولم يفسره وفي ما أدراك إنكار ونفي لتحقيق الإدراك في الماضي ولا ينافي تحقيقه في الحال أو المستقبل فأدرى الله بإخباره وتفسيره " ² .

18- قاعدة " حول تعبيرات [من بين يديه ومن خلفه ، ونحوهما - الأمام - الراء] " ³ :

من خلال سبره رحمه الله لهذه العبارات، ظهر له فيما يتعلَّقُ ب [من بين يديه ومن خلفه] :
أن ما بين يدي المتحدِّث عنه أو المتحدِّث له، و أنّ ما خلفه على وجهين : إما أن يكون زمنيًّا، وإما أن يكون مكانيًّا : فإذا كان زمنيًّا ؛ فما بين يدي المخلوق المخاطب بالكلام هو الماضي، لأنه هو المرئيُّ المشاهد بالنسبة إليه ،

1 - نفسه .

2 - الكليات : الكفوي ، 803-1/802 .

3 - قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 657 ، وهي القاعدة السادسة و الثلاثون في الكتاب .

فهو الذي بين يديه ، وعليه فما خلفه هو المستقبل بالنسبة إليه لأنه مجهولٌ و غيب .

قال رحمه الله : " و بمقتضى هذا التحليل الكاشف للحقّ و الواقع نستطيع أن نفهم كلّ الاستعمالات التي يكون فيها ما بين يدي المخلوق ، وما خلفه أمرًا زمنيًّا " ¹ .

ثم أعطى الأمثلة على هذا الوجه الزمني ، منها قوله تعالى : [لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ] (فصلت : الآية 42) ، قال : " أي لا يأتي هذا القرآن المجيد ما يُبطلُ شيئًا فيه ، لا من حقائق سالفة كأمور تاريخية تثبتتها الحفريات أو الكشوف العلمية ، ولا من حقائق آتية في المستقبل لأنه حق كله لا باطل فيه " ² .

وفي الحقيقة هذا ليس اكتشافًا جديدًا فقد ذكره المفسّرون و أشاروا إليه ، وعلى سبيل المثال ابن الجوزي قال : " وفي قوله (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) ثلاثة أقوال أحدها : بين يدي تنزيله ، و بعد نزوله ، والثاني : أنه ليس قبله كتاب يبطله ، ولا يأتي بعده كتاب يبطله ، و الثالث : لا يأتيه الباطل في إخباره عما تقدم ، ولا في إخباره عما تأخر " ³ ، وسوف أعود إلى هذا في مناقشة المؤلف في الفصل الأخير من الباب الثاني.

ثم انتقل رحمه الله إلى شرح الوجه المكاني : فقال : " و إذا كان مكانيا؛ فما بين يدي المخاطب بالكلام هو ما يقع إلى جهة وجهه و صدره ، وما خلفه هو ما يقع إلى جهة ظهره ، وقد تكون المكانية مجازية " ⁴ . و ما يصلح للمكانية و الزمانية يُحملُ عليهما .

ثم انتقل رحمه الله إلى شرح ما يتعلّق ب [أمام و وراء] ، فأما (أمام) فقد جاءت مرّةً واحدةً في كتاب الله في قوله سبحانه : [بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ] (القيامة : الآية 5) ،

1 - نفسه : ص 658 .

2 - نفسه .

3 - زاد المسير في علم التفسير : ابن الجوزي - تحقيق عبد الرزاق المهدي - بيروت ، لبنان - دار الكتاب العربي - ط 1 - 1422هـ ، 7/262 .

4 - قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 658-659 .

فبيّن أنّ المراد بالأمام في هذه الآية : إمّا كلّ لحظةٍ حاضرة معدّة لتنقضي من عمره و تصير من الماضي ، فينسجم ذلك مع بين يديه مما سبقه و قدّمه إلى يوم القيامة ، و إمّا المستقبل من عمره ، وقد جرى على ظاهر تصوّر الناس للأمام ، لأنّ الفجور المتحدّث عنه يقع في دائر الإرادة ، والإرادة تتوجّه إلى المستقبل في حدود الرغائب و الآمال و الأمنّي لا إلى الماضي .

وأمّا (وراء) فقد وردت في القرآن الكريم في أربع و عشرين موضع ، ومن سبرها تبين له أنّها جاءت على وجهين :
أ- أما الورااء المكاني وما هو بحكمه تشبيهاً : فقد جاء على وفق ما يفهم الناس منه ، وقد تكون الوراائية مجازية قائمة على التشبيه .

ب- و أما الورااء الزماني : فقد جاء في الاستعمال القرآني مراداً منه المستقبل ، لأنه هو كذلك في الحقيقة بالنسبة للمخاطبين ، فهو يقع بالنسبة إلى علم المخاطب وراؤه لا أمامه ، والذي أمامه في هذا هو الماضي لأنه مشهود معلوم .
و أعطى رحمه الله تعالى عدّة أمثلة على كل نوع من تلك الاستعمالات¹ .

19- قاعدة " حول لفظ (كذلك) في القرآن " ² :

في هذه القاعدة يفترض رحمه الله أنّ كثيراً من أهل التفسير يمر على كلمة [كذلك] دون أن يوليها ما تستحقه من تدبر وتفكر في دلالاتها التي قد تكون عميقة أحياناً ، و يكون مدلولها بعيداً ، لا يدرك إلا بفهم متعمّق وواسع للنصوص التي تتعلق بموضوع الآية أو بما يتصل به ، مما هو مورّع في القرآن المجيد . و يطلب رحمه الله من المتدبّر أن " يولي هذه اللفظة عناية فائقة بأناة و طول تفكر ، ونظر في الآيات المتعلقة بموضوع الآية أو المتعلقة بموضوع أعمّ تفرّع عنه موضوع الآية " ³ .

ثم شرع رحمه الله في شرح الكلمة من الناحية اللغوية ، فبيّن أنّها واضحة ، فالكاف أداة تشبيه ، و ذا اسم إشارة و

1 - نفسه : ص 658-663 .

2 - نفسه : ص 695 ، وهي القاعدة التاسعة و ثلاثون في الكتاب .

3 - قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 695 .

اللام تضاف حينما يكون المشار إليه بعيدا ، و الكاف الأخيرة لخطاب المفرد . ثم يتساءل أسئلة تحليلية لهذه اللفظة فيقول " لكن ما هو المشار إليه في الآية التي وردت فيها ؟ وما هو المشبه ؟ وما هو المشبه به و ما هو الغرض من التشبيه ، هذا هو الذي ينبغي للمتدبر أن يبحث فيه بأناة " ¹ .
ثم أعطى رحمه الله أربعة عشر مثالا في النصوص التي وردت فيها الكلمة ، أختار منها المثال السادس :

في قوله تعالى : [وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ] (البقرة : الآية 113) : أي كحال أهل الكتاب الذين لديهم علم مما أنزل الله (المشبه به) قال الكفرة الآخرون الذين لا يعلمون من الكتب الربانية شيئا (المشبه) ، ومنهم مشركو العرب عند بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم مثل قول أهل الكتاب ، و في وجه الشبه بين المؤلف أنه اعتقاد كل فريق من ملل الكفر و الخروج عن تعاليم الله أن غيره ليس على شيء و أن الصواب معه فقط .

والملاحظ أن المؤلف اقتصر على عرض التشبيه في اللفظة ، ويظهر ذلك كثيرا من الأمثلة التي ساقها ، و دعا المتدبر إلى التفكير العميق في دلالتها و إلى الاجتهاد في كشف عناصر التشبيه .

هذا وقد بين أحمد أحمد بدوي² أن لفظه (كذلك) وردت في القرآن الكريم، في أكثر من مائة موضع ، ونظرا لوجود

1 - نفسه .

2 - أحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي ، ناقد و أديب ، ولد في مدينة دمياط (ساحل مصر الشمالي) سنة 1906 م ، عمل معلما بمدارس الأوقاف ، والمدارس الحكومية بالقاهرة، إلى أن حصل على درجتي الماجستير، ثم الدكتوراه من كلية دار العلوم في أدب العصور الوسطى الإسلامية. فعمل مدرسا بكلية دار العلوم وترقى حتى أصبح أستاذا للنقد الأدبي القديم، ثم وكيلا لها ، له مؤلفات عدة، منها في الأدب وتاريخه و النقد الأدبي، منها : من بلاغة القرآن، أسس النقد الأدبي عند العرب ، الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية في مصر و الشام ، و غيرها من الكتب انظر ترجمته في :

<http://shamela.ws/index.php/author/1420>

(الكاف) فيها وهي للتشبيه ظن كثير من العلماء أنها لا تكون إلا للتشبيه ، ومضى في كل آية ورد فيها هذا التعبير، يبين التشبيه في الجملة، وفي كثير من الأحيان لا يبدو معني التشبيه واضحاً، فيلتمس مقوماته، ويتكلف تفسيره تكلفاً ، يوحى بضالة هذا التشبيه، وأنه لم يزد المعنى جلاء، ثم قال : " وقد تتبعت هذه العبارة فيما وردت فيه من الآيات، فوجدتها أكثر ما تأتي لمعان ثلاثة : **أولها التشبيه**، وذلك عندما يراد عقد الصلة بين أمرين ولمح ما بينهما من ارتباط، وهنا يؤدي التشبيه رسالته في إيضاح المعنى وتوطيده في النفس .. وتأتي كاف (كذلك) في كثير من الآيات **بمعنى مثل**، في قولك: **مثلك لا يكذب**، تريد: أنت لا تكذب، وفائدة مجيء مثل الإشارة إلى أن من له صفاتك لا يليق به أن يكذب .. **وتأتي (كذلك) أيضاً لتحقيق المعنى وتثبيته**، ولا يبدو فيها التشبيه ، ومحاولة خلق تشبيه من هذه العبارات لا يؤدي إلا إلى التكلف والتفاهة معاً. ويقدر بعض العلماء في مثل هذا التركيب أن كذلك خبر لمبتدأ محذوف تقديره الأمر كذلك، ونحن نوافق على هذا التقدير وليس في كذلك تشبيه هنا، وإنما المراد: الأمر هو ما أخبرت به لا ريب فيه، ومن (كذلك) هذه التي للتحقيق والتوكيد، تولدت كلمة (كده) في اللغة العامة للدلالة على التحقيق أيضاً، ونحن نستخدمها في ذلك المعنى عندما نقول: الحق كذلك، تريد الحق والصواب هو ذلك، ولعل السر في المجيء بكاف التشبيه هنا هو بيان تمام المطابقة بين الحقيقة الخارجية والحقيقة الكلامية، أي أن ما يكون في الواقع يطابق ما دل عليه الكلام " ¹ .

المبحث الثالث دراسة القواعد المتعلقة بالنحو والمتفرقات

اللغة العربية لغةٌ محكمة، تستندُ في نظامها إلى قواعد إعرابية وصرفية واشتقاقية، ولا بُدَّ للمفسِّر من التحكم في جميع ذلك، إذ به يصحُّ معنى الكلام، وربَّ حركة واحدة في المبنى تؤثِّر و تحرِّك في المعنى الكلي للكلام، والقرآن الكريم إنما نزل على سنن العرب في الكلام. وفي هذا المبحث أجمع القواعد التي تكلم عنها المؤلف مما يرجع إلى علم النحو وأدرسها دراسة نظرية، أتبعها مباشرةً ببقية القواعد من المتفرقات التي لا تندرج تحت صنف معيّن. وفي ما يلي تفصيل ذلك:

1- قاعدة " حول ضرورة ملاحظة قواعد اللغة العربية ومفاهيم الصيغ الصرفية، ولزوم البحث عن سر مخالفة الإعراب لمقتضى الظاهر " ¹ :

القاعدة كما هو ملاحظ متكوّنة من شطرين ، وقد بدأ المؤلف رحمه الله هذه القاعدة بضرورة ضبط المتدبّر لكتاب الله لقواعد اللغة العربية نحوها و صرفها ، لأنّ القرآن الكريم نزل على سنن العرب في الكلام ، ولا يتم له وجهٌ صحيحٌ لفهم النصّ القرآني إلاّ بإدراك سليم لقواعد النحو و الصرف ، فلا تكفي المعرفة المعجميّة وحدها لفهم الكلام العربي .

قال رحمه الله : " بين معنى النص وقواعد اللغة العربية، نحوها و صرفها، ارتباط يمثل ركنا أساسيا من بناء الكلام العربي ، فالجملة العربية بناء كلامي يعتمد على أركان ، **الركن الأول** : مادّة الكلمة وما تدلّ عليه من معنى بحسب الاستعمال العربي لها ، ومرجع هذا معاجم اللغة ، و استعمالات العرب في نثرهم و شعرهم ، و **الركن الثاني** : صيغة الكلمة وما تدلّ عليه الصيغة من دلالات خاصّة زائدة على المعنى العام الذي تدلّ عليه مادة الكلمة . . و المرجع لمعرفة دلالات الصيغ علم الصّرف و بعض قواعد النحو ، فعلى دارس أي نص عربي لاسيما كتاب الله عز وجل أن يكون خبيرًا بدلالات الصيغ المختلفة لمادّة الكلمة العربية ، لأنّ الفهم الصحيح للنصّ مرتبط بمعرفة ذلك . . و **الركن الثالث** : **تركيب الكلام العربي القائم على التقديم و التأخير** ، فإنّ كثيرًا من دلالات الجملة العربية تستفاد من تقديم بعض عناصرها أو تأخيرها . . و **الركن الرابع الإعراب القائم على تغيير الحركات أو ما ينوب في أواخر الكلمة العربية** . . و المرجع لمعرفة قواعد إعراب الكلمة العربية إنما هو علم النحو " ² .

وهذا الذي أسّسه في وجوب الرجوع إلى قواعد اللغة نحوًا و صرفًا و إعرابًا نصّح به العلماء قاطبة ، منهم الزمخشري بين أنّ التفاسير لا تستغني عن هذا أبدًا :

1 - قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 551 ، وهي القاعدة السادسة و العشرون في الكتاب .

2 - قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 551 .

قال رحمه الله : " والتفاسير مشحونة بالروايات عن سيويه والأخفش والكسائي والفراء وغيرهم من التحويين البصريين والكوفيين، والاستظهار في مآخذ النصوص بأقويلهم، والتشبيث بأهداب تأويلهم ، وبهذا اللسان مناقلتهم في العلم ، ومحاورتهم وتدريسهم ومناظرتهم ، وبه تقطر في القراطيس أقلامهم " ¹ .

هذا وقد أفرد إعراب القرآن بالتأليف عددٌ لا بأسَ به من العلماء، من أمثال: الفراء والأخفش والزجاج والنحاس وابن خالويه والعكبري وأبي حيان وغيرهم ، وكتبهم مطبوعة متداولة، وقد كانت مقدمات هذه الكتب تشير إلى ضرورة هذا الأمر، ومنها مقدمة مكّي بن أبي طالب القيسي ² التي يقول فيها " ورأيت من أعظم ما يجب على طالب علوم القرآن، الرّاغب في تجويد ألفاظه وفهم معانيه ومعرفة قراءاته ولغاته، وأفضل ما القارئ إليه محتاجٌ، معرفة إعرابه، والوقوف على تصرف حركاته وسواكبه؛ ليكونَ بذلكَ سالماً من اللحن فيه، مستعيناً على إحكام اللفظ به، مطلعاً على المعاني التي قد تختلف باختلاف الحركات، متفهماً لما أراد الله-تبارك وتعالى-به من عباده؛ إذ بمعرفة حقائق الإعراب تُعرف أكثر المعاني، وينجلي الإشكال، وتظهر الفوائد، ويفهم الخطاب، وتصح معرفة حقيقة المراد " ³ .

ثم اتجه المؤلف رحمه الله إلى الشطر الثاني من القاعدة ، إنه لزوم البحث عن مخالفة الإعراب لمقتضى الظاهر ، يقول رحمه الله : " قد يأتي في النص القرآني ما يخالف إعرابه مقتضى الظاهر، ويقع النحاة حوله في إشكال توجيهه العربي،

1 - **المفصل في علم العربية** : الزمخشري- بيروت، لبنان - دار الجيل - ط 2 - دس ، ص 3 .

2 - هو مكّي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار، من أهل القرآن راسخا فيه وفي علومه، مدققا في علم العربية، وله رواية عالية ورحلة بعيدة ، ولد بالقيروان سنة 355هـ ، ومن أشهر شيوخه ابن أبي زيد القيرواني ، سافر إلى مصر و مكة و الأندلس ، وكان من أوعية العلم مع الدين والسكينة والفهم ، توفي بقرطبة سنة 437هـ ، من مؤلفاته : الإبانة عن معاني القراءات ، الهداية إلى بلوغ النهاية ، و انظر ترجمته في : **سير أعلام النبلاء** : الذهبي ، 17/591 .

3 - **مشكل إعراب القرآن** : مكّي بن أبي طالب القيسي - تحقيق ياسين محمد السواس - دمشق ، سوريا- دار المأمون للتراث - ط 2 - دس ، 1 / 2-1 .

ومقتضى الحكمة الربانية العامة يدعونا للتأمل في الحكمة الخاصة التي اقتضت مخالفة الإعراب في النص لمقتضى الظاهر ، ومهما تيسر لنا البحث للتوصل إلى حكمة تتصل بغرض من أغراض الدلالة في تأدية معنى من المعاني كان ذلك هو المرجح ، ولا ينبغي قصر الأمر على مجرد توجيه لفظي تسمح به قواعد اللغة العربية " 1 .

ويقصد رحمه الله الاجتهاد في بيان وجه تلك المخالفة ، وعدم التسرع إلى تحريف كلام الله انتصاراً لقاعدة نحوية . وقد أعطى رحمه الله على هذا الشطر مثلاً واحداً ، وهو قوله تعالى : [لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ] (البقرة : الآية 177) . ففي قوله تعالى [وَالصَّابِرِينَ] عطفٌ بالنصب مع أن الذي جاء قبل ذلك مرفوعات ، وقد بين رحمه الله أن أحسن ما قاله النحاة و المفسرون في تخريج نصب [وَالصَّابِرِينَ] أنه منصوبٌ على المدح بإضمار فعلٍ تقديره (وأمدح الصابرين) ، قال رحمه الله : " و قد تأملتُ في هذه الآية فوجدتها تبحثُ في بيان بعض صفات الأبرار ، و الأعمال التي تدخل مرتبة البر ، و هي مرتبة أعلى من مرتبة التقوى - كما بينته في غير هذا الموضوع² - لكن شرط مرتبة البر التحقق أولاً بمرتبة التقوى ، و يظهر لنا بوضوح أن الصبر في البأساء و الضراء و حين البأس أمرٌ غيرٌ مفروض على المؤمن فرضَ إلزام يُعاقبُ على تركه فهو من مرتبة البر حتما ، فاقضى التفريق بين الأعمال التي هي مرتبة التقوى و العمل الذي هو من مرتبة البر نصب (الصابرين) على تقدير فعل أمدح أي و أمدح الصابرين الذين ارتقوا بصبرهم إلى مرتبة البر " 3 .

1 - قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 553 .
2 - قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 696، تحت قاعدة " كذلك في القرآن الكريم " المثال الأول .
3 - نفسه : ص 555 .

2- قاعدة "حول التعليل بأن المصدرية وما بعدها في الآيات القرآنية، وفي لزوم تقدير المحذوفات قبلها" ¹ .

ذكر رحمه الله في هذه القاعدة بأنَّ التعليل بأن المصدرية جاء في القرآن الكريم لأمر منها مايلي ومثَّل على كل أمرٍ منها بمثال :

أ- تعليلُ بأن المصدرية و ما بعدها لمنهية عنه .

ب- لمأمورٍ به .

ت- لعملٍ من الأعمال .

ث- لأمرٍ يُخشى وقوعه .

ج- لظاهرةٍ من ظواهر خلق الله .

ح- للإخبار بحدِّثٍ مَصَى مما تمَّ بقضاء الله و حكمته .

خ- لأمرٍ من تصرُّفات الناس قائم .

وذكر رحمه الله أنَّ مما ينبغي رعايته في هذا الباب " أنَّ التعليل بعد النهي أو النفي أو الأمر قد يكونُ تعليلًا للفعل ، وقد يكونُ تعليلًا للترك ، و ذلك لأنَّ النهي أو النفي أو الأمر كلُّ منها يتضمَّن وجهين : وجه الترك ووجه الفعل ، وكل من هذين الوجهين يصلح ما ينجمُ عنه من خير أو شرٍّ و حُسنٍ وقُبْحٍ للتعليل " ² .

ثمَّ بين أنَّه قد يأتي التعليل في النصوص القرآنية غير مبين فيه وجه التعليل هل هو للفعل أو الترك، و عندئذٍ لا بُدَّ من البحث عن الملاءمة بين التعليل و المعلن بعلمته ، و يكونُ في النصِّ غير المبين فيه وجه التعليل محذوفٌ إيجازًا على طريقة القرآن في الإيجاز بالحذف ، فلا بُدَّ من تقدير هذا المحذوف بما يلائمُ التعليل المقصود ، سواء للترك أو للفعل ، حتى ولو أدَّى هذا التقدير التدبيري إلى تجاوز الشكليات الصناعية التي يلتزمُ بها النحاة و المعربون .

وقد ضرب رحمه الله لكلِّ نوعٍ مما سبق مثالاً وشرحه ، اختارُ منها المثال الأول في التعليل بأن المصدرية وما بعدها لمنهية عنه :

1 - نفسه : ص 581 ، وهي القاعدة التاسعة و العشرون في الكتاب .

2 - قواعد التدبُّر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 581 .

ذكر رحمه الله قول الله تعالى : [وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ] (البقرة : 224) ، و بيّن أنّ في هذا النصّ نهياً عن جعل الله عزّ وجلّ (أي أسماءه و صفاته) عُرْضَةً لِلْإِيمَانِ بِحَاجَةٍ وَبِغَيْرِ حَاجَةٍ ، و جاء تعليل هذا النهي بقوله [أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ] ، فكيف يتم الربط بين النهي و التعليل ؟. قال رحمه الله : " لا بُدَّ أَنْ يَكُونَ قَبْلَ (أَنْ) مَحذُوفٌ مَقْدَرٌ حَتَّى نَفْهَمَ التَّعْلِيلَ بِإِبْرَازِهِ ، وَظَاهِرٌ أَنَّ التَّعْلِيلَ هُنَا بَيَانٌ ثَمَرَةٍ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ . وَهَذَا يَتَطَلَّبُ تَقْدِيرَ مَحذُوفٍ مَلَأْتُمْ ، وَهَذَا الْمَحذُوفُ الْمَلَأْتُمْ يُمْكِنُ تَقْدِيرُهُ كَمَا يَلِي : رَغْبَةً أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ ، رَجَاءً أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ ، لِأَنَّ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ ، طَلَبَ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ " ¹ .

3- قاعدة " حول استعمال الفعل الماضي : 1 - فيما له الكينونة الدائمة . 2- وفيما حصل فعلاً . 3- وفيما هو مَقْضِيٌّ مَقْدَرٌ ، فهو متحقّق الوقوع في المستقبل و ينتظر الزّمن الذي يكون فيه واقعاً منجزاً . 4 - وفيما هو معلوم لله وقوعه في المستقبل ولو لم يكن له إرادة جبرية في وقوعه ، إنما له به علمٌ و تمكين و تسخير " ² :

الفعل هو ما تضمن حدثاً مقترناً بزمن معين ، فالأفعال تنقسم بانقسام الزمن، و لكل فعل حدّ زمنيّ ثابتٌ بحيث لا يتحدد الفعل إلا بتعيين زمن وقوعه ³ . ويعتبر الفعل الماضي لبنة أساسية من لبنات اللغة العربية عامة و القرآن خاصة ، وقد عرّفه النحاة بأنّه : " ما دلّ على معنى في نفسه مقترن بالزمان الماضي، كجاء و اجتهدّ وتعلّم " ⁴ .

-
- 1 - نفسه : ص 584-585 .
 - 2 - قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 601 ، وهي القاعدة الثلاثون في الكتاب .
 - 3 - دراسات في الفعل : عبد الهادي الفضلي - بيروت ، لبنان- دار القلم - ط 1- 1982م ، ص 26 .
 - 4 - جامع الدروس العربية : مصطفى الغلاييني ، ص 43 .

غير أن الفعل الماضي في القرآن الكريم معجز، لجمعه بين مناسبته للسياق والمقام ، و بين أدائه للمعنى وتحقيقه لمقصد الخطاب القرآني .

وهذه القاعدة التي بينا يتعلّق بأوجه الخطاب بالفعل الماضي في القرآن الكريم¹ ، و قد ذكر المؤلف أنّ استعمالات الفعل الماضي في القرآن تأتي للدلالة على عدة أمور :

أ - أن المتحدث عنه له الكينونة الدائمة من الأزل إلى الأبد ، ومثّل له بفعل (كان) للدلالة على صفة من صفات الله أو فعل من أفعاله .

ب- أن المتحدث عنه له الكينونة غير المحصورة بزمن ، و يقصد رحمه الله أن ثبوت الصفة فيه لا تحتاج إلى زمن مخصوص و معين كي يتحقق ، كالحديث عن طبائع المكوّنات أو ظواهر سلوكها الإرادي، ومثّل لها بأمثلة منها قوله تعالى : [وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا] (الإسراء : من الآية 11) .

ت- أن المخبر عنه وقع و فات زمانٌ وقوعه ، سواء أكان مستمر الحصول، أي وقع ويستمر، أو انقضى فلا وجود له .

ث- أن المتحدث عنه مقضيٌّ مُقَدَّرٌ ، فيتحقق وقوعه في المستقبل ولكن ينتظر فقط زمانه الذي يكون فيه منجزًا ، و هو في تقدير الله بحكم الواقع فعلا . وهذا الأمر الرابع ذكره غير واحد من أهل العلم و صاغوا قاعدته كمايلي : " من شأن العرب أن تعبر بالماضي عن المستقبل تنبيها عن تحقق الوقوع"² .

ثم أعطى رحمه الله الأمثلة التطبيقية التدريبية على هذا الباب ، أختارُ منها المثال الثاني و أترك البقية للمناقشة في الجزء التطبيقي.

1 - (التحويل الزمني للفعل الماضي في العربية) - البشير جلول - مجلة المخبر - عدد 6 - 2011م - جامعة محمد خيضر بسكرة الجزائر. وهو مقال متاح للتحميل عبر النت ، و (الدلالة الزمنية لصيغة الماضي في العربية) - محمد رجب محمد الوزير - مجلة علوم اللغة - دار غريب- القاهرة، مصر - مجلد 1 - عدد 2 - 1998م .

2 - الإكسير في علم التفسير : سليمان الصرصري البغدادي - تحقيق عبد القادر حسين - القاهرة ، مصر - مكتبة الآداب - دط - دس ، ص 147 .

في قوله تعالى: [**أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**] (النحل: 1) ، أي إنَّ ما استعجله قَادَهُ المشركين في مكة من الهلاك الذي أنذرهم به رسول الله صلى الله عليه و سلم قد أتى ، إذ صدر به أمرُ الله ، فهو أتٍ في طريقه إليهم ، و سيصيبهم في الزمن المقدّر لنزوله ، ولكنه لما كان في قوّة الشيء الذي وقع فلا دافع له لا من جهة التقدير ولا من جهة الوقوع؛ استعمل فعل (أتى) ، فهو " كمتفجّرة موقوتةٍ يحملها المحكوم عليه بالهلاك ، حتى إذا بلغت الساعة المبرمجةُ إشارة اللحظة المحدّدة تفجّرت عليه فنسفته نسفاً ، وجعلته بددا " ¹ .

وقد أشار خالد السبت في كتابه القواعد² إلى قاعدة (**من شأن العرب أن تعبّر بالماضي عن المستقبل تنبيها على تحقق الوقوع**) ، وهي قاعدة شبيهة بقاعدة الباب وقد أشار إلى قاعدة المؤلف³ .
4- قاعدة " **حول تعدية فعل (أراد - يريد) في القرآن** " :⁴

المؤلف رحمه الله دلّله الاستقراء التامّ على أنّ فعلَ (أراد - يريد) جاءت تعديته في القرآن الكريم على خمسة أحوال :

أ- أن يتعدّى إلى المفعول به مباشرة ، والغالب أن يأتي المفعول به مصدراً مؤوّلاً نحو " **أرادَ أن يذكّر - تريدُ أن تغتّلني - إن أردتُ أن أنصحَ لكم** " . و من غير الغالب " **وما الله يريدُ ظلماً للعباد - منكم من يريدُ الدّنيا ومنكم من يريدُ الآخرة** " .

1 - قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 604-605 .

2 - قواعد التفسير جمعا و دراسة : خالد السبت ، 1/292 .

3 - و انظر: البرهان في علوم القرآن: الزركشي، 3/372 ، الإتيان في علوم القرآن : السيوطي ، 3/118 .

4 - قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 641 ، وهي القاعدة الخامسة و الثلاثون في الكتاب .

ب- أن يكون مفعول الفعل محذوفاً لفظاً مقدرًا ذهناً دون أن يكون في الكلام ما يوهم أنه هو المفعول به ، أو القائم مقامه ، مثل " **و لكن الله يفعل ما يريد** " .

ت- أن يأتي الاستعمال على مثل قوله تعالى " **وإذا أراد الله بقوم** " . فهو مما يظهر للمتدبر المتعمق على تقدير مفعول محذوف هو مصدر مؤول من " أن و فعل مضارع " ، تقديره (**و إذا أراد الله أن ينزل بقوم سوءاً** " .

ث- أن يأتي الاستعمال على مثل " **إن أرادني الله بضراً** " . فهو على تقدير (**إن أرادني الله كائناً أو ملتبساً أو مصاباً أو ممسوساً بضراً** " .

ج- أن يأتي الاستعمال على مثل " **ومن يرد فيه بالحاد يظلم** " وسوف يأتي شرحه في المثال المختار .

هذه هي الحالات التي يرد عليها الفعل (أراد يريد) في القرآن الكريم ، وعلى المتدبر لكلام الله تعالى أن ينظر فيها بتأمل على نحو ما ضرب عليه المؤلف من أمثلة توضيحية تدريبية .

ثم أعطى رحمه الله ستة أمثلة تطبيقية تكشف التدبر الأمثل في الباب، وتخرج المتدبر لكتاب فيها من اختلاف أقوال المفسرين غير الواضحة ، أختار منها المثال الرابع، وهو يشرح الحال الخامسة:

في قوله تعالى : [**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ يَظْلَمِ نَفْسَهُ مِنَ عَذَابِ أَلِيمٍ**] (الحج : الآية 25) ، فقول الله تعالى [**وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ يَظْلَمِ نَفْسَهُ مِنَ عَذَابِ أَلِيمٍ**] قد حذف منه مفعول [**يُرِدْ**] ليغم كل مراد ملتبس أو مقترن أو مختلط بالحاد، أي : بانحراف و ميل عن منهج دين الله للناس ، وهذا الانحراف ملتبس أو مقترن أو مختلط بظلم . نذقه من عذاب أليم .

قال المؤلف رحمه الله : " فالله تعالى يتوعد الذي يريد في حرم مكة أي مراد مصحوب بانحراف مصحوب بظلم بأن يذيقه من عذاب أليم ، فليحذر الذين يقيمون في البلد الحرام

من أن يميلوا عن منهج الله ظالمين ، فأرادة ذلك كافية لاستحقاق المرید هذا العذاب الأليم"¹.

وقد أشار خالد السبیت في كتابه القواعد² إلى قاعدة (تفهم معاني الأفعال على ضوء ما تتعدى به " .

5 - قاعدة " **حول إسناد الفعل أو ما في معناه إلى فاعله أو من قام به أو مسببه أو الأمر به والداعي له، أو المُتهم أو الحاكم أو القاضي به، أو واجده والعاثر عليه والواصل إلى العلم به، أو غير ذلك** " ³ :

المؤلفُ رحمه الله بنى قاعدته على إثبات صحة أية علاقة فكرية يصح معها في موازين العقل إسناد شيءٍ لشيءٍ، وبيّن أنّ القرائن اللفظية أو العقلية أو الواقعية، أو دلائل نصوص أخرى هي التي تكشف هذه العلاقة. فلا يُشترط لصحة الإسناد أن يكون المُسندُ إليه فاعلاً للشيء الذي تضمّنه الفعل أو ما في معناه ، أو قائماً به أي موصوفاً به .

وقد بيّن رحمه الله أن تصوّر كون الإسناد لا يكون إلا على معنى أنّ المسند إليه فاعلٌ لما تضمّنه الفعل و ما في معناه يوقع في أغاليط كثيرة لدى تدبّر النصوص .

ثم ذكر رحمه الله جملة من العلاقات الفكرية التي يصح معها الإسناد⁴ :

أ- العلاقة الأولى : كون المسند إليه فاعلاً للحدث الذي تضمّنه الفعل أو ما في معناه ، وهو الأكثر في جمل الإسناد المستعملة ، وضرب عليه أمثلة .

1 - قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 649-650 .

2 - قواعد التفسير جمعاً و دراسة : خالد السبیت ، 1/261 .

3 - قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 665 ، وهي القاعدة السابعة و الثلاثون في الكتاب .

4 - انظر للاستزادة : (الإسناد المجازي في القرآن ملابساته وأسراره البلاغية) : د صديق مصطفى الريح - نشر المكتبة الرقمية - د ت - <http://dlibrary.medi.u.edu.my/bib/61224> ، وانظر في هذا المقال المصادر و المراجع التي اهتمت بتفصيل أنواع هذا الإسناد من المتقدمين والمتأخرين .

ب- العلاقة الثانية : كون المسند إليه قد قام به الحدث الذي تضمنه الفعل أو ما في معناه أو موجود فيه الوصف الذي تضمنه الفعل أو ما في معناه. وهذا المجاز العقلي وضرب عليه أمثلة .

ت- العلاقة الثالثة : كون المسند إليه هو المتسبب بفعل الحدث الذي تضمنه الفعل أو ما في معناه وضرب عليه أمثلة .
ث- العلاقة الرابعة : المسند إليه هو الدال أو الداعي أو الموجه للقيام بما تضمنه الفعل أو ما في معناه وضرب عليه أمثلة .

ج- العلاقة الخامسة : كون المسند إليه قد نسب إليه ما تضمنه الفعل أو ما في معناه إلى فاعله، أو من قام به وضرب عليه أمثلة .

ح- العلاقة السادسة : كون المسند إليه قد وجد ما تضمنه الفعل أو ما في معناه وصفا لمن قام به، أو للشيء الذي قام به وضرب عليه أمثلة .

خ- العلاقة السابعة : كون المسند إليه راغبا فيما تضمنه الفعل ، أو ما معناه، وضرب عليه أمثلة .
هذا وقد أفرد ابن عقيلة المكي في الجزء الخامس في النوع الثالث عشر بعد المائة : " علم أحوال المسند والمسند إليه " ¹ ، وفصل أحوال هذا الإسناد .

وأشار خالد السبتي في كتابه القواعد² إلى هذه القاعدة (**من شأن العرب إضافة الفعل إلى من وُجِدَ منه - و إن كان مُسَبَّبُهُ غير الذي وُجِدَ منه - أحيانا ، و أحيانا إلى مسببه و إن كان الذي وُجِدَ منه الفعل غيرهُ) ، و بين من قال بها و الأمثلة عليها .**

6- قاعدة " حول ما يسمى بالاستثناء المنقطع " ³ :
يقسّم النحاة الاستثناء إلى نوعين مُتَّصِلٍ و مُنْقَطِعٍ ، و يكون المُسْتَثْنَى محكومًا عليه بنقيض حكم المُسْتَثْنَى منه . و يعرفون

1 - الزيادة والاحسان : ابن عقيلة المكي، 5/491 .

2 - قواعد التفسير جمعا و دراسة : خالد السبتي ، 1/303 .

3 - قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 683 ، و هي القاعدة الثامنة و الثلاثون في الكتاب .

الاستثناء المتصل¹ بأنه ما كان المُستثنى فيه بعضًا من المُستثنى منه ، مثل [نبت ما زرَعْنَا مِنَ الشَّجَرَةِ إِلَّا شَجَرَةَ اللُّوزِ - لم ينبت ما زرَعْنَا مِنَ الشَّجَرَةِ إِلَّا شَجَرَةَ اللُّوزِ] . ويعرّفون الاستثناء المنقطع بأنه ما كان المُستثنى فيه ليس من نوع المُستثنى منه ، مثل [نَفَرَ قَطِيعُ الظَّبَايِ إِلَّا جَمَلَ أَبِي حَارِثَةَ] .

قال المؤلف رحمه الله : " و لكن علينا أن نتفكّر و نتساءل : هل يستثنى ذو فكر حصيفٍ مستثنى من غير نوع المُستثنى منه ، دون غرض بيّني يُقصدُ عند البلغاء ؟ " ² . ثم ضرب على هذا أمثلة من اللغة و بيّن الغرض البياني فيها ، ثم قال : " فعلى متدبّر كلام الله عز وجل أن يتفكّر بأناة تفكّرًا عميقًا في كل نص قرآني يشتمل على استثناءٍ يترأى له من ظاهره أنّ المُستثنى فيه منقطع عمّا قبل الاستثناء ، فإذا أطال تفكّره و تعمّق وكان من أهل التدبّر و الاستنباط فلا بُدّ أن ينكشف له بالتحليل أمرٌ تختلف معه نظرتَه إلى النصّ ، و يختلف معه تدبّره له ، و عليه أن يقفّر إلى ما وراء السّياج السّاذج المسمّى بالاستثناء المنقطع ، فذريعة هذا الاستثناء لا تُقبلُ عند المتدبّرين العُقلاء " ³ .

ثمّ بين رحمه الله ما الذي ينقدح في ذهن المتدبّر بشأن هذا النوع من الاستثناء في النصّ القرآني ، فجعله بين أمرين هما :

أ- إمّا أن يظهر له أنّ أداة الاستثناء هي أداة استدراك ، مثل كلمة (لكن) و أنّ الغرض الإضراب الانتقالي ، لإثبات قضية جديدة صلّتها بما قبلها صلة المغايرة في الحكم فقط ، و الحركة الإعرابية ضبط لفظيٍّ لمثل هذا الاستدراك الوارد بلفظ (إلا) سواء نصبنا على لغة الحجازيين ، أو رفعنا على لغة بني تميم .

ب- و إمّا أن ينكشف له أنّ الاستثناء بهذه الصورة يتضمّن غرضًا بلاغيًا مقصودًا ، لأداء فكرة مُرادَة ، وهو في مضمونه الفكري من قسم الاستثناء المتصل .

1 - جامع الدروس العربية : مصطفى الغلاييني ، ص 578 وما بعدها .
2 - قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 683 .
3 - نفسه : ص 684 .

ثم راح رحمه الله يعطي الأمثلة على هذه القاعدة ، فأوردَ سبعة أمثلة أختار منها المثال الأول :

في قوله سبحانه و تعالى : [طه (1) مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (2) إِلَّا تَذَكَّرَ لِمَنْ يَخْشَى] (طه : 1-3) . التذكرة لمن يخشى في هذا النص ليست من نوع (لتشقى) الذي نفى النص أن يكون مرادًا من إنزال القرآن على الرسول صلى الله عليه وسلم . و أمام متدبر هذا النصّ طريقتان : أ- إما أن يفهم أنّ لفظاً (إلا) للاستدراك مثل لفظ (لكن) أي لكن أنزلناه لتبلغه تذكرة لمن يخشى .

ب- وإما أن يعتبر [إِلَّا تَذَكَّرَ لِمَنْ يَخْشَى] استثناء من جملة محذوفة تفسرُها الجملة السابقة المذكورة ، وهو من قبيل الاستثناء المفرغ . و التقدير : ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ، ما أنزلناه إلا تذكرة لمن يخشى. وهذا من قبيل الإيجاز بالحذف الذي يوجد في المذكور قبله ما يدل عليه .

7- قاعدة " حول أن القرآن لا اختلاف فيه ولا تناقض، وأنه لا تناقض بينه وبين الحقائق العلمية الثابتة بالوسائل الإنسانية " ¹ :

قسّم المؤلف رحمه الله هذه القاعدة إلى مقولتين : الأولى في نفي الاختلاف و التناقض عن كتاب الله و موقف المتدبر و منهجه في التعامل مع ما يؤهم ذلك . و الثانية في نفي التناقض بين القرآن و بين الحقائق العلمية الثابتة . بين في الأولى أنّ القرآن الكريم لا اختلاف فيه و لا تناقض : يقصد به حصول اليقين باستحالة وجود تناقض أو اختلاف في الدلالة و المعنى أو اللفظ .

وهذا العلم حظي باهتمام كثير من أهل العلم ، عرضا في مؤلفاتهم ، أو استقلالا في التصنيف، فقد ذكروه و ذكروا الأسباب الموهمة للاختلاف و أجابوا عليها ، منهم الزركشي في النوع الخامس و الثلاثين " موهم المختلف " ² ، و ذكره السيوطي في الإتيان، النوع الثامن و الأربعين في " مشكله و

1 - قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 225 ، وهي القاعدة الثالثة عشرة في الكتاب .

2 - البرهان في علوم القرآن : الزركشي ، 2/40 .

موهم الاختلاف و التناقض " ¹ ، وأفرده بالتأليف ابن تيمية في كتاب " تفسير آيات أشكلت " ، وقبله أبو علي محمد بن المستنير الشهير بقطرب (ت 206 هـ) ، و عبد الله بن قتيبة الدينوري (ت 276 هـ) ، و أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي و كتاب " ملاك التأويل في متشابه اللفظ في التنزيل " (ت 708 هـ) . و من المعاصرين محمد الأمين الشنقيطي و كتاب " دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب " ، وغير ذلك من المؤلفات و المباحث في الموضوع .
والمؤلف رحمه الله ركز على ضرورة نظر المتدبر في سياق النص و لواحقه، بما يرفع الاختلاف . قال رحمه الله :
" على متدبر كتاب الله أن يتفكر و يتأمل فيما يبدو له من اختلاف أو تناقض في القرآن، بالنظر في سياق النص سوابقه و لواحقه ، ليفهم كل فكرة ضمن حدودها التي تخرجها عما قد يبدو لذي النظر السطحي من اختلاف أو تناقض ، و تنظّمها في سلك موضوع متكامل " ² .

وهذا اجتهاد منه رحمه الله ، فإبعاد التناسق الواحد في الموضوع و التكامل في النصوص ، يوقع في وهم الاضطراب ، و كذلك تجريد النص من تركيبه الكلي و السياقي ، أو عزله عن بقية النصوص يورث الحيرة و التخبط في الفهم ، يقول " و عمل المتدبر لكلام الله يتم بأن يضع معنى كل آية وكل جملة في الموضوع الملائم له ، وعلى مقدار نسبته من ساحة المعاني ، فلا يعمّم تعميماً زائداً على المراد، ولا يخصّص تخصيصاً زائداً على المراد ، و لكن يجمع ما اختلف من النصوص حول موضوع واحد ، ويؤلف بينها تأليفاً تاماً يملأ بها ساحة الموضوع حسب مساحته من خريطته " ³ .

ثم انتقل رحمه الله إلى شرح المقولة الثانية: (لا تناقض بين القرآن و بين الحقائق العلمية الثابتة بالوسائل الإنسانية) . هذه القضية تكلم فيها العلماء و الباحثون ، و نظروا لفيها وألفت الكُتُب في حقها، ولكن غرضنا في هذا تجلية تصور المؤلف لها :

1 - الإتيان في علوم القرآن : السيوطي ، 2/1470 .
2 - قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 225 .
3 - نفسه : ص 226 .

هذه القاعدة بناها على ما قبلها ذلك أن دفع توهم الاختلاف ينتج عنه المعنى الصحيح للنص، وبناء على هذه القاعدة لا بد أن يتطابق المعنى الصحيح للنص الذي تعرض لبعض الحقائق العلمية مع الحقائق العلمية الثابتة . وللسائل أن يسأل ما علاقة هذا بهذا ، فأقول : لعله رحمه الله اعتبر أن بعض ظواهر القرآن أو المعاني فيه يظهر من النظرة السطحية أنها لا تتفق مع بعض الحقائق العلمية ، مما يلقي في النفوس شبهة التناقض و الاختلاف. و الجوابُ على هذا كما بين المؤلفُ أن :

أ- عدم التطابق بين الحقيقتين ، ربما مرده إلى أن الحقيقة العلمية غير مؤكدة .

ب- وإما أن ما ادّعي أنه تفسير قاطع للنص قد كان ادعاءً غير صحيح.

وإذا حصل هذان الأمران أو أحدهما ؛ فعلى المخطئ أن تراجع خطاه ، و يستأنف بحثه من جديد ليصل إلى التطابق ، أو يترك الباب مفتوحًا والبحث معلقًا ولا يجزم ريثما يفتح ما يدفع الاضطراب و التناقض .

هذا وقد أعطى رحمه الله توجيهاتٍ متعلقةً بهذا

الموضوع في ثلاث مقدمات :

الأولى : صحة نسبة القرآن إلى الله و كونه معجزاً بما حوى الله فيه من الآيات الباهرات، و من المستحيل عقلاً أن يخبرنا الله في كتابه ما يناقض حقائق ما أودعه في كونه .

الثانية : منح الله الناس أدوات المعرفة و للفهم و عليهم أن يستخدموها .

الثالثة : العلم الحق الذي يتوصل الناس إليه بوسائلهم الإنسانية ، لا بد أن يطابق الخبر الصادق الذي جاء به الوحي من عند الله .

بينما رحمه الله يفترض وجود التناقض بوجود ثلاثة احتمالات

:

الأول : عدم التأكد المطلق من الحقيقة العلمية من حيث ثبوتها ، بل ما زال ظناً راجحاً قابلاً للتعديل (نظرية) .
الثاني : التردد بين احتمالين أو أكثر بالتكافؤ.

الثالث : كونه ظناً مرجوحاً لم يقترن بأي دليل يقويه حتى يرجحه على نقيضه .

وعليه فإنه يعتقد بعدم جواز مطابقة الوحي بتلك الاحتمالات و الجزم بنسبتها إليه¹ .

8- قاعدة " حول القَسَم في القرآن " ² :

أشار المؤلف إلى أن العلماء رحمهم الله بحثوا في أقسام القرآن، قال : " لكنني لم أجد فيما اطلعت عليه مما كتبه السابقون هذه النظرة الشاملة التي فتح الله بها علي، نتيجة السبر في القراءان و التأمل في الأقسام القراءانية بأناة و تعمق، والحمد لله على ما فتح علي³ .

والمؤلف رحمه الله ورّع نظرتة الشاملة إلى خمسة أوجه :

الأول : أن يبحث بأناة و تفكر و سبر قرآني المُناسبة بين المُقسَم به و المُقسَم عليه ، إذا أحدهما أو كلاهما محتملاً لعدّة تفسيرات.

الثاني : أن يبحث بأناة و تفكّر ليكتشف الغرض من القسم ، ، الإشعار بأنّ المُقسَم به أمرٌ عظيم ، التنبيه على ما في المُقسَم به من آيات جليات ، تتفتح به للمتأهّل استنباطات علمية ، بيان ارتفاع منزلة المقسم به عند المُقسِم ، التحبُّب و تطيبُ خاطر ، كما في سورة الضّحى .

الثالث : أن يبحث في النص الذي ورد فيه القسم ، ليكتشفَ من هم المقصودون بالخطاب به، هل هم الكافرون؟ ، أو المؤمنون ؟ ، أو الناس جميعا ؟ ، أو فئة خاصّة من الناس؟ .

الرابع : أن ينظر في حال المخاطبين التي اقتضت التأكيد لهم بالقَسَم .

الخامس : أن ينظر في الحكمة التي إقتضت في بعض الأقسام أن تأتي مسبوقه بحرف النفي " لا أقسيم " .

1 - قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 234-235 .

2 - نفسه : ص 463 ، وهي القاعدة الثامنة في الكتاب .

3 - نفسه : هامش ص 463 .

ثم أخذ رحمه الله في إعطاء عدّة أمثلة على كل وجه من هذه الأوجه . اختار منها المثال الأوّل في الوجه الأوّل ، وأترك الباقي للدراسة التطبيقية خشية التكرير وطول البحث :
في قوله سبحانه و تعالى : [ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (1) مَا أَنْتَ بِنِعْمَةٍ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ] (ن : الآية 1-2) . لدى التدبّر والتفكر في هذا القسّم نلاحظ المناسبة جليّة واضحة بين المُقسّم به وهو القلم وما يسطرّ الكاتبون في الصحف ، وبين المقسم عليه وهو أنّ الرسول محمداً صلى الله عليه و سلم ليس بمجنون في ادّعائه أنّ القرآن الذي يبلغه عن ربّه هو تنزيل من عند الله. فالقرآن كتابٌ مسطورٌ في اللوح المحفوظ، و مطلوبة كتابته و تسجيله في صحف و سجلات بشرية يُحفظ فيها عن التحريف و التغيير، و يكون بين الناس كتاباً مسطوراً . فالقسّم بالقلم و ما يسطرون فيه تمجيدٌ لأداة كتابة رموز المعارف ، و تسجيل العلوم التي يرثها الخلف عن السلف ، تبعاً لمجد العلم الذي فضّل الله به و بوسائل اكتسابه ووسائل حفظه و تسجيله الإنسان على كثير ممن خلق تفضيلاً¹.

هذا و قد ذكر القسّم في القرآن الكريم و أغراضه الإمام الزركشي في البرهان² ، و السيوطي في الإتقان³ ، و كتب خالد السبت في قواعده حول القسّم في القرآن⁴ في المقصد الثالث عشر ، و لكنه لم يعمّق البحث فيه، و ذكر فيه قاعدتين فقط : (لا يكون القسم إلا باسم معظم) ، و (الحكم بتقدير قسم في كتاب الله قرينة ظاهرة فيه ، فيه زيادة على معنى كلام الله بغير دليل)⁵ .

- 1 - قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 466 .
- 2 - البرهان في علوم القرآن : الزركشي ، 3/40 .
- 3 - الإتقان في علوم القرآن : السيوطي ، 4/46 .
- 4 - قواعد التفسير جمعاً و دراسة : خالد السبت ، 1/472 وما بعدها .
- 5 - ومن المؤلفات التي أفردت في هذا الباب : التبيان في أقسام القرآن لابن القيم ، إمعان في أقسام القرآن لعبد الحميد الفراهي (ت 1349 هـ) ، القسم في اللغة و القرآن لمحمد المختار السلامي التونسي ، القسم في القرآن لحسين نصّار ، و انظر رسالة " أسلوب القسم في القرآن الكريم دراسة بلاغية " (ماجستير في البلاغة و النقد غير مطبوعة) و هي مصوّرة متاحة للتحميل عبر النت - علي بن محمد الحارثي - إشراف أ د فتحي عبد القادر فريد - جامعة أم القرى كلية اللغة العربية - 1411 هـ . <http://download->

9- قاعدة " حول النظر في توجيه الخطاب الرباني " ¹:

المؤلف رحمه الله يدرب المتدبر في هذه القاعدة على كيفية تعلم التوجيه الصحيح السليم للخطاب الرباني حسب طبيعة الخطاب و الجهة المُخاطَب بها ، وكيفية الاستنباط من ذلك .

وقد ضمّن المؤلف في هذه القاعدة ثلاث مقولات ينبغي الاعتناء بها :

الأولى: على المتدبر أن ينظر في توجيه الخطاب على أربع مستويات : إن كان خطابًا للناس جميعًا فسوف يلاحظ المتدبر أنه فيه معنى يُعمّ الناس جميعًا ، و الخطاب الموجّه للذين آمنوا يخص المؤمنين و حدهم من تكليف عملي أو اعتقادي ، و الخطاب لأهل الكتاب يلاحظ فيه معنى يخص أهل الكتاب ، و الخطاب للرسول صل الله عليه وسلم يلاحظ فيه معنى يخصه ، و يدخل فيه المؤمنون إلا بدليل يخص الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم أخذ رحمه الله يعطي الأمثلة على كل مستوى في شرح نداءات القرآن وما يترتب على ذلك من فوائد تدبرية .

الثانية : الأصل في الخطاب الرباني أن يكون فوق الزمن ، فهو خارج عن حدوده ، وهو قائم متجدد ، والحادثون كما يقول المؤلف " هم الذين متى وجدوا وصاروا أهلاً للخطاب ، وسمعوا القرآن وقرأوا الآيات التي تخصّهم علموا أنهم مخاطبون بها " ² . فالخطاب يتعلّق بهم كأنه منزل عليهم ، ومنذ صاروا مؤهلين للخطاب .

ويقصد المؤلف بهذا النوع من الخطاب أنه خطاب نوعي ، و ضرب عليه أمثلة من آيات الحقائق الكونية الفلكية و الجيولوجية التي يختص بإدراكها الفلكيون و الجيولوجيون ، فهم عرفوا دلالة

الخطاب، و الخطابُ الموجّهُ لهم تناولهم من خارج حدود الزّمن من قبل أن يوجّدوا في الواقع .
الثالثة : خطاب الله عز وجل في القرآن للنبي صل الله عليه وسلم شامل للمؤمنين ما لم يكن في النص أو في غيره ما يدل دلالة صريحة على الخصوصية ، وكذلك كل تربية للرسول صلى الله عليه و سلم فهي شاملة كذلك للمؤمنين لاسيما الدّعاة و قادة الأُمَّة . و خطابُ المُفرد في القرآن هو خطابٌ لكلّ فرد يصلح للخطاب ، وهو أسلوبٌ من أساليب التعميم .
ثم أعطى رحمه الله أمثلة على جميع ذلك تتركها للقسم التطبيقي في البحث.

الفصل الرابع

**الدراسة التطبيقية للقواعد التي
ذكرها في كتابه " قواعد التدبّر
الأمثل لكتاب الله "**

و قد قسّمت هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث هي :

- المبحث الأول : تطبيق القواعد المتعلقة بالآثار وبالتناسب والوحدة الموضوعية في القرآن الكريم
- المبحث الثاني : تطبيق القواعد المتعلقة بالبلاغة واللغة ودلالات الألفاظ و التراكيب
- المبحث الثالث : تطبيق القواعد المتعلقة بالنحو والمتفرقات

تمهيد :

أذكر في هذا الفصل و أناقش نماذج متنوعة تدلّ على تطبيق الشيخ لقواعده الأربعين التي نظر لها في كتابه " قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله عز وجل " ، و ذلك من خلال تفسيره " معارج التفكّر و دقائق التدبّر " دون غيره من مؤلفات الشيخ .

وأحافظ على التصنيف نفسه الذي تمّ تقسيم القواعد عليه في الدراسة النظرية ، ويكون التوزيع في شكل مباحث حسب ذلك التصنيف، ومنهجي في الدراسة التطبيقية قائم على :

أ - أذكر تطبيق كل قاعدة في مطلبٍ تحت المبحث الذي يحوي صنفَ أخواتها .

ب- أكتفي بمناقشة مثالين في التطبيق ولا أستقصي ، مع الإشارة إلى بعض المواضع الأخرى للتطبيق في الهامش ، مع التنويع في السور، و أجهدُ في بيان كيفية تطبيقه لتلك القواعد في تفسيره " معارج التفكير " ، وهل صرّح بالقاعدة أثناء تطبيقها أم طبّقها دون تصريح بها ، وهذا كله حتى أحافظ على توازن عدد الصفحات في الفصول ، لئلا يطول البحثُ جدًّا بسبب التوسّع في مناقشة أمثلة التطبيق ، فإنّه يكادُ التوسّع في أربعين قاعدة مع كثرة الأمثلة أن يجعلَ الفصلَ رسالةً علميةً مستقلةً ، وإلّا المقصد الأساسي بيان مدى التزام الشيخ بقواعده التي سبق تقريرها وكيفية ذلك .

هذا وقد جاءت التطبيقات كالآتي :

المبحث الأول

تطبيق القواعد المتعلقة بالآثار وبالتناسب والوحدة الموضوعية في القرآن الكريم

وسأطرق في هذا المبحث إلى دراسة القواعد الواردة في الكتاب محلّ الدراسة و المتعلقة بالآثار وبالتناسب والوحدة الموضوعية في القرآن الكريم دراسةً تطبيقيةً، هذا ويدخل في الآثار البيان النبوي وتفسير الصحابي، وما أثر عن التابعين وكذلك أسباب النزول وملابس التنزيل، وهذه القواعد هي:

1 - تطبيق قاعدة " حول تتبع التفسير المأثور لمعنى النص " ¹ :

في هذه القاعدة التي أصّل فيها المؤلفُ لقضية النظر و تتبّع التفسير بالمأثور وما يتركه من أثر في الفهم الصحيح للنص ؛ نجدُ أنه رحمه الله قد حافظَ على تطبيقٍ فعليٍّ واضحٍ لهذه القاعدة ، بمراتبها الأربع التي أشار إليها في القسم النظري ، على مستوى البيان النبوي لمعنى النص القرآني ، وما فهمه الصحابة رضي الله عنهم من النص ، وما فهمه التابعون ، وحتى في الرجوع إلى آراء المفسرين المعتمدين و أقوال أهل التأويل المعتمدين .

1 - قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 133 ، وهي القاعدة السابعة في الكتاب .

فمن تطبيقاته للقاعدة بذكر التفسير النبوي بيانا للنص :
استدلالة رحمه الله في شرح قوله تعالى : [مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ عَذَابٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ] (النحل : الآية 106) بحديث عمّار بن ياسر رضي الله عنهما حينما قال كلمة الكفر تقيّةً ليدفع بها عن نفسه عذاب مُكرهيه ، قال : " فقد روي عبد ، و ابن سعد و ابن جرير و الحاكم و صححه و غيرهم أنّ المشركين أخذوا عمّار بن ياسر فلم يتركوه حتى سبّ النبيّ صلى الله عليه و سلم وذكر ألتهم بخير ، فتركوه ، فلما أتى النبيّ صلى الله عليه و سلم قال له : " ما وراءك ؟ " ، قال : شر ، ما تُركتُ حتى نلتُ منك و دكرتُ ألتهم بخير . قال : " كيف تجد قلبك ؟ " . قال : مطمئنا بالإيمان . قال : " إن عادوا فعد " . فأذن الرسول صلى الله عليه و سلم له أن يُعلن ما يدلّ على كفره ، بشرط أن يكون قلبه مطمئنا بالإيمان ¹ . فهذا البيان النبوي الذي ساقه المؤلف هو أحسن ما يدلّ على معنى هذه الآية و شرط نطق المؤمن بالكفر ، ولما كان الأمر غير مقتصر على عمّار رضي الله عنه كما يتوهم ؛ قال المؤلف : " و ليس هذا الإذن خاصا بعمار بن ياسر ، بل هو عام ، وهو بيان نبويّ لما جاء في قول الله تعالى : [إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ] " ² .

ومن تطبيقاته للقاعدة قوله رحمه الله في شرحه لقوله تعالى : [وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا] (الكهف " 68) : " و جاء في البيان الصحيح عن الرسول صلى الله عليه و سلم أنّ الخضر قال لموسى عليهما السلام : " إنك لن تستطيع معي صبرا ، يا موسى ، إني على علم من الله علمنيه لا تعلمه أنت ، و أنت على علم من الله علمك الله لا أعلمه " ³ ، فاقصر رحمه الله علي هذا الشرح الموارد في الحديث مباشرة بعد ذكر الآية ، ثم أخذ بعد ذلك في توضيحها و بيانها على ذلك النحو .

1 - معارج التفكير ودقائق التدبر: عبد الرحمن الميداني ، 13 / 653-654 .

2 - نفسه : 13/654 .

3 - معارج التفكير ودقائق التدبر: عبد الرحمن الميداني ، 13/431 .

ومن أدقّ و أجمل الشواهد التطبيقية لهذه القاعدة و التي
تميّزت حتى على شرح المثال نفسه الذي ساقه في كتاب " **قواعد التدبّر الأمثل** "؛ ما كتبه رحمه الله في شرح قوله
تعالى : [**وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ**]
(الحجر : الآية 87) ، قال رحمه الله بعد أن شرح معنى
(مثنائي) في اللغة : " و الذي ظهر لي بعد النظر الطويل في
تدبّر آيات القرآن المجيد أنّ المراد بوصف القرآن بأنّه مثنائي
أنّ له **سطوحًا ظاهرة** ، وهي ما يدرك من الكلمات
المقروءات في ظهر كلّ مثناة منه ، **وأنّ فيه مطويّات في**
باطن الثنّيات هي محذوفات لفظًا ، ويمكن إدراكها ذهنيًا ،
عن طريق اللوازم الفكرية ، أو الدلالات اللفظية ، كحرف جرّ ،
أو حرف عطف ، أو تعدية الفعل لغير ما يتعدّى به لغة ، إلى
غير ذلك من أمور كثيرة تعتمد عليها المحاذيف ، كالعطف على
محذوف بما يسمّى الفاء الفصيحة . و كملء فراغات
القصص القرآنية بعضها من بعض ، إذ تبدو في الظاهر أنّها
مكرّرات ، وهي في الحقيقة متكاملات فيما بينها ، يتداخل
بعضها في بعض فيكمل بعضها الظاهر هنا البعض المطويّ في
مثنائي النص أو النصوص الأخرى . وأفضلّ تعبير عن هذه
الصفة في القرآن المجيد أن يوصف بأنه مثنائي ، فهو كتاب
متشابه في الحُسن و الكمال ، ومثنائي تظهّر في السطوح
المقروءة من مثنائه جملٌ و كلمات ، و توجد مطويّات داخل
المثنائي تُستخرج بالتأمّل الدقيق ، وبالاستنباط العميق " ¹ .

قال المؤلفُ هذا الكلام قبل أن يتكلّم عن سورة الفاتحة و
أنّها هي السبع المثنائي كما صحّ في الحديث ؛ ليبين للمتدبّر
التطبيق الصحيح العميق للقاعدة ، حيثُ في كثير من الأحيان
يكونُ في الأثر بيانٌ للمعنى المقصود من النص حتى و إن كان
النص لا يزالُ يحتاجُ إلى مزيد تأمّل و استنباط كما فعل الشيخ
الآن ، وقد مرّ بنا قوله رحمه الله : " على متدبّر كلام الله أن
ينظر في التفسير بالمأثور لمعنى النص القرآني ، فهو حريّ

أن يكون في كثير من الأحيان فهما صحيحا ، وإن لم يكن كاملاً شاملاً لكل ما يهدف إليه النص القرآني " 1 .

فانظر كيف كشف عن الهدف من النص في تفسيره معارج التفكير ، ولم يتكلم في هذا الأمر في نفس المثال في كتابه " قواعد التدبر الأمثل أو لم يفتح له فيه باب التأمل ، وهذا علامة على أن التدبر فتوحات وإشراقات متتابعة، ولذلك يختم المؤلف خلف كل درس تدبري بقوله " و الحمد لله على معونته ومددِهِ و توفيقه و فتحه " .

وبعد أن كشف عن هذا المعنى العام المتعلق ب "الإعجاز الإيجازي في القرآن" 2 ؛ رجع إلى توظيف الحديث النبوي ولم يتجاوزه فقال : " و أفضل ما في القرآن من مثاني ما جاء في سورة (الفاتحة) إذ هي جامعة لكليات كبرى ، هي بمثابة عنوانات عامات للدين الذي اصطفاه الله عز وجل لعباده ، الذين خلقهم ليبلوهم في ظروف الحياة الدنيا ، و لتاريخهم تجاهه منذ أول نشأتهم إلى أن تقوم الساعة ، وقد أبنت هذا لدى تدبر سورة (الفاتحة) في المجلد الأول من هذا الكتاب .
وقد صحَّ عن الرسول محمد صلى الله عليه و سلم أن (الفاتحة) هي السبع المثاني وهي القرآن العظيم ، فلا عدول عن هذا الذي صحَّ عن الرسول " 3
، ثم ساق رحمه الله الحديث .

2 - تطبيق قاعدة " حول تتبع مراحل التنزيل " 4 :
مر بنا في الدراسة النظرية لهذه القاعدة أنها تتعلق بضرورة امتلاك المتدبر لكتاب الله للعلم بتاريخ نزول النصوص القرآنية و مراحل هذا النزول ، فهذا يفتح له باب فقه التدرج التشريعي و التربوي و الحركي الإصلاحية الذي تنزلت في ضوئه النصوص على مراحل ، كما تعصم المتدبر من اعتقاد وجود التناقض و المعارضة بين النصوص .

1 - قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل : عبد الرحمن الميداني، ص 133 .

2 - معارج التفكير ودقائق التدبر: عبد الرحمن الميداني ، 11/89 .

3 - نفسه : 11 / 89-90 .

4 - قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل : عبد الرحمن الميداني ، ص 151 ، و هي القاعدة التاسعة في الكتاب .

ونجدُ اللهَ رحمه الله قد حافظاً على تطبيق فعليٍّ واضح لهذه القاعدة ، و المواضع في هذا أكثر من أن تحصى في مثل هذا المقام :

فمن تطبيقاته للقاعدة مع عدم التصريح بها : أنه أثناء شرحه التدبري التحليلي لقوله تعالى : [قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ اللَّهُ أَدَبَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ (59) وَمَا ظَنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ] (يونس : الآية 59-60) . قال رحمه الله : " في هذا البيان يعلمُ الله عز وجل الداعي إلى الله أسلوبًا من أساليب إقناع الذين يفترون على الله ، فيما هو من خصائص ربوبية الله و إلهيته لعباده ، وهي أحكام التحريم و التحليل ، فيحرمون ما لم يحرمه الله عز وجل ، وقد يجلون ما حرمه الله ، فيحرمون بأحكام جاهلية من الأنعام ومن المأكول ما لم يحرمه الله ، كتحریم أهل الجاهلية البحرية ، و السائبة ، و الوصيلة ، و الحامي ، و كتحریمهم على الذين كانوا يطوفون بالبيت عراة المودك (وهو الدسم و المدهن) ما أقاموا في الموسم ، و كتحليلهم أكل الميتة و الدم " 1 .

ثم بعد هذا البيان الذي شرح به فعل الجاهلية اتجه رحمه الله إلى إعطاء صورة عن مراحل التنزيل المتعلقة بالموضوع (أحكام التحليل و التحريم الجاهلي في القرآن المجيد) فصنّفها رحمه الله في أربع مراحل لكل مرحلة ما يميّزها : قال رحمه الله : " و كان أوّل ما نزل بشأن أحكام التحريم و التحليل الجاهلية في القرآن المجيد ، قول الله عز وجل في سورة (الأعراف/7 مصحف/39 نزول) خطابًا لرسوله ، و يُلحِقُ به كلّ داعٍ إلى الله من أمته : [قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (32)] ، وقد سبق تدبر هذا النصّ في مكانه من سورة (الأعراف) . ثم أنزل الله عز وجل الآيتين (59 و 60) من سورة (يونس/51 نزول) التي نتدبرها . ثم أنزل الله عز وجل الآيات من (138-140) من سورة (الأنعام /6 مصحف /55

نزول) وقد جاء فيها بعض تفصيل لأحكام الجاهلية في تحريم بعض الأنعام و بعض الحرث ، ضمن صفات و حدود افترائية حدّوها ، وزعموا أنّها أحكام ربّانية تعبدية افتراءً على الله . ثمّ أنزل الله عز وجل في سورة (المائدة / 5 مصحف / 112 نزول) الآية (103) وفيها ذكر تفصيلي للأنعام التي حرّمها أهل الجاهلية ، فجاء ذكر البحيرة و السائبة و الوصيلة و الحامي ، وأقتصر هنا على تدبّر ما جاء في سورة (يونس) الجاري تدبّرها على ما يفتح الله " 1 .

ومن الأمثلة التطبيقية للقاعدة ما ذكره رحمه الله في شرحه التدبري التحليلي للدرس الرابع من دروس سورة (هود) لقوله تعالى : [فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَصَائِقُ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كِتَابٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ تُذِيرُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (12) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ فَلَوْ فِئْتُوا بِعَشِيرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَاذْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (13) قَالِمٌ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ] (هود : الآية 12-14) ، قال رحمه الله : " هذا المدرس موصول بما سبق أن نزل قبل سورة (هود) من سور ، بشأن القرآن و حال الرسول صلى الله عليه وسلم تجاه مواقف كبراء مشركي قريش ، من بعض ما أنزل الله فيه مما يخالف شركياتهم و لوازمها في السلوك ، وتجاه مطالبتهم الرسول بمطالب تعنّية ، منها ما يتعلق بتبديل ما يخالف معتقداتهم من آيات القرآن ، ومنها ما يتعلق بخوارق مادية ، أو إنزال كنز عليه بأية خارقة ، أو بعث ملكٍ مُصاحبٍ له يشهد له بأنّه رسول ربّ العالمين . فمنها ما جاء في الآيات من (15-17) من سورة (يونس / 51 نزول) . و في الآيتين (37) و (38) منها أيضًا ، و في الآيات من (86-89) من سورة (الإسراء / 50 نزول) و في الآيتين (86) و (87) من سورة (القصص / 49 نزول) إلى سائر ما جاء في السور قبل ذلك " 2 .

ثم بعد هذه الإشارة يؤكّد رحمه الله على ضرورة اعتناء المتدبّر بتتبّع هذه المراحل للكشف عن التدرّج في الخطوات و

1 - معارج التفكير و دقائق التدبّر: عبد الرحمن الميداني ، 165-10/164 .

2 - نفسه : 331-10/330 .

المعالجات التربوية ، و التكرير في استعمال العلاج التربوي ،
بغية تأثيره و الحصول على الفائدة منه، قال رحمه الله : "
ومتدبر الآيات التي سبق أن نزلت بأناة ، يلاحظ أن ما اشتملت
عليه من معالجات تربوية ربانية ، متسقة اتساقاً ملائماً لترتيب
نزول السور التي هي منها ، وهذا يتطلب دراسة تدبرية خاصة
شاملة ، أسأل الله الوهاب أن يفتح عليّ بذلك في بحث
مستقل " ¹ . ثم شرع رحمه الله في الكشف التدبري لشيء
من ذلك في بعض ما فتح الله عليه .

وللمؤلف رحمه الله عدة تطبيقات في هذا المجال تتبّع
مراحل التنزيل للكشف عن التدرج في الخطوات والمعالجات
التربوية ² ، و أما بخصوص تتبّع مراحل التنزيل في الجانب
التشريعي فلم أقف للمؤلف في تفسيره على أمثلة تطبيقية
في هذا المجال و السبب توقف تفسير المؤلف رحمه الله عند
العهد المكي و مدخل عام لسورة البقرة .

3- تطبيق قاعدة " **حول الحكمة من وضع آيات مدنية
التنزيل في سورة مكية، ووضع آيات مكية في سور
مدنية** " ³ :

في هذه القاعدة التي أصل فيها المؤلف لقضية ضرورة
إدراك المتدبر لكتاب الله للاقتضاء الفكري الموضوعي أو
التربوي الذي جعل الآيات المدنية توضع في سور مكية ، و
المكية توضع في سورة مدنية ؛ نلمس أنه رحمه الله قد
أحسن تطبيقها ، بطبيعة الحال في قسم السور المكية المتي
ضمت إليها آيات مدنية ، لأن المؤلف رحمه الله كما رأينا لم
يتم تفسير القرآن المدني .

و بالرجوع إلى بعض المواطن التي أضيفت فيها آيات
مدنية لسور مكية ⁴ ، و تتبّع طريقة المؤلف في تطبيق التدبر

1 - معارج التفكير ودقائق التدبر: عبد الرحمن الميداني ، 10/331 .
2 - انظر على سبيل المثال : معارج التفكير ودقائق التدبر: عبد الرحمن
الميداني ، 5 / 181 ، في دراسة ثمانية نصوص بشأن السؤال يوم الدين و حكمة
التدرج والمعالجات التربوية الواردة فيها ، وانظر 5 / 433 في شرح سنن الله في
الأمم و تدرج النصوص في الموضوع و المعالجات التربوية الناتجة عنها .
3 - قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل : عبد الرحمن الميداني ، ص
185 ، وهي القاعدة العاشرة في الكتاب .

نلمسُ أنَّه رَحِمَهُ اللهُ أَتَقَنَّ بِحَقِّ التَّطْبِيقِ وَ الإِشَارَةِ إِلَى المَقْتَضَى بِكُلِّ وَضُوحٍ :

ففي الإشارة إلى المقتضى التربوي قال رحمه الله في شرحه للآيات (17-33) من سورة (القلم) و التي جعلها درسًا مستقلًا: " هذا درسٌ مدنيٌّ أُضيف إلى سورة (القلم) التي هي من أوائل التنزيل المكي ، للإشعار بأنَّ ما كان إنذارًا من قبلُ قد تحقَّق بعضُهُ فيما بعد " ¹ . ثمَّ شرع رحمه الله يفصِّلُ هذا الاقتضاء ، فقال : " ففي العهد المدني من مسيرة دعوة الرسول صلى الله عليه و سلم أخذت الهزائمُ تتلاحقُ بمشركي مكة ، الذين كانت لهم من قبل السيادة و السلطان ، و كانوا يعاملون الرسول و الذين آمنوا به و اتبعوه بظلم و قسوةٍ وعدوان .. فسلبهم الله بنصر رسوله و المؤمنين عِزَّهُم و مجدَّهُم ومعظمَ ما كان لهم به دولةٌ و سلطان، و تحوَّلت أنظارُ العرب و غير العرب إلى المدينة المنورة ، حيثُ ظهرت دولةُ الإسلامِ الدِّينيَّةِ ، بقيادة محمد بن عبد الله الذي كان بين قومه و عشيرته في مكة مضطهدًا . فجاءت عظةُ الواقعِ تطبيقًا للإنذار السابق فكان من المناسب إنزال قصة هذا الدِّرس التاريخيَّة المشابهة لحال كفار مكة بين العهدين المكيِّ و المدني للرسول محمد صلى الله عليه و سلم ، و إضافة هذا الدِّرس إلى سورة (القلم) الذي أنزلَ معظمُها أيام كان كفار مكة في أوج مجدِّهم و عِزِّهم و سلطانيهم ، و الفرقُ بين تاريخي تنزيلهما عشرٌ و بضعُ سنين ، **لكنَّ كتابَ التربية و الموعظة الربانيَّة كتابٌ لكلِّ الناسِ على تعاقبِ العصور ، فإذا اقتضت حالُ المعالجين في مرحلة من مراحل تنزيل القرآن عدمَ إنزالِ درسٍ من الدُّروس أحرَّ الله تنزيلهُ ، حتى إذا اقتضت الحكمةُ تنزيلهُ أنزلهُ الله ، و ضمُّهُ مكانه الملائمَ من تنزيل سابق ، و في الصيغة النهائيَّة الدَّائمة يُراعى تكاملُ النصِّ للهدف العامِّ منه " ² .**

4 - السور المكيَّة التي ضُمَّت إليها آياتٌ نزلت في المدينة هي (33) ثلاثٌ وثلاثون سورة ، و السور المدنيَّة التي ضُمَّت إليها آياتٌ نزلت في مكة هي ثلاث سور فقط. انظر قواعد التدبُّر الأمثل لكتاب الله عز وجل : ص 185 .

1 - معارج التفكير ودقائق التدبُّر: عبد الرحمن الميداني ، 1/234 .

2 - معارج التفكير ودقائق التدبُّر: عبد الرحمن الميداني ، 1/234 .

فكلامه رحمه الله واضحٌ دقيقٌ في استكشاف المقتضى و ملامسة الحكمة التدبيريّة .

و كذلك في الإشارة إلى المقتضى التربوي الحركي الإعدادي للصف المؤمن ؛ قال رحمه الله في شرحه للآيتين (10-11) من سورة (المزمّل) : " هاتان الآيتان من التنزيل التنزيل المدني نزلتا بعد أن حقّق الرسول صلى الله عليه و سلم المطلوب منه فيهما في المرحلة المكيّة التي نزلت فيها السورة ، وقد صُمّتا إليها . فما السرّ في هذا و الخطابُ فيهما موجّهٌ للرسول صلى الله عليه و سلم ؟ " ¹ . يجيبُ المؤلّفُ رحمه الله كاشفًا عن السرّ (المقتضى) فيقول : " نستطيعُ بالتأمّل أن نفهم أنّ خطابَ الرسول في هذا هو خطابٌ لكلّ الدّعاة إلى دين الله من أمّته ، فإذا كانوا في مرحلةٍ من مراحل دعوتهم للناس مماثلة للمرحلة التي نزلت فيها سورة (المزمّل) فالمطلوبُ منهم أن يصبروا على ما يقول فيهم رافضو دعوتهم ، و أن يهجروهم هجرًا جميلًا ، و أن يتركوا لرّبهم المعرضين عنهم من كبراء قومهم المترّفين أولي النعمة ، و أن يمهلوهم . ولما كان الرسول صلى الله عليه و سلم في مرحلة نزول سورة (المزمّل) محققًا في نفسه و في سلوكه المطلوب في هذا النجم القرآني ، لم يكن بحاجة إلى تنزيله عليه يومئذ . بيد أنّ المنهجَ للدّعاة من بعده لا بُدّ أن يكون مستوفيًا كلّ عناصره ، فاقترضت الحكمة الربانيّة العجيبة تأخير التنزيل إلى المرحلة المدنيّة ، ووضع النصّ المنزّل في مكانه الملائم له ، فتحقّق بهذا الإجراء غرضان تربويّان أو أكثر " ² .

و هكذا تربية المؤمنين إبان التنزيل القائمة على سنة التدرّج و مراعاة حال المخاطبين الرّمنية في تبليغ أحكام الدّين و تعاليمه و مفاهيمه ، يلائمه تأخير تنزيلها إلى الوقت المدني الذي نزلت فيه ، و المقتضى التربوي للمؤمنين في كل زمان و مكان بعد عصر التنزيل يلائمه وضع مثل هذه الآيات في سياق الآيات المكيّة .

1 - نفسه : 1/172 .

2 - معارج التفكير ودقائق التدبّر: عبد الرحمن الميداني ، 1/172 .

4- تطبيق قاعدة " حول النظر فيما ورد من أسباب النزول " ¹ :

رأينا في القسم النظري من خلال شرح القاعدة أنّ المفسّر لكتاب الله تعالى و المتدبّر في آياته يحتاج إلى معرفة سبب نزول الآية أشدّ الاحتياج ، ليسير على ضوئه في فهم النص ، إذ ربما لا يمكن معرفة تفسير الآية من دون الوقوف على سبب نزولها ، لأن النص القرآني المرتبط بسبب معين للنزول تجئ صياغته وطريقة التعبير فيه على وفق ما يقتضيه ذلك السبب ، ولم يقدّم المؤلف أمثلة توضيحية في كتابه (قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله عز وجل) .

و نأتي الآن إلى تطبيق المؤلف للقاعدة في تفسيره (معارج التفكير و دقائق التدبّر) ، فلاحظتُ أنّه رحمه الله أتقن تطبيق القاعدة و أحسن الاستفادة من أسباب النزول و توظيفها في فهم النص وفهم صياغته و طريقة التعبير فيه ، من ذلك :

ما كتبه المؤلفُ في شرحه للدرس الثالث من سورة (المدثر) في قوله تعالى : [ذَرْنِي وَمَنْ خَلَعْتُ وَجِدًا (11) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا (12) وَبَنِينَ شُهُودًا (13) وَمَهْدُتٌ لَهُ تَمْهيدًا (14) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (15) كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا (16) سَأَرْهُقُهُ صِعُودًا (17) إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (18) فَقَتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (19) ثُمَّ قَتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (20) ثُمَّ نَظَرَ (21) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (22) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (23) فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ (24) إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (25) سَأُضْلِيهِ سَقَرَ (26) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ (27) لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ (28) لَوَاحِةٌ لِلْبَشَرِ (29) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ] (المدثر : الآيات 11-30) ، قال رحمه الله تحت عنوان (ورد في أسباب النزول) و بعد أن ساق الروايات الدالة على سبب النزول في الوليد بن المغيرة ² : " إلى غيرها من روايات تؤكد أنها نزلت الآيات بمناسبة ما كان من الوليد بن المغيرة ، ووعيده بعذاب الله في سقر ، أقول : و يلحق بالوليد من كان مثله في كفره و عناده ، و مخالفته لقناعاته ، و إصراره على

1 - قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله عز وجل : عبد الرحمن الميداني ، ص

203 ، وهي القاعدة الحادية عشرة في الكتاب .

2 - أسباب النزول : الواحدي ، رقم 842 .

الباطل ، على الرّغم من وضوح الحقّ له ، فسُنّ الله في عباده واحدة " ¹ .

فانظر كيف أثبتّ رحمه الله سبب النزول ، و شخّص حقيقة موقف الوليد بن المغيرة الذي نزلت فيه الآيات ، ثم اتّجه وفق ما يقتضيه التدبّر الأمثل لتعميم دلالة الآيات على كل من شابه حاله من توقّر الاقتناع مع وجود الإصرار على الباطل .

من ذلك أيضًا ما كتبه المؤلّف في بداية شرحه لسورة (القمر) ، و تحت عنوان (**سبب نزول السورة**) ، وبعد أن ساق رواية انشقاق القمر ² للنبيّ صلى الله عليه و سلم قال : " فأنزل الله عزّ وجلّ سورة (القمر) لمعالجة موقف المشركين المعاند لهذه الآية العظيمة ، و تحذيرهم من عقاب شامل ، كما حصل لمجرمي الأمم السابقة " ³ .

ومما يؤكّد على ما اختاره في القاعدة أنّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب قوله في تفسيره لسورة لقمان : " جاء في أسباب نزول آية سورة (لقمان) رواياتٌ ، منها ما يلي : أنّ اليهود قالوا للرسول أو أغرّوا بعض القرشيين ان يقولوا له لما سمعوا أنه صلى الله عليه و سلم قال بشأنهم ما جاء بيأته في سورة (الإسراء/17 مصحف/50 نزول) [وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) (85)] ، قالوا : كيف و أنت تتلو فيما جاءك أنّا قد أوتينا التوراة ، وفيها تبيان كلّ شيء . فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : هي في علم الله قليلٌ ، ثمّ انزل الله الآية (27) من سورة (لقمان) . و الرواية الثانية : أنّ قريشًا قالت : " ما أكثر كلام محمد " ، فنزلت هذه الآية . إلى غير ذلك من روايات ، و

1 - معارج التفكير ودقائق التدبّر: عبد الرحمن الميداني ، 1 / 99 .
2 - روايات انشقاق القمر للنبي صلى الله عليه وسلم بلغت مبلغ التواتر ، ومنها ما رواه البخاري : كتاب التفسير - باب سورة القمر - 4/1843 ، رقم 4864 ، 4865 عن عبد الله بن مسعود قال : " انشقّ القمر ونحن مع النبيّ صلى الله عليه وسلم فرقتين فقال : اشهدوا اشهدوا " . وهو عند مسلم : كتاب صفة القيامة و الجنة و النار - باب انشقاق القمر - 4/2159 ، رقم 6945 .
3 - معارج التفكير ودقائق التدبّر: عبد الرحمن الميداني ، 3 / 317 .

الله أعلم ، **على أنّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب** ¹ .

5 - تطبيق قاعدة " **حول بيئة نزول النص البشرية والزمانية والمكانية** " ² :

رأينا الغرض من هذه القاعدة و أنّهُ استحضار المفسّر لكلام الله تعالى لواقع التنزيل و تصويره للعصر الإسلامي الأوّل و مفاهيمه ، و لظروف البيئة النفسية و الفكرية و الاجتماعية و المعهود فيه ، فهذا الأمر مما يجعل القلوب و العقول تنفتح لإدراك مضامين النصوص ، و تدرك مدلولات القرآن و إحياءاته الفكرية و التربوية و الحركية الكاملة .

وقد أحسن المؤلف رحمه الله تطبيق هذه القاعدة وهو يشرح الآيات ، و الأخذ من معطيات البيئة الزمانية و المكانية التي نزل فيها القرآن و توظيف تلك المعطيات، مما جعله يستلهم حقًا من منهج القرآن الكريم في التعليم و التوجيه و التربية ، من ذلك :

أنه في تفسير سورة المسد، رصد رحمه الله الرابطة النَّسَبِيَّة التي تربط (أبا لهب) بالنبّيّ صلى الله عليه وسلم ، فهو عمّه ، فربطَ بينها و بين أسلوب السورة في دفاع الله عن النبيّ صلى الله عليه وسلم و ذمّه لأبي لهب، واستنبط من ذلك الفائدة التالية :

قال رحمه الله : "أبو لهب هو عبد العُزّي بن عبد المطلّب ، أحد أعمام الرسول صلى الله عليه وسلم، و امرأته أي زوجته هي أم جميل أروى بنت حرب . . و يلاحظ أنّ كلّ من تعرّض له القرآن بالذمّ من أعداء الرسول صلى الله عليه وسلم و أعداء الإسلام قد ذكره الله بالوصف الذي ينطبق عليه و على غيره ، باستثناء أبي لهب و زوجته، و يبدو لي أنّ السبب في هذا يرجع إلى أمرين : الأمر الأوّل أنّ أبا لهب عمّ الرسول صلى الله عليه وسلم ، فهو من عشيرته الأقربين ، فلا يتعصّب في الانتصار إليه أحدٌ من عشيرته ضدّ محمد صلى الله عليه و سلم ، إذ هما من عشيرة واحدة . . فكان من الحكمة أن

1 - معارج التفكير ودقائق التدبّر: عبد الرحمن الميداني ، 753-11/752 .

2 - قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله عز وجل : عبد الرحمن الميداني، ص 53، وهي القاعدة الرابعة في الكتاب .

يتولَّى الربُّ جل جلاله بقرآنه نصرَةً رسوله ، حتى لا يتجرأ عليه أحدٌ من غير عشيرته استخفافاً به و بعشيرته "1 .
فالمؤلف هاهنا وظفَ هذا المعطى البشري (النسب)
المتعلق بالبيئة النبوية و بنى عليه هذا الاستنباط التدبري الذي
ذُكر فيه عمُّه بالاسم لا بالوصف .

و في نفس السورة يرصدُ المؤلفُ سبب استعمال الكنية
التي اشتهرَ بها (أبو لهب) في قومه دون اسمه الحقيقي
(عبد العزى) ، وبنى على هذا المعطى الاجتماعي الفائدة
التدبرية التالية :

قال رحمه الله : " و جاء في الآية اختيارُ كنيته (أبي
لهب) دون اسمه (عبد العزى) لعدَّة دواعٍ حكيمة : المداعي
الأول : شهرته في قومه بأبي لهب ، فقد كان يُكنى بذلك في
الجاهلية ، لأنَّ وجهه قد كانت فيه حمرة كحُمرة اللهب . و
الداعي الثاني : إيثار الابتعاد عن ذكر اسمه (عبد العزى) فهو
في الحقيقة ليس عبداً للوثن الذي كان يُسمَّى عند العرب
العزى مؤنث (الأعز) إذ كان على صورة امرأة ، بل هو عبداً
من عباد الله . المداعي الثالث : إيثار التناسب اللفظي بين
كنيته الدالة عليه ، و التار ذات اللهب التي هو صائرٌ إليها لا
محالة ، ولا يخفى ما في هذا من إبداع بياني دلَّ عليه مقابلة
ما كان يُمدحُ به من إشراق وجهه هو من خلق الله لا من كسبه
"2 . فهذا أيضاً من توظيف المعطيات البيئية التاريخية في
التدبر و الاستنباط .

كذلك في نفس السورة يربطُ بين عُرف العرب يومها في
إطلاق كنية حمّال الحطب على النمام ، وبنى عليه فائدةً
تدبريةً إضافيةً في معنى (حمالة الحطب) ، فيقول في امرأة
أبي لهب بعد أن قرّر المعنى الأصلي المتعارف في حملها
للشوك و طرحه في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
قال : " و ذكر مجاهد و قتادة و السديُّ أنّها كانت تمشي
بالنميمة لتفسيد بين الناس ، ومن المتعارف عليه عند العرب
أنهم كانوا يُكنونَ عمّن يمشي بين الناس بالنميمة بعبارة
(حمال الحطب) أي هو نمام بين بيوت العرب و يستُرُّ عَرَضَهُ

1 - معارج التفكير ودقائق التدبر: عبد الرحمن الميداني ، 1/382 .

2 - نفسه : 1/384 .

من التنقل بأثِّه يحمل الحطبَ الذي يجلبه لبيعه على أصحاب البيوت ، ولعلها كانت عادة الخطابين بين العرب ، فصار حمل الحطب كناية عن النميمة ، وصار يُكنَّى عن النمام بعبارة حَمَّال الحطب ، وقد كانت نميمة أم جميل هذه وسيلة من وسائل تقطيع الناس عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومقاومة دعوته لشدة عداوتها ، ولا مانع من أن هذه المرأة قد كانت تفعل الخسيستين النميمة وإلقاء حطب الشوك في طريق الرسول صلى الله عليه وسلم ¹ .

6 - تطبيق قاعدة " **حول القراءات العشر** " ² :

رأينا في القسم النظري للبحث خلال دراسة القاعدة أن على متدبر كتاب الله أن يبحث عن المعاني وعن الصور البيانية الموصولة بإعجاز القرآن ، التي تدل عليها وجوه القراءات المختلفة . وقد توصل المؤلف إلى أن لها زيادة على تسهيل النطق على العرب أربعة أغراض هي : الغرض الفكري ، التكامل في الأداء البياني، التنوع في الأداء الفني الجمالي ، و **إثبات وجوه عربية متكافئة** .

هذا وقد قمت بدراسة و تتبّع تطبيق الشيخ لهذه القاعدة ، فوجدته ملتزماً بمضمونها التزاماً دقيقاً ، فلا تخلو سورة من السور التي فسرها في كتابه - مما له اتصال بالقراءات - من الإشارة إلى هذا الباب، وهي كثيرة جداً، أذكر بعضها ، و أشير إلى الباقي في الهامش . فمن ذلك :

ففي التدبر التحليلي للدرس الأول من سورة الحجر أورد المؤلف القراءات ، و أشار إلى بعض الفوائد التدبرية الواردة فيها مما له تعلق بموضوعنا ، فقال : " قرأ شعبة [مَا تُنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ] بالمبني لما لم يُسمِّ فاعله ، و (الملائكة) نائب فاعل . و قرأ حفص و حمزة و الكسائي وخلف : [مَا تُنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ] بالمبني للمعلوم ، و (الملائكة) مفعول به ، و الفاعل المتكلم العظيم جل جلاله . و قرأها البري [مَا تُنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ] بتشديد التاء مع المد المشيع ، أصلها : (مَا تَنْزَلُ) أدغمت التاء بالتاء . و قرأها باقي القراء العشرة : [مَا تَنْزَلُ

1 - معارج التفكير ودقائق التدبر: عبد الرحمن الميداني ، 1/389 .

2 - قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل : عبد الرحمن الميداني ، ص 709 ، وهي القاعدة الأربعون في الكتاب .

الملائكة [بحذف إحدى تاءَي (تنزَّلُ) . وكلَّها وجوهٌ عربيَّةٌ ، وبين المبني للمعلوم ، و المبني لما لم يُسمَّ فاعله **تَكامَلُ في الأداء البياني** ، فالملائكةُ ينزَّلها الله ، وهي تُنزلُ ، وهي تنزَّلُ طاعةً لأمر الله " ¹ .
ومن ذلكَ أيضًا في هامش نصِّ آيات سورة الأنعام ، وتحت عنوان (نصِّ السورة وما فيها من فرش القراءات) قال المؤلفُ : " قرأ شُعبة ، وحمزة ، و الكسائي ، و يعقوب ، وخلف [مَنْ يَصِرْفُ] بالفعل المبني للمعلوم، أي مَنْ يَصرف الله عنه . و قرأ باقي القُرَّاء العشرة [مَنْ يُصَرَفُ] بالفعل المبني لما لم يُسمَّ فاعله، **و بين القراءتين تَكامَلُ في الأداء البياني** " ² .

ومن ذلكَ أيضًا في الهامش نفسه من الصفحة : " قرأ يعقوب [وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ] بالياء في الفعلين، أي يحشرهم الله ، و قرأها باقي القراء العشرة [وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ] بالنون في الفعلين، و الفاعل ضمير المتكلم العظيم . وبين القراءتين تَفَنُّ بياني " ³ .
و من ذلكَ قوله : " قرأ نافعٌ و ابن كثير و عاصم و أبو جعفر [يَقْضُ الْحَقَّ] ، و قرأها باقي القُرَّاء العشرة [يَقْضِي الْحَقَّ] و بين القراءتين **تَكامَلُ في أداء المعنى المراد** " ⁴ ، أي تَكامَل معرفي .

ومن ذلكَ قوله : " قرأ شُعبة [وَخَفِيَّةً] بكسر الخاء . و قرأها باقي القراء العشرة [وَخُفِيَّةً] بضمَّ الخاء، (خُفِيَّة و خُفِيَّة) **لغتان عربيَّتان** " ⁵ .

7- تطبيق قاعدة " **حول ارتباط الجملة القرآنية بموضوع السورة، وارتباطها الموضوعي بما تفرق في القرآن المجيد** " ⁶ :

1 - معارج التفكير ودقائق التدبُّر: عبد الرحمن الميداني ، 19-11/18 .

2 - معارج التفكير ودقائق التدبُّر: عبد الرحمن الميداني ، 11/ هامش ص 111 .

3 - نفسه .

4 - نفسه : 11/ هامش ص 117 .

5 - نفسه : 11/ هامش ص 118 .

6 - قواعد التدبُّر الأمثل لكتاب الله عز وجل : عبد الرحمن الميداني، ص

13 ، وهي القاعدة الأولى في الكتاب .

في هذه القاعدة التي أصّل فيها الشيخ لقضية تناسُب أجزاء القرآن وارتباطها الموضوعي بعضها ببعض ، والتي دعا فيها المتدبّر أن يتلمّسَ بذهنيه ذلكَ التناسُبَ وذلكَ التناسُق والتكامل بين المعنى الجزئي للنص وما له به تعلقٌ موضوعي معرفي أو تربوي ؛ نجدُ أنّ المؤلف رحمه الله قد حافظَ على تطبيقٍ فعليٍّ واضحٍ لهذه القاعدة ، بالتصريح بنصّ القاعدة حيناً و بعدمِ التصريح في أحيانٍ كثيرة :

من المواضع التي حصلَ فيها التصريح بنصّ القاعدة أو بفحواها : ما ذكره في التدبّر التحليلي للدرس التاسع عشر من دروس سورة الزمر (الآيات 49-52) بين المؤلف ارتباطَ هذا الدّرس بمواضع متنوعة من القرآن الكريم مما حقّق تكاملاً فكريّاً و بيانيّاً في الموضوع .

قال وهو يشرّحُ المقطع : " في آيات هذا الدّرس متابعةً بيانٍ بشأنِ ذوي الجحودِ - وهم أكثر الناس - الذي جاءَ في الدرس الرابع من السورة وصفُ حال الواحدٍ منهم بأنّه يلجأ إلى الله داعياً إذا نزل به الصّر ، ثم يكفّر برّبّه ، فيشركُ به أو يدّعي أنّ ما أنعم الله به عليه قد كان بسببٍ من مهارته و علمه ، لا من عطاءات ربّه له ليلبّوه فيما أتاه . وهذا من شدّة كفره نعمة ربّه المنعم دوماً بما لا يستطيع إحصاءه من النعم " ¹

ثم قال يبيّن وجودَ التكامل مع بقية المواضع : " وسبق في نجوم التنزيل بيانُ هذا الوصف من سلوكِ أكثر الناس فيما يلي : في الآيتين (67-68) من سورة الإسراء ، و في الآيات من (21-32) من سورة يونس ، و في الآية (32) من سورة لقمان ، و في الآية (8) من سورة الزمر الجاري تدبّرها ، مع تكاملٍ فكريٍّ و بيانيٍّ في هذه النصوص يكشفهُ المتدبّر بأنّاه " ²

و بالرجوع إلى أحد هذه المواضع نلمسُ أنه أشار إلى هذا التكامل و كشفَ عن شيءٍ منه :

في شرحه التدبّري التحليلي للدرس السابع من دروس سورة يونس (الآيات 21-23) قال رحمه الله : " هذا الدرسُ

1 - معارج التفكير ودقائق التدبّر: عبد الرحمن الميداني ، 12/248 .

2 - نفسه .

مُصِلُّ بالدَّرْس الثالث من دروس السورة الآيات من (12-14) وهي التي جاءت فيها متابعٌ ذاتُ إضافات لما جاء في الآيات من (67-69) من سورة الإسراء ، **على طريقة القرآن في توزيع عناصر الموضوع الواحد في السورة الواحدة ، أو في عدد من السور** ، وفي هذه الآيات من (21-23) إضافاتٌ لم تأت في التّصنيّ السابقين ، كما سيأتي في التدبّر إن شاء الله ¹ . وقد شرح هذه الإضافات وبيّن أوجه التّكامل فيها من حيث زيادة وصف وتفكيك السلوك الشخصي و النفسي للجاحدين في الصفحات التالية من الشرح ² .

وكذلك صرّح بمضمون القاعدة في شكل عنوان (تدبّر تكاملي للنصوص القرآنية الواردة حول موضوع هاتين الآيتين) ، ويقصد رحمه الله قوله تعالى [مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ (15) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ] (هود : الآية 15-16) ، فقال رحمه الله : " توجدُ نصوصٌ ثلاثةٌ أخرى حول موضوع هاتين الآيتين يحسُنُ تدبُّرُها معه تدبُّراً تكاملياً ، جاءت في القرآن أربعة نصوص متكاملة فيما بينها في دلالتها ، وهي في سورة (الإسراء / 50 نزول) و في سورة (هود / 52 نزول) و في سورة (آل عمران / 89 نزول) و في سورة (النساء / 92 نزول) وفيما يلي تدبُّرُها تدبُّراً تكاملياً ³ "

ومن المواضع التي طبّق فيها القاعدة و لكنه لم يصرّح بها : ما ذكره في التدبّر التحليلي للدرس الثاني من دروس سورة القيامة (الآيات 16-19) ، فقد بيّن المؤلف صورةً من صور الترابط بين هذا المقطع (16-19) وما سبقه وما توزّع في سورٍ أخرى ، وهذا تطبيقٌ صريحٌ لهذه القاعدة التي تُثبتُ أنّ المؤلفَ قد تلمّسَ بذهنيه التناسُيبَ والتناسُق والتكامل بين المعنى الجزئي للنص وما له به تعلقٌ موضوعي قبله أو بعده :

1 - معارج التفكير ودقائق التدبّر: عبد الرحمن الميداني ، 76-10/75 .

2 - نفسه : 87-10/76 .

3 - معارج التفكير ودقائق التدبّر: عبد الرحمن الميداني ، 345-10/339 .

قال في شرح قوله تعالى : [لَا تُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ)
(16) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (17) فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَذَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (18)
ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ] (القيامة : الآية 16-19) باقتصار على
موضع الشاهد : " هذا درسٌ اعتراضِيٌّ في موضوع السورة ،
موجَّهٌ للرسول صلى الله عليه و سلم ، بشأن تلقّيه ما كان
ينزلُ عليه من نجوم القرآن ، وقد دعا إليه حالة الرسول صلى
الله عليه و سلم عند نزول الدرس الأول منها ، إذ جعل يعجلُ
بمتابعة جبريل عليه السلام ، **فاقتضت الحكمة التربوية**
وضعه درسًا اعتراضيًا في السورة ، لتعليمنا أسلوبًا من
أساليب التربية ، وهو أسلوبُ التوجيه في تعليم ما هو الأفضل
عقب الممارسة التي يراهُ تصحيحها ، أو تقويمها . . وقد سبق
هذا الدرس طمأنة من الله لرسوله بأنه سيقرئهُ القرآن فهو لا
ينسى ما يُقرئهُ منه بما يعطيه من قدرة على الحفظ، إلا ما
شاء الله، فقال له في سورة (الأعلى : الآية 6-7) [**سَنُقَرِّئُكَ**
فَلَا تَنسَى (6) إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى] . . و
يظهر أنّ الرسول صلى الله عليه و سلم على الرُّغم من أناته
و صبره لدى تلقّي القرآن من الوحي ، واستجابته للتعليم
الربّاني لما صارت نصوصُ نجوم التنزيل تنزل عليه أطول مما
كانت تنزلُ ؛ صار يتعجّلُ بتلاوة ما يوحى به إليه جبريل ، قبل
أن ينتهي من وحيه ، ظلًا منه أنّ النجم قد تم ، مع أنّ جبريل
عليه السلام لم ينته بعد من قراءته عليه ، فأنزل الله عز وجل
عليه قوله في سورة (طه : الآية 114) [**وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ**
مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا] ¹ . فظهر
من خلال هذا الأمثلة أنّ الشيخ منضبط في تطبيق هذه
القاعدة على الطريقتين ، بالتصريح بها و عدم التصريح .
8- تطبيق قاعدة " **حول وحدة موضوع السورة القرآنية**
: ²

في هذه القاعدة التي أُصل فيها الشيخ لقضية الوحدة
الموضوعية للسورة القرآنية ، و أنّها من الناحية البيانية و
المعاني و الدلالات التي اشتملت عليها بمثابة حلية أدبية رائعة

1 - معارج التفكير ودقائق التدبّر: عبد الرحمن الميداني ، 493-2/489 .
2 - قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله عز وجل : عبد الرحمن الميداني ، ص
27 ، وهي القاعدة الثانية في الكتاب .

فدّة ذاتِ موضوعٍ كلّيٍّ واحدٍ أو موضوعٍ ذي خطوطٍ رئيسيّةٍ تتوزّعُ الوحداتُ داخلَ تلكِ السّورةِ بما يخدمُ الموضوعَ الكلّيَّ أو تلكَ الخطوطِ؛ نجدُ أنّ المؤلّفَ رحمه الله قد حافظَ على تطبيقِ فعليٍّ واضحٍ لهذه القاعدةِ ، بالتصريحِ بهذا الأمرِ في بدايةِ تفسيره لجميعِ السور التي فسّرَها في كتابه " **معارج التفكير** " ¹ .

و من المواضع التي حصلَ فيها التصريحُ بوحدةِ موضوعِ السورةِ القرآنيةِ :
ما كتبه في أولِ تفسيره لسورة (العلق) تحت عنوان " موضوعِ السورة " ² :

قال : " بالتأمّلِ الدقيقِ ، مع صبرٍ و أناةٍ ، نستطيعُ اكتشافَ موضوعِ سورة (العلق) من خلالِ تدبّرِ دروسها الثلاثةِ ، وإبرازِ المطويّاتِ في ثنايا آياتها " ³ .

ثمّ بعد أن شرح هذه الدروس الثلاثةَ وبيّن في صفحات ترابُطها التعاقبيّ الحكيمِ ؛ قال : " نستطيعُ أن نضعَ عنوانًا لموضوعِ السورةِ مأخوذًا من دروسها الثلاثةِ ⁴ ، ويمكنُ أن نضعَ هذا العنوانَ بأن نقولُ : أوّلُ فقراتِ رسالةِ محمد صلى الله عليه و سلم في هذا الدّينِ الخاتمِ ، التوجيهُ للانتفاعِ بوسائلِ تحصيلِ العلمِ الذي يهدي إلى مصالحِ الدنيا والآخرةِ ، و سعادةِ الناسِ فيهما ، مع بيانِ حاجةِ الإنسانِ إلى هذه الرسالةِ ، وبيانِ واقعِ أحوالِ الناسِ تجاهِ مبادئِ هذا الدّينِ و أحكامه و شرائعه ، مقروّنًا بلمحات من الترغيبِ و الترهيبِ " ⁵

1 - على سبيل المثال : سورة المزمّل **معارج التفكير ودقائق التدبّر**: عبد الرحمن الميداني ، 1/155 ، سورة القلم 1/199 ، سورة الفاتحة 1/285 ، سورة إبراهيم 14/14 ، سورة الأنبياء 14/254 .

2 - **معارج التفكير ودقائق التدبّر**: عبد الرحمن الميداني ، 1/37 .

3 - **نفسه** .

4 - وقد نصّ في كتابه " **قواعد التدبّر الأمثل** " : ص 40 ، تحت عنوان [سورة العلق أول سورة نزلت من القرآن العظيم ووحدة موضوعها و تسلسل أفكارها] أنّ موضوعها " إيجازٌ لحاجة الإنسان إلى الدّين ، و ما يجب عليه تجاهه ، و عرض إشاري لأقسام الناس نحو الدّين " ، وهو عنوان مطابق لما ذكر هنا .

5 - **معارج التفكير ودقائق التدبّر**: عبد الرحمن الميداني ، 41-1/40 .

وهو ما فعله مع سورة المدثر تحت عنوان " موضوع السورة و دروسها " ¹، قال : " تكليفات للرسول محمد صلى الله عليه و سلم بالبيان و الإنذار بعذاب الله يوم الدين للذين يكذبون ولا يؤمنون، و أمر له ببعض ما ينبغي له أن يتحلى به و كل من يؤمن به و يتبعه و يدعو إلى سبيل ربه . و معالجات للمكذبين برسالاته ، في الأزمان التي تتابع فيها إنزال نجوم السورة ، و هذه المعالجات قد روعيت فيها مواقفهم التي كانوا عليها إبان التنزيل . و قد اشتملت هذه السورة على خمسة دروس متكاملة متعاقبة حول موضوع واحد " ² ، ثم شرع رحمه الله في تحليل تلك الدروس .

نفس ما قام به رحمه الله مع سورة النمل، و لكن في هذه المرّة يطيلُ رحمه الله في كشف وحدة موضوع السورة و اتساق فروعها مع ذلك الموضوع الكلي بما يتناسب مع حجم السورة و مواضعها ، إذ كتب تحت عنوان " موضوع سورة النمل " ³ فقال : " **موضوع هذه السورة يسير على ثلاثة خطوطٍ كبرى ، تتفرّع عنها فروع مشتقة من عناصرها ، الخط الأول :** متابعة معالجة كبراء مُشركي مكة وما حولها ، و يلحق بهم أتباعهم . . مع إضافات بيانية دينية تروهيبة ، و إقناعات جدلية بشأن توحيد الربوبية و الإلهية لله عزّ وجل ، و إقناعات تتعلق بالإيمان بالآخرة . **الخط الثاني :** متابعة تربية الرسول محمد صلى الله عليه و سلم بحسب الحال التي كان عليها إبان نزول السورة . . و اقترنت بهذه المتابعات التربوية تكليفات له تتعلق بمسيرته الدّعوة . **الخط الثالث :** تثبيت المؤمنين على إيمانهم و الانتفاع بالقرآن الذي هو هدى و بشرى و رحمة لهم . . و اقتضت الحكمة التربوية للرسول ، و الحكمة العلاجية للكافرين عرض لقطات من قصّة موسى عليه السلام و فرعون وقومه ، و لقطات من قصّة سليمان عليه السلام و بلقيس ملكة سبأ في عهده ، و لقطات من قصّة صالح و لوط عليهما السلام . . و

1 - نفسه : 1/81 .

2 - نفسه .

3 - أقتصر على محلّ الشاهد من كلامه فقد شرح وحدة موضوع السورة في ثلاث صفحات .

اقتضت معالجة كبراء مُشركي مكة تعليم الرسول صلى الله عليه وسلم مناظرة جدلية حول قضيتي توحيد الربوبية و توحيد الإلهية لله عز وجل . . و اقتضت تربية الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه و سلم إعلامه بأنه لا فائدة من مجاهدته لإسماع الموتى أو إسماع الصم إذا وليوا مدبرين . . و اقتضت معالجة المشركين عرضَ بيانات تتعلق بأحداث مستقبلية تحدث قبل يوم القيامة ، و أحداث أخرى تحدث عند القيامة و بعدها ممتزجةً بالتنبيه على ظواهر كونية دالة على ربوبية الله الواحد الأحد . **وأنهت السورة** بتوصية موجهة من الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم وهذه الوصية تتضمن ما يقوله لمن لم تؤثر فيهم المعالجات السابقة " ¹ .

ولا يفوتني هنا أن أُنَبِّه إلى ضرورة الاهتمام بالنموذج الذي قدّمه المؤلف في مخطط شجرة عناصر سورة (الرعد) ² ، ليكون " نموذجًا لوضع مخططات شجرات موضوعات سور القرآن العظيم ، المبيّنة للوحدة الموضوعية لكل سورة " ³ ، وذلك ليكون مثالاً يُحتذى على المستوى التخطيطي التطبيقي لدى المتدبر .

9- تطبيق قاعدة " حول التفسيرات الجزئية والمعنى الكلي " ⁴ :

في هذه القاعدة التي أُصّل فيها الشيخ لقضية ضرورة إبقاء اللفظة أو الجملة القرآنية على دلالتها الكلية ومعناها الشامل حتى تدلّ على كلّ الجزئيات والأفراد و الصور التي يمكن أن تكون مشمولةً بها ؛ نجد أنّ المؤلف رحمه الله قد حافظ على تطبيق فعلي واضح لهذه القاعدة ، بالتصريح بالقاعدة أثناء التطبيق و بعدم التصريح :
فمن تطبيقاته للقاعدة بالنظر في اللاحق الذي يشرح الآية القرآنية و يعطي المعنى الكلي لها : أنه أثناء شرحه التدبري

1 - معارج التفكير ودقائق التدبر: عبد الرحمن الميداني ، 21-9/19 .

2 - وقد رجّح المؤلف أنها مدنية ، ولذلك لا وجود لها في تفسيره الذي توقف عند مدخل سورة البقرة كما هو معلوم .

3 - قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل : عبد الرحمن الميداني، ص 39- 38 .

4 - نفسه : ص 59 ، وهي القاعدة الخامسة في الكتاب .

التحليلي للدرس الثاني من دروس سورة المعارج (الآيات 19-35) قال في قوله تعالى : [إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (19) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (20) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا] : " دلّ هذا البيان الرباني على أنّ من الفطر التي فُطِرَ عليها الإنسان . هي أنّه هلوع ، وجاء في هذا البيان شرح كونه هلوعًا ، فهو إذا مسّه الشرُّ ، أي : ما يراه في حياته شرًّا ؛ كان شديدَ الجزع لا صبر له ، و إذا مسّه الخيرُ ، أي : ما يراه في حياته خيرًا ، كالسَّعةِ من المالِ و الوفرةِ من الأرزاق؛ كان شديدَ المنعِ و الإمساكِ و الشُّحِّ " ¹ . ثم شرع رحمه الله في شرح معنى الجزوع المنوع و التحليل النفسي لشخصية صاحبهما . وهو هنا قد حمل الآية على المعنى الكلي العام الشامل الذي دلت عليه الآيتان اللاحقتان، فلم يخصّص الآية بمعنى جزئي ولم يعرّج على المعاني الجزئية التي ذكرها المفسّرون .

ومن تطبيقاته للقاعدة دون التصريح بها : أنّه أثناء شرحه التدبّري التحليلي لسورة الفاتحة (الآيات 1-4) قال في قوله تعالى : [رَبِّ الْعَالَمِينَ] محافظًا على المعنى الكلي لكلمة " العالمين " : " العالمون : جمعٌ مفردُه (العالم) بفتح اللام ، و كلمة (عالم) تُطلقُ على كلِّ موجودٍ سوى الله عزّ وجل ، وهو مأخوذٌ من العَلمِ و العَلامَةِ بمعنى الشيء الذي يوضَعُ ليكونَ دالًّا على شيءٍ آخر ، كالأعلام التي توضعُ للدلالة على الطرق ، أو حدود الأرض ، أو غير ذلك . و قد دلّ الفكرُ على أنّ ما سوى الله عزّ وجل من كائنات هي مخلوقاتٌ دالّاتٌ على خالقها ، و على جملةٍ من صفاته الحُسنَى ، فهي آياتٌ و علاماتٌ دالّاتٌ عليه ، فكان من المناسب أن يُطلقَ على ما سوى الله عزّ وجل لفظة (عالم) " ² .

فلاحظنا كيف استخرج رحمه الله المناسبة التدبّرية التي لامسَ بها المعنى الكلي للكلمة . وقد ذكرَ بعدُ اختلاف المفسّرين ، قال : " وقد اختلفت أقوال المفسّرين في تفسير كلمة (العالمين) في القرآن ، فمنهم من قال : كل موجود سوى الله ، ومنهم من قال هم كلٌّ من يعقل ، و قال ابن

1 - معارج التفكير ودقائق التدبّر: عبد الرحمن الميداني ، 14/688 .

2 - نفسه : 292-1/291 .

عباس : هم الجنّ و الإنس فقط، لأنهم هم الذين بُعِثَ رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم¹ .
ومن تطبيقاته للقاعدة أيضًا بالمحافظة على المعنى الكلّي للجملة القرآنية : **أَنَّهُ أَثْنَاءُ شَرْحِهِ التَّدْبِيرِي التَّحْلِيلِي لِلآيَةِ السَّابِعَةِ مِنْ سُورَةِ الْفَاتِحَةِ : [عَيْرَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ]** قال : " المغضوبُ عليهم هم الذين أنزل الله عليهم غضبَهُ ، بسبب كفرهم و عنادهم و إصرارهم على الباطل و رفض الحقِّ الدِّيني ، وهم يعلمون أنَّهم مُبْطِلُونَ . . ولا الضَّالِّينَ : الضلال في اللغة ضدُّ الهدى و الرِّشَاد ، و يأتي بمعنى الجهل بالشيء ، و بمعنى الضَّياع ، و بمعنى التَّسيان . . و قد جاءت عدَّة روايات عن النبيِّ صلى الله عليه و سلم أَنَّهُ فَسَّرَ الْمَغْضُوبَ عَلَيْهِمْ بِالْيَهُودِ ، و فَسَّرَ الضَّالِّينَ بِالنَّصَارَى² ، **وهذا فيما أرى تفسيرٌ تمثيل ، لا تفسير تخصيص و تعيين** ، فحال اليهود حالٌ من عرف الحقَّ الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه و سلم فرفض أتباعه مكابرةً و عنادًا ، فقد أبان الله عز وجل أنَّ اليهودَ في المدينة قد عرفوا صدقَ الرسول محمد صلى الله عليه و سلم وصدق رسالته ، إلا أنهم كابروا و عاندوا بغيًا من عند أنفسهم ، و هذا محمول على علمائهم و العارفين منهم ، قال الله عز وجل في سورة (البقرة : الآية 146) **[الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ قَرِيْبًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ]** ، و حال جماهير النصارى حالٌ من أعرض عن الإصغاء إلى دعوة

1 - معارج التفكير ودقائق التدبُّر: عبد الرحمن الميداني ، 1/292 .
2 - صحَّ عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه وصف اليهود بأنَّهم مغضوب عليهم، ووصف النصارى بأنَّهم ضالون ، ولذلك توافقت أقوال المفسِّرين على تفسير المغضوب عليهم باليهود، وتفسير الضالين بالنصارى، حتى قال ابن أبي حاتم : " لا أعلم في ذلك اختلافًا بين المفسرين " **تفسير القرآن العظيم مسندًا عن رسول الله صلى الله عليه و سلم والصحابة والتابعين** : ابن أبي حاتم الرازي- تحقيق : أسعد محمد الطيب - الرياض ، السعودية - مكتبة نزار مصطفى الباز - ط 1 - 1997م ، 1/ 23 . وكلام المؤلف لا يتعارض مع هذا ولا ينفيه ، غاية ما في الأمر أنه يرى عدم قصر هذا الوصف عليهم؛ لأنه وصفٌ له سبب؛ فمن فعل فعلهم لقي مثل جزائهم و تنزَّل عليه وصفهم ، فتفسير المؤلف أشمل ولا يتعارض مع التفسير النبوي . وانظر في أقوال السلف وتخريج الروايات الواردة عن النبي صلى الله عليه و سلم : **جامع البيان** : الطبري ، 1/79 وما بعدها .

الحق ، فضلٌ ضالًّا في متاهته وهو يحسبُ أنه يُحسنُ صنعا . .
إلاَّ أنَّ حال بعض النصارى كحال علماء اليهود . . وحالُ بعض
جهلة اليهود كحال جماهير النصارى الضالين التائهين . . ومن
غير اليهود و النصارى من هم مغضوبٌ عليهم ومَن هم
ضالون ، **و النصِّ القرآني يشملهم بعمومه** ، وتصنيفهم
يكون بحسبِ أحوالهم ¹ .

فالمؤلفُ رحمه الله حافظًا في هذا التطبيق على الدلالة
العامة للنص ، وهي دلالة كما رأينا تشمل اليهود و النصارى
على التفصيل المذكور ، و اعتبر من النصوص الواردة في
التخصيص من باب التمثيل فقط لا الحصر ، وهذا أفضل كما
رأينا من قصرها عليهم .

وقد أشارَ أحمد مصطفى المراغي² إلى هذا الاختيار العام
و اقتصر عليه في تفسيره للآية فقال : " و المغضوب عليهم
هم الذين بلغهم الدين الحق الذي شرعه الله لعباده فرفضوه
ونبذوه وراءهم ظهريًا ، و انصرفوا عن النظر في الأدلة تقليدًا
لما ورثوه من الآباء و الأجداد . . و الضالون هم المذنبين لم
يعرفوا الحق ، أو لم يعرفوه على الوجه الصحيح ، وهؤلاء هم
الذين لم تبلغهم رسالة ، أو بلغتهم على وجه لم يستبين لهم
فيه الحق ³ . وهو ما أشار إليه جمال الدين القاسمي⁴ في
تفسيره فقال : " . ثم إن المراد بالمغضوب عليهم والضالين :

- 1 - معارج التفكير و دقائق التدبُّر : عبد الرحمن الميداني ، 312-1/310 .
- 2 - هو أحمد بن مصطفى بن محمد ، وُلِدَ ببلدة مراغة من أعمال مديرية جرجا بصعيد مصر سنة 1300 هـ ، تلقى العلم في الأزهر على أكابر الشيوخ ، و من شيوخه الكبار المشاهير : محمد عبده ، محمد بخيت المطيعي ، توفي سنة 1371 هـ ، وانظر الأزهر في ألف عام : محمد عبد المنعم خفاجي و علي علي صُبح - القاهرة ، مصر - المكتبة الأزهرية للتراث - ط 3 - 2011م ، 2/49 .
- 3 - تفسير المراغي : مصطفى المراغي - القاهرة ، مصر - مطبعة مصطفى البابي الحلبي - ط 1 - 1946م ، 1/837 .
- 4 - هو جمال الدين محمد بن سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي ، إمام الشام في عصره ، عِلْمًا بالدين ، وتضلُّعًا في الفنون الأدبية والشرعية و حتَّى المدنية ، ولد بدمشق سنة 1866م ، كان يدعو إلى الاجتهاد في الدين وإحيائه و لا يقول بالتقليد ، نشر عدَّةَ كُتُبٍ وبحوث زادت على السبعين تدل على علوِّ كعبه في العلم ، منها : تفسيره محاسن التأويل ، إصلاح المساجد من البدع والعوائد ، دلائل التوحيد ، الفتوى في الإسلام ، تنبيه الطالب إلى معرفة الفرض والواجب ، ديوان خطب . توفي في دمشق سنة 1914م . انظر ترجمته في الأعلام : الزركلي ، 2/135 .

كل من حاد عن جادة الإسلام من أي فرقة ونحلة ، وتعيين بعض المفسرين فرقة منهم من باب تمثيل العام بأوضح أفرادها وأشهرها "1 .

10- تطبيق قاعدة " حول تكامل النصوص القرآنية في الموضوعات التي اشتمل عليها القرآن، واستبعاد احتمال التكرير لمجرد التأكيد ما أمكن " 2:

في هذه القاعدة التي أصل فيها المؤلفُ لقضية تكامل النصوص- التي يظهر أنها مكرّرة- في إنشاء معاني جديدة غير سابقة، أو إضافة جوانب مقصودة ينبغي التنبه إليها أثناء مطالعة نجوم

التنزيل ؛ نجدُ الله رحمه الله قد حافظَ على تطبيقٍ فعليٍّ واضحٍ لهذه القاعدة :

فمن تطبيقاته للقاعدة مع عدم التصريح بها : أنه أثناء شرحه التدبري التحليلي للدرس الثاني من دروس سورة سبأ (إيات 3-9) قال في قوله تعالى : [وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُتَّبِعُكُمْ إِذَا مَرَّكُمْ إِذَا مَرَّكُمْ كُلُّ مُمْرِقٍ لَكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ (7) أَفَتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ] وهو يبيّن تغيير صياغة مقالاتهم في نفي البعث للتأثير في عقول الناس و صرفهم عن الإيمان : " جاء في هاتين الآيتين بيانُ مقالةٍ دعائيةٍ قالها مضللون من المذنبين كفروا ، بغرض صدّ من يتأثّر بهم عن الاستجابة لدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم ، لئلا يتزايد المؤمنون المسلمون في مكة، في هذه المرحلة من مراحل مسيرة الرسول الدعوية، لأنهم إذا كثرت أعداؤهم وزادت على أعداد المشركين أسقطوا ذوي السلطان و ذوي الجاه و القوة عن مكائنتهم ، و صارت القوّة و المكانة العظمى للرسول صلى الله عليه و سلم فيها. ومقالة هؤلاء ليس فيها إلا ترديدُ عبارة التعجّب و الاستغراب من إحياء الموتى، بعد أن صارت أجسادهم فانية مختلطة بتراب الأرض ، وقد قدّموا

1 - تفسير القاسمي : جمال الدين القاسمي - القاهرة ، مصر - دار إحياء الكتب العربية - ط 1 - 1376 هـ ، 1/24 .

2 - قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني، ص 67 ، وهي القاعدة السادسة في الكتاب .

هذا التريديد بصياغة جديدة فيها مبالغة في عرض صورة فناء الأجساد¹ .

ثم أخذ رحمه الله يقارن بين صياغة عباراتهم في نفي البعث عبر نجوم التنزيل لينفي اعتقاد التكرير لغرض التأكيد فقط ، فقال : " لقد كانت مقالة قائلهم إِبَّانَ نزول سورة (يس/41 نزول) [مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (78)] بصيغة **التساؤل** ، ثم صاروا يقولون إِبَّانَ نزول سورة (الإسراء/50 نزول) [وَقَالُوا إِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَلَيْسَ لِمَنْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (49)] ، ثم صار دعائهم إلى الضلال يعرضون هذه المقالة بأسلوب فيه مزيدُ خِداعٍ دعائي ، إِبَّانَ نزول سورة (سبأ/58 نزول) قائلين في تضليلهم لمن يسمع إليهم **قولاً مقرونًا بالسخرية و الاستهزاء** [هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُتَّبِعُكُمْ إِذَا مُرِّقْتُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ (7)] . . **إِنَّ مضمونَ عبارتهم الجديدة المفحمة المنفوخة بأسلوب إعلامي لا يختلف عن مضمون قولهم السابق** ، فلا شيءَ فيه يستدعي مناظرة فكرية ، ولا يتضمَّنُ شبهةً جديدةً تتطلبُ بياناَ إقناعيًّا يُزيلها و يكشفُ الحقَّ بجلاء " ² . يعني أنَّ المضمون واحدٌ و لكنه غيرُ مكرَّر لأنَّ فيه من المشركين التنويع في الأسلوب و التتميق في العبارات الإعلامية بمكرٍ ودهاءٍ للتأثير في عقول الناس ولزحزحتهم عن هدايات الإيمان . و المؤلفُ هنا كما رأينا استطاعَ أن يكشفَ لنا وحدة مضمون كلامهم مما يوحي بال تكرار ، و لكنه نفى هذا التكرار و كشفَ ما فيه من المناسبات التي تتصلُّ بها العظمة عبر نجوم التنزيل ، و التي استطاعَ بالفعل التنبيه عليها و كشفها بجدارة .

ومن تطبيقاته للقاعدة مع عدم التصريح أيضًا : أنه أثناء شرحه التدبري التحليلي للدرس الثامن من دروس سورة الإسراء (الآيات 22-39) قال الوصية السابعة في شرح قوله تعالى : [وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ حَسْبَةَ إِمْلَاقٍ تَحْنُ تَرْرُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ] : " إذ كان هذا من عادات أهل الجاهلية من العرب ، ثم أنزل الله عزَّ وجلَّ قوله في سورة (الأنعام/6 مصحف/55 نزول)

1 - معارج التفكير و دقائق التدبر : عبد الرحمن الميداني ، 12/35 .

2 - معارج التفكير و دقائق التدبر : عبد الرحمن الميداني ، 36/12 .

من آية قيل : هي ذاتُ تنزيل مدني ، صُمّت إلى سورة مكيّة التنزيل و الله أعلم [وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ (151)] . . **وهذان النّصّان متكاملان لا مكرّران :** فما جاء في سورة الإسراء جاء التعبير فيه ب [خَشِيَةَ إِمْلَاقٍ] أي خشية حدوث فقر في المستقبل ، و جاء التعقيب عليه في الآية بعبارة [نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ] ففيها تقديم رزق الأولاد على رزق الآباء ، لأنّ الفقر أمرٌ مخوف من حدوثه في المستقبل . وما جاء في سورة الأنعام جاء التعبير فيه بعبارة [مِنْ إِمْلَاقٍ] أي من فقر واقع ، وجاء التعقيب عليه في الآية بعبارة [نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ] ففيها تقديم رزق الآباء على رزق الأولاد ، لأنّ الفقر أمرٌ واقعٌ موجودٌ والآباء بحاجةٌ آنية إلى الرزق " 1

فالمؤلف رحمه الله بيّن كيف تكامل النّصّان و كيف تمّ الموضوع من مختلف جوانبه ، وحصل مع ذلك تأكيد النهي عن قتل الأولاد الذي هو أساس الموضوع بما جاء في النّصّ المتأخّر، قال : " فتكامل النّصّان في أداء المعنى المراد ، و جاء تأخير آية الأنعام إلى المرحلة المدنيّة على ما قيل لأنّ النهي عن قتل الأولاد فيها مجموعٌ مع وصايا فيها بياناتٌ من المناسب تأخير تنزيلها إلى العهد المدني " 2

11- تطبيق قاعدة " **حول تكافؤ النصوص القرآنية ووجوب الجمع بينها في نسق فكري متكامل وعدم اللجوء إلى الحكم بالنسخ إلا فيما ثبت نسخه بدليل صحيح صريح** " 3 :

في هذه القاعدة التي أصّل فيها المؤلفُ لقضيّة ضرورة اعتقاد المتدبّر لكتاب الله تكافؤً وتكاملَ النصوص القرآنية و استبعاد القول بالنسخ إلا فيما ثبت بدليل صحيح 4 ؛ نجدُ أنّه رحمه الله قد أتقنَ طرح القاعدة من الناحية النظرية كما

1 - نفسه : 9/609 .

2 - معارج التفكير و دقائق التدبّر : عبد الرحمن الميداني ، 610-9/609 .

3 - قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني، ص 139 ، وهي القاعدة الثامنة في الكتاب .

4 - لأنّ اعتقاد النسخ يحجّب عن المتدبّر حقيقة هذا التكامل و التناسق الموضوعي ، والذي ينبغي أن يكون أساساً من أسس التدبّر القرآني كما مرّ معنا.

مرّ معنا ، ولكنني على مستوى التطبيق لم أجد له سوى مثالاً واحداً في سورة (المزمّل) .

هذا المثال يتعلق بنسخ الله تعالى وجوب قيام الليل على النبي صلى الله عليه وسلم ، كما قال سبحانه : [يَا أَيُّهَا الْمُرْمَلُ (1) قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (2) نِضْفَهُ أَوْ انْعُمَنَّ مِنْهُ قَلِيلًا (3) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا] (المزمّل : 1-4) ، فبعد هذه الآيات بعشر سنين نزلت هذه الآية المدنية لتختم السورة : [إِنْ رَبُّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِضْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَهُ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَأَخْرُونَ يَصْرَبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَخْرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُعَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ] (المزمّل : 20) ، وقد وجهها المؤلف وما فيها من النسخ توجيهًا تدبريًا رائعًا فقال : " هذه آية نزلت في العهد المدني ، وقد ضُمَّت إلى سورة (المزمّل) التي نزلت في أوائل العهد المكي ، وكان نزولها بعد عشر سنين عملَ فيها الرسولُ بما طلبَ الله منه إيجابًا في أوائل السورة من قيام الليل ، وعمل معه بعض أصحابه بهذا المطلوب على سبيل التطوع منهم ، ثم نزلت هذه الآية الناسخة " ¹ . فالمؤلف هاهنا يرى أنّ الموضوع مما يندرج في النسخ بدليل أنه عنون بعد صفحات بقوله (**حكمة النسخ في أحكام الدين**) ² ، وقال تحت ذلك العنوان : " وهذا ما يُسمّى نسخًا عند علماء المسلمين . وهو بيان انتهاء العمل بمقتضى نصّ تكليفي سابق ، وهذا البيان لا يُدّ فيه من دليل كافٍ للتعريف بانتهاء زمن العمل بمقتضى النصّ السابق " ³ . هذا وقد أعطى توجيهها تدبريًا رائعًا في فهم هذا النسخ للوجوب من خلال بيان حكمة ضمّ هذه الآية الناسخة إلى التكليف السابق :

1 - معارج التفكير و دقائق التدبّر : عبد الرحمن الميداني ، 1/187 .

2 - نفسه : 1/193 .

3 - نفسه .

قال رحمه الله : " و يظهر أنّ الغرض من ضمّ هذه الآية الناسخة للتكليف السابق الإشعارُ بأنّ على حامل الرسالة الربانية أن يكون كثير الصلة بالله عن طريق قيام الليل كما أمر الله في أوائل السورة ، حتى إذا تمكن الدّاعي إلى الله في الأرض ، وصار له أنصار و قوّة ، وصارت له دولة أو شبه دولة ، تحتاج منه وقتاً طويلاً لإدارة المجتمع الإسلامي ، الذي التفّ حوله و اتّبعه ، صار بإمكانه أن يخفّف عن نفسه من قيام الليل الذي كان مطلوباً منه و أن يكتفي بقراءة ما تيسّر من القرآن " ¹ .

و أيضاً يمكن النظرُ في الأمثلة التي ضربها في كتابه " قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله عزّ وجل " ، والسببُ في هذا أنّه مات رحمه الله قبل أن يمضيَ في القرآن المدني الذي تضمّن الأحكام ، ومعلومٌ أنّ القرآن المدني بما فيه من نصوص الأحكام هو المجالُ الذي وقع فيه النسخُ أو ادّعي فيه ، ولذلك سوف أقتصر على مناقشة مثالين من الأمثلة التي قدّمها تطبيقاً في كتابه " قواعد التدبّر " :

قدّم رحمه الله أربعة أمثلة كلها يرجع إلى القرآن المدني : ففي المثال الأوّل قال رحمه الله : " إنّ عمومَ قول الله عزّ وجل [اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ] (الزمر : الآية 62) ، وقول الله عزّ وجل [ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَى ثُؤَفَكُونَ] (غافر : الآية 62) ، و قول الله عزّ وجل [قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ] (الرعد : 16) لا يصحُّ أن يطغى على عموم قول الله عزّ وجل [لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا] (البقرة : 286) ، وعموم قول الله عزّ وجل [لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا] (الأنعام : 152) ونحو هذه النصوص " ² . و يقصد رحمه الله بالطغيان هنا أي تغلب دلالة العموم في النصوص الأولى على دلالة النصّين الآخرين بما يؤدّي إلى تعطيل معنهما ، وهو أحد معاني النسخ التي وُجدت وحصل ادّعاؤها ، فهو الآن يردُّ بما بيّن التكامل و التكافؤ و العمل بها معاً دون طغيان .

1 - نفسه : 1/187 .

2 - قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 141 .

قال رحمه الله : " إِنَّ عَموم القسم الثاني من هذه النصوص يُثبِتُ أَنَّ ما يَكْلِفُ الله به عبادَه هو من وُسْعِهِمْ ، و إذا كان من وُسْعِهِمْ فإذا فعلوه فهو من كسبِهِمْ ، فالعموم في القسم الأول [**اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ**] لا بُدُّ أَنْ يَكُونَ مَخْصَصًا فيما لا يُعارضُ كونَ النفوسِ المكلَّفةِ من الله ذاتَ وُسْعٍ لعملٍ و اختيارٍ ما كلفها الله إيَّاه . على أننا نقول : إِنَّ هذا الوُسْعَ و القدرة على الاختيار من خلق الله ، فما جعله الله منوطًا بكسب المكلَّفين قد خلق فيهم الاستعدادَ لفعله أو تركه ، و أمدهم بالطاقة التي يستطيعون بإرادتهم توجيهها دون أن يجبرهم على التوجيه . . وهذا تمكينٌ قدرِيٌّ خلقي ، وليس إذنًا تكليفيًا ، فالتمكُّنُ القدرِيُّ الخلقي قد يصاحبه نهْيٌ تكليفي ، أو أمرٌ تكليفي أو إباحة " ¹ .

فلاحظنا كيف جمع المؤلفُ بين النصوص كلها ونفى التعارض بينها بما يسقط دلالة بعضها ، وهذا بسلوكه مسلكَ التخصيص لعموم الأولى بما لا يُعارضُ كونَ النفوسِ المكلَّفةِ ذاتَ وُسْعٍ و اختيارٍ ، وهذا المسلكُ من الجمع أفضلُ من ادعاء النسخ ، لأنَّ فيه إعمالاً للنصوص كلها على مراتبها في الدلالة . و في المثال الأول تحت عنوان [أمثلة على ما يُدعى النسخ فيه وهو محكم غير منسوخ] ² :

في قوله تعالى : [**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**] (البقرة : 256) يرى بعضُ أهلِ التاويل أنَّ قولَ الله تعالى [**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ**] منسوخٌ بآياتِ القتال ، وبديلِ عملِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، و بديلِ نحو قولِ الرسولِ صلى الله عليه وسلم الذي رواه البخاري و مسلم عن أبي هريرة : " أمرتُ أن أقاتل الناسَ حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله و أنَِّّي رسولُ الله ، فإذا قالوها عصموا منِّي دماءهم و أموالهم إلا بحقِّها و حسابهم على الله " . ويرى طائفةٌ من أهلِ التاويل أنَّ هذا القول من القرآن مُحكَّمٌ غيرُ منسوخٍ .

1 - نفسه : ص 142 .

2 - نفسه : ص 144 .

يجبُ المؤلفُ بما يوضِّحُ أنَّه مُحكمٌ غيرُ منسوخٍ ، و أنَّ الآيَةَ تحوي حقيقةً لا يمكنُ نسخها بحال:

قال رحمه الله : " وحين نفهم بعمق معنَى الدِّينِ ، أنَّه يبدأ من الإيمان ، و الإيمان حقيقةٌ داخليةٌ قلبيةٌ ، و شيءٌ ينبعُ من عمق الإنسان ، وهو إرادةُ التصديقِ بأركانِ الإيمانِ ، مع عاطفة العمل بمقتضى التصديق الإِرادي ، وهذه أمورٌ لا يُعقل فيها ولا يُتصوَّرُ الإكراهُ بحال من الأحوال ، فالدِّينُ لا إكراهَ فيه ، لأنَّ واقعَ حالِ الدِّينِ كذلك ، لا يُعقلُ أن يكون فيه إكراهٌ ، ولا يملكُ أحدٌ من الناس أن يُكرِهَ أحدًا على أن يريدَ في عمق قلبه التصديقَ بأركانِ الإيمانِ ، و أن تكون له عاطفة نحو العمل بمقتضى هذه الأركانِ ، إنما الذي يملكُ ذلكَ هو الله عز وجل بالجبر بعد سلبِ الاختيار الذي منحه ومنح أَداته للإنسان ¹ . فتبيَّنَ من خلال هذا الطرح أنَّ الإكراهَ على الدِّينِ مُحالٌ عقلاً إلا إذا لزمَ منه الحمل على النفاق و العياذ بالله ، وهذا لا يُتصوَّرُ أنه يأتي به الإسلام ، و تبيَّنَ أنَّ [لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ] حقيقةٌ محكمة غير قابلة للنسخ أبدًا .

12 - تطبيق قاعدة " حول الربط بين الآيات وخواتيمها " :²

في هذه القاعدة التي أُصل فيها المؤلفُ لقضية التناسُب والترابط الموجود بين معاني كلمات الآية وما يليها من معاني خواتيمها ؛ نجدُ أنَّه رحمه الله قد حافظَ على تطبيقٍ فعليٍّ واضحٍ لهذه القاعدة :

فمن تطبيقاته للقاعدة مع عدم التصريح بها : قوله رحمه الله في شرحه لقوله تعالى : [وَإِذَا يَنْزَعَتْكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ] (فصلت : 36) : " نزعُ الشيطانِ وساوسُهُ و تسويلاتُهُ التي يحمل الإنسانَ بها على ارتكاب المعاصي و المخالفات . . فإذا أحسنَ المؤمنُ بنزعِ الشيطانِ فليقل : أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ . و الوصيةُ بالاستعاذة بالله من نزعِ الشيطانِ قد جاءت في الآية (200) من سورة الأعراف، فقال

1 - قواعد التدبُّر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 144-145

2 - نفسه : ص 429 ، وهي القاعدة السابعة عشرة في الكتاب .

الله تعالى فيها [وَأَمَّا يَنْزِعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ قَاسْتَعِدُّ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ] ، و الفارق بين آيتي (الأعراف) و (فصلت) أن آية الأعراف جاء فيها : [إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ] وهو تعبير لا قصر فيه . أما آية (فصلت) فقد جاء فيها [إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ] ، وقد دلَّ القصرُ فيها بتعريف طرفي الإسناد مع ضمير الفصل على أنه لا يوجد سميعٌ لكل مسموع ، ولا عليمٌ محيطٌ بكل شيءٍ علمًا إلا الله جلَّ جلاله ، وبلغت غاية العظمة صفاته " 1 .

فالمؤلف رحمه الله كشف من خلال التأمل في خاتمة آية (فصلت) وما ورد فيها من التعريف (ال) وضمير الفصل (هو) أن هذه الزيادة مهمة جدًا لإثبات توحيد الله تعالى في اسمه السميع العليم ، وما يتركه هذا التوحيد من أثر عميق في نفس المؤمن .

و في مثال آخر في قوله تعالى : [أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ] (الأحقاف : 8) ، استفهامٌ فيه غاية التعجب من أمرهم و الإنكار عليهم ، وفي قوله تعالى [كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ] فيه إلماحٌ خفيٌّ إلى عقوبةٍ شديدةٍ من الله عز وجل . ولكن ماذا عن قوله سبحانه مباشرة بعد ذلك [وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ] ؟ .

يجيب عن هذا المؤلف رحمه الله بتطبيق القاعدة نفسها فيقول : " بعد الإلماح إلى العقوبة الشديدة ، كان من الحكمة الإطماع بالمغفرة و الرحمة ، لمن في قلبه خيرٌ ما ، قابل لأن يستجيب لدعوة الحق ، و يتخلص مما هو فيه من كفر و عنادٍ و جحود ، طمعًا في أن يغفر الله سوايق كفره و آثامه ، و أن يشملته برحمته " 2 . وهي لفظة دقيقة من لفتات التدبر في الخواتيم و علاقتها بالمضمون .

المبحث الثاني

1 - معارج التفكير و دقائق التدبر : عبد الرحمن الميداني، 513-12/512 .

2 - نفسه : 13/163 .

تطبيق القواعد المتعلقة بالبلاغة واللغة ودلالات الألفاظ و التراكيب

وسأطرق في هذا المبحث إلى دراسة القواعد الواردة في الكتاب محلّ الدراسة و المتعلقة بعلوم البلاغة و اللغة ودلالات الألفاظ و التراكيب دراسةً تطبيقية .

1- تطبيق قاعدة " حول أوجه النص التي يهدف إليها " ¹

رأينا أنّ هذه القاعدة تدور حول دلالة الخطاب القرآني ، و الذي منه تحقيق الغرض البياني للمخاطبين ، بالإضافة إلى تحقيق الغرض التعليمي أو التربوي ، والنصّ القرآني قد يكون موجّهًا لعدّة أهداف مقصودة ، و البحثُ المتعمّق المتأبّي قد يكشف ذلك .

1 - قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 45 ، وهي القاعدة الثالثة في الكتاب .

ومن خلال تتبع تطبيق المؤلف رحمه الله للقاعدة ظهر لي أنه أتقن استخراج الأهداف بأنواعها من النصوص، وقد أكثر من تطبيق هذه القاعدة في تفسيره دون الإشارة إليها، إلا ما كان من تصنيف هذه الأهداف و تقسيمها إلى بيانية أو علمية أو تربوية، ومن ذلك :

أنه في تفسيره لسورة (الضحى :) قوله : " و في هذا القسم ما فيه من تكريم للرسول ، و مكايده لمروجة الفرية ومن معها ، و اقتصر الدفاع هنا على مقابلة المكايده التي وجهتها أم جميل بمكايده تغيظها ، ولكن بأسلوب استعطاف الرسول بقسم يفيض بالتودد و التحبب ، و فيه نفي لمقوله من كايده ، مع الإعراض عن القائل وعدم مواجهته ، استهانة به ، و احتقاراً له ، وفيه استعراض لسوابق الإكرام و الإنعام التي أكرم الله بها رسوله ، وأنعم بها عليه ، مع بيان ما فيها من الترقى الصاعد ، الدال على أن العطاء الارتقائي سيظل مستمرًا من الله لرسوله طوال الحياة الأولى ، التي سيصيب منها خيرا كثيرا ، أما الآخرة فهي خير و أجل و أعظم له من الأولى ، إكرامًا و إنعامًا و تمجيدًا ، ومقامًا كريمًا ودرجة رفيعة ، فلتتميز (امرأة أبي لهب) ومن كان على شاكلتها غيظًا و كمدًا " ¹ .

فانظر كيف أن الخطاب واحدٌ متجه في الأصل للنبي صلى الله عليه و سلم ، ولكنه في نفس الوقت باستعمال التدبر و النظر له اتجاهات كل واحد منها يؤدي غرضًا من الأغراض ، وهذا الذي لمسهُ المؤلف و عبّر عنه بهذا التعبير الجميل . و مما يتعلق بتطبيق هذه القاعدة أيضًا ، وكشف أنواع التوجيهات المتضمنة في الخطاب الواحد ؛ أنه في تفسيره لقوله تعالى : [سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (1) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (2) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى (3) وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى (4) فَجَعَلَهُ غَنَاءً أَحْوَى] (الأعلى : 1-5) قال : " تضمن أمرُ الله لرسوله بأن ينزّه صفات الربّ الأعلى عمّا لا يليقُ بجلاله ، مع التنبيه على بعض آياته في كونه التي تدلّ على ربوبيته جلّ جلاله ، وأمرُ الرسول يستتبع أمرَ كلِّ موضوعٍ في الحياة الدّنيا موضع

الامتحان . . وفي هذا الدرس توجيهٌ ضمنيٌّ للرسول أن يشرح للناس القضايا التي اشتمل عليها¹ . فحني على مستوى المخاطب الواحد يتضمَّن النصُّ توجيهات و مضامين ، وهذا من حسن تدبُّر كلام الله تعالى .

ومن ذلك أيضًا في سورة (المدثر) في معرض الحديث عن الوليد بن المغيرة أحد أئمة الكفر، قال الله تعالى :
[سَأْصِلِيهِ سَقَرًا (26) وَمَا أَذْرَاكَ مَا سَقَرٌ (27) لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ (28) لَوَاحٍ لِّلْبَشْرِ (29) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ (30) وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَرْذَابَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيْمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِّلْبَشْرِ] (المدثر : 26-31)

قال رحمه الله في كلام طويل - أقتصر فيه على محلِّ الشاهد - بيِّن كيف أنَّ النصَّ الواحدَ يحقِّق عدَّةَ اتجاهات نحو المخاطبين : " و أما بيانُ الحكمة من ذكر عددهم في التنزيل ، فهو يشتمل على ذكر أصنافِ المتلقِّين للتَّنزيل القرآني ، و أثر بيان عددهم لدى كلِّ صنف منهم ، و الأصناف هم : الصنف الأول : الذين كفروا بما أنزل على محمد و غيره من الرسل . الصنف الثاني : الذين أوتوا الكتاب من قبل . الصنف الثالث : الذين آمنوا بالله و رسوله و بما أنزل عليه . الصنف الرابع : الذين في قلوبهم مرضٌ لم يبلغ مبلغ الكفر . فبيانُ كون عدد المشرفين على تعذيب المعدِّبين في (سقر) تسعة عشر له عدَّة حكم ربَّانية : (1) إنَّ هذا البيان هو بالنسبة إلى الكافرين فتنة لهم ، أي امتحانٌ لعقولهم و إراداتهم . و ينتج عن هذا الامتحان لدى هؤلاء الكافرين ظاهرتان : الظاهرة الأولى : أن يعلنوا استهزاءهم و كفرهم كالذي كان من أبي جهل و أبي الأشدِّ بن كَلْدَةَ و الحارث بن كَلْدَةَ على ما ورد في سبب النزول ، الظاهرة الثانية : أن يقولوا على سبيل الاستهزاء و السخرية و الإنكار : ماذا أَرَدَ اللهُ بهذا مثلاً ؟ ، أي لا يُعقل ذكر عددهم هذا من كلام الله . .² .

1 - معارج التفكير و دقائق التدبُّر : عبد الرحمن الميداني ، 1/558 .
2 - معارج التفكير و دقائق التدبُّر : عبد الرحمن الميداني ، 1/114-119 .

ثم استمرّ رحمه الله في بيان طويل يعدّد أصناف المتلقّين و مواقفهم من هذا العدد المذكور في القرآن و يحلّل تلك المواقف و يكشفُ جوانب رائعة خلال ذلك التحليل ، وهذا كله من استغلال و توظيف هذه القاعدة التدبّرية في كشف اتجاهات النص و أحوال المخاطبين به.

2- تطبيق القاعدة الثانية عشرة " **حول لزوم فهم الآية وفق ترتيب نظمها** " ¹ :

رأينا في القسم النظري أنّ على متدبّر كلام الله أن يجعل من النظم و رعاية ترتيب الكلمات في الآية بصيغتها المنزّلة " آيةً أساسيةً " من آيات الفهم الصحيح لكلام الله تعالى و تدبّر معانيه و دلالاته، وهو أمرٌ يحتاجُ من المتدبّر إلى بحث و صبر و تفكّر طويل بصبر و أناة ، حتى ينكشفَ له الغرض البلاغي أو الفني أو الفكري للآية على نظمها الذي نزلت عليه ، مما يكون من مقاصد البيان البليغ الحكيم .

و قد تتبّعُ تطبيق المؤلفُ للقاعدة فظهر لي أنه راعى النظم القرآني للآية أو الآيات ، و أتقنَ استخراج الأغراض الكامنة فيه ، الأغراض البلاغية أو الفكرية ، بل وحتّى الفنيّة ، ومن ذلك :

أنه في تفسيره لقوله تعالى : [**أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (17) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (18) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (19) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ**] (الغاشية : 17-20) ، قال رحمه الله : " وفي هذا الدّرس من الجوانب الأدبية فنيّة ترتيب جُمَلِه : قد يهدفُ ترتيبُ الجُمَلِ القرآنية إلى عرض لوحة فنيّة مما خلق الله في كونه ، حتى كأنّها رسمٌ قد روعيت فيه كلّ الشروط الفنيّة التي تُراعى في الرسوم و الصور الرفيعة ، فتبدو الصورة مثلاً مطابقاً لحركة تتابع المشهد في نفس المُشاهد . تصوّر أنّك جالسٌ في بادية في خيمة ، كواحدٍ من عُربان البادية ، وأمامك سهلٌ ممتد ، وبعده سلسلة جبال متتابعة ، ومَرّت قافلة جمال في هذا السهل بينك و بين الجبال . فكيف تتنقّل نفسك في هذا المشهد ، بعد هذا الحدث المثير وهو قافلة الجمال ؟ . لقد تمثّلتُ هذه

1 - قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني، ص 207، وهي القاعدة الثانية عشرة في الكتاب .

الصورة فوجدتُ أنني أتقلُّ في متابعتها مركزًا على بؤرة المشهد مرحلةً فمرحلةً على الوجه التالي .. صورة قافلة الجمال .. صورة السماء من جهة الأفق البعيد .. صورة الجبال المتتابعة .. صورة الأرض المنبسطة .. عندئذٍ علمتُ الحكمة التي دعت إلى ترتيب الجمل القرآني في هذا الدرس من دروس السورة ، وما فيها من تصوير كلامي ، متابعٍ لحركة النفس لدى مشاهدة مثل هذا المشهد " 1 .

فهذا التصوير للمشهد الواقعي الذي أطال فيه المؤلفُ هو نفسه الذي راعاه "النظم القرآني للآيات" ، لتحقيق هذا الغرض الفني الجميل ، والذي يحتاجُ حقا إلى جمالية نفسٍ و دقة تأملٍ للامسته .

و في تفسيره رحمه الله لقوله تعالى : [خَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ (96) وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ] (الأنبياء : 96-97) ، يرضدُ ترتيب الجمل في هذا الدرس على معانٍ مقصودةٍ يهدفُ إليها الحكيمُ سبحانه في بيانه ، وهي هنا رعاية ترتيب الأحداث و الوقائع على مقتضى حصولها :

قال رحمه الله : " و بعد أن ينساح هؤلاء المفسدون الهمجُ الأشرار ، يكونُ الوعدُ الحقُّ بقيامِ ساعةٍ إنهاءٍ ظروفِ الحياةِ الدُّنيا قد اقترب ، فَفُتِحَ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ من أماراتِ اقترابِ الساعةِ ، وعندئذٍ تشخصُ أبصارُ الذين كفروا دُعاءً من قيامِ الساعةِ " 2 . فبين المؤلفُ رحمه الله أن اقتراب الوعدِ الحقِّ وهو يوم القيامة للحساب و الجزاء يأتي مرتبًا بعد فتح يَأْجُوجُ و مأْجُوجُ ، ذلك أنه رحمه الله لم يُراعِ كونَ الواوِ لمطلق العطف و الجمع ، و إنما نظر إلى ترتيب الآيتين و اعتبره مقصودًا ، فسجّل بناءً عليه هذه اللفظة و أنها أمرٌ مقصودٌ الترتيب في الواقع .

و في تفسيره لقوله سبحانه و تعالى من سورة الأنعام : [وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ عُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ

1 - معارج التفكير و دقائق التدبر : عبد الرحمن الميداني ، 285-13/284 .

2 - نفسه : 14/367 .

فَدَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (112) وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِالْآخِرَةِ وَلِيَرَضَوْهُ وَلِيَفْتَرُوا مَا هُمْ مُفْتَرُونَ] (الأنعام : الآية
112-113) ، يبين كيف راعى ترتيبُ النظمِ الترتيبَ
التسلسليَّ لخطة الشياطين في الإغواء و الإضلال ، وهو ترتيبٌ
مطابقٌ للواقع استنبطه المؤلف من رعاية الكلمات في نظم
الآيتين ، مع أنّ الواوَ لمطلق العطف و الجمع ، و التي يقول
عنها علماء النحو لا تفيدُ ترتيباً ولا تعقيباً، ومع ذلك المؤلفُ
استنتج الترتيب في الواقع من الترتيب في النظم ، وهذا من
دقيق التدبّر القرآني ومن حسن تطبيق القاعدة :

قال رحمه الله : " و بعد البيان الاعتراضي الذي قال الله
عز وجل فيه [وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ] تابع
الله بيانَ حُطّة شياطين الإنس و الجنِّ فيما يصطنعون من
رُخرفِ القول ، لترويحِ باطلهم و ضلالتهم بين الناس .
فالخطوة الأولى : جاءَ بيانها بكلمة [عُرُورًا] أي للتغيير و
الخداع و الإطماع بالباطل و يُعتبر هذا مقدمات الدّعاية
الإعلاميّة الزخرفيّة للباطل ، ولسلوك مسالك الشرِّ و الإثم و
العصيان ، و الفجور و الظلم و العدوان . و الخطوة الشيطانيّة
الثانية : دلَّ عليها قول الله عز وجل [وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفئِدَةُ الَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ] أي و لتميلَ إلى قول الشياطين المزخرف
أعماقُ قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة . . الخطوة الشيطانيّة
الثالثة : دلَّ عليها قول الله عز وجل [وَلِيَرَضَوْهُ] أي وليقع
رُخرفُ القول الذي يلقيه شياطين الإنسِ موقعَ الرّضا من
أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة ، ومعلومٌ متى ما كان سلوكُ ما
واقِعًا موقعَ الرضا في فؤاد الإنسان اندفعَ هذا الإنسانُ إلى
ممارسته بكلِّ جرأة وقوّة ، غيرَ عابئٍ بنقدِ التّاقدين ، ولموم
اللائمين . الخطوة الشيطانيّة الرابعة : دلَّ عليها قول الله
تعالى [وَلِيَفْتَرُوا مَا هُمْ مُفْتَرُونَ] أي و ليكتسبوا من
السيئات و الجرائم التي حلت من أفئدتهم محلُّ الاستحسان و
الرّضا ما هم مكتسبون ، هذه الخطوة تأتي تلقائيّة بعد الخطوة
الثالثة " 1

فهذه اللفئات التدبّريّة هي من ثمار تطبيق هذه القاعدة.

3 - تطبيق قاعدة " حول اقتضاءات النص ولوازمه وروابطه الفكرية، ومحاذيفه التي حذفت للإيجاز والتضمنات التي يضمنها " ¹ :

رأينا في هذه القاعدة في الجانب النظري أنها تتضمن عدّة ألوان من البلاغة مثل عليها المؤلفُ بعشرات الأمثلة ، منها ما يرجعُ إلى مقتضيات النص دون أن يكون فيه ألفاظ خاصة تدل عليها، و المحاذيف للإيجاز² التي يقتضيتها معنى النص أو يستدعيها التوازن و التناظر و التكامل فيه ، و ظاهرة التضمنين ، و اللوازم الفكرية و الكنايات البعيدة ذوات الدلالات البعيدات ، و دلائل المفهوم المخالف لمنطوق النص و المفهوم الموافق له و ما يشير إليه النصّ من طرف خفي ، و القياس على ما جاء في النص، و إلحاق الأشباه و النظائر .

وهذه القاعدة مع قاعدة القراءات هي أوسع القواعد على الإطلاق من حيثُ التطبيق لدى المؤلف، و السبب أنّ أوجه البلاغة هي الصقُّ أبواب التدبّر بكتاب الله تعالى ، و قد اتقن المؤلف رحمه الله تطبيقها إتقانًا بارزًا ، و لذلك خصّص المؤلف بعد الانتهاء من تفسير السورة القرآنية ملحقًا بعنوان (**ملحق مستخرجات بلاغية من السورة**)³ يضع فيه فوائد تدبّرية جمّة تخدم هذه القاعدة كثيرًا ، بالإضافة إلى التطبيقات الموجودة في ثنايا التفسير ، ويكفي أنه كما رأينا عالمٌ جهيدٌ

1 - قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 239 ، وهي القاعدة الرابعة عشرة في الكتاب .

2 - وقد أشار المؤلف رحمه الله إلى خمسة و عشرين نوعًا من أنواع الحذف في اللسان العربي ، وأعطى عليها ثلاثين مثالاً ، وهذا دون بقيّة الأنواع الأخرى من الألوان البلاغية الكثيرة النوع متعددة الأمثلة . انظر **قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله** : ص 252 - 259 .

3 - ملحق مستخرجات بلاغية من سورة إبراهيم (14/90) ، ملحق مستخرجات بلاغية من سورة المؤمنون (14/511) ، ملحق مستخرجات بلاغية من سورة السجدة (14/562) ، ملحق مستخرجات بلاغية من سورة الطور (14/603) ، ملحق مستخرجات بلاغية من سورة الملك (14/641) ، ملحق مستخرجات بلاغية من سورة الحاقة (14/670) ، ملحق مستخرجات بلاغية من سورة المعارج (14/702) . . هكذا باتقان في كل مجلد من تفسيره (**معارج التفكير**) و عند الانتهاء من كل سورة ، فنسأل الله العظيم أن يرحمه رحمةً واسعة و أن يكتب إتقانه هذا في ميزان حسناته و أن يتغمّده بلطفه و حنانه و كرمه ، هو ووالديه و مشايخه .

متفتنٌ في اللغة العربية و علومها ، وقد وظَّفَ تلك المعرفة
توظيفًا جيّدًا في خدمة كتاب الله و الدرس البلاغي التدبّري ،
والأمثلة التطبيقية كما قلتُ لا تحصى يكفي فيها تلك
المستخرجات ، و أنا أختارُ منها ما يلي ، والباقي أشير إلى
مظائه في الهامش للتوسّع .

من ذلك في تفسيره لسورة الأنعام ، وتحت عنوان)
مستخرجات بلاغية من السورة (:

قوله رحمه الله : " من عناصر الإيجاز في الكلام
(التضمين) وهو تضمينُ كلمةٍ معنى كلمةٍ أخرى ، وجعل
الكلام بعدها مبنياً على الكلمة غير المذكورة ، كالتعديّة
بالحرف المناسب لمعناها ، فتكونُ الجملة بهذا المعنى بقوّة
جملتين ، ومن أمثلة التضمين في السورة مايلي : قول الله
عزَّ وجلَّ : [وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَعَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ
الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِ أَنْ يُبَسَّلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ
وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعِدِلْ كُلٌّ لَأَعْدِلَ مَا كَسَبَتْ] (الأنعام :
الآية 70) صُمِّنَ فعلٌ [وَذَكَرَ] معنى فعل (حذَّر) أو (أنذر)
فُعِدِّي تعديته ، أي وذكر محذراً من أن يُبَسَّلَ ، أي (من أن
ترتَهَنَ و تُسَلَّمَ للعذاب) . وَصُمِّنَ فعل في : [وَإِنْ تَعِدِلْ] معنى
فعل (وتُقَدِّم) فالمعنى : و إن تعِدِلَ مقدّمةً كلِّ فداءٍ لا يُؤَخِّدُ
منها . على أنها لن تجد ما تقدّمه فداءً " 1 .

و في السورة نفسها قوله : " من عناصر إعجاز القرآن
الحذفُ من منطوق اللفظ ، و الطيُّ في المثاني ، مع الدلالة
على المطويِّ فيها بإشارات لفظيّة ، أو لوازم فكريّة ، أو
دلالات نصوص أخرى مؤرّعات في القرآن المجيد . ومن الأمثلة
على هذا في هذه السورة مايلي : قول الله عز وجل : [لِيَجْمَعَنَّكُمْ
إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ (12)] أي [لِيَجْمَعَنَّكُمْ]
مسوقين [إِلَى] موقف الحساب و فصل القضاء في [يَوْمِ
الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ] " 2 .

و من ذلك في تفسيره لسورة الأنبياء ، وتحت عنوان)
مستخرجات بلاغية من السورة (:

1 - معارج التفكير و دقائق التدبّر : عبد الرحمن الميداني ، 11/509 .

2 - نفسه : 501-11/500 ، وقد أعطى بعد هذا المثال تسعة عشر مثلاً
متواليًا .

قال رحمه الله : " من الإيجاز بالحذف الأمثلة التالية¹ :
المثال الأول قول الله عز وجل : [**أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ
شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ** (30)] ، (الواو) في [**أَوَلَمْ**] عاطفة
على محذوف مطويٍّ يمكن استخراجُه ذهنيًا . و التقدير : أما
زال الذين كفروا من علماء الكونيات بعيدين عن إدراك أدلة
أن السموات و الأرض كانتا كتلة واحدة مجتمعة ، ففتقناهما و
قسّمناهما إلى سبع سموات ، ومجرات كثيرات فيها بلايين
النجوم و الكواكب ومنها الأرض .. " ² .

ولو رُحنا نتبّع تطبيقاته حول هذه القاعدة ، لوجدنا أنه بعد
الانتهاء من كل سورة يجمع ما تفرّق منها من فوائد تدبريّة
تتعلق بمقتضيات النص ، و المحاذيف للإيجاز ، و ظاهرة
التضمين ، و اللوازم الفكرية و الكنايات البعيدة ذوات الدلالات
البعيدة ، و دلائل المفهوم المخالف لمنطوق النص و المفهوم
الموافق له ، و ما يشير إليه النصّ من طرف خفي ، و القياس
على ما جاء في النص ، و ما إلى هذا و أرى أن أشير إلى بعض
مظاهرها في الهامش ، لأنّ ما ذكر يكفي في إثبات دقّة تطبيق
المؤلف لها .

4 - تطبيق قاعدة " **حول التكرير وأغراضه** " ³ :

رأينا في هذه القاعدة أنّ على متدبرّ كلام الله أن يبحث
في كل نصّ يبدو له أنه من النصوص المكرّرة في القرآن ،
ليكتشف غرض التكرير إذا كان النصّ مكرّرًا حرفيًا ، و
ليكتشف فوارق المعاني إذا كان النصّ المكرّر مختلفًا ولو
بكلمة أو حرف ، فكثير من النصوص التي يتوهّم فيها التكرار
هي ليست في الحقيقة مكرّرة ، و لكنّها متكاملة يؤدّي بعضها
من المعاني المرادة ما لا يؤدّيها البعض الآخر ، وقد أشار
المؤلف كما مرّ معنا إلى عدة أغراض : الأول متابعة الواقع
في أحداثه و صياغة النصوص بطريقة تدلّ عليه ، و الثاني تجزئة
الأفكار المراد بيانها حول موضوع واحد لتؤدّي مع التأكيد

1 - و أعطى رحمه الله ثمانية أمثلة متوالية مستخرجة من السورة .

2 - **معارج التفكير و دقائق التدبر** : عبد الرحمن الميداني ، 14/391 .

3 - **قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله** : عبد الرحمن الميداني ، ص 307 ،

وهي القاعدة الخامسة عشرة في الكتاب .

أغراض بلاغية رفيعة، و الثالث حكاية الواقع المكرر ، والرابع قصد هدف من الأهداف في كل مرة للمناسبة التي اقتضته ، و الخامس الجرعات التربوية ، و السادس تحقيق جوانب بلاغية . و من خلال تتبع تطبيق المؤلف لهذه القاعدة عبر تفسيره (**معارج التفكير**) لمستأنه أبداع في تنزيلها في مختلف المواضع التي هي من الأشباه المتطابقة أو المتقاربة ، من ذلك ما يلي :

عند المقارنة بين قوله تعالى : [**قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ**] (ص : الآية 86) ، و قوله سورة القلم : [**أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ**] (القلم : الآية 46) ، قال رحمه الله : " فعلم الله عز وجل رسوله أن يقول لهم جوابًا قاطعًا لاتهامهم له بالمصالح الشخصية الدنيوية [**مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ**] ، وقد سبق أن أنزل الله عز وجل قبل هذا قوله في سورة القلم [**أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ**] ، و المعنى .. وهنا في سورة (ص) أمر الله عز وجل رسوله بأن يصرح لهم **تصريحًا وجاهيًا** قائلًا لهم : ما أسألكم عليه من أجر ¹ . فبين هذه الإضافة الدقيقة "التصريح الوجيه " .

وفي تفسيره لسورة (ص) و تحت عنوان (**الملحق الثالث : تدبر ما جاء في القرآن المجيد عن داود عليه السلام بنظرة تكاملية**) ² ؛ رصد المؤلف رحمه الله عدّة أمثلة تطبيقية تؤكد على حسن تمثّل هذه القاعدة عمليًا ، من ذلك :

قوله رحمه الله في المقارنة بين ما ورد في سورة (النمل) و سورة (ص) في شأن داود عليه السلام : " قول الله تعالى في سورة (النمل / 27 مصحف / 48 نزول) [**وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ (15)**] فأضاف هذا النص إلى ما سبق إنزاله في سورة (ص) أربع قضايا ³ ، ثم أخذ الشيخ في تبيانها و

1 - معارج التفكير و دقائق التدبر : عبد الرحمن الميداني، 637-3/636 .

2 - نفسه : 3/647 .

3 - نفسه : 3/648 .

شرحها وكشف وجوه الإضافة عبرها ، أتجاوزُ نقلها خشية الإطالة لأعطي أمثلة أكثر .

وقال رحمه الله بشأن داود عليه السلام : " البيان الرابع أنّ الله عزّ وجل علمه مما يشاء، وقد سبق في سورة (النمل) و في سورة (الأنبياء) أنّ الله آتاهُ علمًا . و أقول هنا نظيرَ الذي سبق بيانه بشأن الحكمة ، فالعلم ذو نَسَب متفاضلة ، تتنامى قدرًا ، وذو مجالات متنوّعات كثيرات ، فتكريرُ بيان إيتائه العلم يدلّ على زيادات العطاء منه في المجالات و الأنواع و المقادير . وهذا يدلّ على أنّ داود عليه السلام قد كان يزدادُ معرفة و علمًا مع مراحل عمره ، ولم تتوقف لديه المعرفة عند المقدار الذي آتاه الله إِيَّاه في أوّل نشأته ، أو في أوّل ملكه " ¹ .

و قال رحمه الله في المقارنة بين ما وردَ في سورة (سبأ) و سورة (ص) في شأن داود عليه السلام أيضًا : " جاء في سورة (ص) بيان أنّ الله عز وجل سَخَّرَ الجبالَ مع داود يُسَبِّحُ بالعشيّ و الإشراق، و سَخَّرَ الطيرَ محشورةً كلّ له أوّاب، أما النص الذي في سورة (سبأ/34 مصحف/58 نزول) [وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِبي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلنَّا لَهُ الحَدِيدَ (10) أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاَعْمَلُوا صَلَاحًا إِيَّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرَ] ففيه بيان أنّ الله عز وجل أتى داود منه فضلًا ، أي عطاءً زائدًا خصّه به ، وفكرهُ الفضل هذه لم يسبق لها زِكْرٌ فيما نزل قبل سورة (سبأ) بالنسبة إلى داود عليه السلام ، واستدعى زِكْرُها بيان بعض مفردات هذا الفضل ، فأبان الله عزّ وجل أنّ تسييح الجبال ، وحشر الطير و تسييحها معه من هذا الفضل الذي منحه إِيَّاه ، وأضاف مع ذلك قضيتين . . . " ² .

و الأمثلة في تطبيق هذه القاعدة كثيرةٌ جدًّا ، و للمؤلّف رحمه الله في تطبيقه لها تميّزٌ درجّ عليه وهو أفرادها بملحق في كثيرٍ من الأحيان ، وهذه الملاحق موزّعةٌ في نهاية تفسير السور .

1 - نفسه : 3 / 665-666 .

2 - معارج التفكير و دقائق التدبّر : عبد الرحمن الميداني، 3/652 .

5 - تطبيق قاعدة " حول النظر في ملاءمة الأسلوب البياني للهدف منه " ¹ :

رأينا في هذه القاعدة أنَّها تتعلَّق بإدراك المتدبِّر للتلاؤم بين أساليب الكلام و بين الأهداف منها ، أو الوضع العام للمخاطب ، لأجل ملامسة المعنى البلاغي الدقيق المراد من النص ، وقد مرّت بنا عدّة أوجه من هذا الإدراك لمقتضيات أساليب الكلام التي منها : أسلوب العرض المباشر للفكرة أو غير المباشر كالتعريض ، و التلميح ، أسلوب ، أسلوب الإيجاز ، أسلوب الترغيب و الترهيب ، الرقة و اللين ، العاطفي أو الإقناع الفكري . . ، و المؤلف كما رأينا لم يمثّل في كتابه (قواعد التدبّر) بأيّ مثال ، و لكن عند تصفّح تفسيره (معارج التفكير) يلحظ المطالع أنّهُ عامرٌ بتطبيق هذه القاعدة لكثرة الأساليب و ضروب الخطاب في القرآن الكريم ، و المؤلف له نفسٌ طويلٌ في رصد و تحليل ما يترتّب على جميع ذلك من أغراض و فوائد بلاغية . من ذلك :

قوله في تفسير قوله تعالى : [أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ] (ق : الآية 15) : " لقد التبس عليهم الأمرٌ بالنسبة إلى خلقٍ جديدٍ على الرغم من مساواته للخلق الأول مساواة تامة ، و على الرغم من أنّ المنطقية العقلية تفرض أن لا يكونَ لديهم أيّ لبس من خلقٍ جديدٍ مُساوٍ للخلق الأول . و هذا الاستدلال استدلالٌ برهاني لا سبيل إلى ردّه أو نقضه . . فجاء فيه عرضٌ هذا الاستدلال نفسه بأسلوب السؤال الذي ينتزع الاعترافَ و يدلُّ على لوازمه العقلية ، وهو الطريقة المثلى للمناظرة التي يُرادُ بها الوصول إلى الحقّ و الاعترافُ به ، لا الممارأةُ بالباطل القائمة على السفسطات و المغالطات " ² . فهذا من تطبيق القاعدة دون التصريح بها ، و فيه كشفٌ لملاءمة أسلوب السؤال لانتزاع الاعتراف من خلال الدلالة على اللوازم العقلية ، وهذا أفضل ما يكونُ في المناظرة التي يُرادُ منها الوصول إلى الحق .

1 - قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 499 ، وهي القاعدة الحادية و العشرون في الكتاب .

2 - معارج التفكير و دقائق التدبّر : عبد الرحمن الميداني ، 3/83.

و في تفسير قوله تعالى: [**وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ**] (ق : الآية 19) ، يقول المؤلفُ كاشفًا عن الحكمة البلاغية من استعمال أسلوب التعبير بالماضي: " و نلاحظ في هذا البيان استعمال الفعل الماضي في عبارة [**وَجَاءَتْ**] مع أنَّ المخاطب بالنص وهو المكذَّبُ بيوم الدين ما يزال يعيشُ في الحياة الدنيا ، لم تأت سكرَةُ الموت بعد . و الحكمة البلاغية الداعية لهذا هي الدلالة على أنَّ الأمر متحقق الوقوع ، حتى كأنه قد وقع فعلاً و انقضى ، و يضاف إلى هذا ملاحظة أنه قد وقع فعلاً نظيره لمن سبق موته نزول النص من الناس ، وهو سيقع لسائرهم حتى آخر إنسانٍ في الأرض"¹

و في تفسيره لسورة البلد تحدَّث رحمه الله عن لطيفة تربوية مستخرجة من تنوع الأساليب عبر السور ، وهي و إن كانت فيها مقارنة بين مواضع من نجوم التنزيل و لكنها مناسبة للذكر في إطار هذه القاعدة لما تضمَّنته من كشف الفائدة التدبرية لاختلاف الأسلوب :

قال رحمه الله : " تحدَّث الله بشأن المكذَّب بيوم الدين لإقناعه في سورة (التين/95 مصحف/28 نزول) بأسلوب الحديث مع المخاطب ، فقال تبارك و تعالى فيها موجَّهاً له الخطاب : [**فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ (7) أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ**] (التين : الآية 7-8) . ثمَّ تحدَّث عن المكذَّب بيوم الدين بأسلوب الحديث عن الإنسان بوجه عام في سورة (القيامة /75 مصحف/31 نزول) فقال الله عز وجل فيها : [**أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ (3) بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ (4) بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ]** (القيامة : الآية 3-5) . ثم واجه المكذِّبين بيوم الدين بأسلوب الخطاب في سورة (المرسلات/77 مصحف/23 نزول) فجاء فيها : [**إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعَ (7)]** ، [**أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (20)]** . ثم تحدَّث الله عز وجل عن المكذِّبين بيوم الدين بأسلوب الحديث عن الغائبين في سورة (ق/50 مصحف/34 نزول) إعرافاً عن مواجعتهم في الخطاب ، فجاء فيها [**بَلْ عَجِبُوا ،**

[فَقَالَ الْكَافِرُونَ] ، [بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيحٍ] . ثم تحدّث عن المكذب بيوم الدين المنكر له بأسلوب الحديث عن الغائبين إعراصًا عن مواجهته بالخطاب ، فيما اشتملت عليه سورة (البلد /90 مصحف/35 نزول) ، ولا يخفى ما في أسلوب مواجهة المكذب بيوم الدين في المرحلة الأولى ، من تكريم وتأييس ، ثم ما في أسلوب الحديث عن المكذبين الغائبين بالجمع ، أو المكذب الغائب بالإفراد ، من حكم تربويّة جليلة يدركها أهل الفطنة¹ .

6 - تطبيق قاعدة " حول البحث عن الوجوه البلاغية والغرض الفكري من الصور البلاغية في القرآن المجيد"² :

إذا كانت القاعدة السابقة تبحث في مناسبة الأسلوب في النصّ للهدف العام المقصود منه ؛ فإنّ هذه القاعدة أوسع من حيث بحثها عن الوجوه البلاغية في النصّ كصورة من صور الإبداع لكن لاستجلاء الغرض الفكري من تلك الصورة البلاغية والإعجاز البياني لا لمجرد النظر في الصورة البلاغية البديعة فقط .

ولمّا كان الإعجاز البلاغي أظهر أنواع الإعجاز في كتاب الله ، في جميع الصور من المعاني و البيان والبديع ؛ فقد ظهر للمؤلف في تطبيق هذا الباب و الكشف عن مفرداته نقسٌ طويلٌ و إبداعٌ يلحظه كلٌّ من تعامل مع تفسير (معارج التفكير) ، فالمواضع أكثر من أن تحصى اختار منها ما يلي :

قوله في تفسير قوله تعالى : [فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ (49) كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ (50) فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ] (المذثر : الآية 49-51) : " إنّ أمرَ المعْرِضِينَ النافرين لأمرٌ يُثِيرُ بِالْعَجَبِ وَ الاسْتِنكَارِ وَ الازدراء . ما لهم نافرين تُفِرَّة حُمُرٍ وَ حَشِيَّةٍ خَوْفًا مِنَ الْأَسَدِ أَوْ جَمَاعَةِ الْقَنَاصَةِ الرَّمَامَةِ ، مع أنّ المعروضَ عليهم بيانٌ كلامي ، يُطلبُ منهم أن يفهموه و يعوّه و يضعوه في ذاكرتهم إن شاءوا للانتفاع به إذا أرادوا ؟"³ .

1 - معارج التفكير و دقائق التدبّر : عبد الرحمن الميداني، 212-3/211 .

2 - قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني، ص 503 ،وهي القاعدة الثانية و العشرون في الكتاب .

3 - معارج التفكير و دقائق التدبّر : عبد الرحمن الميداني، 1/147 .

و بعد أن استفسر رحمه الله هذا الاستفسار؛ كشف مناسبة هذه الصورة الإبداعية للغرض منها فقال: " إنَّ في هذا التشبيه لإبداعًا عجيبًا ، فالمُشَبَّه نافرثٌ من الحُمُرِ الوحشية ، وللحمار في التشبيه معاني الغباء و ضعف الإدراك ، لكنَّ هذه الحمر أحسنُّ حالًا فهي تنفر من قسورة ، ومن حقها أن تنفر منه ، لكن النافرين من دعوة الحق الربَّانيَّة نافرون من تذكيرة لا يليقُ بهم أن ينفروا منها ، إنَّ هذا لأمرٌ بالغ العجب ، لدى أولي الألباب " ¹ . فهذا التحليل منه رحمه الله يكشفُ عن وجه الملاءمة خاصَّةً و أنَّه وجه تشبيه ، و التشبيه من أشهر الصور البلاغية ، و المعنى : لا داعي لنفرتهم إلا إذا كانوا كالحمير لا يفرِّقون بين التذكرة القائمة على الفكر و العلم و المنطق و البرهان ، وبين الافتراس الذي يفعله الأسد ، فليست هذه الصورة مجرد صياغةٍ فنيَّة فيها معنى التشفيِّ بهم .

و قال رحمه الله في تفسير قوله تعالى: [وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ] (الكهف: من الآية 56) : " الإدحاضُ الإزلاقُ عن مكان الثبات في المزالق إلى مكان موجِلٍ لا ثبات فيه ، و استُعيرَ فعلُ يُدْحِضُ للدلالة به على معنى إخراج المُحاوِرِ من الحقِّ الذي هو عليه إلى اعتقادِ الباطلِ حقًّا ، و المعنى : الذين كفروا يُجادلون دُعاةَ الحقِّ و المؤمنين بالباطل من المذاهب و الأفكار و الأكاذيب و زُخرف الأقوال ، لِيُزْلِقُوا الحقَّ في مزالق الشُّبُهات و التليسات ، فيزيلوه عن مواقع ثباته في قلوب المؤمنين به " ² .

و قال في تفسير قوله تعالى: [وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ] (النحل : الآية 112) : " استُعيرَ فعل (أذاق) للدلالة على الإحساس الشديد بألم الجوع و ألم الخوف ، إذ حاسَّةُ المذوقِ أشدُّ المواضع إحساسًا بما يلامسها ، و أطلق المذوق علي القرية و المراد أهلها ، وهو من إطلاق المحلِّ و إرادة الحال فيه ، و استُعيرَ اللباسُ للدلالة على أنَّ الجوعَ كان الإحساسُ

1 - معارج التفكير و دقائق التدبُّر : عبد الرحمن الميداني، 1/147 .

2 - نفسه : 13/410 .

به إحساسًا شاملاً لجسد كل واحد منهم ، كشمول اللباس السائب ، و للدلالة على أن الخوف كان الإحساسُ به إحساسًا شاملاً أيضًا " ¹ .

فكشف المؤلفُ بهذا التحليل البلاغي الرائع فوائد فكرية تدبرية تزيدُ النصَّ وضوحًا من خلال توضيح تلك الصورة البلاغية الإبداعية المتعلقة بدلالة " الذوق " و " اللباس " .

7 - تطبيق قاعدة " حول الاستغناء في الأداء البياني بتعبيرات مختلفات موزعات على الأشباه والنظائر للدلالة على التكامل البياني فيما بينها وطردها استعمالها في سائرهما " ² :

مرّ معنا في الجزء النظري للقواعد أن هذه القاعدة تدورُ هي أيضًا في فلك كشف دلالات الأداء البياني القرآني الرائع ، من خلال تخلص النصوص من التكرير في طريقة الكلام عن الوجوه و الأشباه و النظائر بتوزيع التعبيرات في النص الواحد على أشباهه و نظائره لتحقيق التكامل و لمامسة الحكم التدبرية المختلفة من تطبيق هذا الصنيع ، فكرية أو تربوية أو إصلاحية .

و لقد أبدع المؤلف رحمه الله في تطبيق هذه القاعدة بالتصريح و بعدم التصريح ، و كشف عن الفوائد التدبرية التي يستفيدُها المتدبر في ذلك . و المواضع كثيرةٌ اختار منها ما يلي :

من ذلك ما كتبه المؤلف في شرح قول الله تعالى : [**وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (84) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ (85) وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ (86) وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ] (الأنعام : آية 84-87) ، قال : " و جاء في النص الذي تتدبره من سورة (الأنعام) عقب ذكر (اسماعيل ، و اليسع ، و يونس ، و لوط) قول الله عز وجل [**وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ**] أي وكلًا فضلنا على**

1 - نفسه : 13 / 660 .

2 - قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 515 ، وهي القاعدة الثالثة و العشرون في الكتاب .

العالمين ، إذ وجدناهم مستحقين لهذا التفضيل ، وهذا التفضيلُ ينسحبُ على كلِّ الرسل الذين سبق ذكرهم في هذا الدرس ، وعلى سائر الرسل إذ هم جميعاً مفضلون على العالمين من غير المرسلين ، فقد اصطفاهم الله عزَّ وجل بالنبوة و الرسالة . و لحكمة ما دَكَرَ اللهُ عزَّ وجل الرَّسُلَ السبعة عشرَ الذين سبق الحديثُ عنهم في هذا الدرس مقسِّمين إلى ثلاثة أقسام ، ووصف القسم الأول بأنهم مهديون ، و أنهم محسنون ، ووصف القسم الثاني بأنهم من الصالحين ، ووصف القسم الثالث بأنه فضَّلهم على العالمين ، **مع أننا ندركُ ذِهناً أنهم جميعاً متَّصفون بكل هذه الصفات ، وكذلك سائر المرسلين** " 1 .

ثم شرع رحمه الله يبيِّن ارتباط ما قاله بهذه القاعدة التدبيريَّة ، فقال : " و أقول : إنَّ هذا التقسيمَ دَعَت إليه فنيَّةُ تجزئة الأسماء التي يراؤُ ذكرُها على التوالي ، مع توزيع الصفات على الأقسام ، التي يشتركون فيها جميعاً ، ليتركُ لِدِهْن المتدبِّر إدراكُ تعميمها على الجميع قياساً ، وهذا أحد أساليب القرآن الفنيَّة الجميلة " 2 .

ومن ذلك أيضاً قوله رحمه الله وهو يشرحُ قولَ الله تعالى : [تَبَصَّرَةٌ وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ] (ق : الآية 8) : " . . فما أبدع هذا البيان ، وما أوجزه ، و أكثره دِقَّةً و عُمقاً و امتداداً . و تطبيقاً لأسلوب التكامل البياني في القرآن نستطيع ان نقول : إنَّ كلَّ نصٍّ قرآني جاء فيه عرضُ آيةٍ أو أكثر من آيات الله في كونه يصلحُ لأن يُقالَ في آخره [تَبَصَّرَةٌ وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ] فأيرادُهُ في نصٍّ منها يُغني عن إيراده في سائرها ، ولكن لا نجعله قرآناً يتلى ، وهذا من بديع الإيجازِ في القرآن القائم على التكامل البياني " 3 .

وهو ما رصدَهُ رحمه الله وهو يشرحُ قوله تعالى : [رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَخْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ] (ق : الآية 11) ، قال بعد شرح الآية : " و تطبيقاً لأسلوب التكامل البياني في القرآن المجيد ، نستطيع أن نقول : إنَّ كلَّ نصٍّ قرآني جاء فيه

1 - معارج التفكير و دقائق التدبِّر : عبد الرحمن الميداني ، 11/325 .

2 - نفسه : 11/325 .

3 - نفسه : 58 / 3 .

عرض ظاهرة أو أكثر من مما فيه رزقُ هَيَّأَهُ اللهُ لعباده في الأرض ، يصلحُ لأن يُقال في آخره [رِزْقًا لِلْعِبَادِ] كما جاء في هذا النصِّ قياسًا مطرِدًا دون أن نجعله قرآنًا يُتلى ، لأنَّ إيرادَه في نصٍّ منها يُغني عن إيرادَه في سائرِها " ¹ .

8 - تطبيق قاعدة " **حول التنوع في أساليب الأداء البياني** " ² :

أشار المؤلفُ في هذه القاعدة إلى ضرورة رعاية المتدبّر لكلام الله تعالى التنوع الوارد في الأساليب البيانية في النصِّ القرآني ، مع ملاحظة الأهداف و الأغراض التدبّرية التي ينبغي أن يلاحظها المتدبّر لكلام الله تعالى من الجمال الفنّي ، و التناسب مع المضامين الفكرية أو البلاغية إلى غير ذلك ³ .

ومن خلال تتبّع ما سار عليه المؤلف في تطبيق هذه القاعدة وجدته يعتني اعتناءً خاصًا بالمجال البياني في تطبيقات التدبّر و من ذلك الكشف عن وجه الارتباط بين أسلوب العرض و المضامين التي يفيدُها النص ، اختارُ من تطبيقاته تلك ما يلي :

عند تفسيره لقوله سبحانه و تعالى : [قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ] (ق: الآية 4) ، قال رحمه الله : " و نلاحظُ هنا في هذا الدرس أنه قد اشتمل على دفع توهم من توهمات المنكرين للبعث ، دون ذكر لهذا التوهم ، لأنَّ دفع التوهم يُشعر بوجوده في خواطر المنكرين و خواطر نفوسهم ، سواء عبّروا عنه بأقوالهم أم لم يعبّروا ، وهذا من بديع الإعجاز في القرآن الكريم . و نجد نظيره في الإجابة على سؤال غير مذكور في اللفظ ، و في حلِّ إشكالٍ غير مذكور في اللفظ أيضًا ، إلا أن الموضوع يستدعي ذلك ، فمن الجليّ في أساليب القرآن المجيد الرائعة التي يدركها المتدبّر اللّماح أنّ التصّ القرآني قد يدفعُ توهمًا ، أو يحلُّ إشكالًا ، أو يجيب على سؤال ، دون ذكر الشيء الذي يعالجه النصّ ، إيجازًا في العبارة ، و اكتفاءً بدلالة المعالجة عن ذكر المدّاعي إليها، و

1 - نفسه : 3/62 .

2 - قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 529 ، وهي القاعدة الرابعة و العشرون في الكتاب .

3 - قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 529 .

اعتمادًا على ذكاء أهل التدبّر الأكفاء " ¹ . فانظر كيف كشف عن السرّ البياني لهذا الأسلوب وهو الإيجاز في العبارة ، مع تناسّب المضمون لجرعة العلاج وهو " الاكتفاء بدلالة المعالجة عن ذكر الدّاعي إليها " ، وهذا مما يجعل النصّ بعباراته القليلة يحمل دلالات تدبّرية كثيرة يستنبطها المتدبّر لكلام الله البليغ .

وعند تفسيره لقوله تعالى : [**لَا أُفْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ (1) وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ**] (البلد : الآية 1-2) ، يكشفُ رحمه الله عن سرّ أسلوب نفي القسم [**لَا أُفْسِمُ**] و تكرار عبارة " بهذا البلد " في الآيتين و وجه ارتباط هذا الأسلوب البياني بالمضمون التدبّري فقال : " و جاء في هذا النصّ تكرير عبارة [**بِهَذَا الْبَلَدِ**] في الآية الثانية لأمرين : الأول : التناسُق الجمالي بين الآيتين الأولى و الثانية . و الثاني : التنبية على أنّ المشركين استحلوا الحُرمة العظيمة لهذا البلد ، بإيذاء رسول الله فيه ، و اضطهاد المذنبين آمنوا به و اتبعوه ، فعبارة [**بِهَذَا الْبَلَدِ**] في الآية الثانية تُشعرُ بعظم حُرْمَتِهِ بعد تعيينه و تمييزه في الآية الأولى ، فالمعنى و أنتَ رسولي العظيم حلٌّ بهذا البلد العظيم الذي لا يجوزُ أن يكون أحدٌ من الناس العاديين فيه حلاً ، فكيف برسولي العظيم ؟! " ² . فناسَبَ استخدامُ هذا الأسلوب نفي القسم [**لَا أُفْسِمُ**] مع تكرير [**بِهَذَا الْبَلَدِ**] تحقيق أغراض متنوّعة منها التي أشار إليها المؤلف من تعظيم البلد ، و تعظيم قدر محمد صلى الله عليه و سلم و تكريمه .

وعند تفسيره لنصوص قرآنية بشأن اقتراب الساعة و المقارنة بين تلك النصوص؛ قال رحمه الله في قوله تعالى : [**وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ**] (الشورى : الآية 17) : " جاء التعبيرُ هنا عن اقتراب السّاعة بأسلوبٍ طرح احتمالَ قُرْبِهَا ، الذي يُرادُ به الإعلامُ بقُرْبِهَا **بأسلوبٍ فنيٍّ أدبيٍّ ، مُقدّم بصيغة سؤالٍ** ، أي : و أيُّ شيءٍ يجعلُ تدري أنّ السّاعةَ غيرُ واقعة أيها المكذّبُ بها ، أو أنّها بعيدةُ الوقوع ، إنَّكَ لا تملكُ أيُّ دليل ، و إذا كان الأمر كذلك فالاحتمالات سواء بالنسبة إليك ، و من البصيرة العقلية الاحترازية أن تضع نُصب عينيك احتمالَ قرب وقوعها لتتخذَ جذرك ، و تبادِرَ إلى ما في يقينك من

1 - معارج التفكير و دقائق التدبّر : عبد الرحمن الميداني ، 3/27 .

2 - معارج التفكير و دقائق التدبّر : عبد الرحمن الميداني ، 180-3/181 .

عذاب الله الذي يُمكنُ أن يواجهك بعدها ، إذا قدّمت أو أخّرت ما يُفضي بك إليه . وهذا الأسلوب الاستفهامي التعجبي أسلوب بارعٌ بديعٌ من طُرُق الإقناع بتوقّي عقاب الله يوم الدّين " ¹

9 - تطبيق قاعدة " حول البحث عن أغراض الاختلاف في التعبير في مختلف النصوص " ² :

هذه القاعدة التدبّريّة كما رأينا قريبةً المعنى جدًّا من القواعد السابقة قريبًا في فائدة التنوع في الأساليب البيانية في النصوص القرآنية و أثرها في التدبّر ، و هاهنا بيّن المؤلف ضرورة التأمل العميق الدقيق لاستبانة دلالات مقصودة تدل عليها التعبيرات المختلفة حتى في الحرف القرآني ، تكون زائدةً على مجرّد التنوع في أسلوب التعبير .

والأمثلة التطبيقية التي تدلّ على هذه القاعدة أكثر من أن تُحصّى في تفسير (معارج التفكير) ، وقد ظهر لي أنّ المؤلف رحمه الله له عنايةٌ خاصّةٌ جدًّا بهذا المجال البياني ، لما وهبه الله تعالى من رسوخ فيه ، مع ذكاء و دقّة تأمل واضحين لمن تتبّع مستخرجاته التدبّرية . و أشير إلى بعض هذه المواضع :

من ذلك ما كتبه في تفسيره لسورة الفاتحة في (ملحق نظرات تدبّرية حول ما جاء في القرآن من كلمة " صراط ") ، قال في استعمال الفعل المضارع في قوله تعالى : [وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا] (الفتح : من الآية 2) : " هنا يراد سؤال وهو : ألم يسبق أن هدّى الله رسوله محمّدًا صلى الله عليه و سلم الصراط المستقيم ، فهذا النصُّ من سورة الفتح وهي من أواخر ما نزل من القرآن إذ لم ينزل بعدها إلا المائدة و التوبة و النصر ؟ . و أقول في الجواب : إنّ الصراط المستقيم له بداياتٌ و أوساطٌ و أواخر ، فمن سلك في أوائل الصراط المستقيم ، وهو مؤمنٌ صادقٌ يستعين بالله و يُخلصُ له في العبادة ، أعانه الله بالبيان و التوفيق و التسديد على متابعة سلوكه على الصراط المستقيم بمقدار التزامه

1 - نفسه : 327-3/328 .

2 - قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 535 ، وهي القاعدة الخامسة و العشرون في الكتاب .

به . ومن تابع مسيرته على الصراط المستقيم في أواسطه أعانه الله بالبيان و التوفيق و التسديد حتى يصل إلى قرب أواخره ، بمقدار التزامه به . و من قارب نهاية حياته سائرا على الصراط المستقيم أعانه الله بالبيان و التوفيق و التسديد على متابعة سلوك الصراط المستقيم ، بحسب مرتبته عند ربّه ، حتى يلقي ربّه وهو على صراطه . ثم يمرّ على الصراط يوم الدّين مرورا تكون سرعته فيه على مقدار التزامه بصراط الله في رحلة امتحانه في الحياة الدّنيا " 1 .

فهذا الذي أشار إليه المؤلّف من دقيق التدبّر الذي فتح الله به عليه و هو يبحث عن وجه الارتباط بين استعمال الفعل المضارع في تحقيق معنى تجدّد الهداية على الدوام و أنّه لا استغناء لأحد عن مدد الله في ذلك و لطائفه أبداً .

و هو ما ذكره في تفسيره لقوله تعالى [وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَعَايِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا] (الفتح : الآية 20) ، قال رحمه يبيّن وجه استعمال الفعل المضارع في تحقيق معنى تجدّد الهداية على الدوام : "أي و ليذلّكم و يعينكم و يوفّقكم على معرفة مالم تسلكوه بعد من الصّراط المستقيم ، و يسدّدكم حتى تلازموه في مستقبل أمركم ، إذا صدقتم مع الله ، و أخلصتم له العمل . إنّ الصراط المُستقيم صراط ذو مراحل متعدّدة ، فمن اجتاز مرحلة منه مهدياً كان بحاجة إلى معونة من الله بالبيان و التوفيق و التسديد حتى يقطع المرحلة التالية مهدياً مسدّداً " 2 .

فهذا يدلنا على أنّ المؤلّف رحمه الله منتظمٌ مُسدّدٌ في تطبيق هذه القاعدة مُستصحبٌ لها في نظراته التدبّريّة كلها .

10- تطبيق قاعدة "حول رعاية فواصل الآيات اهتماما بالنسق اللفظي" 3 :

رأينا في الجزء النظري أنّ الفاصلة في القرآن هي جزء من الآية، وعنصر تعبيرى متميز، ولها دلالة معنوية تتعلق

1 - معارج التفكير و دقائق التدبّر : عبد الرحمن الميداني، 1/371 .

2 - معارج التفكير و دقائق التدبّر : عبد الرحمن الميداني، 1/372 .

3 - قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 557 ، وهي القاعدة السابعة و العشرون في الكتاب .

بالمعنى و المضمون ، سواء اكتمل عندها المعنى المراد أم لم يكتمل ، وهذا مما يجب أن يعتني به المتدبر لكلام الله ، فقد يكون ما بعد الفاصلة مرتبطاً بما قبلها ارتباطاً فكرياً .

و المؤلف رحمه الله من خلال تتبعي لتطبيقاته لهذه القاعدة في تفسيره تبين لي أنه يركّز تركيزاً جيّداً لإبراز وجه الارتباط الفكري عندما يتعلق ما بعد الفاصلة بإتمام المعنى ، المؤلف لم يغفل عن تدبر هذا ولا عن الإشارة إليه حتى على مستوى كتابة الآيات أو الدرس المراد شرحه ، فإنه يكتب ما يتصل فيه المعنى بعضه ببعض بشكل دقيق ، وبالتالي فقد أحسن و أبدع تطبيق هذه القاعدة ، ولكنه كما قلت في غالب أمره لا يشير إلى القواعد و إنما يطبقها دون الإشارة إلا إلى جزء يسير مما يتعلق بمضمونها .

فمن ذلك في تفسيره لقوله تعالى : [كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (38) إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ] (المذثر: الآية 38-39) شرحهما رحمه الله معاً ، وجمع بينهما في الشرح في سياق واحد متتابع حتى يتأكد المعنى المقصود لأنه متكامل . قال رحمه الله : " كل نفس مكلفة كاسبة لأعمالها باختيارها الحُر، مسؤولة عند الله عما كسبت لمحاسبتها و مجازاتها ، ستكون محبوسة بما كسبت يوم الدين في دار العذاب النار حسناً أبدياً لا نهاية له ، باستثناء أصحاب اليمين ، وهم الذين ماتوا على إيمان صحيح مقبول عند الله، فإن من يجازى منهم بالدخول في دار العذاب لا يكون سجنه فيها أبدياً، ولا يستمر رهيناً فيها إلى ما لا نهاية له " ¹ .

فرغم أن النسق اللفظي لرسم الفاصلة جعل الآية الأولى تنتهي عند كلمة [رَهِينَةٌ] ؛ إلا أن المعنى موصول ، فلذلك أثر المؤلف شرح الآيتين معاً شرحاً يبين هذا الاتصال و يخدمه .

وهو ما فعله أيضاً مُستمراً في تفسير الآيات التي بعدها : [فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ (40) عَنِ الْمُجْرِمِينَ] (المذثر: الآية 40-41) شرحهما رحمه الله معاً ، وجمع بينهما في الشرح في سياق واحد متتابع حتى يتأكد المعنى المقصود لأنه متكامل .

ومن التطبيقات الدّقيقة لهذه القاعدة ما كتبه المؤلّف في التّدبر التحليلي للدرس الأول من دروس سورة (القمر) ، فقد كتبَ درسَ الآياتِ رحمه الله هكذا : [اقتربت الساعةُ وأنشأَ القمرُ (1) وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ (2) وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ (3) وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُرْدَجَرٌ (4) حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ التُّذُرُ (5) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ] (القمر: الآية 1-6) . فأضاف رحمه الله من الآية السادسة عبارة [فَتَوَلَّ عَنْهُمْ] دون بقية كلمات الآية ، ذلك أن هذه العبارة مرتبطة تماماً بما قبلها في الفاصلة :

قال رحمه الله : " هذه آخرُ فقرةٍ من فقرات هذا الدّرس الأول من دروس السورة ، أي : فأدِرْ وجهَكَ عن هؤلاءِ وولهم دُبْرُكٌ ، و انصرف إلى دعوة غيرهم من الذين لم يصلوا إلى حالة ميؤوس منها كحالتهم " ¹ .

فهذه العبارة [فَتَوَلَّ عَنْهُمْ] متصلة المعنى بالفاصلة ، وما بعدها كلامٌ جديدٌ يبين الله فيه مشهداً من مشاهد يوم القيامة ، وقد اقتضى رسم الفاصلة عند [فَمَا تُغْنِ التُّذُرُ] رعايةً للنسق اللفظي ، ولكن المؤلّف تطبيقاً لهذه القاعدة التّدبرية أثبت الدّرسَ المشروح في السورة على ما يكتمل به المعنى ، وهذا من دقيق التصرّف .

11- تطبيق قاعدة " حول ضرورة البحث في معاني الكلمات القرآنية بحثاً علمياً لغوياً " ² :

هذه القاعدة من أوسع القواعد تنظيراً و تطبيقاً لدى المؤلّف ، فقد سبق معنا أنه تجاوز مائة صفحة كاملة في التنظير و التمثيل لها³ ، وما ذلك إلا لأنها من أكثر ما يبني عليه علم التفسير و دلالات كلمات القرآن ، فإن القرآن عربيٌّ مبين يُفهمُ وفق الدلالة العربية للكلمة ، مع رعاية المتدبر للتوسّع في دلالات الألفاظ و المصطلحات القرآنية ، فإنه مؤثّر في الموضوع كما سبق في القسم النظري.

1 - نفسه : 3/345 .
2 - قواعد التّدبر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 317 ، وهي القاعدة السادسة عشرة في الكتاب ، وهي أول القواعد المتعلقة باللغة و دلالات الألفاظ والتراكيب .
3 - أخذت من الكتاب أكثر من مائة صفحة ، (من ص 317 إلى ص 428) .

و لدى تتبّعي لتطبيق المؤلف لهذا القاعدة في كتابه (**معارج التفكير**) لمست أنه أبدع في هذا التطبيق إبداعاً مُتَقَنًا يُشكّرُ عليه حقاً ، وجاءَ تطبيقُهُ على طريقتين :

الطريقة الأولى : حيثُ جعل هذا الأمر - البحث في معاني الكلمات - خطوةً أساسيةً بالنسبة إليه ، قبل أن يُمرَّ إلى تفسير الآيات ، مع أنه لا يشير رحمه الله إلى المصادر كما رأينا في استقراء منهجه ، إلا نادراً .

الطريقة الثانية : كتابة مباحث منفصلة أو ملاحق مستقلة في معنى بعض المصطلحات في القرآن الكريم ، مما يجعل من تلك المباحث دراسات رائعة في التفسير الموضوعي (المصطلح القرآني) .

فمن الطريقة الأولى أرضُ مايلي (و النماذج أكثر من أن تُحصَر) :

قوله رحمه الله في ضبط معنى الفلق في اللغة : " الفَلِقُ يُطْلَقُ عَلَى اللِّغَةِ عَلَى وَاحِدِ الْفُلُوقِ ، وَهِيَ الشَّقُوقُ . وَ الْفَلِقُ بِسُكُونِ اللَّامِ هُوَ الشَّقُّ الَّذِي هُوَ الْحَدِثُ ، وَهُوَ مُصَدَّرُ فَلَاقِ الشَّيْءِ فَلَقًا أَيْ شَقَّهُ . وَ يُطْلَقُ الْفَلِقُ بِفَتْحِ اللَّامِ عَلَى مَا نَفَلَقَ مِنْ عَمُودِ الصَّبْحِ . وَ يُسَمَّى الْخَلْقُ فَلَقًا بِسُكُونِ اللَّامِ ، وَعَلَى هَذَا فَالْفَلِقُ بِفَتْحِ اللَّامِ هُوَ الْمَفْلُوقُ ، أَيْ : الْمَخْلُوقُ ، فَرَبُّ الْفَلَقِ هُوَ رَبُّ كُلِّ مَخْلُوقٍ " ¹ .

ثم أخذ رحمه الله في إثبات مناسبة هذا المعنى الأعمّ الأشمل للمراد من خلال استقراء الظواهر الكونية و سنة الله في الخلق و أنها قائمة على الفلق في الأحياء و في الفلك و في كل شيء ، وهذا الاستنتاج التدبري راجع إلى إتقان البحث العلمي اللغوي لكلمة (الفلق) وهو موضوع القاعدة .

ما كتبه المؤلف في تفسير قول الله سبحانه و تعالى : [**إِلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أُنْجِيحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**] (فاطر : الآية 1) ، قال : " (جاعل) اسم فاعل من فعل (جَعَلَ) : أي : فعل ، أو عَمِلَ ، أو صَنَعَ ، و يأتي فعل (جعل) بمعاني صَيَّرَ ، و ادَّعَى ، و اعتَقَدَ ، و حَكَمَ ، و قضى ، و قَدَّرَ . وهو بمعنى (فَعَلَ) أو (عَمِلَ) . . فالجَعْلُ

اسم جنس يشمل أحداثٍ شيءٍ ما ، ومن الإحداثيات أعمال الخلق و الإبداع على غير مثال سبق ، ومنها أمورٌ أخرى مادية أو معنوية ليست من قبيل الخلق و الإبداع " ¹.

ومن ذلك أيضًا بحثه رحمه الله في المعنى اللغوي للغاسق، قال : " تدورُ مادَّةُ (غسق) حول معنيين هما: انصبَّ ، و أظلم . يقولون : غسقَ اللَّيْلُ من الصُّرْعِ غسَقًا ، أي : انصبَّ انصبًّا . و غسقت السَّمَاءُ تغسِقُ غسَقًا و غسَقَاتًا إذا انصبَّت مطرًا . ومنه قول عمر رضي الله عنه : " حينَ غسَقَ الليلُ على الطراب " أي : حين انصبَّ الليلُ على الجبال . و يقولون غسَقَ الليلُ يغسِقُ غسَقًا و غسَقَاتًا ، و أغسَقَ إغساقًا ، أي : انصبَّ و أظلم . و غسَقُ الليلِ ظلمتُهُ، وقيل : أوَّلُ ظلمته . فالغاسِقُ : هو المنصبُّ أو المُظلمُ " ².

ثم شرح معنى كلمة (وقب) لأنه سوف يبنى عليها استنتاجًا تدبريًا رائعًا ، فقال : " الوقبُ الكَوَّةُ، و تُقْرَةُ في الجبلِ يجتمعُ فيها الماءُ ، و الثقبُ الذي يدخلُ فيه المِحورُ ، و كلُّ حفرةٍ ، أو تُقْرَةُ أو ثقبٍ ، يُمكن أن يدخلَ فيه شيءٌ ، في صخرةٍ أو أرضٍ أو خشبيةٍ أو جسم حيوانٍ أو غير ذلك " ³.

و قد استطاع من خلال هذا الاستقراء اللغويِّ الدقيق أن يضع يده على دلالة تدبرية عالية لا يمكن الوصول إليها تنزيلاً على الواقع إلا إذا رصدَ المتدبِّرُ المعنى اللغوي الأصيل لكلمة (غسق) :

قال رحمه الله : " وقد جاءَ تخصيصُ المُظلمِ بهذه الاستعاذة لأنه يدخلُ دونَ أن يُرى ، فلا يستطيعُ الناسُ اتِّخاذَ الوقاية العامة منه ، و قد كشفنا بوسائل العصر الحديث أن الجراثيمَ و الميكروبات الضَّارة مُظلمة لا نراها ، لصِغَرها ، و تدخلُ في أوقابِ الأحياءِ ، فالفتحاتُ الظاهرات ثقوبٌ تدخلُ منها ، ومسامثُ الجسدِ في الحيوان هي الثقوبُ الصغيرةُ التي ترشحُ ، وقد تدخلُ منها الجراثيم بالاحتكاك ، فتتولدُ منها الأمراضُ و الأسقام ، فكلُّ ثقبٍ و قبٍ ، و جمعُ وقبٍ أوقاب . . الفمُ و قبٌ ، و المنخران و قبان ، و سائرُ

1 - معارج التفكير و دقائق التدبُّر : عبد الرحمن الميداني، 28-7/27 .

2 - نفسه : 2/31 .

3 - نفسه .

فتحات الجسد أوقاب ، و الحشرات و الهوام و الميكروبات و الجراثيم الصّارة و غيرها وكثير مما خلق الله غاسقات تدخل في الأوقاب ، فتأتي الناس بشرّ ، ومما يدخل في الأوقاب أصناف من الجنّ قد تدخل في أجساد الناس ، فيصيب الناس منها شرور و أنواع من الصّر و الأذى " ¹ .

و من الطريقة الثانية : التي هي كتابة مباحث مستقلة في معنى بعض المصطلحات في القرآن الكريم ، مايلي :

ما كتبه في ملاحق تفسير سورة الفاتحة تحت عنوان (**نظرات تدبرية حول الآيات التي جاء فيها لفظ " الصراط - الطريق - السبيل - المنهاج**) ² ، مما يصلح أن يكون بحثا مستقلا في التفسير الموضوعي للمصطلح القرآني .

وكذلك ما كتبه في ملاحق تفسير سورة الضحى تحت عنوان (**حول إسناد فعل " وَجَدَ يَجِدُ " إلى الله في القرآن**) ³ ، فهو يصلح أيضا لاعتباره من تطبيقات هذه القاعدة وفق طريقة (المصطلح القرآني) .

و كذلك تصلح نتائج استقراءاته رحمه الله للدخول في هذا القسم (المصطلح القرآني) و إن لم يخص لها شيئا مكتوبا، مثال ذلك قوله في كلمة (الفواحش) في شرحه لقوله تعالى [**وَلَا تَقْرَبُوا الْعَوَاجِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ**] (الأنعام : من الآية 151) : " وقد نظرت في الاستعمالات القرآنية لهذه المادة فوجدت أنها تدور حول الكبائر المتعلقة بشهوات الفروج ، و ترجح لدي أن يحمل ما جاء منها مطلقا لم تبيته القرائن على ما جاء منها مبيّنا بالقرائن ، فهي في الاستعمال القرآني مُخصّصة بهذا الإطار من المعاصي اصطلاحًا ، و الله أعلم " ⁴ .

1 - معارج التفكير و دقائق التدبر : عبد الرحمن الميداني، 2/32 .

2 - نفسه : 1/319 - 373 .

3 - نفسه : 1/576 .

4 - معارج التفكير و دقائق التدبر : عبد الرحمن الميداني، 11/472 .

12- تطبيق قاعدة " حول النظر في الألفاظ المتقاربة المعنى أو المترادفة " ⁵ :

رأينا في هذه القاعدة ضرورة إدراك المتدبر لكتاب الله تعالى للتسبب المعنوية المتفاوتة التي ترد عليها الكلمات القرآنية التي يتبادر إلى الذهن أنها مترادفة ، وكلما كان المتدبر أقدر على استبعاد فكرة الترادف عن الكلمات القرآنية كلما تحقق له بموجب ذلك فهمٌ عظيم للمستويات النسبية للموضوع الواحد، والدرجات التي يُقصدُ الإشارة إليها ، بل وأغراض تكرير الفكرة في مواضع قرآنية مختلفة .
و المؤلف أحسن تطبيق هذه القاعدة وهو يفسر النصوص القرآنية ، و أشار إلى الفروق بين الكلمات التي يظهر من ظاهرها الترادف ، و أجاد في بيان ما يترتبُ عليها من دلالات مقصودة.

من ذلك ما كتبه رحمه الله في تفسير قول الله جلّ جلاله : [قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ] (البروج: الآية 4) ، قال : بالتدبر المتأني ظهر لي أنّ هذا المُقسَمُ عليه بالأقسام الربّانية التي بدأ الله عز وجل بها السورة. أي : لعن أصحاب الأخدود لعنا أبدأ ينالون به عذاب الحريق المتجدد في جهنم ، مع أنواع العذاب الأخرى التي جعلها الله في جهنم للكافرين المجرمين الذين يفتنون الناس عن دينهم بالاضطهاد و التعذيب . . جاء عند أهل التفسير تفسير فعل [قُتِلَ] في الآية بمعنى " لعن " ، و اللعن في اللغة هو الطرد ، و الإبعاد ، و السبّ و الشتيمة . و حين يكون اللعن موجّهًا من الله عز وجل ، فهو الطرد و الإبعاد عن رحمة الله . أقول : لكنّ الطرد و الإبعاد لا يستلزمان أن يكونا أبديين ، فقد يُطرد المطرود و يُبعد مؤقتًا لجرم أصابه ، فيُعاد إلى منازل القرب و تشمله دائرة الرحمة الربّانية التي وسعت كل شيء لديه قابلية ما لأن تمطر عليه شآبيب الرحمة ، أما من حجب نفسه بجحوده و جرائمه ، فهو الذي اختار لنفسه أن يحرمها من خيرات رحمة ربّه ، لكن من قُتِلَ فقد حُكِمَ عليه بالطرد و الإبعاد الأبديين ، فمن توجه له عبارة (قُتِلَ) في القرآن فقد نصّ البيان الرباني على أنه

5 - قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 435 ، وهي القاعدة الثامنة عشرة في الكتاب .

مطروودٌ مُبَعَّدٌ أَبَدِيًّا ، عن مدى رحمة الله التي وسعت كلَّ شيء¹.

ثم راح رحمه الله يبيِّن المواظِنَ التي تدلُّ على هذا التفاوت بين (لِعِن) و (قُتِلَ) ، فذكر أنَّ في القرآن الكريم أربعة مواظن جميعها يدل على القضاء النهائي الأبدى، ثم قال : " و بهذا نلاحظ أنَّ عبارة (قُتِلَ) أشدُّ و أبلغُ في الطردِ و الإبعادِ من عبارة (لِعِن) "².

ومما له تعلقٌ بهذا الباب أيضًا ما كتبه في ملاحق تفسير سورة الفاتحة تحت عنوان (**نظرات تدبّرية حول الآيات التي جاء فيها لفظ " الصراط - الطريق - السبيل - المنهاج**)³ ، وقد أوضح فيه رحمه الله أوجه استعمال هذه الكلمات بما يخدم و يناسب الموضوع الذي جاءت فيه ، وإن كان بينها قاسمٌ مشتركٌ هو المعنى العام للمفردة .

ومما له تعلقٌ بهذا الباب أيضًا ما كتبه في (قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله عز وجل)⁴ تحت عنوان (**حول كلمات " القضاء - القدر - الكتابة " استنادا إلى سير دلالات الاستعمالات القرآنية لها**) ، وهو بحثٌ واقعٌ في سبعين صفحة له تعلقٌ كبيرٌ بهذا الموضوع (موضوع الألفاظ المتقاربة) ، وقد تكلم رحمه الله في (**معارج التفكير و دقائق التدبّر**) عن شيءٍ من الفرق الدقيق بين هذه الألفاظ في شرح قوله تعالى : [**وَإِكْتُبَ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ**] (الأعراف : من الآية 156) : قال : " دعاءٌ جاء التعبير فيه عن آخر الأمر الذي يُبَيَّنُّ به المرادُ المقصيُّ تنجيُّه في المستقبل . فالأمرُ من الممكنات يُرادُ ، فيُقَصَّى به ، فيُكْتَبُ ، فيُنْفَذُ حينما يأتي وقتُ التنفيذ . فطلبُ كتابته يتضمَّنُ عن طريق اللزوم الدّهني دعاء بتخصيصه بالإرادة ، فإمضائه و القضاء به ، فكتابته لتنجيزه في حينه "⁵ .

1 - معارج التفكير و دقائق التدبّر : عبد الرحمن الميداني، 359-2/358 .

2 - نفسه : 2/360 .

3 - نفسه : 1/319 - 373 .

4 - قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني، ص 428-359 .

5 - معارج التفكير و دقائق التدبّر : عبد الرحمن الميداني، 4/605 .

13- تطبيق قاعدة " حول تردد النص القرآني بين دالتين أو أكثر " ¹ :

مرّ بنا موضوع هذه القاعدة التدبيريّة و أنّها تبين للمتدبر لكلام الله تعالى المخرّج عند تعدّد دلالات النص القرآني (اللغوية ، العرفية ، الشرعية ، التوسع في المفهوم ، الانتقال من الحسيّات إلى المعنويّات ، ومن المعاني الحادثة إلى المعاني الأزليّة ، أو دلالة مجازية مما استعمله العرب) .
و على مستوى تتبّع تطبيق المؤلف لهذه القاعدة ؛ رأيت أنّه أتقن التعامل مع هذا الاختلاف بحُسن ضبط النصّ على المعنى المناسب المنسجم مع البراهين و القرائن التي يقدّمها في كل تطبيق ، سواء كانت هذه البراهين عقلية ، أو مناسبة السياق ، أو المفاهيم التي تتفق مع النصوص القرآنية أو الحديثية ، وما شابه ذلك . ومن المواطن التي طبّق فيها القاعدة مايلي :

قوله رحمه الله في شرحه لقوله تبارك و تعالى : [وَأَمَّا مَنْ حَقَّ مَوَارِيثُهُ (8) فَأَمُّهُ هَاوِيَةٌ] (القارعة: الآية 8-9) ، :
[فَأَمُّهُ] أي فمستقرُّه الذي سيصيرُ إليه و يستقرُّ فيه ، و المكان الذي يضمُّه و يجمع أمثاله . [هَاوِيَةٌ] اسم من أسماء جهنّم لأنها ذاتُ عمقٍ سحيق ، يهوي الساقطُ فيه . وهذا من إطلاق اسم الفاعل على المكان الذي يحصل الهويُّ فيه " ² .
و بعد أن ذكر معنى الكلمتين أوردَ رحمه الله النصوص التي تشيرُ إلى هذا المعنى :

فقال : " وقد جاء في النصوص بيانٌ أنّ بعضَ المعدّبين في جهنّم يهوون فيها ، في اتّجاه أعماقها : روى البخاري عن أبي هريرة أنّ النبي صلى الله عليه و سلم قال : " إنّ العبدَ ليتكلّم بالكلمة من رضوان الله ، لا يُلقى لها بالاً يرفع الله بها درجات ، و إنّ العبدَ ليتكلّم بالكلمة من سخطِ الله لا يلقى لها بالاً يهوي بها في جهنّم " . وروى الترمذي و ابن ماجه و الحاكم عن أبي هريرة أيضًا أنّ النبي صلى الله عليه و سلم قال : " إنّ الرّجلَ

1 - قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 453 ، وهي القاعدة التاسعة عشرة في الكتاب .

2 - معارج التفكير و دقائق التدبّر : عبد الرحمن الميداني ، 2 / 455 .

ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأسًا ، يهوي بها سبعين خريفًا في النار " ، **وقد ترجح لديّ أن المراد بقوله [فَأُمُّ هَاوِيَةَ] فمستقرُّه جهنم التي تضمُّه و أمثاله** ، لما ثبت في اللغة من أن الأم لكل شيء المجمع و المصم . قال ابن شميل من اللغويين : الأم لكل شيء المجمع و المصم . . و **تفسير [فَأُمُّ] بقولنا : فمُستقرُّه ، هو الملائم لمعنى النصّ هنا فيما أرى** ، وهو أحد المعاني اللغويّة للفظ الأم ، دون تأويل ولا تقديرات ¹ .

وهذا من الترجيح بدلالة اللغة أوّلاً ، و بالنظر إلى مفهوم النصّ النبوي الذي هو قرينة على هذا الاستعمال و الدلالة ثانيًا .

ومن رعاية أصل المعنى اللغويّ في الكلمة و ترجيحه على الدلالات العرفية المختلفة قوله رحمه الله في الملحق الرابع من ملاحق سورة الأعراف (**حول اتخاذ الدين لهوًا و لعبًا و هزواً**) عند الكلام عن قوله تعالى : [مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَآكَثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ] (المائدة: الآية 103) ، قال : " البَحِيرَةُ : البحرُ عندَ العربِ هو شقُّ الأذن ، فالبحيرة هي مشقوقة الأذن، من الأنعام " فَعِيلَةٌ " بمعنى " مفعولة " . وفي البحيرة المحرّمة عند أهل الجاهليّة من العرب ثلاثة أقوال: القول الأوّل : قال الإمام الشافعي : " كانت العربُ إذا تُبِجت الناقةُ عندهم خمسةً أبطن إنائًا ، بحرت أدنّها (أي شقّتها) فحُرّمت " . القول الثاني : كأثوا إذا تُبِجت الناقةُ عندهم خمسةً أبطن ، فإن كان الخامسُ ذكرًا بحرّوا أدنّه ، فأكله الرجال و النساء ، و إن كان الخامسُ أنثى بحرّوا أدنّها ، و كان حرامًا على النساء لحمها و لبنّها . القول الثالث : كانوا إذا تُبِجت الناقةُ عندهم خمسةً أبطن شقّوا أدنّها ، وحرّموا ركوبها و لبنّها . ولعلّ هذه الصور كلها كانت موجودةً عند أهل الجاهليّة من العرب ، وهي من افتراءاتهم على الله ، ومن التلاعب بأحكام دينه لعباده ² .

1 - معارج التفكير و دقائق التدبّر : عبد الرحمن الميداني، 2/456 .

2 - نفسه : 245-5/244 .

14 - تطبيق قاعدة " حول استعمال الكلام في أكثر من معنى " 1 :

هذه أيضًا كما رأينا صورة من صور الإيجاز القرآني ، ذلك أنّ كثيرًا من الكلمات و الجمل القرآنية تكون ذوات أكثر من معنى ، و هي صالحة لأن تدلّ على أكثر من معنى ، ولا داعي لصرفها عن أحد تلك المعاني و قصرها على واحدٍ من دلالات (المادّة اللغوية) دون غيره ، وهذا تمثيلاً مع عطاء القرآن الذي لا تنضبُ معانيه و لا تفنى أعاجيبه .
وقد أحسن المؤلف رحمه الله تطبيق هذه القاعدة ، والمواطن كثيرة في تفسيره أكثر من أن تُحصَرَ منها على سبيل المثال :

قوله رحمه الله في معنى (دَسَى) عند تفسيره لقوله الله تعالى : [وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا] (الشمس: الآية 10) ، " دَسَّاهَا ضِدُّ زَكَّاهَا ، يُقَالُ لَغَةً : دَسَى يَدَسِي ، وَدَسَا يَدَسُوا دَسْوَةً ضِدُّ زَكَ يَزْكُو زَكَاةً . قَالَ اللَّيْثُ : دَسَى يَدَسِي لَغَةً وَدَسَا يَدَسُو أَصَوْبٌ . وَيُقَالُ لَغَةً : فَلَانٌ دَاسٌ لَا زَاكَ . وَقَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ : دَسَا إِذَا اسْتَخْفَى . وَقَالَ أَبُو الْهَيْثَمِ : دَسَى فَلَانٌ نَفْسَهُ إِذَا أَخْفَاهَا وَأَخْمَلَهَا لَوْمًا ، مَخَافَةَ أَنْ يُتَّبَعَ لَهُ فَيُسْتَصَافَ . وَتَأْتِي دَسَى بِمَعْنَى أَغْوَى وَأَفْسَدَ ، وَأَنْشَدَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ لِرَجُلٍ مِنْ طَيْءٍ :

و أَنْتَ الَّذِي دَسَيْتَ عَمْرًا فَأَصْبَحْتَ نَسَاؤُهُمْ مِنْهُمْ أَرَامِلُ صُبَّعٌ

أي أنت الذي أفسدت قبيلة عمرو " عن لسان العرب " 2
وبعد هذا البيان اللغوي الذي

أشار فيه إلى المعاني الثلاث للكلمة وظَّفها رحمه الله جميعاً في شرح معنى الآية فقال : " بعد هذا البيان اللغوي يتَّضح لنا في تدبُّر الآيتين (9-10) أمران . . الأمر الثاني : تأكيد أنّ من دَسَّ نفسه : أي أغواها و أفسدَها ، وغمسَها في أحوال الكفر أو الشُّرك ، أو كبائر الآثام و المعاصي ، و أخفاها عن استقبال أضواء شمس الهداية ، فإنه سيكونُ خائبًا يوم المدِّين ، أي

1 - قواعد التدبُّر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 567 ، وهي القاعدة الثامنة و العشرون في الكتاب .

2 - معارج التفكير و دقائق التدبُّر : عبد الرحمن الميداني ، 2 / 312-322 .

محرومًا من الخير و السعادة ، وخاسرًا نفسه بسبب أنه قدَفَ بها إلى مواقع عقاب الله و عذابه "1 .
فهنا حافظ المؤلف رحمه الله على استعمال و توظيف كل المعاني الدلالية التي دلت عليها الكلمة في اللغة ، وهذا هو مقتضى هذه القاعدة كما مر معنا ، ومع ذلك لم يصرِّح بالقاعدة .

و من ذلك أيضًا قوله رحمه الله في معنى (دَمَدَمَ) عند تفسيره لقول الله عزَّ وجل : [فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا] (الشمس: الآية 14) ، " أي غَضِبَ عليهم ، فأنزل بهم ما عدَّ بهم به حتى أهلكهم جميعاً ، و دفنهم ، وردَمَ الأرضَ فوقهم ، حتى لم يبقَ لأجسادهم أثرٌ ظاهر "2 .

ثمَّ بيَّن مرجع استعمال هذا المعنى الشامل في (دمدم) فقال : " يُقالُ لغةً : دمَدَمَ عليهم ، أي غَضِبَ عليهم . ودمدم عليهم إذا طحتهم و أهلكهم مستأصلاً ، و أطبق عليهم بوسائل التعذيب و الإهلاك. ويُقال : دمدم عليه القبر و نحوه أي : أطبقه عليه حتى سواه بسائر الأرض ، وكلُّ هذه المعاني تنطبقُ على ما أنزل اللهُ بشمود "3 .

فلاحظ كيف حافظ المؤلف رحمه الله على استعمال و توظيف كل المعاني الدلالية التي دلت عليها الكلمة في اللغة ، ومع ذلك لم يصرِّح بالقاعدة .

و من ذلك أيضًا قوله رحمه الله في تفسير قوله تبارك و تعالى : [إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ] (القدر: الآية 1) ، " القَدْرُ : بإسكان الدال و فتحها ، تأتي في اللغة للدلالة على معاني متعدِّدة ذكرها علماء اللغة العربية : فتأتي بمعنى مقدار الشيء في كلِّ ما يمكن تقدير كميَّة له . وتأتي بمعنى القضاء و الحكم . و تأتي بمعنى التدبير، يُقالُ لغةً : قدَرَ القومُ أمرهم يقْدرونه و يقْدرونه قدراً ، أي : دبَّروا أمرهم. ويُقالُ : قدَرْتُ لأمرٍ كذا أقْدِرُ و أقْدُرُ له ، أي: نظرتُ فيه ، ودبَّرتُهُ ، و قايسْتُه . وتأتي بمعنى المكانة و علوُّ الشأن ، وقد جاء الدلالة على هذا

1 - نفسه : 2/322 .

2 - معارج التفكير و دقائق التدبُّر : عبد الرحمن الميداني، 2/325 .

3 - نفسه .

المعنى قول الله عزّ وجل في سورة (الحج /22 مصحف/103 نزول) : [مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَعَوِيٌّ عَزِيزٌ (74)] أي ما عظموه حقّ تعظيمه، أو ما وصفوه حقّ وصفه الجليل ، وعلى هذا يُقال فلانٌ جليلُ القَدْرِ أي : عظيمُ المكانة و الشأن . و أصل مادّة الكلمة يدورُ حولَ مقادير الأشياء ، وحدود كمّيّات و حَدّاتها ، فتحديد وحدات كل عنصر من عناصر المركّبات هو تقدير له ، و صُنِعَ كلُّ شيءٍ مُركَّبٌ من عناصر من ذرّاته و أبعاده و أوزانه وأوصافه ليؤدّي الغرض من صنعه لا يتمّ إلا بقَدَر ، أي: بتحديد مقدار الوحدات من كل عنصر كبيرًا كان ام صغيرًا ، ولهذا قال الله عز وجل في سورة (القمر/54 مصحف/37 نزول) : [إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (49)] . هذا هو المعنى الأصلي للمادّة ، وقد تأخّذُ معاني أخرى إذا اقترنت بما يدلُّ عليها ، كالإمضاء و الحكم ، و التدبير ، و المقايسة ، و التعظيم ورفع الشأن " 1 .

و بعد هذا التحليل اللغوي الأصلي لمادّة الكلمة ؛ حافظ المؤلّف على استعمال و وتوظيف كل المعاني الدلالية التي دلّت عليها الكلمة في اللغة فقال : " و بناء على هذا التحليل اللغوي يمكن أن نفسّر السببَ الذي دعا إلى تسمية الليلة المباركة التي أنزل الله فيها القرآن بليلة القدر : فهي ليلة القضاء و الحكم بمقادير الأشياء ، و ليلة التدبير، و ليلة الشأن العظيم و الشرف الرفيع ، و ليلة الإعلام بمقادير الآجال و الأرزاق و الأحداث و غير ذلك و بهذه المعاني جاءت التعليلات الماثورة لتسمية الليلة المباركة بليلة القدر . . و لستُ أرى مانعًا من اجتماع عدّة معانٍ لليلة القدر " 2 .

فحافظ رحّمه الله على استعمال و توظيف كل المعاني الدلالية التي دلّت عليها الكلمة في اللغة، ومع ذلك لم يصرّح بالقاعدة .

15 - تطبيق قاعدة " حول كلمة (علل) الواردة في القرآن في مثل (لعلكم تتقون) " 3 :

1 - معارج التفكير و دقائق التدبّر : عبد الرحمن الميداني، 289-2/288 .

2 - نفسه : 2/290 .

3 - قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني، ص 627، وهي القاعدة الثانية و الثلاثون في الكتاب .

رأينا في الشرح النظريّ للقاعدة أنّ (لعلّ) جاءت في القرآن الكريم أكثر من مئة مرة ، و لها أغراض شتى من الرّجاء ، و الطمع ، و الشك ، و تأتي بمعنى " كي " أي لأجل كذا ، و التوقّع ، و التعليل ، و الاستفهام . و المؤلف رحمه الله رأى أنّ التدبّر الأمثلّ في معاني هذه الكلمة يقتضي : جمعها و توظيفها جميعا بنوع من التوجيه و التأمل العميق يراعي السياق و الموضوع ، ولكنه رحمه الله يجعل من غرض التعليل "الأصل" ، لأنه يتفق غالبا مع الهدف من النص .

وإذا رجعنا إلى تطبيقه رحمه الله للقاعدة نجد أنّه سار على نفس التأصيل الذي بناه ، و أتقن تطبيقه في كلّ المواضع التي تمّ استقراؤها ، من ذلك :

قوله في تفسير قول الله تعالى : [وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ] (الأنعام : الآية 42) : " (لعلّ) أصلٌ معناها اللغوي الترجّي و التوقّع ، ولما كان الله عزّ وجلّ عليماً بما كان و بما هو كائنٌ و بما سيكونُ كان من الفهم السديد اعتبار كلمة (لعلّ) دالّةً على معنى الرغبة ، فالله يرضى لعباده الإيمان و الطاعة و حُسن الدّعاء و التضرّع ، أو على لازمٍ آخر كجعلهم في موقفٍ يجدون فيه ما يدفعهم للتضرّع " ¹ .

فهنا المؤلف رجّح المعنى المناسب للمراد ، و أعطى التوجيه الذي يدلّ على الفهم السديد للنص ، لتعلقه بعلم الله سبحانه و تعالى ، و أنّ معنى الرّجاء لا يليقُ بمن هو بكلّ شيءٍ عليم ، فحمّله المؤلف على لازم الرّجاء ، وهو الرّغبة و الحُب . وقد لاحظنا أنّه لم يصرّح بالقاعدة .

وفي تفسير قول الله تعالى : [وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُخْسِرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ] (الأنعام : الآية 51) قال رحمه الله : " (لعلّ) أصلٌ معناها الترجّي ، و تحتمل هنا دلالتين : الأولى : أن يكون الرّسولُ في حالة رجاء أن يتّقوا ، ليكون إنذاره لهم أكثر تأثيرا . الثانية : أن الله يرغبُ و يُحبُّ أن يتّقوا ليفوزوا يوم

الدِّينَ ، لأنَّ معنى الرَّجاءِ لا يليقُ بمن هو بكلِّ شيءٍ عليمٌ ، فيُحْمَلُ على لازم الرَّجاءِ ، وهو الرَّغْبَةُ و الحُبُّ " 1 .
فهنا أيضا رجَّح المؤلف المعنى المناسب للمراد على الاحتمالين ، وأعطى التوجيه الذي يدلُّ على الفهم السديد للنص فيما يتعلق بالاحتمال الثاني . وقد لاحظنا أيضًا أنه لم يصرِّح بالقاعدة .

وفي تفسير قول الله تعالى : [فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا] (الكهف : الآية 6) قال المؤلف رحمه الله : " كلمة (لعلُّ) مستعملةٌ هنا بمعنى الإشفاق بأسلوب الاستفهام . . أشفق على نفسك يا محمد من أن تعرَّضَها للقتل بسبب الهمِّ و الغمِّ من أجل قوم لم يُشْفِقُوا هم على أنفسهم من عذاب ربِّهم الذي أوعدهم به " 2

فهنا أيضا رجَّح المؤلف المعنى المناسب للمراد ، وقد لاحظنا أيضًا أنه لم يصرِّح بالقاعدة .
و في الحديث عن توجيهه (لعلُّ) في قوله تعالى : [إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَى النَّارِ هُدًى] (طه : الآية 10) حافظ على المعنى الأصلي للكلمة لمناسبة هذا الأمر لما ورد في النصِّ فقال : " ذكر هذه العبارة التي تدل على الترجي ، لأنه لم يكن جازمًا بتحقيق كلا الأمرين ، وكان يرجِّح تحقيق أحدهما ، والترديد بحرف (أو) يجعل القضية مانعة حُلُوًّا لا مانعة جمع " 3

16 - تطبيق قاعدة " حول كلمة (بلى) في القرآن " 4 :
رأينا فيما سبق إيرادَه في القسم النظري أنَّ المؤلف رحمه الله ذهب إلى أنَّ العطفَ قد يأتي بعد (بلى) عليها كأثاها في قُوَّة جملة مُثَبِّتة مُنْتَرَعَة من الجملة المنفيَّة السابقة

1 - نفسه : 11/247 .

2 - نفسه : 321-13/319 .

3 - معارج التفكير و دقائق التدبُّر : عبد الرحمن الميداني ، 45 / 8 .

4 - قواعد التدبُّر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 633 ، وهي القاعدة الثالثة و الثلاثون في الكتاب .

لها، على اعتبار أنها جاءت لنفي النفي السابق و إثبات المنفي

وإذا رجعنا إلى تطبيقه رحمه الله للقاعدة نجد أنه سار على نفس التأصيل الذي بناه في إثبات الجملة المثبتة المنتزعة من الجملة المنفية ، و أتقن تطبيقه في كل المواضع التي تم استقراؤها ، من ذلك :

قوله رحمه الله في الموضع الأول الذي وردت فيه هذه الكلمة في القرآن المكي عند تفسير قول الله تعالى : [**وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يُوقَفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ**] (الأنعام : الآية 30) : " أي بلى هو الحق الذي لا شك فيه ، و أكدوا اعترافهم بالقسم بربهم [**وَرَبِّنَا**] تذكلاً و استعطافاً . . لفظ (بلى) حرف جواب ، ويختص بالنفي ، و يفيد إبطاله ، و إبطال النفي هنامعناه إثبات أن هذا الذي يشاهدونه يوم الدين حق " ¹ .

فلاحظ كيف أنه سار على إثبات الجملة المثبتة (هو الحق الذي لا شك فيه) المنتزعة من الجملة المنفية (**أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ**) ، ومع هذا صرح بمضمون القاعدة .

وفي تفسير قول الله تعالى : [**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ طُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ**] (الأعراف : الآية 172) قال رحمه الله : " أعلنوا أنهم قد شهدوا على أنفسهم معترفين بأنه جل جلاله هو ربهم ، أي : بلى ، أنت ربنا ، ونشهد بهذا على أنفسنا " ² .

فلاحظ كيف أنه سار على إثبات الجملة المثبتة (أنت ربنا) المنتزعة من الجملة المنفية (**أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ**) ، و لم يصرح في هذا الموضع بمضمون القاعدة .

وفي تفسير قول الله تعالى : [**إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَخُورَ (14) بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا**] (الانشقاق : الآية 14=15) قال رحمه الله : " [**لَنْ يَخُورَ**] أي لن يرجع إلى الحياة بعد الموت . . بلى هو راجع إلى الحياة يوم بعث الأحياء ، ليحاسب على ما قدم " .

1 - معارج التفكير و دقائق التدبر : عبد الرحمن الميداني، 11/204 .

2 - نفسه : 5/11 .

فلاحظ كيف أنه سار على إثبات الجملة المثبتة (هو راجعُ إلى الحياة يوم بعث الأحياء) المنتزعة من الجملة المنفية (لَنْ يَخُورَ) ، و لم يصرِّح في هذا الموضوع بمضمون القاعدة . هذا غالبُ فعله رحمه الله إثباتُ الجملة المثبتة المنتزعة من المنفية مع عدم التصريح بالقاعدة ، ومع ذلك أحيانًا يمرُّ على الموضوع في النصِّ الذي استعملت فيه (بلى) دون حديثٍ عنها إطلاقًا ولا عن الجملة المثبتة بها تقديرًا¹ .

17 - تطبيق قاعدة " حول عبارة (وما أدراك ما...؟!) في القرآن " ² :

صيغةُ (ما أدراك ما) كما رأينا من الصيغ القرآنية المبتكرة التي وقعت في القرآن المكي و تكررت ثلاث عشرة مرة ، و التي هي استفهامٌ يراؤُ منه التعجبُ من عظمة الشيء و هوله .

و في تطبيقات الشيخ رحمه الله تطبيقٌ لهذا البيان التدبيري ، في جميع المواضع التي وردت فيها هذه الصيغة ، ومن ذلك :

قوله رحمه الله في تفسير قوله تعالى : [وَمَا أَدْرَاكَ مَا **إِلْحَاقَةٌ**] (الحاقّة : الآية 3) : " و الاستفهام في عبارة [وَمَا أَدْرَاكَ مَا **إِلْحَاقَةٌ**] وكذلك نظيرُهُ في مثلها ؛ يتضمَّن معنى نفي علم المخاطب بما هو مسؤولٌ عنه ، أي : أنت لا تدري مهما انطلق بك الخيال في المدى الذي بلغته في العظمة الكبرى : الحاقّة ، إلا إذا أعلمناكَ بذلك ، أو أشهدناكَ مشاهدتها ، و في هذا دلالة كافية على أنّ عظمتها فوق ما يستطيع الناس تصوُّره " ³ .

ثم راح رحمه الله يبيِّن أنّها من أساليب التعظيم القرآنية المبتكرة ، فوافق بذلك ما أشار إليه في التنظير للقاعدة ، قال : " و قد تكرّر في القرآن المجيد مثلُ هذا الاستعمال حتى صار معلومًا أنه أسلوبٌ من أساليب التعظيم و التكبير و التعجب .

1 - كما في سورة (يس : الآية 81) معارج التفكير : 6/225 ، و سورة (غافر : الآية 50) معارج التفكير : 12/388 .

2 - قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 637 ، وهي القاعدة الرابعة و الثلاثون في الكتاب .

3 - معارج التفكير و دقائق التدبّر : عبد الرحمن الميداني ، 14/650 .

ولدي التحليل التدبيري يظهرُ أنَّه صيغةٌ من صيغ التعجيب القرآنية المبتكرة ، ضمن أصول اللسان العربي ، وهي أبلغ من صيغتي التعجب و التعجيب [ما أفعله] و [أفعل به]¹ .
وأكتفي بسوق هذا التطبيق و أشير في الهامش إلى بقية المواضع التي طبّق فيها ، لانضباطه في جميعها بنفس التحليل التدبيري² .

18 - تطبيق قاعدة " حول تعبيرات [من بين يديه ومن خلفه، ونحوهما - الأمام - الورااء]"³ :

سبق في الشرح النظري لهذه القاعدة بيان اختيار المؤلف لدلالة هذه الكلمات و الصيغ ، ونأتي الآن إلى التطبيق ، فقد لمسْتُ - و أنا أتبعُ تطبيق المؤلف لما شرحه من دلالات في المواضع التي وردت فيها الصيغ - أنَّه أتقنَ بيان الدلالة التي أشار إليها بدقة في أغلب المواضع التي وردت فيها الصيغ ، دون الإشارة إلى الجانب النظري المتعلق بالقاعدة ، و من المواضع التي حصل فيها إتقانُ التطبيق مايلي :

في شرحه لقوله تعالى⁴ : [وَادْكُرْ آخَا عَمَادٍ إِذْ أُنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النَّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ] (الأحقاف : الآية 21)
أحال رحمه الله إلى ما كتبه في الملحق الثاني من ملاحق تدبّر سورة (هود) ، و فيه قال رحمه الله : " و الحالُ أنَّه قد مَصَّتِ النَّذُرُ من قبل بعثته ، ومَصَّتِ النَّذُرُ في القرون المتي جاءت في الأزمان بعده "⁵ .

و نلاحظُ أنَّه لَمَّا كان المتحدث عنه (زمانيا) ؛ فما بين يدي هود عليه السلام هو الماضي ، لأنه هو المرئي المشاهد بالنسبة إليه ، فهو الذي (بين يديه) ، و (ما خلفه) هو المستقبل بالنسبة إليه لأنه مجهولٌ و غيبٌ لم يحضُرهُ ، لذلك

-
- 1 - معارج التفكير و دقائق التدبّر : عبد الرحمن الميداني، 14/650 .
 - 2 - نفسه : 110/ 1 . 2 / 571 . 15/84 - 85 . 15 / 323 . 3/256 . 3/202 .
 - 3 - قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني، ص 657 ، وهي القاعدة السيادة و الثلاثون في الكتاب .
 - 4 - معارج التفكير و دقائق التدبّر : عبد الرحمن الميداني، 13 / 190 .
 - 5 - نفسه : 10/564 .

قال المؤلف [في القرون التي جاءت في الأزمان بعده]، فهذا من إتقان التوظيف.

وفي شرحه لقوله تعالى : [وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَعْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ] (يس : الآية 9) قال رحمه الله : " أي و جعلنا بمقتضى سُتَيْنَا السببِيَّةِ وقوانيننا في النفوس ذوات الإرادات الخُرَّة المبتلاة في ظروف الحياة الدنيا ، حاجرًا من أمامهم ، وحاجرًا من ورائهم ، يَجْبُبُ عنهم الرؤيةَ كيفما استداروا ، لأنهم اختاروا لأنفسهم ظلمات الكفر و الجحود ، و اتّباع الأهواء و الشهوات و رغبات الفجور ، ومواقع هذه الظلمات محجوبة عن مواقع أنوار الهداية الربّانية . واقتصر النصُّ على ما بين أيديهم وما خلفهم ، لأنَّ ما بين يدي الناظر يشملُ نصف الدائرة من حوله ، إذ البصرُ يرى من الجهة التي يتوجّه لها مقدار نصف الدائرة أو الكرة ، من حول الناظر ، فيدخل ما هو عن يمينه و ما هو عن شماله ، وما هو من فوق هذه الجهة ، فالسدُّ من بين يديه كل هذه الجهة ، وحين يستدير إلى خلفه يجدُ سدًّا آخر بمقدار نصف الدائرة أو الكرة من حوله ، فعبارة [وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا] " تشملُ كلَّ ما حوله ، فلا حاجة إلى إضافة : وعن أيّمانهم سدًّا ، وعن شمائلهم سدًّا ، ومن فوقهم سدًّا ، وهذا من دقائق التعبيرات القرآنية " 1 .

و نلاحظُ أنه لما كان المتحدثُ عنه (مكانيا) ؛ فما (بين أيديهم) هو ما يقع إلى جهة الوجه و الصدر كما بيّن المؤلفُ في الطرح النظري للقاعدة ، و (ما خلفهم) هو ما يقع إلى جهة الظهر ، فهذا من إتقان التوظيف.

و من الأمثلة مع التصريح بالقاعدة : قوله رحمه الله في شرح قول الله تعالى : [وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا] (مريم : الآية 5) : " [مِنْ وَرَائِي] أي من بعد موتي ، فالوراء الرّمنيُّ بالنسبة إلى العباد الذين يجهلون أحداث المستقبل ، هو المستقبل ، لأنَّ جهلهم بأحداثه يجعله بمثابة الشيء الذي هو وراء ظهورهم لا يرونه " 2 .

1 - معارج التفكير و دقائق التدبّر : عبد الرحمن الميداني، 51-6/50 .

2 - معارج التفكير و دقائق التدبّر : عبد الرحمن الميداني، 385 / 7 .

فهذا من نموذج (الوراء الزماني) ، وقد جاء في الاستعمال القرآني مرادًا منه المستقبل ، لأنه هو كذلك في الحقيقة بالنسبة للمخاطبين ، فهو يقع بالنسبة إلى علم المخاطب وراءه لا أمامه ، والذي أمامه في هذا هو الماضي لأنه مشهود معلوم ، وقد أحسن المؤلف بيانه هنا في هذا المقام تنظيرًا وتطبيقًا .

19 - تطبيق قاعدة " **حول لفظ (كذلك) في القرآن** " ¹ :
مرر معنا في هذه القاعدة أنّ المؤلف ركّز على التدبّر و التفكير العميقين في دلالة هذه الكلمة ، وفي عناصر التشبيه الذي تطرحه وفي إتقان بيان الغرض منه ، حتى لو استدعى ذلك من المتدبّر النظر في الآيات المتعلقة بموضوع الآية أو المتعلقة بالسياق أو بموضوع أعمّ تفرّع عنه موضوع الآية .
وقد وعدت في الجزء النظري بمناقشة المؤلف في اقتصاره - من خلال الأمثلة التي ساقها - على غرض التشبيه في اللفظة ، مع عدم إشارته إلى بقيّة مقاصد (كذلك) ، و الآن باستقراء المواضع التي طبّق فيها المؤلف القاعدة ، ظهر لي أنّه توسّع في تدبّر و كشف بقيّة الأغراض ، و التي منها [**التحقيق و التثبيت**] (أي الأمر هو ما أخبرت به لا ريب فيه) .

و الأمثلة على إتقان تطبيق المؤلف للقاعدة و استخراجها لعناصر التشبيه فيها كثيرة و متقنة ، منها على سبيل المثال :
قوله رحمه الله في تفسيره لقول الله تعالى : [**وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ**] (الأنعام : الآية 75) قال رحمه الله : " المعنى : و كذلك الفهم الذي فهمناه إبراهيم بشأن بطلان عبادة الأصنام ، و أنّ عابديها في ضلال مبين ؛ كُنَّا نُرِي بَتَتَابِعٍ مُتَجَدِّدٍ إِبْرَاهِيمَ مِلْكَنَا الْعَظِيمَ لِكُلِّ عَنَاصِرٍ و أجزاء السموات و الأرض ، و سُلْطَانَنَا و عِزَّتَنَا و قُدْرَتَنَا عَلَى التَّصَرُّفِ فِي كُلِّ شَيْءٍ فِيهِمَا ، لِيَكُونَ ذَا حُجْجٍ بَرَهَانِيَّةٍ ، يُثَبِّتُ بِهَا أَنَّهُ لَا رَبُوبِيَّةَ فِي الْكُونِ إِلَّا لَنَا ، وَلَا إِلَهِيَّةَ فِي الْكُونِ بِحَقِّ إِلَّا لَنَا ، وَلِيَكُونَ هُوَ فِي ذَاتِهِ مِنَ الْمُوقِنِينَ بِذَلِكَ ،

1 - قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 695 ، وهي القاعدة التاسعة و ثلاثون في الكتاب .

العالمين عِلْمًا لا يخالطه ولا يمسه شك " 1 . فالمُشَبَّه هو ما يظهر لإبراهيم عليه السلام من عناصر و أجزاء السموات و الأرض ، و المُشَبَّه به هو الفهم الذي آتاه الله إِيَّاهُ بشأن عبادة الأصنام ، و الغرضُ من التشبيه هو صناعة اليقين بصحة التوحيد و بطلان الشرك و القُدرة على الإقناع بهذا .

و هو ما نصَّ عليه مُشِيرًا إلى اسم التشبيه (مثل) في تفسيره لقوله تعالى : [وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ] (الأنعام : الآية 184) : " فالمعنى : و مِثْلَ ذَلِكَ الْجَزَاءَ الَّذِي مَنَّا بِهِ عَلَى هَؤُلَاءِ الْمَذْكُورِينَ مِنَ الرُّسُلِ ؛ نَجْزِي سَائِرَ الْمُحْسِنِينَ ، فَهَذَا مِنْ سُنَنِ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ " 2 .

فالمُشَبَّه هو جزاء المحسنين ، و المُشَبَّه به هو ما منَّ الله به على الرُّسُلِ ، ووجه الشَّبه هو الاشتراكُ في ثمن الجزاءِ ، والغرضُ من التشبيه إثباتُ سُنَّةٍ من سنن الله في العباد . و على هذا المنوال جاءت سائر التطبيقات الأخرى حيثما وردت كلمة " كذلك " 3 .

المبحث الثالث تطبيق القواعد المتعلقة بالنحو والمتفرقات

1 - معارج التفكير و دقائق التدبُّر : عبد الرحمن الميداني، 11/306 .

2 - نفسه : 11/321 .

3 - نفسه : 11/253 . 11/256 . 11/306 . 11/331 . 11/372 . 11/379 .

11/387 . 11/412 . 11/418 . 4 / 226 . 8/226 . 14/289 .

في هذا المبحث أجمع القواعد التي تكلم عنها المؤلف مما يرجع إلى علم النحو وبقية القواعد المتفرقات مثلما رتبها في الدراسة النظرية أدرسها دراسة تطبيقية :

1 - تطبيق قاعدة " حول ضرورة ملاحظة قواعد اللغة العربية ومفاهيم الصيغ الصرفية، ولزوم البحث عن سر مخالفة الإعراب لمقتضى الظاهر"¹ :

القاعدة كما مر معنا فيها شطران : الأول يعتني بضرورة ضبط المتدبر لكتاب الله لقواعد اللغة العربية نحوها و صرفها ، لأجل تحقيق الفهم الصحيح للنص القرآني الذي نزل على سنن العرب في الكلام، و المفردات التطبيقية لهذه القاعدة لا تنحصر . و الشطر الثاني : لزوم البحث عن مخالفة الإعراب لمقتضى الظاهر، وقد بين المؤلف كما مر معنا أن

1 - قواعد التدبر المثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 551 ، وهي القاعدة السادسة و العشرون في الكتاب .

مقتضى الحكمة الربانية العامة يدعونا للتأمل في الحكمة الخاصة التي اقتضت مخالفة الإعراب في النص لمقتضى الظاهر ، ومهما تيسّر لنا البحث للتوصّل إلى حكمة تتصل بغرض من أغراض الدلالة في تأدية معنى من المعاني كان ذلك هو المرجّح ، ولا ينبغي قصر الأمر على مجرد توجيه لفظي تسمح به قواعد اللغة العربية .

ومن تطبيقات المؤلف لهذه القاعدة :

ما كتبه في الاستلهام التدبّري من الصناعة الإعرابية في تفسير قول الله عز وجل : [ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (32) جَنَاتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا] (فاطر : من الآيتين 32-33) : " (ذلك) المُشارُ إليه بهذا الاسم من أسماء الإشارة الموضوع للمشار إليه البعيد، هو [جَنَاتٌ عَدْنٌ] والغرض بيان علو شأن جنات عدن وارتفاع منزلتها الفاخرة . (هُوَ) ضميرُ فصل (الْفَضْلُ الْكَبِيرُ) خبر : (ذَلِكَ) وتعريفُ طَرَفِي الإسناد يدلُّ على الحصر و القصر ، فالمُشار إليه هو الفضل الكبير لا غيرُه ، لأنَّ جنات عدن أعظمُ ما أعدَّ الله للمتّقين من عباده . . (جَنَاتٌ) بدلُ من (الْفَضْلُ الْكَبِيرُ) أو عطفُ بيان " 1 .

و قال في الاستلهام التدبّري من الصناعة الإعرابية في تفسير قول الله عز وجل : [وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا] (هود : من الآية 6) : " (عَلَى اللَّهِ) خبرٌ مُقدِّمٌ على المبتدأ في (رِزْقُهَا) لإفادة القصر، أي : لا أحد يرزقها حتى غاية أجل حياتها إلا الله جل جلاله وعَظَمَ سلطانه " 2 .

و قال في الاستلهام من تجليل أطراف النداء في تفسير قول الله عز وجل : [وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهِ] (الحاقة : الآية 25) : " (يا) حرف نداء ، داخلٌ على عبارة التمنيّ (لَيْتَنِي) فأَيُّ شيء يُنادي ؟ . قالوا : المُنادَى محذوفٌ تقديرُهُ : يا رب . و قيل : هو نداءٌ للكلام الدالّ على التمنيّ ، بتنزلة الكلمة منزلة العاقل الذي يُطلبُ حضورُهُ ، لأنَّ الحاجة تدعو إليه في حالة الندامة . و قيل هو حرف تنبيه " 3 .

1 - معارج التفكير و دقائق التدبّر : عبد الرحمن الميداني، 189-7/188 .

2 - معارج التفكير و دقائق التدبّر : عبد الرحمن الميداني، 321 /10 .

3 - نفسه : 3/239 .

وبعد ذكر المؤلف للأقوال في بيان " المُنَادَى " ، يجتهدُ رحمه الله و يقول : " أقول : حرف (يا) في مثل هذا الاستعمال أشبهُ بأن يكونَ حرفَ نُذْبَةٍ و تحسُّر و تفجّع و توجّع ، على تقدير أن جملة (لَيْتِي لَمْ أَوْتَ كِتَابِيَه) واقعةٌ موقعَ عبارة (مصيبتى العظمى في ياسي من نجاتي) . ولم يذكر المفسِّرون ولا التَّحاة مثل هذا . أو تكونُ العبارة على تقدير (يا أمنيته التي لا سبيل إلى الحصول عليها) " ¹.

2 - تطبيق قاعدة " حول التعليل بأن المصدرية وما بعدها في الآيات القرآنية، وفي لزوم تقدير المحذوفات قبلها " ² :

مرّ بنا موضوع القاعدة و أنّه ضرورة بحث المتدبّر في الغرض من التعليل ب (أن) المصدرية ، سواء كان تعليلًا للفعل، أو تعليلًا للترك . و إذا جاء النصّ القرآني غير مبين فيه وجه التعليل هل هو للفعل أو للترك؛ فلا بُدّ من البحث عن الملاءمة بين التعليل و المعلل بعلمته ، و يكونُ في النصّ غير المبين فيه وجه التعليل محذوفٌ إيجازًا على طريقة القرآن في الإيجاز بالحذف ، فلا بُدّ من تقدير هذا المحذوف بما يلائمُ التعليل المقصود .

وقد أحسن المؤلفُ رحمه الله إتقان هذه القاعدة في شقّيها ؛ الشقّ الذي جاء فيه بيانُ وجه التعليل، و الشقّ الذي لم يأت فيه بيان وجه التعليل و احتاج إلى تقدير المحذوف ، فمن ذلك :

من النوع الأوّل الذي فيه التصريح بتعليل الأمر قوله رحمه الله في تفسير قول الله تعالى : [وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (155)] أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لِعَافِيلِينَ [الأنعام : الآية 155-156)] : " أي : نوجهُ لكم أيّها المشركون العرب ، هذا الأمرَ باتّباع القرآن الكتاب العربيّ المبين ، مَنَعَ أن تقولوا معتذرين عن كفركم يوم الدّين : إنّما أنزلَ الكتابُ الرّبّاني على طائفتين من قبلنا هما : اليهودُ الذين أنزلَ اللهُ

1 - نفسه .

2 - قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني، ص 581 ، وهي القاعدة التاسعة و العشرون في الكتاب .

عليهم التوراة ، و النصارى الذين أنزلَ عليهم الإنجيل " ، وإِنَّا
كُنَّا عَنْ دِرَاسَةِ مَا عِنْدَ الْيَهُودِ وَ النِّصَارِيِّينَ مِنْ كِتَابِ رَبِّنَا
لِغَافِلِينَ ، غَيْرِ شَاعِرِينَ بِأَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَتَّبِعَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ
كِتَابٍ"¹

فالأمرُ الواردُ هنا هو (فَاتَّبِعُوهُ) أي القرآن (وَاتَّقُوا) الله
تعالى أو عِدَابَهُ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ، و التعليلُ مذكورٌ فيما سبق
بيانه في الآية (156) بعد حرف (أن) من دفع اعتذارهم
المزعوم .

ومن النوع الثاني قوله رحمه الله في تقدير المحذوف قبل
(أن) لِيُفْهَمَ التعليلُ عند تفسير قول الله تعالى : [وَالَّذِينَ
اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا] (الزمر : من الآية 17) :
اجتنابُ الشيء يكون بالابتعاد عن حدوده ، وعدم الاقتراب منه
، وليس عدم الوقوع به . فالمعنى : و الذين ابتعدوا عن
الاقتراب من كلِّ الطواغيت ، وهي ألهة المشركين ، و
الاقتراب من الدعاة إلى تعظيمها و عبادتها ، حذر أن يُستزَلُّوا
أو يُزَلَّفُوا إلى عبادتها ، ولو بقَبُولِ أحكام التحليل و التحريم ،
وما يفتره سدَّتْهَا من أخبار عن مغيبات ، وهذا من عبادتها "²

وبعد أن قدّم رحمه الله المعنى التام المكتمل ، راحَ يبين
وجهَ تقدير المحذوف فقال : " فالعبارة فيما أرى على تقدير : (
حذر أن يعبدوها) ، فالتعبيرُ باجتناب الطواغيت حذر عبادتها
يدلُّ على شِدَّةِ إيمانهم بتوحيد الله في ربوبيته و في إلهيته ،
وشِدَّةِ كراهيتهم للشُّرك ، على أيِّ صورة من صورهِ ، وأيِّ
عنصر من عناصره "³

3 - تطبيق قاعدة " حول استعمال الفعل الماضي : 1
- فيما له الكينونة الدائمة . 2- وفيما حصل فعلاً . 3-
وفيما هو مقضيٌّ مقدرٌ ، فهو متحقق الوقوع في
المستقبل و ينتظر الرُّمن الذي يكون فيه واقعاً
منجراً . 4 - وفيما هو معلوم لله وقوعه في

1 - معارج التفكير و دقائق التدبُّر : عبد الرحمن الميداني ، 11/485 .

2 - نفسه : 12/187 .

3 - نفسه .

المستقبل ولو لم يكن له إرادة جبرية في وقوعه ، إنما له به علمٌ و تمكينٌ وتسخيرٌ¹ :

هذه القاعدة كما سبق و بينا متعلقة بكشف المتدبر لاستعمالات الفعل الماضي و أوجه الخطاب به، وقد جمع المؤلف في العنوان أو جهًا نحتاج إلى متابعة تطبيقه لها في كتابه (معارج التفكير) ، ومن استقراء تطبيقاته على الفعل الماضي في تفسيره وجدتها كثيرة جدًا لا تنحصر ، ويحصل من جمعها مجلدٌ كبير ، وقد بين المؤلف بدقة وجه الاستعمال في كلِّ مثال ، عند شرحه للآيات في مواضعها ، أو في الملحقات البلاغية للسور كما سيأتي :

فمن استعماله فيما له الكينونة الدائمة : قوله رحمه الله في شرح قول الله تعالى : [وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا] (الكهف : من الآية 45) : " أي و الله في الكينونة الدائمة من الأزل إلى الأبد مُّقْتَدِرٌ على فعل و خلق و إيجاد و إعدام كلِّ شيءٍ يشاؤُهُ ، جلَّ جلاله و عظم سلطانه² "

و استعماله فيما حصل فعلاً ، سواء أكان مستمِرَّ الحصول ، أو انقضى فلا وجودَ له ، وهذا أمرٌ لا يحتاج إلى أمثلة لكثرتة ، و لآئهُ الوضعُ الأصليُّ لهذا الفعل .

و من استعماله فيما هو مقضيُّ مقدرٌ ، فهو متحقق الوقوع في المستقبل و ينتظر الزمن الذي يكون فيه واقعًا منجرًا : قوله رحمه الله في (ملحق مستخرجات بلاغية من سورة ابراهيم) : " رابعا : من التعبير عما سيأتي بصيغة الفعل الماضي ، باعتبار أنه متحقق الوقوع في المستقبل، وما سيؤول إليه أمره، قول الله عزَّ وجل فيها [الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ (1)] لم يكن قد أنزلَ إِبَانَ نزول سورة (ابراهيم) كلَّ القرآن ، ولكنَّ حُطَّةَ الله عزَّ وجل التي لا بُدَّ أن تتحقَّق مستقبلًا ؛ أن يُنزلَ إلى رسوله صلى الله عليه و سلم كلَّ القرآن ، فجاءَ إطلاقُ الإنزال على كلِّ الكتاب ، باعتبار ما

1 - قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني، ص 601، وهي القاعدة الثلاثون في الكتاب .

2 - معارج التفكير و دقائق التدبر : عبد الرحمن الميداني، 13/390 .

سيؤول إليه الأمر ، بالنظر إلى خطة الله عز وجل . وهذا من
المجاز المرسل¹ .

**ومن استعماله فيما هو معلوم لله وقوعه في
المستقبل ولو لم يكن له إرادة جبرية في وقوعه ،
إنما له به علمٌ وتمكينٌ وتسخيرٌ :** قوله رحمه الله في
شرح قول الله تعالى : [**وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا
بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ**] (الأعراف : الآية 4) : " و المراد بقوله
تعالى (**أَهْلَكْنَاهَا**) أردنا إهلاكها ، فقضيناها ، إذ استحققت
الإهلاك ، وبعد ذلك يأتي إصدار الأمر التنفيذي بإهلاكها ، وهذا
من الاستعمالات الشائعات ، وله نظائر كثيرة في القرآن و في
استعمالات الناس ، بالنسبة إلى كل أمرٍ قد صار متحقق
الوقوع في المستقبل ، فمن ارتكب جريمةً يستحق عليها
القتل ، ووقع في قبضة الحاكم الذي ينفذ الأحكام بالعدل ، قال
الناسُ بشأنه : قتلته جريمته ولو لم يكن قد قُتل بعدُ ، نظرًا
إلى أنه صائرٌ إلى ذلك بحسب العادة ، فكيف إذا كان الأمر
حتميَّ الوقوع كقضاء الله و أوامره التنفيذية؟! "² .

5 - تطبيق قاعدة " **حول تعدية فعل (أراد - يريد) في
القرآن** " ³ :

قدّم المؤلف رحمه الله في الجزء النظري لدراستنا أحوالاً
جاءت عليها تعدية فعل (أراد - يريد) في القرآن الكريم على
، نتابع تطبيقه له هنا في تفسيره (معارج التفكير) ، وقد
لمسنا و أنا أقرأ له رحمه الله أحوال تعدية (أراد - يريد) في
القرآن الكريم أنه حريصٌ على بيان هذه الأحوال و على تقدير
المحذوفات ليتسقيم للمتدبر الفهم و يتضح له المعنى :

من ذلك و بخصوص تعدّي فعل (أرد - يريد) إلى المفعول
به مباشرة ، فمواضعه كثيرة في القرآن الكريم ، وهي لا
تحتاج في الغالب إلى بيان للمفعول الواضح المُعلن عنه . منها
قوله تعالى : [**وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ
يُرِيدُونَ وَجْهَهُ**] (الأنعام : من الآية 52) ، قال المؤلف رحمه

1 - معارج التفكير و دقائق التدبر : عبد الرحمن الميداني، 14/94 .

2 - نفسه : 4/80 .

3 - قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 641، وهي
القاعدة الخامسة و الثلاثون في الكتاب .

الله : " يُرِيدُونَ رِضًا ذَاتِهِ وَنَفْسِهِ عَنْهُمْ ، يُطَلِّقُ الْوَجْهَ وَ يِرَادُ بِهِ الدَّاتُ كُلِّهَا ، وَهَذَا هُوَ الْمِرَادُ هُنَا " ¹ .

وقد يأتي المفعول به مصدرًا مؤوَّلًا ، ومن ذلك قول المؤلف رحمه الله في قول الله تعالى [فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ] (الأنعام : من الآية 125) : " أي فمن يرد الله أن يهديه هداية معونة و توفيق ، في مسيرته العملية الظاهرة و الباطنة ، على صراط الله العملي الذي اصطفاه لعباده ، لأنه آمن إيمانًا صحيحًا صادقًا ؛ يشرح صدره لتطبيقات الإسلام في سلوكه ، على مقدار قوَّة إيمانه .. " ² .

وقد يكون مفعول الفعل محذوفًا لفظًا مقدرًا ذهنا دون أن يكون في الكلام ما يوهم أنه هو المفعول به ، أو القائم مقامه ، ومن أمثلة تطبيق المؤلف لهذا الوجه مُستخرجًا للمقدّر الذهني قوله رحمه الله في تفسير قول الله تعالى : [قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكُمْ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ مَا تُرِيدُونَ] (هود : الآية 79) : " أي قالوا له : إِنَّكُمْ تَعْرِضُونَ عَلَيْنَا أَمْرًا تَعْلَمُونَ أَنَّا لَا نَقْبَلُهُ فِي أَعْرَافِنَا وَ تَقَالِيدِنَا ؛ لَأَنَّا لَا نَأْتِي نِسَاءَنَا إِلَّا بِحَقِّ الزَّوْجِ ، لَكِنَّا نَأْتِي الذَّكَوْرَ عَلَى سَبِيلِ الشِّيْعِ دُونَ عَقُوْدٍ وَلَا ضَوَابِطٍ " ³ .

وقد يأتي الاستعمال على تقدير مفعول محذوف هو مصدر مؤوَّل من " أن و فعل مضارع " ، من هذا قول الله تعالى : [وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ] (يوسف : الآية 25) ، فهنا يكون التقدير : أي (أن يُنزلَ بهم سُوءٌ) ، باستعمال (أن) و (الفعل المضارع) .

والمؤلف رحمه الله وهو يشرح الآية التي وردت على هذا الاستعمال لم يُشر في هذا الموضع إلى هذا الجزء من القاعدة ، و لكنه وظيفها في تفسيره لقوله تعالى [قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ

1 - معارج التفكير و دقائق التدبُّر : عبد الرحمن الميداني ، 11/250 .

2 - نفسه : 11/418 .

3 - نفسه : 10/458 .

[(الزمر : من الآية 38) فقال رحمه الله : " إن أرادَ اللهُ جِلَّ جلاله و عَظَمَ سلطانهُ أن يُنزلَ بي صُراً أَكْرَهُهُ ؛ فهل آلِهتُكم قادرةٌ على أن تكشفَ عَنِّي ما أنزلَ بي من صُورٍ ؟ . و إن أرادَ أن يُنعمَ عليَّ بِنعمةٍ هي من آثارِ رحمته ؛ فهل آلِهتُكم قادرةٌ على أن تُمسِكَ عَنِّي نعمته ، فتمنعها عَنِّي ؟ . تفكروا و أجيبيوني ¹"]

5 - تطبيق قاعدة " حول إسناد الفعل أو ما في معناه إلى فاعله أو من قام به أو مسببه أو الأمر به والداعي له، أو المُتهم أو الحاكم أو القاضي به، أو واجده والعاثر عليه والواصل إلى العلم به، أو غير ذلك " ² :

رأينا في هذه القاعدة أنه لا يُشترط لصحة الإسناد أن يكون المُسندُ إليه فاعلاً للشيء الذي تضمنه الفعل أو ما في معناه ، أو قائماً به أي موصوفاً به ، و اعتقاد هذا يوقع في أخطاء تدبرية . وقد مرَّ معنا في الشرح النظري للقاعدة حالاتٌ متعدّدة من العلاقات يصحُّ معها إسناد الفعل .

و من خلال متابعة تطبيق المؤلف للقاعدة ظهر لي أنه يعتني بالإشارة إلى نوع العلاقة التي حصل معها إسنادُ الفعل ، خاصّةً إذا ترتّب على ذلك فائدة تدبرية متميزة و دقيقة ، وربّما مرّ دون الإشارة إذا لم يظهر له موجبٌ للتنبيه . من ذلك :

قوله في تفسير قول الله تعالى : [مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى] (طه : 2) : " (لتشقى) الشقاء يُطلق في اللغة على كلِّ ما لا يسُرُّ الإنسانَ من أمور ، و على كلِّ ما يخالفُ رغبةً له ومطلوباً من مطالبه ، في عاجل أمره أو آجله ، من أدنى المزعجات و المكدرات ، إلى أشدّ المؤلّمات ³ .

فهذا من نوع كون المسند إليه قد قام به الحدث الذي تضمنه الفعل (تشقى) و موجود فيه الوصف ، و إلاّ فإنّ جهة حصول ذلك هي المزعجات و المكدرات . وقد لاحظنا كيف

1 - معارج التفكير و دقائق التدبّر : عبد الرحمن الميداني ، 12 / 232 .

2 - قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني ، ص 665 ، وهي القاعدة السابعة و الثلاثون في الكتاب .

3 - معارج التفكير و دقائق التدبّر : عبد الرحمن الميداني ، 8 / 29 .

بيِّن المؤلفُ هذا في شرحه بدقَّة ، و لكنّه لم يُشير إلى القاعدة و مضمونها .

و قال رحمه الله في تفسير قول الله تعالى : [وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ] (البلد : الآية 10) : " أي وهديناهُ طريقَ الحقِّ و الخير . . و في بيان هدايته إلى هذين الطريقين إشارةً إلى الغاية من خلقه ، إذ هو مزوّدٌ بقدرات على العمل و الكسب في الحياة الدنيا ، و بأدوات إحساس توصله إلى مشاهدة بعض آيات الله في كونه ، و بقُدُرات فكريّة علمية ، و مشاعر وجدانيّة يُدركُ بها الحقَّ و الباطل ، و الخير و الشر ، و الصلاح و الفساد ، و النافع و الضار ، و المؤلم و السار ، إلى سائر ما في نجدَي الحياة المتضادّين، مع ما هو مزوّدٌ به من إرادة حُرّة في اختياراتها " ¹ .

فالله تعالى زوّدَ الإنسان بجميع هذه المذكورات في شرح المؤلف ، فظهر أنّ معنى (هديناه) أي بيّنا له بموجب تلك الوسائل الطريقَ الذي يسلكُ، وهو حُر . فهذا معنى الإسناد في (هديناه) .

و تأمّل صنيعَ المؤلف رحمه الله في تفسير قول الله تعالى : [مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضِلِّمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ] (الأعراف : الآية 178) كيف فرّق في شرح معنى الإسناد في فعل (يهد) و فعل (يضلل) بما يفتح على المتدبّر بالمعنى السليم المقصود و يعصمهُ في أن واحدٍ من الوقوع في الخطأ و الانحراف ، مع التصريح بمضمون القاعدة فقال رحمه الله : " أي : من يحكّم الله له بالهداية فهو المهتدي ، و معلومٌ أنّ حكمَ الله عزّ وجل لأفراد عباده بالهداية أو حكمه عليهم بالضلالة ، حكمًا مُبرمًا ، إنما يكون يوم القيامة في محكمة العدل الربّانية ، بعد السؤال و الحساب و وزن الأعمال ، أو دون سؤالٍ ولا حساب ، إذ يُدخل بعض عباده الصالحين الجنة بغير حساب . . **وقد وجبَ حملَ فعل (يهدي) في هذا النصِّ على معنى الحكم بالهداية ، أحد العلاقات التي بمقتضاها يُسنَدُ الفعلُ إلى فاعله ، لأنّ العلاقات الأخرى لا تلائم مضمون النص** " ²

1 - معارج التفكير و دقائق التدبّر : عبد الرحمن الميداني، 195-3/194 .

2 - نفسه : 5/42 .

وإذا لم يكن في الشرح فائدة تدبرية خاصة تنبني على توضيح علاقة الإسناد فإنه لا يتعرض لها إطلاقاً، كما في تفسير قول الله تعالى : [وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صَرِّحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ] (غافر : الآية 36) ، فإن هامان - الوزير الأول - لفرعون لن يُباشِرَ البناءَ بنفسه و إنما يفوض و يأمر البنايين ، وأرى أنه لم يظهر للمؤلف في هذا فائدة تدبرية خاصة فلذلك لم يقف عندها بالتنبيه في (معارج التفكير)¹ ، وإنما مثل بها فقط في (قواعد التدبر) للتدريب² .

6 - تطبيق قاعدة " حول ما يسمى بالاستثناء المنقطع " :³

رأينا في الطرح النظري لهذه القاعدة أنّ على متدبر كلام الله عز وجل أن يتفكر بأناة في كل نص قرآني يشتمل على استثناء يترأى له من ظاهره أنّ المستثنى فيه منقطع عمّا قبل الاستثناء ليكتشف بالتحليل الغاية التدبرية من ذلك .

و المؤلف رحمه الله أتقن التطبيق في هذه القاعدة بذكر التوجيه الدقيق لفهم أداة (إلا) في النصوص التي وردت فيها :

من ذلك قوله في تفسير قول الله تعالى : [وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّمَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْغُلُقِ الْمَشْحُونِ (41) وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ (42) وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَدُونَ (43) إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ] (يس : الآيات 41-44) : " أي : لكن إذا شئنا أن لا نُهلكهم ، فإننا نُنقذهم ، مما قد يتعرضون له من مخاطر في مراكبهم ، رحمة منا بهم ، و نبقيهم أحياء ليتمتعوا متاعاً في الحياة الدنيا ، إلى حين تأتيهم آجالهم بحسب أعمارهم المقضية لهم في هذه الحياة الدنيا " ⁴

و نلاحظ في تطبيق المؤلف للقاعدة في هذه الآية أنّه اعتبر (إلا) بمثابة أداة استدراك (لكن) ، أو يمكن القول أيضاً أنّه انتزع المستثنى منه من الواقع ، على الصورة التي يركبوا

- 1 - نفسه : 12/373 .
- 2 - قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني، ص 669-670 .
- 3 - قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني، ص 683 ، و هي القاعدة الثامنة و الثلاثون في الكتاب .
- 4 - معارج التفكير و دقائق التدبر : عبد الرحمن الميداني، 6 / 129 .

فيها سالمين ثم يتعرّضون في طريقهم إلى مخاوف و مهالك فيبعثُ الله لهم ما يُغيثُهُمْ ، ويدفع عنهم أسباب الهلاك ، رحمة منه بهم ، ولذلك قدّر المؤلفُ هذا المستثنى منه بقوله فيما مضى نقله " إذا شئنا أن لا نُهلكَهُمْ ، فإننا ننقذُهُمْ ، مما قد يتعرّضون له من مخاطر في مراكبهم " .

وقال أيضًا في تفسير قوله تعالى : [لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ] (الدخان : الآية 56) : " فأهل الجنة في الجنة لا يذوقون الموت أبدًا ، و كذلك قبل أن يدخلوا الجنة ، لا يذوقون الموت بعد البعث ، إنهم لا يذوقون الإحساس بالموت إلا عند انفصال الروح بعد الأجل الذي عاشوه في الحياة الدنيا ، هذه هي الموتة الأولى في وجودهم التي ذاقوا الموت بها . فلا تعارض في البيانات القرآنية ، و باستطاعتنا أن نفهم العبارة القرآنية [لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى] لا يذوقون في الجنة الموت ، لا يذوقون الموت في وجودهم إلا ذوقة الموتة الأولى التي ذاقوا فيها الإحساس بانفصال أرواحهم عن نفوسهم . ويمكن أن نقدّر العبارة كمايلي : لا يذوقون فيها الموت ، لا يذوقون إلا موتة الحياة الدنيا ، وأرى أنّ عبارة [إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى] بدّل من عبارة [فِيهَا الْمَوْتَ] وهو من البَدَل المُبَايِن ، مع قصد كلٍّ من البَدَل و المُبَدِّل منه ، ونظيره [طه (1) مَا أَتْرَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (2) إِلَّا تَذَكَّرَ لِمَنْ يَخْشَى] فما بعد إلا بدّل من عبارة لتشقى " ¹ .

فانظر كيف جعل المؤلفُ رحمه الله ما بعد [إلا] استثناء من جملة محذوفة تفسرها الجملة السابقة للاستثناء و اجتهد في تقديرها ، والغرض منها هو الإعلام بحقيقة ، وهي أنّ ذواق الموت لا يكون لهم إلا مرّة واحدة عند الموتة الأولى .

7 - تطبيق قاعدة " حول أن القرآن لا اختلاف فيه ولا تناقض، وأنه لا تناقض بينه وبين الحقائق العلمية الثابتة بالوسائل الإنسانية " ² :

1 - معارج التفكير و دقائق التدبّر : عبد الرحمن الميداني، 13 / 62-63 .

2 - قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني، ص 225 ، وهي القاعدة الثالثة عشرة في الكتاب .

مدار هذه القاعدة كما مرّ معنا في القسم النظري حول حقيقتين : الأولى في نفي الاختلاف و التناقض عن كتاب الله و موقف المتدبّر و منهجه في التعامل مع ما يُوهّم ذلك ، مما يوحي بضرورة نظر المتدبّر في سياق النص و لواقفه، بما يرفع الاختلاف ، و ليفهم كل فكرة ضمن حدودها التي تخرجها عما قد يبدو من اختلاف أو تناقض ، و تنظمها في سلك موضوع متكامل . و الثانية في نفي التناقض بين القرآن و بين الحقائق العلمية الثابتة .

وقد أتقن المؤلف رحمه الله تطبيق هذه القاعدة في شقيها ، مثال ذلك :

ففي تفسير قوله تعالى : [و العَصْر (1) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2)] إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ [(العصر: الآيات 1-3)] قال رحمه الله في توجيه الاستثناء بما ينفي التعارض : " و كلمة (إلا) في الآية أرى أن نفهمها على أنّها بمعنى (لكن) ؛ لأنّ جعلها من قبيل الاستثناء يجعل الناس قسمين : إما مردودون لأسفل سافلين ، و إما ناجون ومنعمّون في جنات النعيم بالإيمان ، و العمل الصالح ، بينما تكشف قواطع النصوص أنّ النار دركات ، و يخلد في دركاتها كفأر و مشركون ليسوا من أهل أسفل سافلين " ¹

وهذا توجيه و اجتهادٌ منه رحمه الله لنفي ما يوهم التعارض في كتاب الله عز وجل ، فقد قال رب العزة سبحانه : [إِنَّ الْمُتَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا] (النساء : الآية 145) ، فأثبت أنّ النار دركات ، و قال الله تعالى : [وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ] [43] لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ [(الحجر : الآية 43-44)] ، فأثبت أنّ للنار أبوابًا يُقسّم عليها الناس .

و بخصوص جهود المؤلف في تطبيق نفي التناقض بين القرآن و بين الحقائق العلمية الثابتة ، أرصد في تفسيره مايلي :

قوله رحمه الله في شرح قوله تعالى : [وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ] (يس: الآية 38) : " الجري : السير المنتظم ، يُستعملُ لذي الأرجل و للماء ، و لكل سائر ينتقل من مكان إلى مكان آخر . . كان يدرّسُ في مادّة العلوم الطبيعيّة في أوائل القرن العشرين الميلادي أنّ الشمسَ ثابتةٌ لا تجري ، و أنّ الأرضَ و الكواكب من حول الشمس هي التي تجري حولها . وانطلقت يومئذٍ الأسئلةُ حول مخالفة الآية القرآنيّة لما هو مقرّرٌ في العلوم الكونيّة الإنسانيّة ، وقامت جدليّاتٌ بين المؤمنين بالقرآن و المؤمنين بمقالات العلوم ، دون تحفّظ ، فتنةً بما يذكّره علماء الكونيّات . ثمّ تقدّمت البحوثُ العلميّة الفلكيّة ، وأثبت العلماءُ الفلكيّون أنّ الشمسَ بالنسبة إلى لمجموعتها المداريّة حولها و التي هي أسرتها ثابتة ، لكنّها مع كل أسرتها تجري بحركة خاصّة في فلكٍ أكبر ضمنَ المجرّة ، فهي بالنسبة إلى أسرتها ثابتة ، لكنّها بالنسبة إلى وضعها مع أسرتها في المجرّة جاريةٌ غير ثابتة ، فهي كما قال الله عز وجل [تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا] . وظهرَ بهذا نقصُ العلوم الإنسانيّة الأولى ، المتي كان يقول بها علماء الدراسات الكونية ، وظهرت مطابقة البيان القرآني للحقّ و الواقع ، وظهرت مطابقة كلمة الله البيانيّة لآثار كلمة الله التكوينية في الكون، وهذه إحدى أمثلة الإعجاز العلمي في القرآن " ¹ .

وفي الكشف التدبّري عن مواضع و إشارات السّبق العلمي في القرآن قال رحمه الله في تفسير قول الله تعالى : [وَآتُهُ خَلَقَ الرُّوحَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى (45) مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى] (النجم : 45-46) : " و نفهم منه أيضًا أنّ الذكر و الأنثى كليهما يخرجان من نطفة الرجل ، فلا علاقة لبيضة المرأة بتحديد كون الجنين ذكرًا أو أنثى ، وهذه الحقيقة من حقائق التكوين الرّبّاني لم يعرفها علماء الأحياء و الأطبّاء و علماء الأجنّة إلا متأخّرًا ، فهي من أمثلة الإعجاز العلمي في القرآن . و نفهم من قول الله تعالى [إِذَا تُمْنَى] أي : إذا تُقدّفُ في الرّحم ، أنّ الوقت الذي يتم عنده توجيهُ الحوين المذكّر، أو الحوين

الأنثى من النطفة المنويّة ، ليكون هو قرين بيضة المرأة ،
ولينعقدَ منهما الجنين هو
وقتُ قذفِ النطفة في الرحم ، وهذا هو الذي اكتُشِفَ بالوسائل
العلميّة التجريبية "1.

وكذلك في الكشف التدبّري عن مواضع وإشارات السّبق
العلمي في القرآن ؛ قال رحمه الله في تفسير قول الله تعالى
: [مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى] (النجم : الآية 11) : "إنّه لمّا كان
مشهدُ ظهور جبريل بصورته العظيمة التي تملأ الأفق أمرًا من
الوضوح و التحقق التامّ بالغّا الغاية ، كان نافدًا إلى الفؤاد
مركزِ عمقِ القلب ، وهو شيءٌ غير جهاز ضخ الدّم . وهذا دليلٌ
يدلُّ على أنّ الرّؤية الحقيقيّة هي الرّؤية النافذة إلى مركز
الإدراك البصري في عمق الإنسان . وقد أثبتت العلوم الحديثة
أنّ العينَ أداةً توصيل لصورة المرئي، وأنّ الرّؤية إنّما تكونُ
في مراكز الإبصار في المدّماغ ، وحين تصابُ هذه المراكز
بالخلل لا تحضُلُ الرّؤية ، ولو كانت العينان سليمتين و أعصابُ
التوصيل سليمة "2 .

8 - تطبيق قاعدة " حول القسّم في القرآن " 3 :

مدار هذه القاعدة كما رأينا حول ضرورة بحث المتدبّر
في المناسبة بين المُقسّم به و المُقسّم عليه، والغرض من
القسم و استخراج الدّلالات في ذلك ، و النظر في حال
المخاطبين التي اقتضت التأكيد لهم بالقسّم ، وما إلى هذا من
النواحي التدبّريّة النافعة الممتعة .

و لدى تتبّع المواضع التي ورد فيها القسّم في القرآن
الكريم ، وتعرّض لها المؤلّف بالتحليل و السبر ؛ لمسّت أنّه
أتقن تطبيق القاعدة بما يخدمُ حقًا الدّرسَ التدبّري خدمةً
جليّة متميّزة ، اختارُ مثلاً واحداً لدقّته و عظيم فائدته ، وأشير
إلى البقيّة في الهامش :

إبداعه رحمه الله في ترجيح وجه اختيار الجمع بالقسّم بين
التين و الزيتون و طور سنين و البلد الأمين ، عند تفسير قول

1 - معارج التفكير و دقائق التدبّر : عبد الرحمن الميداني، 2 / 160 .

2 - نفسه : 111-2/110 .

3 - قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني، ص 463 ، وهي
القاعدة الثامنة في الكتاب .

الله تعالى : [**وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ (1)** وَطُورِ سَيْنِينَ (2)] وَهَذَا **الْبَلَدِ الْأَمِينِ (3)** لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ [(التين : الآيات 1-4) . قال رحمه الله : " ذكر المفسرون في تفسير المراد بقوله تعالى [**وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ**] آراءً ليس لها سندٌ من بيانات الرسول صلى الله عليه و سلم ، و أحسنها فيما أرى ، ما هو مُنْسَجِمٌ و متناسِقٌ مع القسم بطور سينين ، و القسم بالبلد الأمين ، وهو أيضًا الملائم لما جاء في السورة بعد الأقسام الأربعة " .

ثم راح يوضِّح دِقَّة الاختيار فقال : " إنَّ القسَمَ بمهبط الوحي الربَّاني على موسى عليه السلام ، وهو (طور سينين) و القسمُ بأوَّل مهابط الوحي على محمد خاتم الأنبياء و المرسلين ، وهو (البلد الأمين) مكة المكرمة ، يلائمه القسمُ بمهابط الوحي على جملةٍ من أنبياء الله و رُسُلِهِ عليهم السلام ، وهي بلاد التين و الزيتون . فالقسَمُ بالتَّين هو على تقدير : و منابت شجر التين ، وهي بلاد الشام ، إذ كانت معروفة بهذه الشجرة المباركة قديمًا ، فإذا قال قائلٌ قديمًا لمسافر : إلى أين أنت مسافر ؟ فقال له : إلى بلاد التين عُلِمَ من جوابه أنَّه مسافرٌ إلى بلاد الشام ، لكثرة ووفرة أشجار التين فيها .. وقد كانت بلاد الشام مهابطٌ وحي الله عزَّ وجل لطائفةٍ جليَّةٍ من أنبياء الله و رُسُلِهِ عليهم الصلاة و السلام ، و التينُ لم يُذكر باسمه الصريح إلا في هذه السورة فقط ، و القسمُ بالزيتون هو أيضًا على تقدير : و منابتِ شجر الزيتون ، وهي بلاد فلسطين على وجه الخصوص من أرض الشام الكبرى، إذ كانت بلاد فلسطين معروفةً قديمًا بهذه الشجرة المباركة " ¹ .

ومع هذا الاختيار فقد كان المؤلفُ رحمه الله متوازِنًا حينما أشار إلى فائدة أخرى في تخصيص التين و الزيتون من بين سائر الأشجار في القَسَم ، فقال : " و في ذكر التين إشارة إلى بلاد الشام ، و عنوانًا لها ، مع أنَّ فيها أشجارًا أخرى غير أشجار التين ؛ تنويهً ضمنيُّ بقيمة هذه الشجرة ، ذات الثمرة المباركة ، العظيمة الغذاء و النفع . . و في ذكر الزيتون عنوانًا لبعض مهابط الوحي ، مع أنَّ فيها أشجارًا أخرى غير أشجار

الزيتون ؛ تنويهٌ ضمنىٌ بقيمة هذه الشجرة العظيمة ذات الثمرة المباركة ، التي وصفها الله عز وجل بقوله في سورة (النور /24 مصحف /112 نزول) [اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَيَّ نُورٌ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (35)] " 1 .

وبعد الإشارة إلى فائدة القسم بالرسالات الربانية للناس ، وبعد شرح ممتع لمعنى التقويم ؛ كَشَفَ رحمه الله عن الغرض من القسم في السورة وعن وجه الارتباط بين المقسم به و المقسم عليه فقال : " و باستطاعتنا أن نشرح المقسم به و المقسم عليه بما يلي : قَسَمًا بالرسالات العظيمة الهادية للتي هي أقومٌ ، و المشتملة علي بيان الدين القيم الذي اصطفيناهُ للناس ، و الذي يلائمُ كماله حال من أنزلناهُ لهدايتهم ؛ لقد خلقنا الإنسانَ في أحسن تقويم ، فحاله يستدعي إنزال هذه الرسالات القيمة المشتملة على الدين القيم " 2 .

ثم أبدع رحمه الله في استخراج الحكم و الفوائد التي تزيد المعنى وضوحًا ، ثم قال : " . كل هذه المعاني يستطيع أن يستخرجها المتدبرُ من القسمِ بمهابط الوحي ، أي : برسالات الله للناس " 3 .

9 - تطبيق قاعدة " حول النظر في توجيه الخطاب الرباني " 4 :

رأينا أنّ هذه القاعدة تدورُ حول كيفية تعلّم توجيه الصحيح السليم للخطاب الرباني حسب طبيعة الخطاب و الجهة المُخاطَب بها ، وكيفية الاستنباط من ذلك . و لدى تتبّع المواضع التي كَشَفَ فيها المؤلف عن طبيعة الخطاب القرآني ؛ لمسّتُ أنّه أتقنَ تطبيق القاعدة بما يخدمُ

1 - معارج التفكير و دقائق التدبّر : عبد الرحمن الميداني، 2 / 401 .

2 - نفسه : 2 / 405 .

3 - نفسه : 2 / 407 .

4 - قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله : عبد الرحمن الميداني، ص 611 ، وهي

القاعدة الحادية و الثلاثون في الكتاب .

حقاً الدرسَ التدبيري خدمةً جليلاً متميزة ، أختارُ مثلاً واحداً لدقته و عظيم فائدته ، وأشير إلى البقية في الهامش : قوله في التوجيه التدبيري لقول الله تعالى : [الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ] (الرحمن : الآية 5) : " أي تقدير جرميهما و حرَكْتَيْهِمَا بحسابٍ دقيق غاية في الإبداع و الإتقان . جاءَ في هذا النصِّ تأكيداً ما سبق بيأته في سورة (الأنعام) لما في تقدير جرمي الشمس و القمر و تقدير حركتيهما بحساب غاية في الدقَّة ، فهما لا يخرجان عن أنظمتيهما الموضوعة لهما طوال ملايين السنين ، وهذا إنما يُدركُ عظمتَه و يدَهشُ لها علماء الكونيات الرياضيون " ¹ .

فهذا من اجتهاده رحمه الله في الكشف عن الجهة الأحقّ و الأخصّ في الخطاب ، مع أنّ النصّ موجّه بالأصل لكلّ من بلغ ، وفي هذا ولا شك دعوةٌ ضمّنيّة للاعتناء بالعلوم و التخصصات لكشف الإعجاز في خطابات الله تعالى للناس . وفي التوجيه التدبيري لقول الله تعالى : [وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ] (الروم : الآية 22) قال رحمه الله : " أي ومن آيات الله العظيمة في كونه المدالات على كثير من صفاته الجليلة و أسمائه الحسنی وربوبيته الواحدة لكونه كله خلقه للسموات و خلقه للأرض بما فيهما من مُدهشاتٍ لعقول أولي الألباب المتفكرين العالمين بما فيها من صفاتٍ عظيمة و إتقانٍ بديع . . و من آياته الباهرة أيضاً اختلاف السنة الناس في التعبير عمّا تريدُ أنفسهم التعبير عنه . . و يلزم من اختلاف الألسنة تفاضُّ اللغات فيما بينها ، و هذا التفاضل إحدى ظواهر الخلق الربّاني في الكون . و من آيات الله الباهرة اختلاف ألوان الناس . . و الباحثون العالمون من العالمين هم الذين تهديهم بحوثهم إلى معرفة أسباب اختلاف الألوان في السلالات البشريّة ، و إدراك آيات الله فيها " ² .

1 - معارج التفكير و دقائق التدبیر : عبد الرحمن الميداني، 343 / 2 . وهو يشيرُ رحمه الله إلى آية سورة (الأنعام) : [فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (96)] .

فهذا أيضًا من اجتهاده رحمه الله في الكشف عن الجهة
الأحقّ والأخصّ في الخطاب ، مع أنّ النصّ موجّه بالأصل لكلّ
من بلغ ، خاصّة على قراءة [العالمين] ، وفي هذا ولا شكّ
دعوةً ضمنيّة للاعتناء بالعلم و التعلّم و تطوير البحوث و العلوم
و التخصصات لكشف الإعجاز في خطابات الله تعالى للناس .

خاتمة

أحمد الله العظيم رب العرش الكريم الذي يسر لي إتمام هذا البحث بعد رحلة ممتعة عشنا مع آيات القرآن العظيم وسوره ، وما تعلق بها من كلام العلماء وجهودهم التفسيرية والتدبرية ، وهاهي الخاتمة تتوج هذه المسيرة وتسجل أهم النتائج والتوصيات التي توصل إليها الباحث :

1- نتائج البحث :

توصل الباحث إلى العديد من النتائج أهمها :

أ- المؤلف رحمه الله وفق في ضبط تعريف دقيق موجز للتدبر حين قال : " التدبر هو التفكير الشامل الواصل إلى أواخر دلالات الكلم ومراميهِ البعيدة " أي أنه عملية عقلية شاملة تواصلية بنائية متدرجة ، الغاية منها تحقيق المرامي وملامسة الأواخر ، في دلالات الكلمات في حد ذاتها ، وفي أثارها في النفس والمجتمع والحياة ، إشارة إلى المقتضى الفكري التعليمي أو العملي التربوي أو الإصلاحي الحضاري الذي يحصل به الرقي .

ب - يرى الباحث أن التفسير كشف و بيان لمعنى النص القرآني ولا ينبغي الزيادة على هذا المفهوم ، إذ ما لم يكن له أثر في بيان المعنى فإنه خارج عن مفهوم التفسير ،

بخلاف التدبير فهو ما وراء ذلك من إدراك مغزى الآيات ومقاصدها ، واستخراج دلالاتها وهداياتها ، والتفاعل معها ، واعتقاد مادلت عليه وامتناله .

ج - كلمة (**تأملات**) في عنوان كتاب " **قواعد التدبير الأمثل لكتاب الله عز وجل تأملات** " تشرح طريقة المؤلف في الكتابة ، وتفتح للباحث وجه اختيار المؤلف لطريقة السرد دون التقييد بالمصادر و المراجع و التخريج للمنقولات كما هو معهود في الكتابات الأكاديمية ، وخاصة أن المؤلف رحمه الله من كبار الأساتذة الجامعيين . وهذا يجعل الباحث يعتدل في الحكم على المؤلف و يلتمس له العذر في هذا التصرف و الاختيار ، وإن كانت الكتابة الأكاديمية أجمل وأولى .

د - كتاب " **قواعد التدبير الأمثل لكتاب الله عز وجل** " اشتمل على جملة من مقاصد التأليف الناجح ، من خلال التنوع في الجمع ، وتوضيح المشكل ، والجدة والابتكار في العرض ، والجمع بين التنظير و التطبيق ، غير أن الاستطراد والتكرار الملفت للنظر سمة واضحة في عمل المؤلف ، والإطناب في الصياغة والتعبير كذلك ، مع الأسلوب الأدبي الجمالي في موضوع علمي دقيق ، وكل هذا مما يؤخذ عليه المؤلف .

هـ - من خلال الاستقراء المتأني للباحث لكل صفحات كتاب " **قواعد التدبير الأمثل** "؛ لم يجد إحالات على الهامش إلا في اثنين وعشرين موضعًا فقط¹، في اثنين منها أحال إلى مؤلفاته² ، ومعلوم أن التهميش يكتسي قيمة كبرى في البحوث العلمية الأكاديمية، وتركه مخالفة ظاهرة لطريقة المُحدّثين في الكتابة .

1 - انظر هامش الصفحات : (25 ، 137 ، 153 ، 204 ، 211 ، 252 ، 271 ، 352 ، 354 ، 458 ، 570 ، 622 ، 673 ، 678 ، 709 ، 712 ، 714 ، 717 ، 718 ، 739 ، 759 ، 778) .

2 - انظر هامش الصفحات : (271 ، 354) ، الموضوع الأول أحال فيه على كتابه (**الأمة الربانية الواحدة** من ص 16 إلى ص 21) ، و الثاني أحال فيه على نفس الكتاب (من ص 27 إلى 34) . وقد أحال أيضًا على كتابه (**بصائر للمسلم المعاصر**) ولكن ليس في الهامش (ص 162) .

و - المؤلفُ رحمه الله استفادَ في إعداد مادّة الكتاب من مطالعات جمّة ، لكتب التفسير و لجهود تدبّريّة لكثير من أهل العلم ، و لكنّه لم يوثّق طبيعة هذه الاستفادة على وجه التحديد بالاسم و الصفحة إلا نادراً بالمقارنة مع حجم الكتاب .

ز - الشيخ عبد الرحمن الميداني نوّع في قواعد التدبّر القرآني مما يخدمُ الدّرس التدبّريّ خدمةً شاملة متكاملة ، فذكر : قواعد متعلقة بالآثار ، وقواعد بالتناسب والوحدة الموضوعية في القرآن الكريم ، وقواعد متعلقة بالبلاغة ، وأخرى متعلقة بالنحو واللغة ، و أخرى متعلقة بدلالات الألفاظ والتراكيب .

ح - تفسير " معارج التفكير و دقائق التدبّر " لعبد الرحمن الميداني على ضخامة حجمه فإنّه يصلحُ أن يكون أرضيةً سهلةً ميسورة لمن أرادَ التدرّب على التطبيق العلمي لقواعد التدبّر القرآني .

ط - حسب استقراء الباحثِ لتفسيره؛ فإنّ الشيخ عبد الرحمن الميداني طبّق فيه جميع القواعد التي نظر لها في كتابه " قواعد التدبّر الأمثل " ، ما عدا قاعدة واحدة [كما أشار الباحث في صفحة 276] وهي قاعدة " حول تتبّع مراحل التنزيل " في الشّق التشريعي (القاعدة التاسعة من قواعد التدبّر) ، و السبب توقّف المؤلف عند القرآن المكي مع مدخل لسورة البقرة و بالتالي لم يتعرّض للتشريعات . هذا وفي طريقة تطبيقه لتلك القواعد أحياناً يُشيرُ إلى القاعدة وأحياناً كثيرةً يطبّق دون أن يُشير إليها وربّما أشار إشارةً خفيةً تُستنبط ، وتطبيقاته كانت تختلف قلّةً وكثرةً حسب طبيعة القواعد نفسها وعلاقتها بالنصوص . وفي طريقة تطبيقه لتلك القواعد في تفسيره التدبّري أحياناً يُشيرُ إلى القاعدة وأحياناً كثيرةً يطبّق دون أن يُشير إليها إلا إشارةً خفيةً . وتطبيقات الشيخ عبد الرحمن الميداني لقواعده التدبّرية كانت تختلف قلّةً وكثرةً حسب طبيعة القواعد نفسها .

ي - بخصوص طريقته في التفسير ففي الغالب الأعمّ يقسّم السورة إلى عدد من الدروس ، ثم يتناول كلّ درسٍ بالتفسير الإجمالي أولاً ، ثمّ يأخذُ في تحليله بعد ذلك و تناول

ما فيه من القراءات و الفوائد و الدقائق وفق قواعد التدبر
الأمثل التي بنى عليها تفسيره .

ك - التفسير على ترتيب النزول مُفيدٌ في تحقيق كثير
من الحكم و الدلالات و الدقائق التدبرية ، من : تحقيق حكمة
التدرج التشريعي، و تحقيق السلامة من الأخطاء التفسيرية
بإدراك المكي و المدني ، ومراعاة ذلك في تفسير النصوص ،
ومن تحقيق حكمة التدرج التربوي و الخطوات التربوية و
التمكن من كشفها و تدبر سياقاتها التشريعية و التاريخية و
البيئية ، و تحقيق تسلسل البناء المعرفي المتكامل ، و
التسلسل في التكامل التربوي و البناء الأخلاقي ، و اكتشاف
أمور و فوائد ترجع إلى حركة البناء المعرفي لأمور الدين ، و
اكتشاف حركة المعالجات التربوية الربانية الشاملة للرسول
صلى الله عليه و سلم و للذين آمنوا به و اتبعوه ، وفقه
النصوص الحركية و اكتشاف طرائق الإصلاح و أساليب
الدعوة و ألوان الجهاد في إطار بنائي متدرج ، مع التمكن
من فهم التكرير في القرآن الكريم . غير أنه يفتقد إلى رواية
صحيحة ثابتة يقيناً تبين المتقدم و المتأخر ، وهذا من أشد ما
انتقد على المؤلف وعلى هذه الطريقة بشكل عام .

ل - من أبرز ما انفرد به عمل المؤلف في نظر الباحث
إلحاق المباحث الخادمة للدرس التدبري ، من مثل مباحث
التفسير الموضوعي ، ك " التسبيح في القرآن " ¹ ، و " **حب العاجلة في النصوص القرآنية** " ² ، و " **حول
الرياح في القرآن المجيد** " ³ ، و " **نظرة عامة حول ما
جاء في القرآن والسنة مما يثبت البشري للمؤمنين
المتقين** " ⁴ ، و " **نظرة حول ما جاء من صفات عباد
الرحمن في سائر القرآن** " ⁵ ، و " **القسم في القرآن**
" ⁶ ، و " **التدبر التكاملي للنصوص القرآنية بشأن مريم**

1 - معارج التفكير ودقائق التدبر : عبد الرحمن الميداني، 1/ 467 .

2 - نفسه : 2/ 499 .

3 - نفسه : 2/ 626 .

4 - معارج التفكير ودقائق التدبر : عبد الرحمن الميداني، 6/ 444 .

5 - نفسه : 6/ 672 .

6 - قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل : عبد الرحمن الميداني ، ص

عليها السلام¹ ، و " الاستعاذة بالله في القرآن و السنة² ، و " بيان أن وظيفة القرآن و الرسول وظيفة بيان و تذكير³ ، و " حول الشمس و القمر و النهار و الليل في القرآن⁴ ، و " البركة في القرآن⁵ ، و " الحكمة في القرآن المجيد⁶ ، و " أطوار خلق الإنسان في القرآن⁷ و غيرها من المواضيع القرآنية .

م - ومما انفرد به عمل المؤلف في الدرس التدبري فائدة " العمق القرآني " ، المتصلة بالقاعدة الرابعة عشرة من الكتاب ، وهي من الأساسيات التي برزَ فيها عمله وجُهدُه .
وباختصار :

يرى الباحثُ أنَّه ثبتَ الجوابُ على الإشكالية الأساسية في الدراسة :

عبد الرحمن حبيكة الميداني تمكّن باقتدار من التأسيس لعلم التدبر القرآني ، ومن التوفيق في خدمة الدرس التدبري بين التنظير والتطبيق .
2- توصيات البحث :

في ضوء تلك النتائج ؛ يوصي الباحثُ بما يلي :
أ - السعيُّ لأن يكون هناك مجمَعٌ للتدبر القرآني على غرار المجمع الفقهي الإسلامي، يجتمع فيه المتخصصون في التفسير وعلوم القرآن ، وكلِّ العلوم الخادمة المساعدة ، والذين لهم باعٌ طويلٌ مُعتَبَرٌ في التدبر ، من أجل التأسيس لعلم التدبر القرآني وتجلية قواعده وضبط وتمحيص مدلوله ومجاله بدقة متناهية لتتميّز فيه الأصول عن الوسائل والأهداف والثمرات ، ولأجل تصنيف مَكْتَبٍ علمي متخصص في البحوث والدراسات التدبرية ، و إنتاج برامج تطويرية في هذا المجال .
ب- العمل على دراسة واستخراج قواعد التدبر القرآني تنظيراً من تفاسير مشاهير أعلام المفسرين ممن لهم باعٌ

1 - معارج التفكير ودقائق التدبر : عبد الرحمن الميداني، 7/420 .

2 - نفسه : 51 / 2 .

3 - نفسه : 261 / 2 .

4 - نفسه : 332 / 2 .

5 - نفسه : 147 / 3 .

6 - نفسه : 453 / 3 .

7 - نفسه : 287 / 3 .

وَجُهْدُ تَدْبِيرِيٍّ مَعْرُوفٍ ، وَكَذَلِكَ دِرَاسَتَهَا تَطْبِيقًا وَفَق مَنَهجِ عِلْمِيٍّ رَصِينٍ ، بَغِيَّةَ إِثْرَاءٍ وَتَحْقِيقَ نُضْجِ هَذَا الْمَجَالِ الْخَصْبِ وَالتَّاسِيسِ لِلْمَكْتَزِ الْعِلْمِيِّ ، حَتَّى تَجْتَمَعَ جُهُودُ الْبَاحِثِينَ لَوْضَعِ مَدُونَةِ التَّقْيِيدِ التَّفْسِيرِيِّ التَّدْبِيرِيِّ الَّتِي تُسْتَخْلَصُ مِنْ مَجْمُوعِ الْمَصْنَفَاتِ وَالْمَحَرَّرَاتِ التَّفْسِيرِيَّةِ عَلَى مَرِّ الْعَصُورِ .

ت - الْجُهُودُ التَّفْسِيرِيَّةُ التَّدْبِيرِيَّةُ لِلشَّيْخِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ حَبَّكَةِ الْمِيدَانِيِّ مَجَالٍ حَيَوِيٍّ خَصْبٍ ، لَا تَزَالُ بِحَاجَةٍ إِلَى اسْتِجْلَاءِ جَوَانِبِ التَّمْيِيزِ فِيهَا وَالْإِبْدَاعِ ، وَالْكَشْفِ عَنِ الْعُمُقِ الْمَوْجُودِ فِيهَا ، وَأَحْسِبُ أَنَّي أَتَيْتُ عَلَى شَيْءٍ يَسِيرٍ مِنْ هَذِهِ الْمَسْئُولِيَّةِ ، فَهَذَا الْمَوْضُوعُ لَا يَزَالُ فَعْلًا بِحَاجَةٍ إِلَيَّ مَزِيدَ عَنَايَةِ وَبَحْثِ ، وَهَذِهِ الدِّرَاسَةُ لَنْ تَعْدُوَ أَنْ تَكُونَ سَدًّا لجزءٍ مِنَ الْفِرَاقِ ، وَخَطْوَةٌ مَتَوَاضِعَةٌ فِي بَدَايَةِ الطَّرِيقِ ، وَحَسْبِي فِي ذَلِكَ سَعَةُ مَوْضُوعِ الْبَحْثِ بِقَوَاعِدِهِ الْأَرْبَعِينَ ، وَعَسَى أَنْ يَسْتَمِرَّ الْبَاحِثُ فِي خِدْمَةِ عُلُومِ الْمُؤَلِّفِ عَامَّةً وَالْقَوَاعِدِ التَّدْبِيرِيَّةِ خَاصَّةً فِي مَسِيرَةِ الْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ بِحَوْلِ اللَّهِ .

وَفِي الْخَتَامِ :

أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ أَكُونَ قَدْ وُفِّقْتُ فِي هَذَا الْبَحْثِ ، وَوُقِّمْتُ بِمَا التَّرَمُّتُ بِهِ فِي الْمَنَهجِ ، وَأَنْ يَكُونَ مَا كَتَبْتُ خَالِصًا لَوَجْهِ اللَّهِ الْكَرِيمِ . كَمَا أَرْجُو أَنْ يَكُونَ هَذَا الْجُهْدُ الْمَتَوَاضِعُ إِسْهَامًا مِنَ الطَّالِبِ الْفَقِيرِ فِي خِدْمَةِ الْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ الْقِرْآنِيِّ ، وَإِصْلَاحِ أُمَّتِهِ قَدْرَ طَاقَتِهِ وَوُسْعِهِ .
وَأَخِرُّ دَعْوَاتًا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .
وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ لِلصَّوَابِ سُبْحَانَهُ .

ملخص البحث

هذا البحث هو عبارة عن دراسة في قواعد التدبّر القرآني عند عَلم من أعلام المفسّرين المعاصرين وهو الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ، حيثُ أَلَّف هذا العَلمُ كتابين هما مجال الدّرس ، الأول " قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله عز وجل تأملات " ، وهو عبارة عن أربعين قاعدةً تدبّرية مشروحة مع تطبيقات ، والكتاب الثاني " معارج التفكير و دقائق التدبّر تفسير تدبّري للقرآن الكريم بحسب ترتيب النزول وفق منهج كتاب قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله عز وجل " ، وقد درستُ قواعد الأربعين ، و كتابيه ، وبحثتُ مَدَى تطبيق المؤلف لتلك القواعد في تفسيره، و لتحقيق هذا الغرض قمت بتقسيم البحث إلى مقدمة و أربعة فصول و خاتمة ، الفصل الأول عرّفني فيه بمصطلحات البحث وتحديث فيه عن حياة المؤلف و كتابه (قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله عز وجل)، والفصل الثاني خصصته للدراسة التفصيلية لكتاب (معارج التفكير ودقائق التدبّر) ومنهج المؤلف فيه، والفصل الثالث خصصته للدراسة النظرية للقواعد الأربعين المذكورة في كتابه (قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله عز وجل) ، و الفصل الرابع للدراسة التطبيقية ، ثم الخاتمة سجلت فيها النتائج و التوصيات ، ثم ملخص البحث بالعربية و الإنجليزية ، ثم الفهارس .

SUMMARY

This research is a study in the rules of the Koranic teaching when learned from the flags of the contemporary interpreters, Sheikh Abdul Rahman Hassan Habanka field, where this science two books are the field of the study, the first "rules of the best interpretation of the book of God reflections," which is about forty base And the second book, "Reflection and minutes of the interpretation of the interpretation of the Koran in the order of descent according to the approach of the book rules of the optimal management of the book of God Almighty," and studied the forty rules, and written, and examined the extent of the author's application of these rules in the .interpretation

For this purpose I divided the research into an introduction, four chapters and a conclusion. The first chapter was defined in the terms of the research and I spoke about the life of the author and his book (the rules of the best interpretation of the book of God Almighty). The second chapter was devoted to the detailed study of the book " The third chapter is devoted to the theoretical study of the 40 rules mentioned in his book (The Rules of the Optimal Study of the Book of God), and the fourth chapter of the applied study, then the conclusion of the results and recommendations, and the summary .of the research in Arabic and English

الفهارس العامة

ويشمل :

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الأعلام

فهرس المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات

فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	رقم الآية	السورة	الآية
	2	الفاحة	[الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ]
	7	الفاحة	[غَيْرِ الْمَعْصُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الصَّالِينَ]
	42	البقرة	[سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَهُمْ عَن قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا]
	113	البقرة	[وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ]
	115	البقرة	[وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ]
	127	البقرة	[وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلَ]
	146	البقرة	[الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ]
	177	البقرة	[لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ]
	209	البقرة	[فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَاغْلُظُوا]

			أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ [
	224	البقرة] وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ [
	256	البقرة] لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ [
	286	البقرة] لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا [
	13	آل عمران] إِنْ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَبْصَارِ [
هامش	102	آل عمران] يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ [
	160	آل عمران] إِنْ تَمَسَسْتُمْ حَسَنَةً تَسُوهُمْ [
	83	النساء] لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ [
	145	النساء] إِنْ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ [
	48	المائدة] وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ [
	64	المائدة] بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ [
	83	المائدة] وَإِذَا سَمِعُوا مَا أَنْزَلَ

			إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ [
	103	المائدة	[مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ]
	105	المائدة	[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسِكُمْ]
	12	الأنعام	[لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ]
	30	الأنعام	[وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى]
	42	الأنعام	[وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ]
	51	الأنعام	[وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُخْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ]
	52	الأنعام	[وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ]
	70	الأنعام	[وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهُمْ وَغَرَّتُهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا]
	75	الأنعام	[وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ]

			وَالْأَرْضِ]
	84	الأنعام	[وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا]
	85	الأنعام	[وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ]
	86	الأنعام	[وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوشَعَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ]
	87	الأنعام	[وَمِنَ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ]
هامش	96	الأنعام	[فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا]
	112	الأنعام	[وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ]
	113	الأنعام	[وَلِتَضَعِيَ إِلَيْهِ أُفُودَهُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ]
	125	الأنعام	[فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ]
	151	الأنعام	[وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ]

	152	الأنعام	[لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا]
	155	الأنعام	[وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ]
	156	الأنعام	[أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابُ عَلَي طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا]
	184	الأنعام	[وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كَلًّا هَدَيْنَا]
	32	الأعراف	[قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ]
	54	الأعراف	[إِنْ رَبُّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ]
	123	الأعراف	[قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ]
	156	الأعراف	[وَاكْتُبْنَا لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ]
	172	الأعراف	[وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ]
	178	الأعراف	[مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضِلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ]

	200	الأعراف	[وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ]
	202	الأعراف	[إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ]
	2	الأنفال	[إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ]
	30	الأنفال	[وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ]
	51	التوبة	[قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا]
	55	التوبة	[فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ]
	3	يونس	[إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ]
	24	يونس	[فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَّمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ]
	59	يونس	[قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا]
	12	هود	[فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ]

	13	هود	[أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ]
	14	هود	[فَالَّذِينَ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ]
	15	هود	[مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا]
	16	هود	[أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ]
	79	هود	[قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكِ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا تُرِيدُ]
	25	يوسف	[وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ]
	4	الرعد	[إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ]
	16	الرعد	[قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ]
	43	الحجر	[وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ]
	44	الحجر	[لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ]
	87	الحجر	[وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنْ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ]

			[الْعَظِيمِ]
	26	النحل	[قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهَ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْعَوَاعِدِ]
	44	النحل	[وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ]
	106	النحل	[مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مِنْ أَكْرَهٍ]
	112	النحل	[وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا]
	11	الإسراء	[وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا]
	31	الإسراء	[وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ]
	49	الإسراء	[وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وُرُفَاتًا إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا]
	85	الإسراء	[وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا]
	6	الكهف	[فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِدَا الْحَدِيثِ أَسَفًا]

	45	الكهف	[وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا]
	56	الكهف	[وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ]
	68	الكهف	[وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا]
	5	مريم	[وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي]
	1	طه	[طه]
	2	طه	[مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى]
	3	طه	[إِلَّا تَذِكْرَةً لِمَنْ يَخْشَى]
	10	طه	[إِذْ رَأَى تَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ تَارًا]
	39	طه	[وَالْقَيْثُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي]
	114	طه	[وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ]
	30	الأنبياء	[أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا]
	96	الأنبياء	[حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجَ]

			وَمَا جُوعٌ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ [
	97	الأنبياء	[وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا]
	25	الحج	[إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ]
	74	الحج	[مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ]
	68	المؤمنون	• أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمْ الْأُولَىٰ •
	10	النور	[وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ]
	35	النور	[اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ]
	30	الفرقان	[وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا]
	15	النمل	[وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا]
	86	النمل	[أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنَا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا]

	73	القصص	[وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ]
	88	القصص	[كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ]
	22	الروم	[وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ]
	7	سبأ	[وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدْلِكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ]
	10	سبأ	[وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا]
	11	سبأ	[أَنْ اْعْمَلْ سَابِغَاتٍ]
	1	فاطر	[الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا]
	32	فاطر	[ذَلِكَ هُوَ الْفَعْلُ الْكَبِيرُ]
	33	فاطر	[جَنَّاتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا]
	9	يس	[وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سِدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سِدًّا فَأَعَشَيْنَاهُمُ قَهْرًا لَا يُبْصِرُونَ]
	38	يس	[وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ]

			[الْعَلِيمِ]
	41	يس	[وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِكِ الْمَشْحُونِ]
	42	يس	[وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ]
	43	يس	[وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرَخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَدُونَ]
	44	يس	[إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ]
	71	يس	[أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا]
	78	يس	[مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ]
	29	ص	[كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَتَذَكَّرُوا آيَاتِهِ]
	86	ص	[قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ]
	5	الزمر	[خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكْوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ]
	23	الزمر	[اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ]

	38	الزمر	[قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ]
	62	الزمر	[اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ]
	17	الزمر	[وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا]
	36	غافر	[وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صَرِّحًا]
	61	غافر	[اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا]
	62	غافر	[ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنى تُؤْفَكُونَ]
	17	الشورى	[وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ]
	33	الزخرف	[وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً]
	56	الدخان	[لَا يَدْخُلُونَ فِيهَا الْمَوْتِ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى]
	8	الأحقاف	[أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا]

	21	الأحفاف	[وَادْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ]
	2	الفتح	[وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا]
	20	الفتح	[وَعَبَدِكُمُ اللَّهُ مَعَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُوتَهَا]
	4	ق	[قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ]
	7	ق	[وَالْأَرْضَ مَدَدْنَا هَا وَالْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ]
	8	ق	[تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ]
	11	ق	[رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَخْبَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ]
	15	ق	[أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ]
	19	ق	[وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَجِدُ]
	11	النجم	[مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى]
	45	النجم	[وَأَنَّهُ خَلَقَ الرُّوحَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى]

	46	النجم	[من نُطْفَعَةٍ إِذَا تُمْنَى]
	1	القمر	[اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ]
	2	القمر	[وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا]
	3	القمر	[وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكَرِهُوا مُسْتَقِرًّا]
	4	القمر	[وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ]
	5	القمر	[حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ التُّذْرُ]
	6	القمر	[فَتَوَلَّوْا عَنْهُمْ]
	17	القمر	[وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ]
	49	القمر	[إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدْرٍ]
	5	الرحمن	[الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ]
	8	الواقعة	[فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ]
	12	الطلاق	[اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ]
	46	القلم	[أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَعْرَمٍ مُثْقَلُونَ]

	3	الحاقة	[وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ]
	25	الحاقة	[وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهِ]
	19	المعارج	[إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا]
	19	الجن	[وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا]
	1	المزمل	[يَا أَيُّهَا الْمُرْمَلُ]
	2	المزمل	[فُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا]
	3	المزمل	[نِيضْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا]
	4	المزمل	[أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا]
	20	المزمل	[إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِيضْفَهُ وَثُلُثَهُ]
	33	المدثر	[وَاللَّيْلِ إِذَا دُبِرَ]
	38	المدثر	[كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِيئَةً]
	39	المدثر	[إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ]
	40	المدثر	[فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ]

	41	المدثر	[عَنِ الْمُجْرِمِينَ]
	49	المدثر	[فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ]
	50	المدثر	[كَانَتْهُمْ حُمْرُ مُسْتَنْفِرَةٍ]
	51	المدثر	[فَارْتِ مِنْ فَسْوَرَةٍ]
	26	النازعات	[إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى]
	1	التكوير	[إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ]
	14	الانشقاق	[إِنَّهُ ظَنٌّ أَنْ لَنْ يَخُورَ]
	15	الانشقاق	[بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا]
	1	الأعلى	[سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى]
	2	الأعلى	[الَّذِي خَلَقَ فَسْوَى]
	3	الأعلى	[وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى]
	4	الأعلى	[وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى]
	5	الأعلى	[فَجَعَلَهُ عُتَاءً أَلْحَى]
	6	الأعلى	[سَنُقَرِّبُكَ فَلَا تَنْسَى]
	17	الغاشية	[أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ]
	18	الغاشية	[وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ]

	19	الغاشية	[وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ] [
	20	الغاشية	[وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ]
	22	الفجر	[وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا]
	1	البلد	[لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ]
	2	البلد	[وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ]
	10	البلد	[وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ]
	18	البلد	[أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ]
	19	البلد	[وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ]
	10	الشمس	[وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا]
	14	الشمس	[فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِدَنِّيهِمْ فَسَوَّاهَا]
	7	الشرح	[فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ]
	1	التين	[وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ]
	2	التين	[وَطُورِ سِينِينَ]
	3	التين	[وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ]
	4	التين	[لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ]

	7	التين	[فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالذِّينِ]
	8	التين	[أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ]
	1	العلق	[اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ]
	5	العلق	[عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ]
	1	القدر	[إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ]
	1	التكاثر	[أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ]
	2	التكاثر	[حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ]
	8	التكاثر	[ثُمَّ لِنُسْأَلَنَ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ]
	1	العصر	[وَ الْعَصْرَ]
	2	العصر	[إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ]
	3	العصر	[إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ]
	3	الفلق	[وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ]
	4	الفلق	[وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ]

فهرس الأحاديث النبوية

الصفحة	طرف الحديث
	ألا أخبركُ يا عبد الله بن جابر بخير سورة في القرآن ؟
	حتى أنظرَ ما يأتي من عند ربِّي
	قل لا يفصُّض الله فاكَ
	كيفَ تجدُ قلبكَ ؟
	لو لم يُقل يوسف الكلمة التي قالها
	ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة

فهرس الأعلام المترجم لهم

الصفحة	اسم الشهرة
	ابن القيم
	ابن جزى
	ابن سيدة
	ابن عبد البر
	ابن عطية
	ابن فارس
	ابن منظور
	أبو هلال العسكري
	أحمد بدوى
	البقاعى
	ابن عاشور

	البيضاوي
	التفتازاني
	التهانوي
	الجرجاني
	الجماص
	حامد العلي
	حسين الحربي
	الحموي
	خالد السبت
	الخفاجي
	الخليل الفراهيدي
	رشيد رضا
	الزجاج
	الزرقاني
	الزمخشري
	الشاطبي
	الشوكاني
	الصغاني
	عائدة الجراح

	الغلاييني
	فخر الدين الرازي
	القاسم بن سلام
	القاسمي
	الكافيجي
	الكفوي
	محمد الأمين الشنقيطي
	المراغي
	مساعد الطيار
	مكي بن أبي طالب
	نادي صبرا

فهرس المصادر والمراجع

- 1- **الإتقان في علوم القرآن** : جلال الدين السيوطي- بيروت ، لبنان - دار ابن حزم - ط 1- 2008م .
- 2- **الإحاطة في أخبار غرناطة** : لسان الدين بن الخطيب- بيروت ، لبنان - دار الكتب العلمية - ط 1 - 1424هـ .
- 3- **أحكام القرآن** : أبو بكر الجصاص - تحقيق : محمد الصادق قمحاوي - بيروت ، لبنان - دار إحياء التراث العربي - ط - 1992م.
- 4- **الأزهر في ألف عام** : محمد عبد المنعم خفاجي و علي علي صُبح - القاهرة ، مصر - المكتبة الأزهرية للتراث - ط 3 - 2011م.

- 5- **أساس البلاغة** :الزمخشري - تحقيق : محمد باسل
عيون السود - بيروت ، لبنان - دار الكتب العلمية - ط
1-1986م .
- 6- **أسباب الخطأ في التفسير دراسة تأصيلية** :
طاهر محمود محمد يعقوب- جدة ، السعودية - دار ابن
الجوزي- ط 1 - 1425هـ .
- 7- **أسباب النزول** : الواحدي - تحقيق كمال بسيوني
زغلول - بيروت ، لبنان - دار الكتب العلمية - ط 1 -
1990م.
- 8- **الإسرائيليات و الموضوعات في كتب التفسير**
: محمد أبو شهبة - القاهرة ، مصر - مكتبة السنة - ط
4 - 1408هـ .
- 9- **أضواء البيان** : الشنقيطي - بيروت ، للبنان - دار
الفكر للطباعة و النشر و التوزيع- د ط - 1415هـ .
- 10- **الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث أهل
العلم** : د محمد محمد أبو موسى - مكتبة وهبة -
مصر - ط 2 - 1997م ، وهو متاح للتحميل في النت .
- 11- **الإعجاز البياني في نظم خواتم الآيات
المشتملة على أسماء الله الحسنى** " (رسالة
ماجستير غير مطبوعة) :عاطف رجب جمعة القانونع -
إشراف أ د محمد شعبان علوان - الجامعة الإسلامية -
غزة، فلسطين - 1427هـ ، متاحة للتحميل عبر النت .
- 12- **إعجاز القرآن** : الباقلاني - تحقيق أحمد صقر - دار
المعارف- القاهرة، مصر - ط 4 - دس .
- 13- **الأعلام** : خير الدين الزركلي - بيروت ، لبنان- دار
العلم للملايين - ط 12 - 1997م .
- 14- **إعلام الموقعين عن رب العالمين** : ابن قيم
الجوزية -- تحقيق : مشهور بن حسن سلمان ، شارك
في التخرّيج : أبو عمر أحمد - المدمام ، السعودية -
دار ابن الجوزي - ط 1 - 1423هـ .
- 15- **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان** : ابن قيم
الجوزية - تحقيق محمد عزيز شمس - خرّج أحاديثه

- مصطفى بن سعيد إيتيم - مكة ، السعودية - دار عالم
الفوائد - ط 1 - 1432 هـ .
- 16- **إقامة الدليل على بطلان التحليل** : ابن تيمية -
تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي - عمان ، الأردن -
المكتب الإسلامي - ط 1 - 1418 هـ .
- 17- **الإكسير في علم التفسير** : سليمان الصرصري
البغدادي - تحقيق عبد القادر حسين - القاهرة ، مصر -
مكتبة الآداب - دط - دس .
- 18- **أنوار التنزيل و أسرار التأويل** : البيضاوي -
تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي - بيروت ، لبنان
- دار إحياء التراث العربي - ط 1 - 1418 هـ .
- 19- **الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه** : مكّي بن أبي
طالب - تحقيق أحمد حسن فرحات - بيروت ، لبنان -
دار المنارة - ط 1 - 1406 هـ .
- 20- **البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من
الحجة و البيان** : برهان الدين محمود بن نصر
الكرماني (ت 505 هـ) - دراسة و تحقيق عبد القادر
أحمد عطا - دار الفضيلة - دط - دس ، وهو متاح
للتحميل عبر النت .
- 21- **البرهان في علوم القرآن** : بدر الدين الزركشي -
تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم - القاهرة ، مصر -
دار التراث - ط 3 - 1984 م .
- 22- **بيان إعجاز القرآن** : الخطّابي - تحقيق محمد
خلف الله و محمد زغلول سلام - القاهرة ، مصر - دار
المعارف - ط 3 - 1976 م .
- 23- **التحرير و التنوير** : ابن عاشور - الدار التونسية
للنشر - دط - دس .
- 24- **التدبر حقيقته وعلاقته بمصطلحات التأويل و
الاستنباط و الفهم و التفسير دراسة بلاغية
تحليلية على آيات من الذكر الحكيم** : أد عبد
الله عبد الغني سرحان - الرياض ، السعودية - مركز
التدبر للاستشارات التربوية و التعليمية - دط -
1431 هـ .

- 25- **ترتيب المدارك و تقريب المسالك** : القاضي عياض - تحقيق عبد القادر الصحراوي - المحمدية ، المغرب - مطبعة فضالة - ط 1- 1970م .
- 26- **التسهيل لعلوم التنزيل**: ابن جُزَي الكلبي - تحقيق محمد سالم هاشم - بيروت ، لبنان - دار الكتب العلمية - د ط - 1415هـ .
- 27- **التعريفات** : الجرجاني - بيروت ، لبنان - مكتبة لبنان - د ط - 1985م .
- 28- **تفاسير القرآن الكريم حسب ترتيب النزول دراسة وتقويم** : طه محمد فارس - عمان ، الأردن - دار الفتح للدراسات و النشر - ط 1- 2011م .
- 29- **تفسير القاسمي** : جمال الدين القاسمي - القاهرة ، مصر - دار إحياء الكتب العربية - ط 1 - 1376 هـ .
- 30- **تفسير القرآن العظيم** : ابن كثير - تحقيق : مصطفى السيد محمد ، محمد السيد رشاد ، محمد فضل العجاوي ، علي أحمد عبد الباقي ، وحسن عباس قطب - الجيزة ، مصر - مؤسسة قرطبة - ط 1 - 2000م .
- 31- **تفسير القرآن العظيم مسندًا عن رسول الله صلى الله عليه و سلم والصحابة والتابعين** : ابن أبي حاتم الرازي - تحقيق : أسعد محمد الطيب - الرياض ، السعودية - مكتبة نزار مصطفى الباز - ط 1 - 1997م .
- 32- **التفسير اللغوي للقرآن الكريم** : مساعد الطيار - جدة ، السعودية - دار ابن الجوزي - ط 1 - 1432هـ .
- 33- **تفسير المراغي** : مصطفى المراغي - القاهرة ، مصر - مطبعة مصطفى البابي الحلبي - ط 1 - 1946م .
- 34- **تفسير المنار**: محمد رشيد رضا - القاهرة ، مصر - دار المنار - ط 2 - 1947م .

- 35- **التفسير الموضوعي بين النظرية و التطبيق :**
الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي- عمان ، الأردن - دار
النفايس - ط 2- 1428هـ .
- 36- **تفسير عبد الرزاق :** عبد الرزاق الصنعاني - تحقيق
محمود محمد عبده - بيروت ، لبنان - دار الكتب
العلمية - ط 1- 1419هـ .
- 37- **التفسير و المفسرون :** حسين الذهبي - القاهرة ،
مصر - مكتبة وهبة - ط 4 - 1409هـ .
- 38- **التلويح على التوضيح لمتن التنقيح في أصول
الفقه :** مسعود بن عمر التفتازاني - تحقيق زكريا
عميرات - بيروت ، لبنان - دار الكتب العلمية - ط -
1416هـ .
- 39- **تهذيب الأسماء و اللغات :** النووي - القاهرة ،
مصر - المطبعة المنيرية - ط - د س .
- 40- **تهذيب التهذيب :** ابن حجر العسقلاني - بيروت ،
لبنان - دار الفكر - ط 1 - 1404هـ .
- 41- **التيسير في قواعد علم التفسير :** محمد بن
سليمان الكافيجي - تحقيق ناصر بن محمد المطرودي
- دمشق ، سوريا - دار القلم - ط 1 - 1410هـ .
- 42- **جامع البيان عن تأويل القرآن :** ابن جرير
الطبري - تحقيق : عبد الله بن عبد المحسن التركي ،
عبد السند حسن يمامة - الجيزة ، مصر - هجر
للطباعة والنشر - ط 1- 2001م .
- 43- **جامع الدروس العربية :** مصطفى الغلاييني -
تحقيق علي سليمان شبارة - بيروت ، لبنان - مؤسسة
الرسالة ناشرون - ط 1- 1433هـ .
- 44- **جامع بيان العلم و فضله :** ابن عبد البر - تحقيق
أبي الأشبال الزهيري - الدمام ، السعودية - دار ابن
الجوزي - ط 1- 1414هـ .
- 45- **الجامع لأحكام القرآن :** القرطبي - تحقيق : عبد
الله بن عبد المحسن التركي، محمد رضوان
عرقسوسي- بيروت ، لبنان - مؤسسة الرسالة - ط 1
- 2006م .

- 46- **حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي** : شهاب الدين الخفاجي- بيروت، لبنان - دار صادر - د ط - دس.
- 47- **الحاوي الكبير** : الماوردي - تحقيق محمد علي معوض و عادل أحمد عبد الموجود - بيروت ، لبنان - دار الكتب العلمية - ط 1 - 1994م .
- 48- **الحضارة الإسلامية أسسها و وسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها ولمحات من تأثيرها في سائر الأمم** : عبد الرحمن الميداني - دمشق ، سوريا - دار القلم - ط 2 - 1435هـ .
- 49- **الدر المنثور في التفسير بالمأثور** : السيوطي - تحقيق : عبد الله بن عبد المحسن التركي ، عبد السند حسن يمامة - القاهرة ، مصر - مركز هجر للبحوث والدراسات - ط 1 - 2003م .
- 50- **دراسات في الفعل** : عبد الهادي الفضلي - بيروت ، لبنان- دار القلم - ط 1- 1982م .
- 51- **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة** : ابن حجر العسقلاني - تحقيق محمد سيد جاد الحق - القاهرة ، مصر - مطبعة المدني - ط 2 - 1385هـ .
- 52- **رجال فقدناهم** : مجد مكي - بيروت ، لبنان - دار ابن حزم - ط 1- 2012م.
- 53- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني** : الألوسي - قرأه و صححه: محمد حسين العرب - بيروت ، لبنان - دار الفكر - د ط - 1997م .
- 54- **روضة الناظر و جنة المناظر** : ابن قدامة المقدسي - تحقيق شعبان محمد اسماعيل - الرياض ، السعودية - مؤسسة الراين - ط 1 - 1419هـ .
- 55-
- 56- **سير أعلام النبلاء** : الذهبي - بيروت ، لبنان- مؤسسة الرسالة- ط 1- 1409هـ

- 57- . **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** : عبد الحي بن العماد - بيروت ، لبنان - دار الآفاق الجديدة - د ط - د س .
- 58- **الزِّيَادَة وَالإِحْسَان فِي عُلُومِ الْقُرْآن** : ابن عقيلة المكي - الشارقة ، الإمارات العربية المتحدة - مركز البحوث و الدراسات- ط 1 -2006م ، 8/182 - 185 .
- 59- **شرح الكوكب المنير** : ابن النجار - تحقيق محمد الزحيلي و نزيه حماد - الرياض ، السعودية - طبعة وزارة الأوقاف- ط 1 - 1413هـ .
- 60- **شفاء العليل في مسائل القدر و الحكمة و التعليل** : ابن قيم الجوزية - تحقيق الحساني حسن عبد الله - القاهرة ، مصر - دار التراث- د ط- د ط .
- 61- **طبقات المفسرين العشرين** : السيوطي - تحقيق علي محمد عمر - القاهرة ، مصر - مكتبة وهبة- ط 1 - 1396هـ .
- 62- **العباب الزاخر واللباب الفاخر**: الصغاني- تحقيق محمد حسين آل ياسين - بغداد ، العراق - دار الحرية للطباعة - ط 1 - 1987م .
- 63- **عبد الرحمن حبنكة الميداني العالم المفكر المفسر زوجي كما عرفته** : عائدة راغب الجراح - دمشق ، سوريا - دار القلم - ط 1 - 2001م .
- 64- **عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني و آرائه في العقيدة الإسلامية عرض و نقد** (رسالة ماجستير غير مطبوعة) : مازن عطية ابراهيم مسالمة - إشراف أ د حافظ محمد حيدر الجعبري - كلية الدراسات العليا - جامعة الخليل - فلسطين - 2013 م ، منزلة على موقع أهل التفسير .
- 65- **العقيدة الإسلامية و أسسها** : عبد الرحمن الميداني - دمشق ، سوريا - دار القلم - ط 12 - 1425هـ .
- 66- **علماء ومفكرون عرفتهم** : محمد المجذوب - القاهرة ، مصر- دار الشواف - د ط - 1992م .

- 67- **العميد في علم التجويد** : محمود بن علي بسّة المصري- تحقيق محمد الصادق قمحاوي- دار العقيدة - الاسكندرية ، مصر- ط 1- 1425هـ .
- 68- **العين** : الخليل بن أحمد الفراهيدي - تحقيق د مهدي المخزومي ود ابراهيم السامرائي - بيروت ، لبنان- مكتبة الهلال - دط - دس .
- 69- **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير** : الشوكاني- بيروت ، لبنان - دار الأرقم- د ط - دس .
- 70- **الفروق** : أبو هلال العسكري - تحقيق حسام الدين القدسي- بيروت ، لبنان- دار الكتب العلمية - د ط- 1401هـ .
- 71- **الفروق اللغوية و أثرها في تفسير القرآن الكريم** : محمد بن عبد الرحمن الشايع - مكتبة العبيكان - الرياض ، السعودية - ط 1- 1414 هـ .
- 72- **فصول في أصول التفسير** : مساعد الطيار - الرياض ، السعودية - دار النشر الدولي - ط 1 - 1413هـ .
- 73- **فضائل القرآن** : أبو عبيد القاسم بن سلام - تحقيق مروان العطية، ومحسن خرابة، ووفاء تقي الدين - دمشق ، سوريا- دار ابن كثير - ط 1 - 1415هـ .
- 74- **القاموس المحيط** : الفيروز آبادي - تحقيق محمد نعيم العرقسوسي - بيروت ، لبنان- مؤسسة الرسالة - ط 8 في مجلد واحد- 1426هـ .
- 75- **قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله عز وجل** : عبد الرحمن حبنكة الميداني - بيروت ، لبنان - دار القلم - ط 3 - 2004م.
- 76- **قواعد الترجيح عند المفسرين دراسة نظرية تطبيقية** : حسين بن علي الحربي - راجعه مناع بن خليل القطان - الرياض ، السعودية - دار القاسم - ط 1- 1417هـ .

- 77 **القواعد الحسان لتفسير القرآن** : عبد الرحمن السعدي - جدة ، السعودية - دار الرشد - ط 1 - 1420هـ .
- 78 **الكشاف** : الزمخشري - تحقيق عادل أحمد عبد الموجود ، علي محمد معوض - الرياض، السعودية - مكتبة العبيكان - ط 1 - 1998م .
- 79 **كشاف اصطلاحات الفنون و العلوم** : التهانوي - تقديم وإشراف ومراجعة : رفيق العجم ، تحقيق : علي دحروج - بيروت، لبنان - مكتبة لبنان ناشرون - ط 1 - 1996م .
- 80 **الكليات** : للكفوي - وضع فهارسه : عدنان درويش ، محمد المصري - بيروت ، لبنان - مؤسسة الرسالة - ط 2 - 1998م .
- 81 **لسان العرب** : ابن منظور - تحقيق : عبد الله الكبير ، محمد أحمد حسب الله ، هاشم محمد الشاذلي - القاهرة ، مصر - دار المعارف - د ط - د س .
- 82 **مباحث في التفسير الموضوعي** : مصطفى مسلم - دمشق ، سوريا - دار القلم - ط 3 - 1421 هـ .
- 83 **مباحث في علوم القرآن** : مناع القطان - القاهرة ، مصر - مكتبة وهبة - ط 7 - د س .
- 84 **مجموع الفتاوى** : ابن تيمية - عناية وتخرىج : عامر الجزائر ، أنور الباز - المنصورة ، مصر - دار الوفاء - ط 3 - 2005م .
- 85 **المحرر الوجيز** : ابن عطية - تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد - بيروت ، لبنان - دار الكتب العلمية - ط 1 - 2001م .
- 86 **المخصص** : ابن سيده - تحقيق خليل ابراهيم جفال - بيروت ، لبنان - دار إحياء التراث العربي - ط 1 - 1417هـ .
- 87 **المدخل إلى علوم القرآن الكريم** : منصور كافي - البليدة ، الجزائر - دار مدني - د ط - د س .

- 88- **مشكل إعراب القرآن** : مكي بن أبي طالب
القيسي - تحقيق ياسين محمد السواس - دمشق ،
سوريا- دار المأمون للتراث - ط 2 - دس .
- 89- **المصباح المنير** : الفيومي - بيروت ، لبنان - مكتبة
لبنان - د ط - 1990م .
- 90- **المصنف** : عبد الرزاق الصنعاني - تحقيق حبيب
الرحمن الأعظمي - جنوب إفريقيا - منشورات
المجلس العلمي - ط 1 - 1390هـ .
- 91- **معارج التفكير ودقائق التدبر** : عبد الرحمن
الميداني- دمشق ، سوريا - دار القلم - ط 1 - 2006
م .
- 92- **معالم التنزيل** : البغوي - تحقيق : محمد عبد الله
النمر ، عثمان جمعة ، سليمان الحرش- الرياض ،
السعودية - دار طيبة - د ط - 1412هـ .
- 93- **معجم مفردات ألفاظ القرآن** : الراغب
الأصفهاني - تحقيق : يوسف الشيخ محمد البقاعي -
بيروت ، لبنان - دار الفكر- دط - 2009م .
- 94- **معجم مقاييس اللغة** : ابن فارس - تحقيق عبد
السلام هارون- دمشق ، سوريا - دار الفكر- د ط -
1979م .
- 95- **مفاتيح الغيب** : الرازي -بيروت ، لبنان - دار الفكر -
ط 1 - 1981م .
- 96- **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم و
الإرادة** : ابن قيم الجوزية - بيروت ، لبنان - دار
الكتب العلمية - د ط - دس .
- 97- **مفهوم التدبر تحريز و تأصيل** - أوراق الملتقى
العلمي الأول لتدبر القرآن الكريم - (الورقة الثانية
مفهوم التدبر عند اللغويين د عويض العطوي) -
الرياض ، السعودية - مركز التدبر للاستشارات
التربوية و التعليمية - د ط - 1430 هـ .
- 98- **مفهوم التفسير و التأويل و الاستنباط و
التدبر و المفسر** : مساعد بن سليمان الطيار -

الرياض، السعودية - دار ابن الجوزي- ط 2 - 1427هـ

99- **مقدمات الشيخ علي الطنطاوي** : جمع و ترتيب

مجد مكّي - جدّة ، السعودية - دار المنارة - ط 1 - 1997م.

100- **المقدمة** : عبد الرحمن بن خلدون - ضبط وشرح

وتقديم : محمد الاسكندراني - بيروت ، لبنان - دار الكتاب العربي-د ط - 2005م .

101- **المناسبة بين الفواصل القرآنية و آياتها**

دراسة تطبيقية الجزء الأول من سورة البقرة

(رسالة ماجستير غير مطبوعة) - أحمد عطية

المنيراوي - إشراف د زكريا إبراهيم الزميلي -

الجامعة الإسلامية - غزّة، فلسطين - 1431 هـ ،

متاحة للتحميل عبر النت .

102- **مناهل العرفان** : محمد عبد العظيم الزرقاني -

تحقيق : فواز أحمد زمري- بيروت ، لبنان - دار

الكتاب العربي- ط 1 - 1995م .

103- **مناهل العرفان للزرقاني دراسة وتقويم** -

خالد السبت - الرياض ، السعودية - دار ابن عفان

للنشر و التوزيع - ط 3- 2014م .

104- **المنثور في القواعد** : بدر الدين الزركشي -

تحقيق : محمد حسن إسماعيل - بيروت ، لبنان -

دار الكتب العلمية - ط 1 - 1421هـ .

105- **منهج عبد الرحمن حبنكة الميداني في**

التفسير (رسالة ماجستير غير مطبوعة) : نادي

حسن علي صبرا - إشراف الدكتور محمد خازر

المجالي - كلية الدراسات العليا - الجامعة الأردنيّة -

2006م .

106- **الموافقات في أصول الشريعة** : الشاطبي -

تحقيق عبد الله دراز - القاهرة ، مصر - المكتبة

التجارية الكبرى - دط-دس.

107- **النبا العظيم نظرات جديدة في القرآن** : محمد

عبد الله دراز - الكويت - دار القلم - د ط - د س.

- 108- **نظرات و اختيارات في مناسبة خواتيم الآيات مع فوائد بديعات : فكري بن محمود بن رجب سلامة ، مكتبة أبو بكر الصديق - القاهرة ، مصر - ط 1-1433هـ .**
- 109- **نظم الدرر في تناسب الآيات و السور : برهان الدين البقاعي -القاهرة ، مصر - دار الكتاب الإسلامي - ط 2-1992م .**
- 110- **نقد الصحابة و التابعين للتفسير دراسة نظرية تطبيقية : د عبد السلام بن صالح بن سليمان الجار الله - الرياض ، السعودية - دار التدمرية - ط 1 - 2008 م .**
- 111- **الوالد الداعية المرّبي الشيخ حسن حنّكة الميداني : عبد الرحمن الميداني - دمشق، سوريا- دار القلم - ط 1 - 2012م .**
- 112- **وفيات الأعيان : ابن خلكان - تحقيق إحسان عباس- بيروت ، لبنان - دار صادر - د ط - 1972م**

مقالات ومواقع انترنت :

- 1- (**الإسناد المجازي في القرآن ملابساته وأسراره البلاغية**) : د صديق مصطفى الريح - نشر المكتبة الرقمية - د ت - <http://dlibrary.mediun.edu.my/bib/61224> .
- 2- (**التحويل الزمني للفعل الماضي في العربية**) - البشير جلول - **مجلة المخبر** - عدد 6 - 2011م - جامعة محمد خيضر بسكرة الجزائر. مقال متاح للتحميل عبر النت .
- 3- (**ترجمة الشيخ حسن حنّكة الميداني**) : محمد موسى الشريف - 22 / 08/2015م : <http://www.rocham.org/index.php/23-2013-12-03-12-37-24/2013-12-03-12-37-48/27-2013-12-09-14-40-57>
- 4- (**الخلاصة الجامعة لقواعد التفسير النافعة**) : حامد العلي ، 28/09/2007م - <http://www.h->

alali.net/b_open.php?id=606c301a-bf3b-102a-be60-0010dce2d6ae

(**حديث الذكريات مع الشيخ عبد الرحمن**) -5

حبّنة) : حلقة خاصة حاوره فيها الدكتور جاسم المطوع المشرف العام على شبكة العلماء الإلكترونية - أضيفت في 30 جوان 2011م:

<https://www.youtube.com/watch?v=aX1KORDfdcU>

(**حسن حبّنة الميداني**) : د محمد موسى الشريف -6

- 17/06/2013 م : [http://islamstory.com/ar/](http://islamstory.com/ar/%D8%AD%D8%B3%D9%86-%D8%AD%D8%A8%D9%86%D9%83%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%8A%D8%AF%D8%A7%D9%86%D9%8A)

(**درسٌ تعلّمته من والدي الشيخ عبد الرحمن**) -7

حبّنة الميداني رحمه الله) - الدكتور وائل عبد الرحمن حبّنة الميداني -الخميس 10 جمادى الثانية 1438 -

<http://www.islamsyria.com/portal/cvs/show/832>

(**الدلالة الزمنية لصيغة الماضي في العربية**) -8

محمد رجب محمد الوزير - مجلة علوم اللغة - دار غريب- القاهرة، مصر - مجلد 1 - عدد 2 - 1998م .

(**الشيخ حسن حبّنة الميداني**) : محمد سعيد -9

رمضان البوطي - 25/08/2010 م : <http://forum.islamstory.com/14660-%C7%E1%D4%ED%CE-%CD%D3%E4-%CD%C8%E4%DF%C9-%C7%E1%E3%ED%CF%C7%E4%ED-%C8%DE%E1%E3-%CA%E1%E3%ED%D0%E5-%C3-%CF-%E3%CD%E3%CF-%D3%DA%ED%CF-%D1%E3%D6%C7%E4-%C7%E1%C8%E6%D8%ED.html>

(**الشيخ حسن حبّنة الميداني**) : محمد سعيد -10

رمضان البوطي - 25/08/2010 م .

11- (عبد الرحمن الميداني المجاهد المفكر الكاتب
الداعية الإسلامي الكبير) : عمر محمد العيسو -
01/11/2014م -

[http://www.odabasham.net/show.php?
sid=79066](http://www.odabasham.net/show.php?sid=79066)

12- (العلامة المفكر عبد الرحمن حبنكة الميداني) :
أيمن بن أحمد ذو الغنى - 28/03/2007م -
[http://www.alukah.net/culture/0/487/#ixzz3W
c51mzhh](http://www.alukah.net/culture/0/487/#ixzz3Wc51mzhh)

13- (العلامة الشيخ عبد الرحمن حبنكة قصة حياة
ومسيرة علم وجهاد) : محمد علي دولة -
07/09/2013م -

<http://www.itihad.org/biography>

14- (الوحدة البنائية في القرآن المجيد) - طه جابر
العلواني - د ت -

<http://www.alquran.ma/Article.aspx?C=5646>

15- (وحدة النسق في السورة القرآنية فوائدها و
طرق دراستها) رشيد الحمداوي - مجلة معهد الإمام
الشاطبي للدراسات القرآنية - عدد 3 - 1428 هـ ،
<http://library.tafsir.net/book/6009>

16- (كذلك في القرآن الكريم) - أحمد أحمد بدوي -
مجلة الرسالة - عدد 880 - 15/05/1950 م .

17- (المدخل البلاغي و أثره في القرآن الكريم) -
تنظيم مركز الدراسات القرآنية بالرابطة المحمدية
للعلماء بالمغرب ، بالتعاون مع شعبة الدراسات
الإسلامية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية ،
يومي الثلاثاء والأربعاء 17 - 18 أبريل 2012م :
<http://www.alquran.ma/Article.aspx?C=5624>

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
3	الإهداء
4	شكر وتقدير
المقدمة	
ب	الإشكالية
ب	التساؤلات التي تسعى الدراسة للإجابة عنها
ج	أهمية الدراسة
ج	أسباب اختيار الموضوع و دوافعه
د	الدراسات السابقة
هـ	أهداف البحث
ز	خطة البحث
	منهج البحث

	أهم المصادر و المراجع المعتمدة في البحث
	صعوبات اعترضت البحث
	الطريقة المعتمدة في كتابة البحث
الفصل الأول التعريف بمصطلحات البحث و بحياة المؤلف و كتابه قواعد التدبّر الأمثل	
16	تمهيد
	المبحث الأول : ضبط مفاهيم ومصطلحات البحث
17	1- تعريف القواعد لغة و اصطلاحًا
	أ - القواعد لغة
	ب - القواعد اصطلاحًا
20	2- تعريف التدبّر لغة و اصطلاحًا
	أ - التدبّر لغة
	ب - التدبّر اصطلاحًا
27	3 - تعريف القرآن لغة و اصطلاحًا
	أ - القرآن لغة
	ب - القرآن اصطلاحًا
32	المبحث الثاني : حياة الشيخ عبد الرحمن حسن حنّكة الميداني
	الحياة الشخصية للشيخ عبد الرحمن حسن

	حبّكة الميداني
34	1- نسب الشيخ عبد الرحمن الميداني و أسرته و ظروف نشأته
	أ - اسمه ومولده
	ب- والداه
	ت- زوجته و أولاده
	ث- ظروف نشأته
	2- صفات الشيخ عبد الرحمن الميداني و المناصب التي شغلها
	أ- الشيخُ طاقةُ معطاءة
	ب- زُهدُهُ في الدنيا و المناصب
	ت- بُعدُهُ عن الشهرة و حب العاجلة
	ث- حبه للحوار العلمي و سعة الصدر للمناقشة
	ج- حرصه الشديد على الوقت
	ح- أعماله و المناصب التي اشتغلها
	خ - وفاته
	الحياة العلمية للشيخ عبد الرحمن حسن حبّكة الميداني
	1- مسيرته و تحصيله العلمي

	أ- بداية تحصيله العلمي
	ب- انتقاله إلى الأزهر الشريف طالبًا للعلم
	ت - انتقاله إلى المملكة العربية السعودية مدرّسًا في الجامعة
	ث- علماء و أدباء تأثر بهم في تكوينه
	2- تلاميذه ومؤلفاته
	أ- تلاميذه
	ب- مؤلفاته
38	المبحث الثالث : دراسة تفصيلية لكتاب "قواعد التدبّر الأمثل"
	1- تسمية الكتاب
	2- طبعات الكتاب
	3- موضوع الكتاب و أهميته
	4- سببُ تأليف الكتاب
	5- تقسيمُ القواعد و موضوعُها
	أ : قواعد متعلقة بالتناسب و الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم
	ب : قواعد متعلقة بالآثار
	ت : قواعد متعلقة بعلوم البلاغة
	ث : قواعد متعلقة باللغة و دلالات

	الألفاظ و التراكيب
	ج : قواعد متعلقة بالنحو
	ح : قواعد متفرّقات
	6- مكانة الكتاب بين كتب قواعد التفسير
	7- طريقة الميداني في عرض القواعد
	أ- كيفية عرض القاعدة
	ب- صياغة القاعدة
	8- خطوات تفصيل القواعد عند الميداني
	أ- التّفريع
	ب- الشّرح
	ت - التّمثيل
	9- خصائص أسلوب الميداني في كتابه
	أ- الاستطراد
	ب- التّكرار
	ت- رعاية الأسلوب الأدبي والجمالي
	10- مصادر الكتاب
	11 - مدى استفادة المؤلف ممّن سبقه في تأليف هذا الكتاب

الفصل الثاني : دراسة تفصيلية لكتاب " معارج التفكير ودقائق التدبير " و
منهج المؤلف فيه

47	تمهيد
	المبحث الأول : دراسة وصفية لكتاب " معارج التفكير و دقائق التدبّر "
48	1 - تسمية الكتاب
51	2- طبعات الكتاب
	3- موضوع الكتاب و أهميته
	4- سببُ تأليف الكتاب
	5 - طريقة الميداني في تفسيره
	6- مصادر الكتاب ومدى استفادة المؤلف ممن سبقه
	أ- طريقته في التعامل و الأخذ من المصادر
	ب- مصادره من كتب التفسير
	ت- مصادره من كتب الحديث
	ث- مصادره من كتب اللغة
	ج- مصادره من كتب العقيدة الإسلامية
	ح- مصادره من كتب الأديان الأخرى
	خ- مصادره من كتب السيرة النبوية و التاريخ
	د- مصادره من كتب الفكر الإسلامي

	ذ- مصادره من الصحف و المجلات
54	المبحث الثاني: منهج المؤلف في تفسير السور و الآيات
56	1 - اعتماد ترتيب النزول القرآني لا المصحفي في التفسير
	2- منهج المؤلف في التفسير بالمأثور
	أ - تفسير القرآن بالقرآن
	ب- تفسير القرآن بالسنة النبوية
	ت- تفسير القرآن بأقوال الصحابة و التابعين
	ث- منهجه في القراءات القرآنية
	ج - منهجه في التعامل مع الإسرائيليات
	3 - منهج المؤلف في التفسير بالرأي
	4 - منهج المؤلف في التفسير الموضوعي
	5 - منهج المؤلف في التفسير العلمي
59	المبحث الثالث : منهج المؤلف في تناول مباحث اللغة والعقيدة و علوم القرآن
63	1- منهج المؤلف في تناول مباحث اللغة
	أ- تناول دلالات الألفاظ ومعانيها
	ب- تناول النحو و الصرف

	ت- تناول البلاغة
	2- منهج المؤلف في تناول مباحث العقيدة
	أ- التزام مذهب أهل السنة و الجماعة بشكل عام
	ب - تناول مسائل الاعتقاد بشكل عام
	ت- منهجه في تناول الأسماء و الصفات
	3- منهج المؤلف في تناول علوم القرآن
	أ- علم ترتيب نزول السور القرآنية
	ب- علم المكي و المدني
	ت- علم أسباب النزول
	ث- علم الناسخ و المنسوخ
	ج - علم الإعجاز القرآني
الفصل الثالث : الدراسة النظرية للقواعد التي ذكرها الشيخ في كتابه قواعد التدبر الأمثل	
94	تمهيد
95	المبحث الأول : دراسة القواعد المتعلقة بالآثار وبالتناسب والوحدة الموضوعية في القرآن الكريم
98	1- قاعدة " حول تتبع التفسير المأثور لمعنى النص "

101	2- قاعدة " حول تتبع مراحل التنزيل "
	3- قاعدة : " حول الحكمة من وضع آيات مدنية التنزيل في سورة مكية، ووضع آيات مكية في سور مدنية "
102	4- قاعدة : " حول النظر فيما ورد من أسباب النزول "
	5- قاعدة " حول بيئة نزول النص البشرية و الزمانية والمكانية "
	6- قاعدة " حول القراءات العشر "
	7- قاعدة " حول ارتباط الجملة القرآنية بموضوع السورة، وارتباطها الموضوعي بما تفرق في القرآن المجيد "
	8 - قاعدة " حول وحدة موضوع السورة القرآنية "
	9- قاعدة " حول التفسيرات الجزئية والمعنى الكلي "
	10- قاعدة "حول تكامل النصوص القرآنية في الموضوعات التي اشتمل عليها القرآن، واستبعاد احتمال التكرير لمجرد التأكيد ما أمكن "
104	11- قاعدة "حول تكافؤ النصوص القرآنية ووجوب الجمع بينها في نسق فكري متكامل وعدم اللجوء إلى الحكم بالنسخ إلا فيما ثبت نسخه بدليل صحيح صريح "
	12- قاعدة " حول الربط بين الآيات وخواتيمها "

110	المبحث الثاني : دراسة القواعد المتعلقة بالبلاغة واللغة ودلالات الألفاظ و التركيب
111	1- قاعدة " حول أوجه النص التي يهدف إليها "
	2 - قاعدة " حول لزوم فهم الآية وفق ترتيب نظمها "
	3 - قاعدة " حول اقتضاعات النص ولوازمه وروابطه الفكرية، ومحاذيفه التي حذفت للإيجاز والتضمينات التي يضمنها "
	4- قاعدة " حول التكرير وأغراضه "
	5 - قاعدة " حول النظر في ملاءمة الأسلوب البياني للهدف منه "
	6 - قاعدة " حول البحث عن الوجوه البلاغية والغرض الفكري من الصور البلاغية في القرآن المجيد "
	7- قاعدة " حول الاستغناء في الأداء البياني بتعابير مختلفات موزعات على الأشباه والنظائر للدلالة على التكامل البياني فيما بينها وطرد استعمالها في سائرهما "
	8- قاعدة " حول التنوع في أساليب الأداء البياني "
	9- قاعدة " حول البحث عن أغراض الاختلاف في التعبير في مختلف النصوص "
	10- قاعدة " حول رعاية فواصل الآيات اهتماما

	بالنسق اللفظي "
	11- قاعدة " حول ضرورة البحث في معاني الكلمات القرآنية بحثاً علمياً لغوياً "
	12- قاعدة " حول النظر في الألفاظ المتقاربة المعنى أو المترادفة "
	13- قاعدة " حول تردد النص القرآني بين داليتين أو أكثر "
	14- قاعدة " حول استعمال الكلام في أكثر من معنى "
	15- قاعدة " حول كلمة (لعل) الواردة في القرآن في مثل (لعلكم تتقون) "
	16- قاعدة " حول كلمة (بلى) في القرآن "
	17- قاعدة " حول عبارة (وما أدراك ما...؟!) في القرآن "
	18- قاعدة " حول تعبيرات [من بين يديه ومن خلفه ، ونحوهما - الأمام - الورااء] "
	19- قاعدة " حول لفظ (كذلك) في القرآن "
	المبحث الثالث : دراسة القواعد المتعلقة بالنحو والمتفرقات
114	1 - قاعدة " حول ضرورة ملاحظة قواعد اللغة العربية ومفاهيم الصيغ الصرفية. ولزوم البحث عن سر مخالفة الإعراب لمقتضى الظاهر "
	2- قاعدة " حول التعليل بأن المصدرية وما

	بعدها في الآيات القرآنية، وفي لزوم تقدير المحذوفات قبلها "
	3 - قاعدة " حول استعمال الفعل الماضي : 1 - فيما له الكينونة الدائمة. 2- وفيما حصل فعلاً. 3- وفيما هو مَقْضِيٌّ مَقْدَّرٌ ، فهو متحقق الوقوع في المستقبل و ينتظر الزّمن الذي يكون فيه واقعاً منجراً . 4 - وفيما هو معلوم لله وقوعه في المستقبل ولو لم يكن له إرادة جبرية في وقوعه ، إنما له به علمٌ و تمكين و تسخير "
	4- قاعدة " حول تعدية فعل (أراد - يريد) في القرآن "
	5 - قاعدة " حول إسناد الفعل أو ما في معناه إلى فاعله أو من قام به أو مسببه أو الأمر به والداعي له، أو المُتَّهَم أو الحاكم أو القاضي به، أو واجده والعاثر عليه والواصل إلى العلم به، أو غير ذلك "
	6 - قاعدة " حول ما يسمى بالاستثناء المنقطع "
	7 - قاعدة " حول أن القرآن لا اختلاف فيه ولا تناقض، وأنه لا تناقض بينه وبين الحقائق العلمية الثابتة بالوسائل الإنسانية "
	8- قاعدة " حول القَسَم في القرآن "
	9- قاعدة " حول النظر في توجيه الخطاب الرباني "
الفصل الرابع : الدراسة التطبيقية للقواعد التي ذكرها في كتابه " قواعد التدبّر الأمثل لكتاب الله "	

94	تمهيد
95	المبحث الأول : تطبيق القواعد المتعلقة بالآثار وبالتناسب والوحدة الموضوعية في القرآن الكريم
98	1- تطبيق قاعدة " حول تتبع التفسير المأثور لمعنى النص "
101	2- تطبيق قاعدة " حول تتبع مراحل التنزيل "
	3- تطبيق قاعدة : " حول الحكمة من وضع آيات مدنية التنزيل في سورة مكية، ووضع آيات مكية في سور مدنية "
102	4- تطبيق قاعدة : " حول النظر فيما ورد من أسباب النزول "
	5- تطبيق قاعدة " حول بيئة نزول النص البشرية و الزمانية والمكانية "
	6- تطبيق قاعدة " حول القراءات العشر "
	7- تطبيق قاعدة " حول ارتباط الجملة القرآنية بموضوع السورة، وارتباطها الموضوعي بما تفرق في القرآن المجيد "
	8 - تطبيق قاعدة " حول وحدة موضوع السورة القرآنية "
	9- تطبيق قاعدة " حول التفسيرات الجزئية والمعنى الكلي "
	10- تطبيق قاعدة "حول تكامل النصوص

	القرآنية في الموضوعات التي اشتمل عليها القرآن، واستبعاد احتمال التكرير لمجرد التأكيد ما أمكن "
104	11- تطبيق قاعدة "حول تكافؤ النصوص القرآنية ووجوب الجمع بينها في نسق فكري متكامل وعدم اللجوء إلى الحكم بالنسخ إلا فيما ثبت نسخه بدليل صحيح صريح "
	12- تطبيق قاعدة " حول الربط بين الآيات وخواتيمها "
110	المبحث الثاني : تطبيق القواعد المتعلقة بالبلاغة واللغة ودلالات الألفاظ و التراكيب
111	1- تطبيق قاعدة " حول أوجه النص التي يهدف إليها "
	2 - تطبيق قاعدة " حول لزوم فهم الآية وفق ترتيب نظمها "
	3- تطبيق قاعدة " حول اقتضاءات النص ولوازمه وروابطه الفكرية، ومحاذيفه التي حذفت للإيجاز والتضمنات التي يضمنها "
	3- تطبيق قاعدة " حول التكرير وأغراضه "
	5 - تطبيق قاعدة "حول النظر في ملاءمة الأسلوب البياني للهدف منه "
	6 - تطبيق قاعدة " حول البحث عن الوجوه البلاغية والغرض الفكري من الصور البلاغية في القرآن المجيد "

	7- تطبيق قاعدة " حول الاستغناء في الأداء البياني بتعبيرات مختلفات موزعات على الأشباه والنظائر للدلالة على التكامل البياني فيما بينها وطرده استعمالها في سائرهما "
	8- تطبيق قاعدة " حول التنوع في أساليب الأداء البياني "
	9- تطبيق قاعدة " حول البحث عن أغراض الاختلاف في التعبير في مختلف النصوص "
	1- تطبيق قاعدة " حول رعاية فواصل الآيات اهتماماً بالنسق اللفظي "
	11- تطبيق قاعدة " حول ضرورة البحث في معاني الكلمات القرآنية بحثاً علمياً لغوياً "
	12- تطبيق قاعدة " حول النظر في الألفاظ المتقاربة المعنى أو المترادفة "
	13 - تطبيق قاعدة " حول تردد النص القرآني بين دالتين أو أكثر
	14- تطبيق قاعدة " حول استعمال الكلام في أكثر من معنى "
	15- تطبيق قاعدة " حول كلمة (لعل) الواردة في القرآن في مثل (لعلكم تتقون) "
	16- تطبيق قاعدة " حول كلمة (بلى) في القرآن "
	17- تطبيق قاعدة " حول عبارة (وما أدراك ما...؟!) في القرآن "

	18- تطبيق قاعدة " حول تعبيرات [من بين يديه ومن خلفه ، ونحوهما - الأمام - الورااء] "
	19- تطبيق قاعدة " حول لفظ (كذلك) في القرآن "
	المبحث الثالث : تطبيق القواعد المتعلقة بالنحو والمتفرقات
114	1 - تطبيق قاعدة " حول ضرورة ملاحظة قواعد اللغة العربية ومفاهيم الصيغ الصرفية. ولزوم البحث عن سر مخالفة الإعراب لمقتضى الظاهر "
	2- تطبيق قاعدة " حول التعليل بأن المصدرية وما بعدها في الآيات القرآنية، وفي لزوم تقدير المحذوفات قبلها "
	3 - تطبيق قاعدة " حول استعمال الفعل الماضي : 1 - فيما له الكينونة الدائمة. 2- وفيما حصل فعلاً. 3- وفيما هو مَقْضِيٌّ مَقْدَّرٌ ، فهو متحقق الوقوع في المستقبل و ينتظر الزّمن الذي يكون فيه واقعًا منجزًا . 4 - وفيما هو معلوم لله وقوعه في المستقبل ولو لم يكن له إرادة جبرية في وقوعه ، إنما له به علمٌ و تمكين وتسخير "
	4- تطبيق قاعدة " حول تعدية فعل (أراد - يريد) في القرآن "
	5 - تطبيق قاعدة " حول إسناد الفعل أو ما في معناه إلى فاعله أو من قام به أو مسببه أو الأمر به والداعي له، أو المُتَّهَم أو الحاكم أو القاضي به، أو واجده والعاثر عليه والواصل إلى

	العلم به، أو غير ذلك "
	6 - تطبيق قاعدة " حول ما يسمى بالاستثناء المنقطع "
	7 - تطبيق قاعدة " حول أن القرآن لا اختلاف فيه ولا تناقض، وأنه لا تناقض بينه وبين الحقائق العلمية الثابتة بالوسائل الإنسانية "
	8- تطبيق قاعدة " حول القَسَم في القرآن "
	9- تطبيق قاعدة " حول النظر في توجيه الخطاب الرباني "
خاتمة	
276	1- نتائج البحث
	2- توصيات البحث
	ملخص البحث بالعربية و الانجليزية
	الفهارس العامة
	فهرس الآيات القرآنية
	فهرس الأحاديث النبوية
	فهرس الأعلام المترجم لهم
	فهرس المصادر والمراجع
	فهرس الموضوعات

